علم الاجتماع الديني

تأليف
دكتور محمد أحمد [illegible]
أستاذ علم الاجتماع [illegible]
كلية الآداب [illegible]



تقديم
الأستاذ الدكتور محمد عاطف غيث
أستاذ ورئيس قسم الاجتماع [illegible]
بكلية الآداب - جامعة الإسكندرية

دار المعرفة الجامعية

اهداءات ٢٠٠١

أ.د. أحمد أبو زيد

أنثروبولوجي

عـــلم الاجتمـاع الديـنى

عِلمُ الاجْتِمَاع الدّينى

تأليف

دكتور
محمد أحمد محمد بيومى
أستاذ علم الاجتماع المساعد
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

تقديم

الأستاذ الدكتور محمد عاطف غيث
أستاذ ورئيس قسم الاجتماع
وعميد كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

دار المعرفة الجامعية
٤٠ شارع سوتير - الأزاريطة
اسكندرية

الطبعــة الاولى ١٩٨١

الطبعــة الثانية ١٩٨٥

بسم الله الرحمن الرحيم

« فأقم وجهـك للدين حنيفا ، فطـرة الله التى فطـر النـاس عليهـا »
« لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيـم .. .. .. »

صدق الله العظيـم
(الروم : ٣٠)

إهـــداء

الى ...

زوجتي وابني أحمـــد ... حفظهما الله

تقديم

بقلم
الاستاذ الدكتور محمد عاطف غيث

يتسع نطاق علم الاجتماع فى السنين الاخيرة بشكل مضطرد وسريع، ولهذا يعالج موضوعات جديدة ويطرح قضايا لم تكن فى الحسبان ، يوم كان الرواد الاوائل يحاولون افساح مجال له بين العلوم التى اتخذت من المنهج العلمى الاطار ومن فلسفته وخطواته ومبادئه الضوابط للتوصل الى معرفة مختلفة عن المعارف الاخرى التى غشيتها الذاتية أو التى انعقـدت حولها دوائر لم تنفض بعد عن نتيجة يمكن الاطمئنان لها ، ولعل هذا هـو الذى جعل العـلم والمشتغلين به يستمسكون بالتجـريب فى ظل ظروف معملية أو ميدانية يمكن أن تطرح عديدا من النتائج تكفل معاودة النظـر فيها أو أختبارها تمهيدا لاستخدامها فيما يفيد الانسان • ومن المعروف أن علم الاجتماع دخل فى جدل وحوار واسع النطاق لسنين طويلة لدعم مجاله وابراز امكانية معالجة مسائل المجتمع بمنظور العلم لاثراء المعرفة وتعميق الفهم الانسانى ، وللتقريب بين الجماعات المختلفة والمتناقضـة وتوجيه العمل الاجتماعى الى فائدة محققة يجنى ثمرتها كل البشر • ومن المحتمل أن هذا الحوار الذى أتخذ فى بعض مراحله شكل الدفاع عن علم الاجتماع وعن مشروعية وضعه العلمى ــ وان كانت له ايجابيات نظـرية ومنهجية ــ قد أخر طـرق الموضوعات الجديدة التي أشرت اليهـا والتى

أصبحت تتناول ظواهر عديدة تتصل بحيـاة المجتمع الانسانى ودعائمـه الاساسية الاقتصادية والسياسية والثقافية والعقائدية فضلا عن القضايا التى تتصل بنضال الشعوب أو استقلالها أو تنميتها أو ازالة الغشاوة عن الفكر والفعل أو حتى الامل والتطلع •

ومن بين الموضوعات ـ التى ستظل قديمة وجديدة دائما ـ يقتـرب منها علم الاجتماع أو يبتعد ، موضوع الدين الذى يثير عديدا من وجهات النظر التى تمتد من الايمان والتصوف الى العرض التاريخى والنفسى ، الى المعالجة العلمية • وليس هناك شـك فى أن التصدى لدراسـة الدين « علميا » يمكن أن تلقى نقدا متعدد الجوانب ، وأن تثير عديدا من ردود الافعال فى دوائر مختلفة سياسية أو دينية •• الـخ • ولكن الامر ينبغى أن يكون واضحا منذ البداية وهو أن دارس المجتمع علميا لا يدرس الدين من منظور دين معين ، أو يحاول أن يحـدد فترة تاريخية أو قطـاعا من شعوب الارض ، أو يتابع تطورات قبل الاديان السـماوية أو بعدها ، أو يقارن بين ما هو بدائى وما هو حديث ، وانما يريد الباحث فى هذا الميدان أن يلقى الاضواء على طبيعة التفاعل التاريخى والبنائى ـ بل والوظيفى أيضا ، التى تفصح عنها عملية الحياة فى أجزاء البناء الاجتماعى وأنسقته المترابطة ولن يكون هـذا الضوء مفيدا الا اذا أسـهم فى اكتشاف الدور الظاهر أو الباطن الذى يقوم به الدين بالفعل ، والتأثيرات المتبادلة التى يكشف عنها أنتماؤه الى وعاء واحد يضم نظما عديدة أخـرى تلعب بدون شك أدوارا تؤثر فيه كما تتأثر به • وفوق هـذا يمكن ادراك فعالية الدين داخل البناء المتكامل للمجتمع ومن خلال تحليل سوسيولوجى متعمق لحركة التاريخ وبالتوصل الى رؤية موضوعية للمستقبل وخاصـة اذا كان الامر يتعلق بعديد من قضايا القيم ودوافع السلوك واحراز التقدم فى مجـال اعادة بناء المجتمع ودعم الوجود الانسانى وتفسير مظاهر القلق والصراع ، وفهم كل أبعاد الاحباط والضياع والمعاناة •

ان هذا التقديم ليس مجال مناقشة التراث العلمى عن الدين ، فهــو تراث ضخم ، ولا هو يهدف الى تقديم وجهة نظر معينة ، وانما يكفى أن أشير الى أن هناك تقدما مطردا لمحاولة فهم وظيفة الدين فى المجتمع منذ أن كتب ابن خلدون وميكافيللى وفلاسفة السياسة وعلماء الفقه وأصــول الدين والشريعة • ومنذ أن تطورت الكتابة لتصبح أكثر تحديدا من خلال كتابات كومت ودور كايم وماركس وماكس فيبر وغيرهم ممن تأثروا بهم أو طوروا أعمالهم من المحدثين فى كثير من بلاد العالم • مع أن الجهد الذى بذله الباحثون فى علم الاجتماع عبر تاريخه ، جهد مهم وخلاق فى كثير من جوانبه ، الا أن المجال لازال مفتوحا والطريق لازال طويلا لدعم صــلة المدخل السوسيولوجى لدراسة الدين بالاطار الاوسع للنظرية فى عــلم الاجتماع فضلا عن اقامة الجسور بين هذا المدخل وتراث علوم المجتمع الاخرى ونتائج البحث فيها •

ولكن اذا كان الامر يتطلب هنا أن نحدد العلاقات على الطريق وخاصة فى الموقف الراهن لعلم الاجتماع من موضوعاته الجديدة أو المتجددة،فانه من الملائم ألا نمعن فى تجزييء هذه الموضوعات وبعثرتها ، وهو أمر قــد لا يرضى عنه كثيرون من « أهل الصنعة » لان النتيجة فى أعتقادى حتى فى المدى القصير ستنعكس على قضية الفهم الشمولى الضرورى والتحليل التاريخى المتكامل ، مما لابد أن يسفر عن غياب الرؤية المستقبلية ، خاصة وأن علم الاجتماع مطالب اليوم ، أكثر من أى وقت مضى ، أن يدرس وأن يبحث ليقدم بين ما يقدم نتائج تفيــد الانسان فتحل بعض مشــاكله أو تجاب بعض تساؤلاته بنجاح وبأمانة •• هذا يعنى فى تقديرى أحد أمرين، اما أن يتطــور علم الاجتمــاع الدينى ليستوعب كل ما اتصل بالعقــائد والممارسات والتنظيمات والقيم والضوابط والايديولوجيات — حتى لا تتعدد فروع علم الاجتماع التى يمكن أن تتناول موضوعا أو أكثر منها ، أو

ينزوى أو يدخل فى صراع لاهوتى يباعد بينه وبين أثراء المعرفة أو افادة المجتمع ، واما أن يصطلح على أن يصبح مبحثا مهما من مباحث الثقـافة والتنظيم حيث يحتمل أن يدرس وأن تجـرى الابحاث فيه بشكل غـير متحرر من القيم التى يعتمد عليها الوجود الانسانى والتى تطرحها حركة التاريخ •

وقد حسم الدكتور بيومى هذه القضية من جانبه ، وتحمل مسؤولية السير الامين والشجاع لدعم معـالم الاجتماع الدينى وخاصـة فى مصر والعالم العربى واخراجه « بصورة غير تقليدية » من الاسوار التى كانت تعرقل مسيرته نحو الاكتمال كفرع من فروع علم الاجتماع النامية التى يكتب لها الدعم والاستمرار والانطلاق من الاطار والافكار والمفاهيـم التى طرحها • ومما يعزز ما كتبه الدكتور بيومى ويعطيه مذاقا خاصا أنه عاش الموضوع وكاد أن يضحى فى سبيله بمستقبله العلمى •

ولست أبالغ حين أقول ، ان الدكتور بيـومى قد عرض موضـوعات كتابه القيم بالمقدرة والعمـق والفهم الذى يعبر ويشير الى « عصـارة » سنين طويلة من المعاناة ومحاولة الخلق والابتكار ، وليس هناك شـك فى أن الدارس العربى والمثقف سوف يجد معلومات مهمة يحتاجها بالفعـل فى الفصل الاول والفصل الثانى عن موقف علم الاجتماع من الدراسـة العلمية للدين ومداخل رواد هذا العلم لقضايا الدين ، هذا وسوف يكون ، ومما تجدر الاشارة اليه أن موقف الدكتور بيومى وتحليله للفروق النظرية والمنهجية بين مدخل علم الاجتماع ومداخل دراسات أو معارف أخرى لما طرحه من قضايا « الدين » يعتبر من الاعمال البديعة وخاصة عندما يحلل القضايا الرئيسية ويحدد مجالات البحث وينظـر من خلال استعراضـه للبنائية الوظيفية •

أن الفصل السابع عن الدين وأشكال المجتمعات ، فصل بارز فى هذا الكتاب لانه غطى كل ما يتطلع اليه القارىء من خلال نظرة مقارنة وتحليل بنائى وظيفى خاصة وأن ذلك كان أمرا ضروريا ومقدمة لا مفر منها لاستعراض مسألة التنظيم والسلطة الدينية والتجربة الدينية فى حد ذاتها وما تسفر عنه على مستوى الفرد والجماعة والمجتمع ، وهذا مكن الدكتور بيومى فى نهاية الامر من تحليل الدور الايجابى أو السلبى للدين فى عملية التغير الاجتماعى •

« علم الاجتماع الدينى » الذى ألفه الدكتور بيومى مرجع مهم وبارز ، وغير مسبوق بهذه الصورة عند الناطقين بالعربية ، وسيظل لفترة طويلة يثرى نمو علم الاجتماع فى مصر ويدعم نموه ، ويفتح آفاقا جديدة للدارسين ، والكتاب يقف شامخا مع كتب أخرى أخرجها أعضاء هيئة التدريس بقسم الاجتماع بجامعة الاسكندرية فى السنين الاخيرة ، فتح كل منها مجالا وحدد معالم طريق جديد •

سبتمبر ١٩٨١

د • عاطف غيث

مقدمة

الطبعة الثانية

الدين هو جوهر التجربة الانسانية ، والذين يتشككون فى هذه الحقيقة انما يتعمدون طمس فطرية الانسان ، ويتغافلون الدور البناء الذى يلعبه — وما زال يلعبه — الدين فى تاريخ المجتمعات الانسانية • ولقد بات واضحا بأن الدين ، فى مجتمعات العالم الثالث عامة والعالم الاسلامى خاصة ، هو المفتاح الرئيسى لكل عمليات التحديث والتنمية • فالتجربة التاريخية لهذه المجتمعات تشهد بأن أى نموذج للتنمية أو التحديث ما لم يكن متمشيا مع القيم التقليدية عامة والدينية خاصةيكون مصيره الفشل ، ولهذا يتبنى منظرى علوم المجتمع اتجاهات جديدة مثل « التحديث من الداخل » أو « تعبئة القيم الدينية » حتى يمكن لعمليات التنمية والتحديث احداث التغير المطلوب • كل هذا يبين بوضوح انه لا يمكن اغفال الدور الذى يلعبه الدين فى مجتمعات العالم الثالث •

ولقد دفعنى لاخراج هذه الطبعة هو نفاذ الطبعة الاولى من هذا الكتاب نظرا للاهتمام المتزايد للدوائر الاكاديمية والتعليمية فى العالم العربى والاسلامى ، ولهذا كان على أن أقدم هذا العمل فى صورة لائقه به من حيث الطباعة وسهولة العرض وتصحيح ما علق به من اخطاء • ونحن نكرر مرة أخرى بأن هذا الكتاب وضع لكل من الباحث فى علوم المجتمع والمهتم ببيان دور الدين فى الحياة الاجتماعية ، كذلك المصلح الاجتماعى الذى يحاول اعادة بناء الانسان العربى وفقا للقيم الدينية التى تشكل الهوية الحضارية للمجتمع العربى والاسلامى ، ايضا فان المهتمين بحركات الشباب لابد وأن يكونوا على دراية كافية بقوة الدافع الدينى

وكيفية توجيه للبناء والتكامل سواء على المستوى الفردى أو المجتمعى • ونؤكد هنا بأن المجال ــ أعنى علم الاجتمـاع الدينى ــ ما زال خصبا ، ويحتاج الى الكثير من الدراسات والبحوث الجادة حتى تكون لدينا دراسة علمية للظواهر الحديثة المحيطة بنا •

واننى انتهز هذه الفرصة لاقدم خالص شكرى لاساتذتى اعضاء لجنة جوائز الدولة التشجيعية والتى قررت ترشيح هذا العمل لهذه الجـائزة واننى ارحب بكل نقد بناء لكل ما يتعلق بقضايا هذا العمل • ولا يفوتنى ان اتوجه بخالص الشكر للاستاذ / حمدى على أحمد الباحث بالقسم ، والاستاذ صـابر عبد الكريم صـاحب دار المعرفة الجامعية لمتابعتهمـا اجراءات الطباعة والنشر •

والله اسأل أن أكون بهذا قد قدمت عملا نافعا ،

فهو نعم المولى ونعم النصير ،

المـــؤلف

١٩٨٥

مقدمة

الطبعة الاولى

الدين شىء فطرى وعام لدى جميع الناس مهما كانت طبيعتهم وأوضاعهم الاجتماعية ، وتقوم هذه العالمية التى يتصف بها الدين ، على فكرة « مخلوقية » الانسان ، أو على تفاعل الانسان بالحقيقة العليا ، والتى تعد محور التقديس فى كل الاديان • وعلى الرغم من التغيرات التى طرأت على الاشكال المعبرة عن الدين ، فان جوهره لا يتغير أو يتطور • والحق أن نظرة سريعة يمكن أن تكشف عن السمة العالمية للدين ، رغم التنوع العريض فى أشكال التعبير عنه•وجدير بالذكر أن الاحتكاك الثقافى بين المجتمعات ، هو الذى يؤدى الى مواقف التنوع الدينى داخل المجتمع، فى الوقت الذى تتنوع الاديان فيه أيضا طبقا لتنوع التعبير عن جوهرها وأشكالها •

واذا كان الدين لدى كثير من الناس يمثل « عقيدة » لها نسق فكرى وشعائر مميزة ، فهو بالنسبة لقليل منهم يعد « ظاهرة » جديرة بالدراسة من منظورات مختلفة أو بمعنى آخر،فان الناس لا تكتفى بممارسة العقائد الدينية ، لان الفكر الانسانى حاول النفاذ وبعمق داخل هذه الانساق الاعتقادية ، وكان نتيجة ذلك ظهور علوم الدين المختلفة الخاصة باللاهوت أو فلسفة الاديان وتاريخ الاديان والدراسات المقارنة والدراسات الاجتماعية والانثروبولوجية والنفسية • ولقد ساعدت كل هذه الدراسات على تطور ما نطلق عليه (الدراسة العلمية للدين) والتى تنادى بامكانية

تطبيق مناهج العلم الموضوعى على الظواهر الدينية • وهذا لا يعنى أن الدين عندما يفحص من خلال اطار العلم يعامل وكأنه جزء من العالم الطبيعى الخاضع لقوانين السبب والمسبب ، كما لا يعنى هذا أيضا ، أن الافتراضات التى تقوم عليها الدراسة العلمية للدين دائما صادقة ومطلقة• فهذه العلوم تحاول أن تقول شيئا مفيدا عن الدين ، الا أن العلم ليس هو الطريق الوحيد لدراسة الدين ، أو أن كل ما يقال عن الدين يمكن دراسته عن طريق العلم ، فما لا يمكن معرفته عن هذا الطريق قد يعرف من خلال طرق أو مداخل أخرى • كل هذا يكشف لنا المشكلة المنهجية المتضمنة فى الدراسة العلمية الدين ، فقد أعترض الكثيرون عن أمكانية الدراسة العلمية للدين وذلك لصعوبة النظر الى الدين من الخارج من ناحية ، وما يكشف دراسة أديان الآخرين من تعقيدات من ناحية أخرى • والدراسة العلمية للدين تعترف بتعقد المشكلة محل الدراسة ، ولهذا فهى تؤكد على أن الدين يتطلب منهجية أوسع وأعمق من الاساليب المنهجية التى تتبعها العلوم المعيارية والوصفية •

وعندما تطور علم الاجتماع فى القرن التاسع عشر ، نظر الى الدين باعتباره أحد الجوانب الهامة فى حياة المجتمع والثقافة والفرد • ومعنى ذلك أن المنظور السوسيولوجى للدين أهتم بدراسة الوظائف الاجتماعية التى يؤديها الدين للمجتمع والافراد ، فضلا عن ابراز الدرجة التى يصل بها الدين الى مستوى الحفاظ على استمرارية تكامل المجتمع وتحقيق الوحدة النفسية للافراد • فالدين ، وفقا لهذا المنظور ، لا يفهم بمعزل عن باقى أنظمة المجتمع ، لانه جزء من نسق بنائى يؤثر ويتأثر بالعمليات الاقتصادية والسياسية والتعليمية داخل المجتمع ، فلو تغير أحد هذه الاجزاء ، فان الاجزاء الباقية تتأثر بطريقة أو بأخرى • وعلى أية حال ، فانه من الملاحظ أن دراسة الدين فى التراث السوسيولوجى لم تحظ بمكانة

ثابتة بين فروع علم اجتماع ، فقد نظر الى الدين ، تحت تأثير الوضعية ، على أنه لاهوت وباعتباره أمر من الامور المعيارية ، وأعتقد البعض أن الدين لا يمكن دراسته أو وصفه أو تحليله • ولعل الاهتمام بدراسة الدين لم يتطور الا بعد أزدياد القلق فى المجتمع الصناعى والذى نجم عن التفكك الاجتماعى والفوضى التى عمت المجتمع • وتساءل كثيرون عن العلاقة بين هذا الوضع فى المجتمع وضعف دور الدين فيه • وشهدت الدراسات السوسيولوجية ، بعد الحرب العالمية الثانية ، أهتماما ملحوظا بدراسة المعرفة والافكار والمعانى الذاتية والاديان التى كانت من الموضوعات المهملة فى البحث السوسيولوجى • وفى السنوات الاخيرة ظهر ميدان جديد ، له طريقة جديدة فى دراسة الظاهرة الدينية • فالتساؤلات عما هو جديد حول هذا الادعاء ، وكيف يتفق الباحث أو يختلف فى هذا المجال عن زملائه فى العلوم الاخرى — تشكل موضوع العلم الجديد — أعنى علم الاجتماع الدينى •

لقد أمضيت أكثر من عشر سنوات طالبا وقارئا وباحثا ومحاضرا فى ميدان علم الاجتماع الدينى • ودفعنى الى اخراج هذا الكتاب عدة أمور ، أولا ، أنه لا يوجد ، على حد علمى ، كتاب باللغة العربية يحاول دراسة الدين من المنظور السوسيولوجى البحت • فالكتابات القليلة التى صدرت فى هذا المجال تميزت بالطابع التاريخى فكانت دراسات تاريخية أو أنثروبولوجية ، اعتمد معظمها على الفكر الاجتماعى الفرنسى فى الربع الاول من هذا القرن • ولا شك أن هناك أختلافا واضحا بين علم الاجتماع الدينى والدراسات التاريخية أو الانثروبولوجية للدين ، هذا فى الوقت الذى لابد من الاشارة الى أن هناك عديدا من التطورات الهامة التى أثرت مجال علم الاجتماع الدينى بعد اسهامات دور كيم ومدرسته • ثانيا ، ندرة الكتب العلمية المتخصصة عن الدين ، وقد يرجع هذا الى ما

أسميه « التابوه الثقافى » • فالدين والسياسة والجنس من الموضوعات الشائكة التى لا يتوفر على دراستها كثير من الباحثين نظرا لانها قد تمس خصوصيات الانسان أو أنهــا تتطلب الاستئذان من جهات معينة قبــل الشروع فى دراستها • ثالثا ، هناك عديد من الاعمال اللاهوتيــة التى قد تنشر تحت اسم الدين • فالاعمال الدفاعية عن العقائد لها وظيفة أخرى ، ولكنها تبتعد فى منهجها وتحليلها عن الدراسة العلمية للدين • رابعا ، تميز علم الاجتماع الدينى فى الغرب بصبغة مسيحية ، وقد حاولت هنا أن أقدم الدراسة السوسيولوجية للدين عــامة ، دون أن تكون مستمدة من أحــد الاديان وذلك كمحاولة لتخليص علم الاجتماع الدينى مما لحقه من تأثيرات دينية محددة أو أيديولوجية • وأخيرا ، فاننى رأيت أن أوضح دور الدين فى المجتمع خاصــة وأننا نعيش فى مجتمعات شرقية يمــارس الدين فيها تأثيرا كبير اعلى معظم الانظمة الاجتماعية ومازال يعتبر الموجــه الاولى لسلوك الافراد • فدراسة دور الدين لها جانبها التطبيقى ، ولا شك فى أن رجل الدين ، وعالم السياسة والاقتصاد والمهتمين بالشباب يريدون معرفة الكثير عن علاقة الدين بالتيارات الغربية والاتجــاهات العلمانية وموقف الدين من المشاكل التى تواجه الشباب ، والحركات السياسية التى تتحدث قياداتها باسم الدين • فغياب التحليل العلمى لكل هذا يعنى الجهل بقــوة الدافع الدينى وأثره فى الجماعات والافراد وما قد ينطوى عليه من قــوة بناءة أو مدمرة للنظــام •

ومن ناحية أخرى ، قصدت بهذا العمل ، أن أرد على تلك المحاولات التى تبذل لاقــامة علاقــة بين الاصــول الدينية للفكر الاســلامى وبين النظريات العلمية سواء فى مجــال الطبيعة أو العلوم الاجتماعية • وقــد أخذت هذه المحاولات أسماء عديدة مثل « علم الاجتماع الاسلامى » ، أو « علم الاجتماع القرآنى » ، أو « علم الاقتصاد الاسلامى » الخ • وأيا

كان الهدف من وراء هذه المحـــاولات فلا أدرى كيف غاب ادراك الهـــدف الحقيقى من القـــرآن والسنة • فالقـــرآن الكريم ليس مرجعا فى عـــلم الاجتماع أو الطبيعة أو الفلك أو علم النفس ؛ ولكنه رسالة دينية تحتوى على فسلفة عامة لما يجب أن يكون عليه السلوك الانسانى ، وبعض الآيات والدلائل التى تشير الى « الحقيقة العليا » التى يتفاعل معها الانسان • كذلك فان السنة النبوية الشريفة هى محاولة نموذجية لترجمـــة القواعد والمعايير القرآنية الى أفعال بشرية يحتذى بها • زد على ذلك أن الذين قد تدفعهم الغيرة الدينية للخوض فى هذه المحاولات لابد وأن يكونوا عـــلى دراية كافية بالفكر الاسلامى ، ومصادره وتطوره ، وأن يكونوا على معرفة واسعة ودقيقة بالعلوم الحديثة التى يريدون تأصيلها فى مصـــادر الفكر الاســـلامى •

لهذا قصدنا أن نبين فى هذا الكتاب ، أن مهمة عالم الاجتماع ليست فى دراسة النصوص الدينية فى حد ذاتها ، فعالم الاجتماع الدينى يهتم بصفة أساسية بالوظائف الاجتماعية التى تؤديها هـــذه النصوص فى بلورة أو تشكيل حياة الناس وكيفية أختلافهـــم فى فهم هذه النصوص باختـــلاف ظروفهم الاجتماعية • فلو أراد عالم الاجتماع الدينى أن يقوم بدراســـة عن الظواهر الدينية فى الاسلام ، فانه قد يهتم بالدرجـــة الاولى بما طرأ على الفكر الاسلامى من تغير وتطور فى فهمـــه للنص الدينى ، أو بمعنى آخر ، كيف عالج الفكر الاسلامى مشاكل مثل التغير ، الصراع الفساد ، والقوة ••• الخ • فضلا عن ذلك ، لا يستطيع عالم الاجتمـــاع الدينى فى دراسته للفكر الاســـلامى أن يهتم بدراســـة الاصول الدينية متجـــاهلا المحاولات التى تبذل لتطبيق القواعد والمعايير التى ينادى بها • ولا شـــك أن دراسة الجانب الانسانى من التشريع الاسلامى المتمثل فى الاجمـــاع والقياس أقـــرب الى الفهم السوسيولوجى خاصة فى معرفة محـــاولات

التعديل ، والاقتــراب والابتعاد عن النموذج المثالى للاســـلام • فعالم الاجتماع الدينى ، اذن ، يميز بين الاسلام كنظام معيارى،كما هو موجود فى القرآن والسنة ، والاسلام بمعناه الامبيريقى أو الاجتماعى المتضمن فى ثقافة المجتمع والمتخلل لبنائه • ان علم الاجتماع الدينى يشكل مجالا أوسع من أن يكون اسلاميا أو مسيحيا أو يهوديا أو بوذيا أو بدائيا • فكل الظواهر الدينية فى ثباتها وتغيرها والمستمدة من هذه الاديان تمثل مـــادة علمية لعالم الاجتمـــاع الدينى يحللها أو يستخدمها فى المقـــارنة دون أية محاولة لعنونتها حسب الدين المستمدة منه ، والا أصبح علم الاجتمـــاع ضربا من اللاهـــوت •

لقد حاولت فى هذا الكتاب أن أبين امكانية قيام علم اجتماع دينى ، عارضا المشاكل النظرية والمنهجية المتضمنة فى هذا الميدان الجديد • ولقد خصصت الفصل الاول للدراســـة العلمية للدين ، وحاولت أن أبين فيـــه التطور التاريخى لدراسة الدين والمداخل الوصفية والمعيارية المستخدمة فى ذلك ، وكان الهدف هو أن نبرز ميدان علم الاجتماع الدينى كميـــدان متميز فى الدراسة عن العلوم الاخرى ، مثل فلسفة الاديان واللاهـــوت وتاريخ الاديان ، ومقارنة الاديان وفينومينولوجيا الاديان ، وعلم النفس الدينى ، والمدخل الانثروبولوجى فى دراسة الدين وما يترتب على ذلك من اختلاف مهمة عالم الاجتمـــاع الدينى عن زملائه فى العلوم الاخـــرى • وحاولنا أيضا أن نتعرض للمشاكل التى تكتنف قيام علم الاجتماع الدينى أو بمعنى أكثـــر تحديدا ، المشـــاكل المنهجيـــة المتضمنة فى الدراســـة السوسيولوجيـــة للدين • وفى الفصـــل الثانى والثالث عالجت التطـــور التاريخى لعلم الاجتماع الدينى عند الرواد من ناحية وعند ماكس فيبـــر من ناحية أخرى • واستهدفت من هذين الفصلين بيـــان اسهامات أولئك المفكرين فى تقديم أطر نظرية تستخدم لتفســـير الظاهرة الدينية ســـواء فى المجتمعات التاريخية أو المعاصرة •

ويتناول الفصل الرابع القضايا الرئيسية التى تواجه عالم الاجتماع الدينى فى تحليـــله للدين مثل مشكلة التعـــريف ، وكيفية قياس جـــوانب التدين ، وتحديد الاطر التفسيرية المستخدمة ، وبيان الكيفية التى أثرت بها الانثروبولوجيا فى المداخل النظرية المستخدمة فى التفسير•أما بالنسبة لدوائر البحث فى ميدان علم الاجتماع الدينى والمداخل النظرية والمنهجية المستخدمة فقد نوقشت فى الفصل الخامس•وعالجنا فى الفصلين السادس والسابع النظريات الوظيفية واستخدامها فى دراسة دور الدين فى أشكال ونماذج المجتمعات المختلفة • ولكى نعرف الدين كنظام اجتماعى فى ثباته وتغيره ، فقد خصصنا الفصل الثامن لدراسة التنظيمات الدينية وأشكالها وأنماطها ووظائفها والمشـــاكل التى تواجها فى المجتمعات الحديثـــة ، وقد تناولنا كذلك ، دور السلطة الدينية داخل هذه التنظيمات • وفى الفصـــل التاسع حددنا معنى التجربة الدينية ، طبيعتها ومقوماتها وأشكال التعبير عنها ، وبينا أيضا علاقتها بالفرد (مشكلة الانتماء والذاتية) وعلاقتهـــا بالمجتمع (مشكلة المعنى) • وكان لابد أن نتعرض لعلاقة الدين بالتغـــير الاجتماعى ، ولهذا ناقشنا فى الفصل العاشر الدور الذى يلعبه الدين كقوة مساعدة على التغير من ناحيـــة أو كمعوق للتغير أو كعاكس له من ناحيـــة أخرى • وفى خاتمة الكتاب عرضنا بالمناقشة للنظـــريات المفسرة لمستقبل الدين فى مواجهة العلمانية ، وكيفية ارتباط الدين بالحركات الشبابية •

اننا لم نقصد من هذا الكتاب تغطية كل التفاصيل المتصلة بميدان علم الاجتمـــاع الدينى ، ولكن كان هدفنـــا الاساسى هو تحـــديد مجال علم الاجتماع الدينى كميدان للبحث السوسيولوجى • وليس لنا هنـــا الا أن نردد ما قاله ابن خلدون : « فان كنت قد استوفيت مســـائله وميزته عن سائر الصنائع أنظاره وانحاءه ، فتوفيق من الله وهداية ، وان فاتنى شىء فى احصائه واشتبهت بغيره مسائله فللناظر المحقق اصلاحه ، ولى الفضل لانى نهجت له السبيل وأوضحت له الطريق والله يهدى بنوره من يشاء »•

وفى هذا المقـام لا يسعنى الا أن أتوجه بخالص الشـكر لاستاذى الدكتور محمد عاطف غيث الذى كان ، وما يزال ، لى المنار الذى اهتدى به فى كل مفارق العلم والحياة • فقد أعطانى من علمـه ومن حبه الكثير • كما أتوجه بالشكر الى أعضاء هيئة التدريس بقسمى الاجتمـاع والاديان بجامعة تمبل الامريكية حيث تعلمت ودرست علم الاجتماع الدينى • ولا يفوتنى أن أقدم شكرى أيضا للاخوة الزملاء أعضاء قسم الاجتماع بكلية الآداب ــ جامعة الاسكندرية ، وأن أسجل لزوجتى الفضل فى تهيئة المناخ المناسب الذى تم فيه انجاز هذا العمل •

وأخيرا يجب أن أخص بالشكر السيد / حسـن محمد حسن محمـد المعيد بقسم الاجتماع ، لما تحمله من مشـقة قراءة خطى واعـداد هذا الكتاب على النحو الذى عليه • كما أشكر السيد / حمـدى على أحمـد الباحث بالقسم لما تحمله من عناء المراجعة ومتابعة الطباعة •

والله ولى التوفيـق

د • محمد أحمـد بيومى

الاسـكندرية

١٩٨١

الفصل الأول

الدراسة العلمية للدين

الدراسة العلمية للدين

١ ـ تمهيـــــد •

٢ ـ عـــلم الدين •

٣ ـ الدراســة العلمية للدين :

أ) التطور التاريخى للدراسة العلمية للدين •

ب) الدراســات الحديثــة •

جـ) اعتبارات منهجية فى دراسة الدين : مشكلة الموضوعية •

د) مشكلة الفهم التكاملى للدين •

هـ) مداخل دراســة الدين •

٤ ـ الدين كموضوع للبحث السوسيولوجى :

أ) سوسيولوجية الظاهرة الدينية •

ب) علم الاجتماع ، الدين ، وعلم الاجتماع الدينى •

جـ) الاسباب التى أدت الى الاهتمام بالدراســة السوسيولوجية للدين •

٥ ـ امكانية وجود علم اجتماع دينى :

أ) اهتمام عالم الاجتماع بالدين •

ب) المدخل السوسيولوجى لدراسة الدين •

جـ) دعوى علم الاجتماع الدينى •

د) علاقة علم الاجتماع الدينى بعلوم الدين الاخرى •

٦ ـ خاتمـــــة •

١ ـ تمهيـــد :

الحق أن مكانة دراسة الدين في العلوم الاجتماعية أمر ملفت للنظر . فهناك هجـوم وتأييـد أبديولوجى ؛ وكلاهمـا تحت اسم عـلم الدين Sience of religion وقد أدى هذا ، بلا شك ، الى وجود نظريات كبرى وهامة فى هـذا الميدان ، فعلى الرغم من وجود كم هائل من الدراسـات الوصفية الا أن هناك ميادين أخرى لم يطرقها البحث بعد والاسـاس فى أى علم هو اختبار الافتراضـات النظرية الهامة عن طريق الملاحظـة المضبوطة . وهذا ما لا نجد له تأكيد فى عـلم الدين[1] ولحسن الحظ فان هذا الوضع قد بدأ يتغير ، ففى أوروبا وأمريكا بدأت الدراسة العلميـة للدين Scientific Study of religion تحظى بتعضيد واسع خاصة بعد الحرب العالمية الثانية . فقـد حلت المقارنات الدقيقة محل التعميمـات السطحية عن الانظمـة والسلوك الدينى ؛ اذ اعتـرف بالحاجة الماسـة لتقدير التنـوع فى الطبقة والتعليم والعوامل الاجتماعية الاخـرى قبل اصدار تعميمات عن تأثير الدين أو التأثيرات التى تحدث للانظمة الدينية ولهذا فقد ظهر عديد من المجلات والدوريات العلمية لنشر نتائج الابحاث الخاصة بالدين والسلوك الدينى .

ويرجع بعض الباحثين تأخر الدراسة العلمية للدين الى أن الدين يمثل الجانب « المقدس » فى حياة الافراد والمجتمعات ، وقد أضفى هذا عـلى الدين نوعا من السمو جعله بمعزل عن التفكير والبحث العلمى . بالاضافة

---

(1) Yinger, J., M., *Sociology Looks at Religion*. N. Y. : The Macmillan Company, 1963. p. 7.

الى أن فكرة « الالوهية » كانت العائق الذى وقف أمام البحث فى حقيقة الدين • ان فكرة وجود موجود يختلف فى وجوده عن غيره من الموجودات، وتتجه اليه الموجودات ••• كانت هذه الفكرة دائما تقف حائلا دون البحث فى حقيقة الدين وفى مقارنة مختلف « صوره وفى تعبيره عن حياة الجماعة وفى تطوره مع تطورهم »[٢] •

وسوف نحاول فى هـــذا الفصل لتعرف على تطور الدراســـة العلمية للـــدين ، وســـوف نبين كذلك ، كيف أصـــبح الـــدين موضـــوعا للبحث السوسيولوجى ، ودعوى علم الاجتماع الدينى كمدخل متميز لدراســـة الظاهـــرة الدينيـــة •

---

(٢) النشار ، (على سامى) ، **نشأة الدين : النظريات التطورية والمؤلهة** • الاسكندرية ، دار نشر الثقافة ، ١٩٣٩ • ص ٩ •

٢ ـ علم الدين :

ليس المقصود من علم الدين Science of religion ، كما يذهب هانز جاكون اسكوبس Hans - Joachin Schopes - أنه علم اللاهوت Thology أو مشتقاته • على العكس من ذلك ، فعلم الدين هـو ذلك العلم المستقل كلية عن اللاهوت ويهدف الى الدراسة الموضوعية للدين • ويتفرع هـذا العـلم ، كمـا يدعى اسكوبس الى فرعـين : التاريخ العـام للاديـان a general history of religion وما يسمى بالدين المقارن Comparative ويتناول تاريخ الاديان نمو وتطور أديان تاريخية معينة ويدرس مراحـل هذا التطور ويحاول أن يفسر كيف أن هذه المراحل ما هى الا انبثاقات من مسلمات كل عقيدة ، كما تحتـوى الدراسة الخاصـة بتاريخ الاديان ، التطور النفسى لمجتمعات دينية خاصة ، وتناقش كذلك المسائل الخاصـة بالعقيدة والشعائر والمؤسسين ، والدراسة فى كل ذلك تركز على الحقائق Facts كما هى فى هذه الاديان[1] •

أما بالنسبة للدين المقارن ، فان الاهتمام يتركز حـول تحليل أنواع مختلفة من التجربة الدينيـة ، وذلك بمقارنة الاديان لمعرفة التطـورات النمطية والسمات المميـزة والقوانين المتبعـة • وقبل أن يقرر البـاحث الاساسيات المحددة لمختلف الجـوانب فى الدين • فانه مطالب بتحـديد السمات الرئيسية فى الاديان التاريخية • وبكلمات أخرى ، نقول أن علم

---

(1) Schopes, Hans-Joachin, *The Roligion of Mankind : Their Origin and Development*. Trans. by R. and C. Winston. New York : Doubleday, & Company, Inc., 1968. p. 3.

الدين المقارن أو الفينومينولوجيا الدينية Religious Phenomonology يهتم بالدراسات المقارنة فى الاديان المختلفة ، بينما يهتم تاريخ الاديان بالمسائل التاريخية ، وبينما يهتم تاريخ الاديان فى بحثه لفترات تاريخية معينة بالكشف عن الاتجاه الروحي لكل دين وشخصيته المتميزة والثابتة، فان الدين المقارن يهتـم بابراز المراحل العامة أو العناصر الشـائعة فى الاديان المختلفة •

ويرى اسكوبس أن علم الاجتمـاع الدينى ، وعلم النفس الدينى ، وفلسفة الدين من العلوم المسـاعدة لعلم الدين • فعلم اجتمـاع الدين يتناول اشكال المجتمعات الدينية وتأثير الاشكال الاجتماعية على تطور الدين • ويهتم علم النفس الدينى ، بما يحـدث فى النفس فى مجـرى التجربة الدينية • وأخيرا تهتم فلسفة الدين بتحديد مكان ووظيفة الدين فى الوجود والمعرفة الانسانية ككل[٢] •

ولعل الاختلاف الرئيسى بين علم اللاهوت وعلم الدين ، هو أن الدين يعتمد أساسا على الحقـائق ، بينما يهتم علم اللاهوت بوضع القواعد ، ويحاول الاجابة على المسائل المطلقة ومسـائل الحقيقة • فاللاهوت ليس بحث عن المعرفة ، ولكنـه السعى وراء المعرفة من أجل مصالح دينيـة • فاللاهوت يعتمد دائما على المذهب الدينى فى الفرقة ولهذا يتبنى معتقدها الدينى كمنطلق له • بمعنى آخر أن اللاهوت يعتمد على طبيعة الدين كما قرر فى العقيدة بينما يهتم علم الدين بمسائل أخـرى قد تكون بعيدة عن سلطة الدين ورجاله • فالدين بالنسبة لمؤرخى الاديان « ليس تعبيرا عن الوحى الذى يدعى التميز • فمؤرخ الدين قد يتخذ الوحى كموضـوع

---

(2) Schopes, *op. cit.*, PP. 3—4.

شرعى للبحث »(٣) • وليس هدف علم الدين هو مجرد وصف وتفسير الحقائق ولكنه يحاول أن يبين كيف أن الحقائق تنبع من مصدر أساسى لتشكل التجربة الدينية ، التى يهتم بها تاريخ الاديان •

ويعتبر دلتى Wilhelm Dilthy (١٨٣٣ – ١٩١١) من أوائل الفلاسفة الالمان الذين حاولوا تطوير علم تاريخ الاديان كعلم مستقل عن اللاهوت، وكجزء من تاريخ الافكار ، ويقترح دلتى أن المنهج المستخدم فى التاريخ الدينى هو نفسه المنهج المستخدم فى التاريخ ، ويطالب الباحث بمحاولة تفهم الظاهرة الدينية بوضوح دون تدخل من الباحث • وفى هذا الصدد يقول : « لا يعنى فهم (الظاهرة الدينية) أن نعكس معاييرنا الخاصة بالتقييم على موضوع الدراسة ، بل على العكس فان الاشياء التى نخبرها هى التى تعطينا المفاتيح الخاصة بفهمها • وذلك من خلال مصطلحاتها الخاصة بها »(٤) •

وبالنسبة لعلاقة علم الاجتماع الدينى باللاهوت ، يذهب برجر Peter L. Berger الى أن هناك اعتقاداً ما زال سائداً بين رجال اللاهوت مؤداه أن عالم الاجتماع يثير أسئلة ، والذى ينبغى أن يجيب عليها ، زميله اللاهوتى • هذا الاعتقاد فى رأى برجر يجب رفضه كلية ، وذلك لانه قائم على أساس منهجى خاطىء ، وهو أن الاسئلة التى تظهر داخل اطار مرجعى لعلم أمبريقى لا يمكن أن يجاب عليها داخل اطار مرجعى لعلم معيارى فالمسائل التى تثار من النظرية السوسيولوجية ينبغى أن يجاب عليها من خلال هذه النظرية • وهذا لا ينفى حقيقة أن بعض المداخل السوسيولوجية قد تفيد اللاهوتى فى عمله(٥) •

---

(3) Schopes, op. cit., P. 4.
(4) Qouted in Schoeps, H., J., *op. cit.*, P. 5.
(5) Berger, Peter, L., *The Sacred Canopy: Elements of*=

ويتبنى برجر مدخلا ماركسيا فى فهمه للدين • فالمدخــل الاساسى فى النظرية السوسيولوجية للدين ، كما يؤكد برجر ، ينظر الى الدين على أنه تصور انسانى نابع من بعض الابنية السفلى فى التاريخ الانسانى • وهذا المدخل السوسيولوجى ينظــر الى الدين تارة على أنه مفيــد لانه يحمى الانسان من الشذوذ وتارة أخرى على أنه ضار لانه يعزل الانســان عن العالم الناجم من أنشطته • وهذا التقييم للدين يجب أن يكون بعيدا عن التحليل النظرى الذى ينظــر اليه سواء على أنه ناموس أو باعتباره وعى زائف ، هذا التحليل داخل هذا الاطار المرجعى متحرراً من القيمة لكل من هذين الجانبين للدين[٦] •ويرفض برجر احتمال قيام علم لاهوت امبريقى empirical theology وذلك للاستحالة من الناحية المنهجية • ولكن اذا تقدم اللاهوت فى علاقة تبادلية مع كل ما يقال عن الانسان امبريقيا ، فان هذا يفتح الباب أمــام حوار فكرى مفيــد بين كل من اللاهوت وعــلم الاجتماع ، ويتطلب ذلك درجة عالية من الانفتاح الفكرى لكل منها[٧] •

=*a Sociological Theory of Religion. New York*: Döubleday & Company, Inc. 1969. PP. 179—180.

(6) *Ibid.*, PP. 180—184.

(7) *Ibid.*, P. 185.

٣ ـ الدراسات العلمية للدين :

أ) التطور التاريخي للدراسة العلمية للدين :

ليس هناك مجالا للشك فى أن الدراسة العلمية للاديان قد بدأت منذ القرن الماضي مع كتابات العالم الالمانى ماكس ميللر Max Muller [1] . وقد تميزت هذه المرحلة من الدراسة بالحماس الاصيل والرغبة الصادقة لفهم الاديان الاخرى وامتزج كل هذا بقدر من الاهتمام التأملى ولقد حظى علم الاساطير Mythology من بين الاشكال المختلفة المعبرة عن التجربة الدينية باهتمام خاص ، وتميزت دراسات اللغة والتاريخ والفلسفة فى هذه المرحلة بأنها كانت مختلفة مع بعضها البعض بينما كان هناك انحسار لميدان اللاهوت . وقد استخدمت لفظة « علم الدين » Science of religion (وأصلها الالمانى (Religionswissenschaft لتعبر عن استقلال وانفصال هذا العلم الجديد عن كل من فلسفة الدين واللاهوت . قد روج مؤرخو الاديان شهرتهم كمكتشفين لمنهج جديد يرجى منه الكثير فى مجال دراسة الاديان . وأهم ما يميز هذه المرحلة العلمية أن كل باحث كان هدفه الاساسي اكتشاف النظائر ، كما كانت هناك

---

(١) نشر ماكس ميللر عام ١٨٥٠ كتابه عن علم الاساطير المقارن *Comparative Mythology*، وفى عام ١٨٧٠ نشر كتابه الهام المقدمة لعلم الاديان *The Introduction to the Science of Religions* ، وقد تابع تلك بنشر محاضراته فى سنة ١٨٧٨ عن أصل ونمو الدين مع اشارة ايضاحية لأديان الهند :
Origin and Growth of Religion as Illustrated by the Religion of India.

رغبة قوية لاستخدام المصادر المتاحة فى الكتب المقدسة والتى كتب فيهـا الكثيرون عن التراث الدينى لمختلف القبائل والامم والشعوب،ويعتبر نشر كتاب « الكتب المقدسة للشرق » *The Sacred Books of the East* فى (١٨٩٧) قمة الجهد المبذول فى هذا العلم الجديد •

ويرى فـاخ Wach [٢] أن المحاضرات التى ألقاها العالم الهولندى تيليـه Tiele فى الفترة ١٨٩٦ ــ ١٨٩٨ والتى نشرها تحت عنـوان أسس عـلم الدين *Elements of the Scince of Religion*(١٨٩٩) ، تعد بمثابة تحول من المرحلة الاولى الى مرحلة أخرى فى تطور الدراسـة العلمية للدين[٣] على الرغم من أن العنصر التأملى ما زال واضحا فى فكر التطـور ليس فى تاريخ الاديان فقط ، بل أيضـا فى الفولكلور وعـلم الاجتماع وعلم النفس ــ هذه العلوم الثلاثة التى تساهم مساهمةاساسية فى الدراسة العلمية للدين[٤] • وقد تميزت هذه المرحلة الثانية بالاهتمام

---

(2) Wach, Joachim, *The Comparative Study of Religion*. (ed.) by J. M. Kitagawa. New York : Colombia University press 1958.

انظـر أيضـا :

(A) Hioydon, A, E., "History of Religion',, in G. B. Smith, (ed.) *Religious Thought in the Last Quarter Century*. Chicago: University of Chicago press, 1927.

(B) Jorden, L., H., *Comparative Religion : its Genesis and Growth*. T. and T. clark, 1905.

(3) Wach, J., *op. cit.*, p. 4.

(٤) تعتبر أعما لتيلور Tylor عن *Primitive Culture* (١٨٧١) ، وأميل دور كايم *The Elementary forms of Religious Life* (١٩٠٦) وفونت W. Wundt عـن Volkerpsychologie (١٩٠٦) من أهم الامثلة التى تشير الى تطبيق النظرية التطورية على دراسة الدين • =

بالدراسات اللغـوية والتاريخية التى أخذت الطـابع الوصفى ، فقد حل الوصف description محل التقييم Evaluation • وبدأ تفسير المعايير norms والقيـم values تاريخيا ونفسيا واجتماعيا • ولقد بذلت مساهمات هامة فى سبيل فحص أديان الانسان القديم منها والحديث وأخذ التخصص فى التطور بدرجة عالية ، وأصبحت الموضوعية مطلبا أسمى • كما بذلت محاولات هامة فى دراسةالاصول origions الخاصة بكل دين• واذا كان الخطأ الذى وقعت فيه المرحلة الاولى هو اهمال التفاصيل ، فان خطأ المرحلة الثانية هو اعطاء تقدير أكبر للتفاصيل ، وكذلك اذا كان علماء المرحلة الاولى قد انهمكوا فى البحث عن النظائر من أجل تحقيق اكتشافات جـديدة ، فان علمـاء المرحـلة الثانية كانوا أكثـر ميـلا للتغاضى عن الاختلافات من أجل التشابهات(٥) •

ومع الحرب العالمية الاولى حدثت تطورات هامة فى دراسة الاديان ، فقد انتهى عصر النزعة التاريخية histroianism ، رغم أن الدراسـات اللغوية والتاريخية والنقدية استمرت ، وبدأت المناهج الوضعية تأخـذ مكانها فى مجالات متعددة • ويعتبر ارنست تورليتش Ernest Troeltsch

---

= انظـر :

Wach, J., *op. cit.*, P. 4.

(٥) لعل من أهم علماء هذه المرحلة Ernest Renan وأعمال اتباعه خاصة Norden, Wissowa, Reitrenstein, Dielerich فأعمال هؤلاء كانت محصورة فى الاديان الكلاسيكية لليونان والرومان والشرق الادنى• وفى الانثروبولوجيا فان أعمال كل من Frazer , Boas ، قـد تابعت نفس الاتجاه الفكرى لهذه المرحلة ، وتمثل أعمال Barrows , Worren , Clarke Toy, G. F. Moore المساهمات الامريكية فى هذه المرحلة من الدراسـات الحديثـة •

انظـر :

Wach, J., *op. cit.*, PP. 5, 151.

أحد الرواد فى هذا المجال • فالتيار التاريخى الذى تذوب فيه كل ظاهرة لا يمكن أن يقدم المعايير للاعتقاد والفعل ، والحياة بدون هـذه المعايير لا تساوى شيئا • وقد عبر نيتشه Nnetzsche عن هذا الاتجاه فى كتاباته المبكرة عام ١٨٧٣[٦] •

ومع بداية القرن العشرين،نجد أن الفلسفة واللاهوت اللذان انحصرا فى المعرفة أو البحث التاريخى ، قـد بدأ يستعيدان مكانتهما مرة ثانية • ولا شك أن بداية المرحلة الثالثة فى الدراسة العلمية للدين كانت مرتبطة بفلسفة الكانطيين المحدثين neo-Kantians ، وفلسفة برجسون Bergson والفينومينولوجبين Phonomenologists ، وفى الفكر الكاثوليكى فان هيجل Van Hugel وشـيلر Scheler ، وفى اللاهـوت البروتسـتانتى فى أعمال سودربلوم Soderblom ، بـارث Barth وأتـو R. Otto • ولقد تميزت هذه المرحلة بثلاث خصائص رئيسية هى : أولا ، الرغبة فى التغلب على عيوب التخصص والتقسيم المصطنع بواسطة النظرة الكلية المتكاملة ، ثانيا : الرغبة فى النفاذ بعمق فى طبيعة التجربة الدينية ، ثالثا : تفسير المشاكل التى لها طبيعة معرفية وميتافيزيقية خالصة[٧] •

وعلى الرغم من ذلك فقد ظهـر فى بعض الدوائر رد فعل حاد ضـد الاتجاه الوضعى السائد • فكثير من المفكرين رأوا أن نتائج أعمال الجيل السابق يجب الاحتفاظ بها ، كذلك فان الاساس الذى يجب أن ترتكز عليه الدراسات المفيدة لمقارنة الاديان هى الدراسات التاريخية واللغويات ، أو بمعنى آخر الدراسات النقدية ، ويعتبر عمل رودلف أتو Rudolf Otto

---

(6) Wach, J., *op. cit.*, P. 5.
(7) *Ibid.*, P. 5.

أهم ما يميز المرحلة الثالثة من الدراســة العلمية للاديان[٨] • فقد ألقت دراسته تأكيــدا أساسيا عــلى الســمة الموضوعية للحقيقــة العليــا Ultimate reality، وبهذا فندت ورفضت كل النظريات الذاتية والغامضة والرافضة للدين • ومن ناحية أخرى نجد أعمال فان هيجل Van Hugel ووب Webb تؤكد على الجانب اللا عقلى فى الدين دون أهمال لقيمة البحث العقلى مع استبعاد النظريات الفكرية والمدرسية • وبالرغم من أن هــذا قد يؤدى الى القضاء على التشــابه ، الا أن ما هو غير متشابه ومحــدد وذاتى ـــ كل هذا لم يهمل ، ولكنه الغى التماثل السطحى والتطابق الذى قد ينحو اليه مؤرخو الاديان[٩] • ولقد كان هناك تعاونا عالميا بين علماء أوروبا وآسيا وأمريكا فى كل مرحلة من هذه المراحل الثلاث التى قدمناها• ولا شك أن مسحا تاريخيا لتطور الدراسات المقارنة فى الدين فى أعمــال Jordon Masson - oursel, Widengren, Mensching, Puech تظهر بوضوح مدى هذا التعــاون • ولقــد ساهم العــديد من الباحثين الآسيويين فى تقديم دراسات متكاملة عن الاسلام والهندوسية والبوذية وأديان الصين•بالاضافة الى أن علماء الغرب بدأوا يدركون بشدة الحاجة لتلقى المساعدة من الآخرين الذين نموا فى تراث دينى مخالف ، وذلك من أجل أن يقدموا بأمانة معنى meaning للظاهرة محل الدراسة • ولقــد كانت الطرق النقدية الغربية لدراسة الدين هى السائدة ، ولا شــك أن استخدامها من جانب العلماء الشرقيين قد أدى الى اسهامات هامة فى هذا المجـــال •

---

(٨) أنظــر :

Otto, R., *The Idea of the Holy*. Trans. by J. W. Harvey. London : Oxford, 1946.

(9) Wach, J., *op. cit.*, P. 6.

ولقد استمر هذا التعاون المتبادل بين علماء الشرق والغرب خلال الخمسين عاما الماضية ، وذلك عن طريق العديد من المؤتمرات العالمية لدراسة تاريخ الاديان • ولا يمكن أن ننكر أن الظروف السياسية من ناحية وآثار الحربين العالميتين من ناحية أخرى ، قد جعلت من الصعب تحقيق ما طالبت به الاجتماعات المبكرة من عالمية وأهمية الموضوعات التى نوقشت •

ب) الدراسات الحديثة فى الدين :

الدين ظاهرة انسانية ، عرفتها جميع المجتمعات قديمها وحديثها • وهناك العديد من الاديان كاليهودية والمسيحية والاسلام ، وهناك أيضا البوذية والهندوسية والكونفوشية أديان اليابان والزرادشتية ، والعديد من الاديان الخاصة بالقبائل والمسماة بالأديان البدائية • وبالرغم من عدم دقة وثبات الاحصائيات الخاصة بكل دين[(١٠)] ، الا أنها تشير الى تنوع الاعتقادات والممارسات التى تواجه الباحث فى دراسة الاديان فى الوقت الحاضر ، كما ينبغى أن نأخذ فى الحسبان الاعداد المتزايدة لاولئك الذين يطلقون على أنفسهم العلمانيين **Secularists** وهم غالبا ما يرفضون

---

(١٠) تشير الاحصاءات الخاصة بالمؤتمر اللوثرى المنعقد فى ١٩٦٢ الى أن هناك حوالى ٨٥٠ مليونا ممن ينتمون الى ما يسمى بالتراث اليهودى المسيحى ، وهناك حوالى ٣١٠ مليون مسلم ، وحوالى ٣٢٠ مليون هندوسى ، و ١٥٠ مليون بوذى ، وحوالى ٥٠ مليونا من الطاويين **Taoists** ، وحوالى ٣٤ مليونا من **Shintoists** وحوالى ٣٣٧ مليونا من اديان الصين ، وحوالى ١٣٠ مليونا من الاديان البدائية ، وحوالى ٥٤٣ مليونا من الاديان الزائفة •
انظر :

Lewis H., D., and Slater, R., L., *The Study of Religions : Meeting Points and Major Issues*. Baltimore : Peugain Book, 1966. P. 9.

اعتقادات أجدادهم ويجدون أن تحديد ما لا يؤمنون به أكثـر سـهولة من تحديد ما يعتنقون فيه ، فضـلا عن ذلك ، فهناك العـديد من الاديان الزائفة quasi religions مثل الشيوعية والفاشية وغيرها من الاديان التى قد تتخذ أشكالا متعددة • فدراسة الدين ، تعنى اذن مواجهـة لكل هذه الاشكال المتنوعة من التجربة الدينية •

وليس هناك أى حـدود على الاسئلة التى قد تثار حـول أى دين ، اللهم الا حدود الذاتية ، أى وجهة النظر التى ينظر منها الى موضـوع الدراسة ، فمن المعروف أن أى محـاولة لمعالجة الدين من منظور الباحث محكوم عليها بالفشـل ، ذلك لانه قـد يتغافل عن تشـابك موضـوع الدراسة • ولهذا فان ما يسمى بعلم الدين الحديث modern Science of Religon ، والذى بدأ فى الغـرب فى القرن المـاضى(١١) ، محـاولة

---

(١١) ليس من الحقيقـة القول بأن الدراسة العلميـة للدين قد بدأت مـع كتابات ماكس ميللر فالواقع ، أن المسلمين قد قدموا عديدا من الاعمال فى مجال تاريخ الاديان المقارن • وقد ساعد على اهتمام المسلمين بدراسة الاديان ثلاثـة أمور : الامر الأول يتعلق بالعقيدة • فالاسلام دعى المسلم الى التعرف عـلى الاديان الاخرى حتى يتسنى له معرفة الحق والباطل ، ومن ناحية أخرى يذهب الاسلام الى أنه آخر الاديان ، ولذلك فالمسلم مطالب بمعرفة ما سبقه من الاديان خاصة اليهودية والمسـيحية وأديان السابقين • والامر الثانى ، يرجـع الى الفتوحات والمناقشات التى جرت بين علماء الدين المسلمين وغيرهم،وقد أدى هذا الى كتابة العديد من الكتب عن الدين كفلسفة وعقيدة وعن مقارنة الاديان • أما الامر الثالث فهو يرجع الى تعدد الفرق والمدارس الفكرية فى الاسلام والاديان الاخرى ، وقد شجع هذا بعض الدارسين على دراسة هذه الفرق والمقارنة بينهما•

أنظر على سبيل المثـال :

- أبو الحسن الاشعرى ، كتاب جمل المقالات •
- أبو حيان التوحيدى ، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقـل أو مرزولة •
- المسعودى ، كتاب المقالات فى أصول الديانات •
- ابن حزم الظاهرى ، كتاب الفصل فى الملل والنحل •
- الشهر ستانى ، الملل والنحل •

جادة تجعل من مادة الاديان علما لا يهتم سوى بالحقائق • وقــد بدأت هذه الدراسة للدين عندما أخــذ الغرب يستيقظ من عزلتــه الدينية التى أستمرت لعدة قرون ، فالدين كان يعنى المسيحية ، والمسيحية كانت تعنى البروتستانتية ، والبروتستانتية كانت تعنى الكنيسة فى انجلترا »[١٢] • وقد كان معظم الذين ينتمــون الى أديان أخرى غــير المسيحية ، ولفترة طويلة من تاريخ الغرب ، يقفون على الجانب الآخر من العــالم لا يعرف أحدا عن أديانهم شيئا • حقيقة كان هناك خطرا متصاعدا على المسيحية عندما انتشر الدين الاسلامى حتى وصل الى أسبانيا ، ولكن هناك فــرق بين معرفة الثقافة الاسلامية والدين الاسلامى • وكذلك الحــال بالنسبة لليهودية ، فقد كان هناك العــديد من اليهود الذين يعيشــون فى أوربا ، ولكن لا يعرف سوى القليل عما يعتنقونه • وقد ظهــر كثير من الباحثين الذين حاولوا رد المسيحية الى أديان العالم القديم خاصة الفكر اليونانى، كذلك فقد حاول بعض الكتاب من أمثال Lord Herbert of cherbury ، حاولوا أن يجدوا الحقيقة فى كل الاديان ، وذلك على اعتبــار أن الاديان كلها متساوية فى ذلك • وبالرغم من هذه المحــاولات الا أن الاتجاه العام لم يتخط التــراث المسيحى الســائد ، ، وأية مناقشــة لمعنى وصــدق الاعتقادات الدينية كانت ضد هذه النزعة •

ولعل من الاسباب التى ساعدت على الدراسة العلمية للدين ، التجارة

= — فخر الدين الرازى ، اعتقادات المسلمين والمشركين •
— البغدادى ، الفرق بين الفرق •
أنظر أيضــا :

Khlifa M., K., *Jewish and Islamic Contributions to the Study of Religion.* (Uupublished Ph. D. Dissertation) Temple University (U.S.A.) 1976.

(12) Lewis, H., D., and Slater, R., *op. cit.*, P. 10.

والترحال بين الشرق والغرب ، وانتشار البعثات المسيحية البشرية فمن خلال هذه المصادر جميعها أمكن الحصول على كثير من المعلومات عن الحياة الدينية لاديان الهند والشرق الاقصى ، وبدأت محاولة ترجمة الكتب المقدسة للاديان الاخرى باللغات الاوروبية وأصبحت متوفرة للقارىء الغربى • فقد درس الفلاسفة وغيرهم النبع الجديد المتمثل فى حكمة الشرق باهتمام بالغ واستخدمها بعضهم لنشر تأملاتهم الخاصة • وأعتبر رجال اللاهوت المسيحين هذه النزعة تحدى جديد وطالبوا بالدفاع عن عقائدهم المتوارثة •

وفى أوائل عام ١٨٧٥ وبظهور كتاب فريدريك ماكس ميللر Fridrich Max Muller الذى يعد أول كتاب فى سلسلة مكونة من خمسين جزءا ضمن الكتب المقدسة للشرق Sacred Books of the East أصبح لدى الغرب فكرة واضحة عن أديان الشرق • ولم تكن محاولة ماكس ميللر مقصورة على تقديم معلومات جديدة عن أديان الشرق ، بل حاول الترويج لمدخل جديد لدراسة الدين،فكما هو معروف أن عصر ميللر كان عصر العلم بمفاهيمه المتنوعة للبحث عن الحقيقة ولذا فقد حاول أن يدرس الدين دراسة علمية ، وذلك أنطلاقا من أن المدخل الذى يعتمد على الحقائق ويحقق الموضوعية والمشابه لما استخدم فى العلوم الاخرى قد يوصلنا الى نتائج عظيمة • وقد حاول ماكس ميللر تطبيق النموذج المستخدم فى دراسة اللغويات — خاصة فيما يتعلق بتصنيفات اللغة الى مجموعات — على الدين وذلك بهدف التوصل الى تصنيف للاديان يمكننا من عقد المقارنات بينها •

ولقد ميز ماكس ميللر بين مدخلين أساسيين فى دراسة الدين ، الاول، يعتمد على الحقائق والبحث العلمى والذى يتعامل مع متى ؟ وأين ؟ ولماذا؟

للاعتقادات الدينية • والآخر ، فلسفي أولاهوتي يعتمد على أمانة وصدق هذه الاعتقادات • ومن ثم فهنـاك علمين مستقلين • الاول ، الدراسـة المقارنة للدين Comparativs Studies of Religion أو تاريخ الدين History of Religion والآخر ، فلسفة الدين Philosophy of Religion ولكل منهما(١٣) مدخله الخاص لدراسة الدين ويختلف الهدف الذى يسعى اليه كل منهما تبعا لذلك •

وهكذا فان الدراسة الحديثـة للدين(١٤) قد بدأت خطا فاصـلا بين المؤرخين والعلماء من ناحية وبين رجال اللاهـوت والفلاسفة من ناحيـة أخرى • هذا الخط الفاصل يقوم على أساس الموضوعية objectivity التى تعتبر أساسية بالنسبة للعلم • وهذه الموضوعية لا يمكن تحقيقها الا اذا قـام الباحث بدراسة موضـوع الدراسة بعقل مفتـوح ، ولا تعنى الموضوعية أن الباحث يتعامل مـع موضوع دراسته بعقل فارغ كليـة • فهناك كثـير من الباحثين الذين يكونون أفكارا ودعـاوى أولية وتتسـم دراستهم بالتحيز وهذا ما نجده فى الدراسات اللاهوتية • فدراسـتهم السابقة التى تمت عن الاديان الاخرى كان هدفها الرئيسى هجوم عـلى أو تفنيـد الاديان الاخرى وتدعيـم الاعتقاد المسيحى • وبالرغـم من اختـلاف الفلاسفة عن رجال اللاهـوت الا أنهم فى كثير من دراسـتهم يخضعون لتأملاتهم وعقائدهم الشخصية مثلهم فى ذلك مثل اللاهوتيين •

---

(١٣) أنظر التطور التاريخى لتاريخ الاديان فى أمريكا مقالة

Kitagaw, J., M., "The History of Religions in America", in Eliade,M.and Kitagawa, J.,M., *The History of Religions Essays in Methodology*. chicago : The Unversity of chicago Press, 1959. PP. 1—30.

(14) *Ibid*. PP. 12—13.

وهناك كثير من العلماء من أمثال Goblet d'Alviella من أوائل من شغلوا كرسى تاريخ الاديان وأكدوا على أهمية رفض أى مبدأ وضع مسبقا ، لان ذلك سوف يعوق الدراسة الحـــرة • فاسم علم الدين يعنى رفض هـــذا النوع من القيـــد[١٥] •

وكثيرا ما أثيرت أسئلة حول امكانية هذا العلم الجديد ، خاصة فيما يتعلق بامكانية تحقيق هذه الحرية للباحث ، ودرجة تقبلها • كذلك فـــان الافتراض الاساسى فى هذا العلم الجديد هو ايضـــاح ما يسمى بجوهر الدين essence • لقد حاول ميللر أن يبين أن أحد النتـــائج الهامة لهذا العلم الجديد هو بيان ما هو أساسى فى الدين • ويذهب ميللر الى أنه كلما زاد الاعتقاد فى أن الاديان تشترك فيما بينها فى الاعتقادات الرئيســـية التى تجد تكرارا لها بلغات مختلفـــة بين المؤمنين فى كل الاديان • وقـــد يساعد البحث المستمر على ابراز الاعتقادات القابلة للمقارنة • ويمكننـــا أن نضع دائرة حول المظاهر المتشابهة للتجربة الدينية وما هو خارج هذه الدائرة يمكن اعتباره غير أساسى[١٦] •

ولعل قبول النظرية التطورية فى الدراسة الاجتماعية قد أعطى لدراسة الدين اتجـــاها جديدا • وطبقا للنظـــرية التطورية اتجهت الدراســـات للبدايات الاولى ولذا فاننا نجـــد كما كبيرا من الدراســـات عن الاديان البدائية فضـــلا عن تعانق الدراسات الخاصـــة بالانثروبولوجيـــا وعلم الاجتماع وعلم النفس ، ولهذا أصبح علم الدين يحتوى العديد من العلوم

---

(15) Hughes, E., "The Early and the contemporary study of Religion : Editorial Foreward, Sixteenth Anniversary issue Part 11 *A J. S.* Vol. LX May 1955" N. 6 PP. i—iv.

(16) *Ibid.*, P. 14.

التى يتميز كل منها باهتمامه ووجهة نظره الخاصة • ويتبنى هذا المدخل رفضت الادعاءات السابقة التى تذهب الى أنه يمكن التوصل الى جوهر الدين عن طريق قليل من الدراسات عن الاعتقادات الرئيسية • وكذا فان هذا المدخل المتعدد الجونب قد قضى على فكرة أن دراسة الدين يمكن التوصل اليها من البحث فى الكتب المقدسة ، ومقارنة بعض الافكار الدينية • فالبحث عن جوهر الدين ، أخذ اتجاهات جديدة ، فالاكتراث بأهمية الشعائر البدائية قد أدى الى الاخذ فى الاعتبار كثيرا من أشكال التعبير المختلفة عن الحياة والفكر الدينى•فليست المسألة فى مجرد مقارنة الاديان بعضها ببعض من خلال اعطاء اعتبار لبعض الافكار الموجهة فى كل تراث ، فالاتجاه الآن هو تقبل وجود فكرة التعدد والتنوع داخل كل من هذه الاديان • فهناك الآن اعتبار كل ما هو خاص وغير عادى • فكل هذا يشير الى أن تعقد الظاهرة الدينية أصبح أمرا واضحا •

وتتطلب الدراسة العلمية للدين أن تقدم الظواهر الدينية فى نظام أو أنماط لتضع التراث الخاص بكل دين جنبا الى جنب أو تفصل الاديان بعضها عن بعض • فالانبياء يوجدون أيضا فى كل دين غير اليهودية والمسيحية ، كما أن شعائر التكريس توجد بأشكال مختلفة لتعبر عن نفس الاغراض ، والآمال والمخاوف الدينية توجد فى كل الاديان لتشير الى نفس الاهداف ، كذلك فان العلاقة بين الدين والمجتمع تثير الكثير من المسائل المتشابهة ولكن فى أوضاع مختلفة • ولكن كيف تصف الانماط هذه المادة العلمية ؟ بطبيعة الحال أن يكون هذا ، بأن يترك الباحث ، فى سلبية، الحقائق تتحدث عن نفسها • فهذه النماذج لابد وأن يركبها الباحث بنفسه • ولذا فهو يقترح نماذجا مثالية Ideal Types تطرق لتقييم المادة العلمية • ولا شك أن هذا يتضمن حكما مسبقا بطريقة أو بأخرى ، حتى ولو كانت هذه النماذج المقترحة تمثل ما هو ملاحظ بالفعل ويندرج تحتها

كل الامثلة التى قد توجد فيما بعد • فالحكم العلمى هو حكم منبثق عن اطار نظرى خاصة وأن العلم يعنى أكثر من مجرد جمع الحقائق ووصفها• ولكن تلك الاطر أو النماذج هى أطر أو نماذج مسبقة معتمدة على ما فى ذهن الباحث عندما يبدأ بحثه •

ان اثارة هذه المسائل هو مناقشة لمشكلة الموضوعية فى الدراسة المقارنة للاديان ، ولعل هذه المشاكل قد أثيرت بشكل عام عندما تطورت فينومينولوجيا الدين Phonomenology of religion حيث حاولت الكشف عن النماذج الخاصة بالممارسة والاعتقاد الدينى والوصول منها الى الاشكال المشابهة لجوهر التجربة الدينية • وهذه النماذج ، كما يذهب أصحاب هذه النظرة ، ان هى الا استجابة للابنية التى تلاحظ فى التجربة الدينية • ومن هنا جاء اسم الفينومينولوجيا كعلم ، تميز منهجه بادعاء الموضوعية • وحماسا لهذه الرغبة فى الموضوعية يستبعد المنهج الفينومينولوجى أية فكرة مسبقة ولكنه يتطلب أيضا « تعطيل » أى حكم أثناء البحث بحيث لا يكون هناك أى تدخل تقييمى من جانب الباحث(١٧) •

ولكن هذا المتطلب فى الدراسة العلمية للدين يستدعى متطلبا آخر ،

---

(١٧) يرفض Brede Kristenson وهو أحد أعلام المنهج الفينومينولوجى فى كتابه عن معنى الدين اسم مقارنة الدين ، ليس فقط لانه يعنى مقارنة الاديان المختلفة على اعتبار أنها وحدات كبيرة توضع جنبا الى جنب للتمييز والمقارنة ، ولكن أيضا بسبب أن مقارنة الدين تعنى مقارنة القيمة المحددة لمختلف الاديان مع وصف بعضها باعتباره من الاديان العليا • وهذه المقارنة مرفوضة من الفينومينولوجى ، فالقيم التى يهتم بها هى التى يلصقها المؤمنون أنفسهم بما يعتقدون أو يفعلون •

انظر :

Kristenson, B., *The Meaning of Religion* Trans. by J.B.G. Carman, The Hague, 1960. PP. 1—13.

وهو المشاركة العاطفيـــة empathy أو احساس المشـــاركة مع معتنقى الاديان الاخرى • فالقيـــم التى لها اعتبار هنـــا هى القيم التى ينسبها المؤمنون أنفسهم لمارساتهم وعقائدهم • ويذهب الفينومينولوجى أبعد من ذلك بقوله أن بحثه ليس مجرد وصف لما يقال أو يحدث تحت اســـم الدين ، ولكن عمله يتضمن فهما understanding والفهـــم يعنى التفحص الوجدانى ، أو المشاركة مع الآخرين • ولو أن هناك فهما أو تعاطف مـــع ما يحـــدث فى أديان العالم الحيـــة ، فهناك شىء ما متطلب وهـــو الملكة الخيالية • فالباحث نفسه قد يمتزج مع جماعة المؤمنين ويحاول أن يرى ما قد يرونه ، وقد يرى أكثر مما يرون • وكما يذهب H. Kraemer فان الفينومينولوجيـــا ليست منهجـــا فى الاســـاس ولكنها فـــن[١٨] ويذهب G. Van der Leeuw كذلك الى أن الفينومينولوجى مثله مثل الفنـــان الذى يحاول تصوير المناظر الطبيعية كما هى[١٩] •

وهكذا فان المدخل العلمى لدراسة الدين ، كما تراه الفينومينولوجيا هو محاولة مثل محاولة الفنان بما يختلقه من قدرة خيـــالية لفهم ما يرى ومحاولته الذهاب أبعد من الوصف • هذا المدخل بالرغم من ذلك ، يدعى أنه مدخـــل يعتمـــد عـــلى الحقـــائق ويؤكد عـــلى الموضوعيـــة الا أن G. Van der Leeuw يرى أن فينومينولوجيا الدين ما هى الا قنطرة بين علوم الدين وفلسفة الدين ، وربما يعنى بهذا أن الفينومينولوجى قد قطع نصف الطريق نحو التفسير • فالفينومينولوجى فى عملية اختيار الابنيـــة المثلة للاعتقاد والمارسات الدينية يقوم بعملية وضع أشكال للمعلومات الخام عن الظواهر الدينية ـــ هـــذه الاشكال المصاغة هى التى قد تبـــرز

---

(18) Krsitenson, B. *op. cit.*, P. Xi.

(19) Lowis, H., P., and Slater, R., L., *op. cit.*, P. 18.

الاهمية الخاصة لهذه الظواهر الدينيــة • وبهذا يقدم الفينومينولوجى للمتهمين بدراسة فلسفة الدين ما ينبغى عليهم ملاحظته ، كما يؤكد عــلى أهمية التفسير فى فهم الدين • ولذا يبرز سؤال مؤداه : هل يمكن أن يكون هناك فهم بدون تفسير ؟ • وعندما تثار هــذه المسائل ، تبرز مناقشــات جديدة لمتطلبات الدراسة المقارنة والواقعية للدين • ويبدو التحدى الذى يواجه به كلا من رجال اللاهوت والفلاسفة لما تتميز به أحكامهم من تأثر بالافكار المسبقة والميول الشخصية • فاللاهوتى ، يعتمــد فى أحكامه على أفكار مسبقة ويدرك الجميع أن أحكامه نابعة من وجهة نظره الدفاعية عن الدين الذى ينتمى اليه • كذلك تثار مشكلة الموضوعية فيما يتعلق بالطرق المختلفة للتعبير عن الاعتقاد ، فمثل هذا النوع من الدراسة ، ما هــو الا دراســة للانسان عن طريق انسان آخــر ، ولابد أنهــا تتطلب نوعا من المشاركة والقدرة على التحليل ومعرفة الطريقة الانسانية • ولا شــك أن تحول الانسان الى ملاحظ يقوم بملاحظة ما يراه الآخرون يتطلب مواقف ومداخل مناسبة لما يرى ويلاحظ • وهذا يساعد الباحث على الكشف عما هو خفى أو ضمنى عند الآخــرين •

وتختلف الدراسة العلمية للدين عن المدخل الفلسفى للدين ، حقيقــة أن الفلسفة والفلاسفة قد لعبوا دورا هاما فى تطور فهم الدين لفترة طويلة ولكن هناك خــلافا بين الدراسة العلمية للدين وبين الاهتمــام الفلسفى بالعناصر الفكرية فى الاعتقاد • فمعالجة الدين على أنه نسق فلسفى هــو الوجه المناقض للاهتمام الحــديث بأثر الدين على السلوك ســواء على المستوى الفردى أو الجماعى • فالاهتمام الآن ليس بالفكر الدينى فى حد ذاته ولكن بالطرق التى من خلالها تستطيع الافكار الدينية توجيه ســلوك الافراد نحو غايات سواء كانت عملية أو روحيــة • فالدين ليس فلســفة فحسب ، رغم أنه يحتوى نمطا فلسفيا • وبالاضــافة الى الاسئلة التى

تثار حول امكانية الفهم دون تقديم تفسير ، تثار أسئلة أخرى عن امكانية وجود تفسير دينى مقبول فى غياب الاحكام الفلسفية ؟ كما يمكننا التساؤل عن امكانية قبول تعليق أو ارجاء حكم يتصل بدراسة الدين الهندوسى مثلا ؟ وهل يمكن للباحث أن يتقبل المسائل الفلسفية فى هذا التراث الدينى ، وهل يمكنه فهم ما تعنيه هذه المسائل الفلسفية للهندوسى دون أن يكون له اهتمام فلسفى خاص به ، هذا الاهتمام قد يدفعه من وقت لآخر للتصريح بأن بعض المسائل صحيح والبعض الآخر خاطىء ، أو بعضها صادق والآخر متناقض مع نفسه[20] والحق أننا هنا أمام علمين منفصلين ، لكل منهما متطلباته الخاصة ولكل منهما أهدافه . فالفيلسوف يتوقع منه أن يصل الى أحكام خاصة بالدين محل دراسته اذ أن جزءا من اهتمامه أن يميز بين الاحكام السطحية والاحكام الدينية المعبرة عن النتائج العقلية . ويختلف الحال بالنسبة للدراسة العلمية للدين،فالباحث هنا يجب أن يقدم الحقائق كما هى ، سواء كان يتفق أو مختلف معها . وكما ذهب R. L. Slater فان « تطور الدراسة العلمية للدين يتطلب اعادة نظر فى العلاقة بين فلسفة الدين والدراسات المقارنة ، الا أن المدخلين يظلان منفصلان ، لكل منهجه المناسب »[21] .

والحق أن فحص ما يحدث الآن بين الفلاسفة يثير الانتباه وذلك لتناثر الآراء الفلسفية حول الاديان ، فعلى الرغم من أن الفلاسفة قد خطوا خلال هذا القرن ، خطوات واسعة ، الا أنها كانت فى اتجاهات مختلفة للغاية . ولقد كانت الاشارة فى الماضى الى الفلسفة تعنى الاشارة الى انساق خاصة من الميتافيزيقا . ولهذا السبب يعتبر الفلاسفة

---

(20) Lwis, H., P., and Slater, R., L., *op. cit.*, PP. 19—20,

(21) *Ibid.*, P. 21.

كاللاهوتيين فى تمسكهم بمبادىء ربما تكون متعصبة ضد البحث العلمى • ولقد ظهرت الهيجلية المثالية Hegelian Idealism والوضعية Positivism والتطـــورية evolutionary والفينومينولوجيـــة Phonomenology فى محاولة للابتعاد بقدر الامكان عن الانســـاق الفلسفية للاوائل • وعـــلى الرغم من هذا فقد ظلت الفلسفة منقسمة الى العديد من الآراء والمذاهب الفرعية • وهذا هو الحال الآن كما يلاحظه كثير من الباحثين(٢٢) •

وهكذا تبدو الفلسفة وكأنها تشكل خطرا على الدراسة العلمية للدين، وذلك بتشجيعها «للمبادىء التى صيغت مقدما» doctrines fixed in advance الا أن هذا الخطر قد لا يبدو كذلك ، نظرا لوجود حـــرية اختيار من بين العديد من المبـــادىء ، حيث لا توجد مبـــادىء مسيطرة يطالب النـــاس بقبولها • واذا كان الامر كذلك بالنسبة للفلسفة ، فالامر على العكس من ذلك بالنسبة للفكر اللاهوتى خاصة فى الدوائر البروتستانتية، ويرجع ذلك

---

(٢٢) يلاحظ مورا J. F. Mora أن هنك العديد من المذاهب الفلسفية الآن مثل : المثالية Idealism والشخصانية Personalism ، والواقعية realism ، والواقعية الجديدة new realism أو الواقعية النقـدية Critical realism والفلسفة الواقعية realistic philosophy، والحلولية immanentism، والتطورية evolutionism ، والانبثاقية emergentism ، والبراجماتية pragmatism والحدسية intuitionism والتعقلية intellectualism والاجرائية operationism واللاعقلية irrationalism والعقـلية rationalism ، والفينومينولوجية phenomonology ، والوجـودية existentialism ، والوضعية المنطقيـة logical postivism، والامبريقية المنطقية logical empiricism والامبريقية العلمية Scientific empiricism والفلسفة التحليلية analytic philosophy والحيادية neutralism والماركسـية Marxism ، والسـكولاستية المحدثة neo Scholasticism

انظــر :

Mora, José, Ferrater, *Philosophy Today,* New York, 1960 P. 65

الى تأثير كارل بيرت Karl Barth وأتباعه • وهنا نجد اقتراحا لدراسة الدين من خلال الاعتراف الصريح بالمبادىء المسيحية • ويميز هذا الاتجاه بين ما يعلنه الكتاب المقدس نفسه وبين ما يقول اللاهوتيون عنه • وبهـذا بلا شك يقرر التدقيق المستمر لاى مبدأ يوضع مسبقا[٢٣] •

وبالنسبة للفلاسفة،فان أقرب المداخل الفلسفية لمبدأ المقرر مسبقا — والذى يشكل خطرا على الدراسة العلمية للدين — هـو مبدأ التحقيـق Verification principle المقدم من الوضعية المنطقية • ويبين هذا المبدأ فى صياغته المبكرة أنه يضع نهاية لاى اهتمام بدراسة الدين أو أى اهتمام فلسفى بهذا الموضوع • ذلك لان أصحاب هذا المذهب يدعون أن هنـاك اختبارات لما هو مقبول على أن له معنى ، فهو فقط الذى يمكن رؤيته خلال الحواس • وقد أدى هذا الى رفض كثير من الاحـكام الدينية باعتبارها هراء • ومن ناحية أخرى ، يمكن القول أن الوضعى المنطقى يبدو وكأنه يزيل أى خطـر فى سبيل اقامة دراسـة للدين متحررة من أى مبـادىء مسبقة ، ورفض تلك المبادىء على أساس أنها فارغة من المعنى • فهو هنا يرفض الاحكام الميتافيزيقية ، لا الاحكام الدينيـة[٢٤] • فالفلسفة كان ينظر اليها عامة على أنها تأمل حول طبيعة الواقع ، ومن ثم هنـاك مجال للاحكام الميتافيزيقية • ولكن الحال يختلف بالنسبة للوضعى المنطقى الذى يرى وظائف أخـرى للفلسفة ، وباستبعاده للتأمـل الميتافيزيقى يكـون الوضعى المنطقى قد اقترب من مجموعة أخرى من الفلاسفة تعرف باسم الفلسفة التحليلية والتى تهتم أصلا ببناء الفكر والتعبير عنه • فالاهتمام فى هذه الفلسفة ليس بتكوين فكرة عن العالم ولكن بتحليل ما قـد يقوله

---

(23) Mora, José Ferrater, *op. cit.*, P. 23.

(24) *Ipid.*, P. 24

الناس عن العالم • والكثيرون من أصحاب هذه الفلسفة يميلون الى اعتبار الاحكام الدينية ضمن مقولة الاحكام التى يكتنفها الغموض والتخبط •

وقد انبثق من هذه المدرسة اهتمام باللغة الدينية أدى الى ايجاد نوع من التقارب بين الفلاسفة والباحثين فى علم الاديان مما ساعد على خلق مجال مشترك بين فلسفة الاديان وميدان الدراسات المقارنة • فهذا الاهتمام باللغة الدينية سوف يحمل الباحث فى الدين على النظر باهتمام متزايد الى ما يحدث فى ميدان الفلسفة وما يقدمه الفلاسفة فى هذا الاتجاه • فدراسة اللغة المبهمة ، على سبيل المثال ، قد تؤدى الى القاء الضوء على الاحكام المتناقضة عن الاعتقاد فى النرفانا Nirvana بالديانة البوذية • والفلسفة التحليلية تحاول أن تساعد الناس على الفكر الواضح أو على أن يقولوا ما يعنون • وليست هذه هى الوظيفة الوحيدة لتلك الفلسفة ، فبعد أن يقول الناس ما يعنون يبقى سؤال عن قيمة ما يقولون، فالناس ، سواء ظاهريا أو ضمنيا يتساءلون عن معنى وجودهم الانسانى وما هى ظروف الحياة الانسانية وامكانياتها ودلائلها ، ويعبرون عن ذلك فى أنماط مختلفة من الكتابات الروائية أو الشعرية أو العلمية • فالحاجة لا زالت قائمة لوجود فيلسوف يستطيع أن يجمع وجهات النظر هذه على اختلافها فى وجهة نظر واحدة • ولهذا فقد يلجأ الى الدين ، مثله مثل العلم أو التاريخ أو الادب • وعندما يهتم الفيلسوف بالدين ، وبتلك المسائل فان اهتمامه لا ينحصر فى كيف ؟ ومتى ؟ وأين ؟ قبل هذا أو ذاك ولكنه يهتم بماذا قيل ؟ وما هى أهميته ، وقيمته ، حقيقته • وفى هذا المقام ليس هناك مكان لمشكلة تعليق الحكم • بل على العكس ، يصبح تمييز وتقييم واصدار أحكام متفقة مع العقل جزء من بحث الفيلسوف • وبكلمات أخرى ، هناك فلسفة للدين قائمة على أساس تقييم عقلى للاعتقادات والممارسات الدينية(٢٥) •

---

(25) Mora, José, Ferrater, *op. cit.*, PP. 25—26.

وأخيرا يجب الاشارة الى التفرقة بين الفلسفة الدينيـة religious philosophy وفلسفةالدين philosophy of religoin ففىالمجال الاول، لا يجد الباحث ما يمكن قوله سوىترديد آراء المصلح أو الترويج والدفاع العقلى عن ما جاء به الانبياء وعلى هذا فهو يفتقد حرية اختيار نقطة البدء فى بحثه . أمـا عن فلسفة الدين فهناك اشارة الى ما يقـال بالفعل ، وما يفعل باسم الدين من الآخرين،وهنا نجد اهتماما بأصل ومحتوى الاحكام الدينية . على أية حال ، فان فلسفة الدين ما زالت فى حاجة الى تطـوير وتعديل من جانب الفلاسـفة الغربيين وذلك للاسباب الآتيـة : أولا ، أن الاديان محل الدراسـة تعتبر أديانا حية ، وهناك العـديد من الحركات الفـكرية والتحـديات الجـديدة التى تواجـه تلك الاديان فضـلا عن الاحتكاكات المستمرة بينها . ثانيا : ما زالت الدراسـة الغربية عن أديان الشرق فى بداياتها الاولى ، فهناك معرفة جديدة عن هـذه الاديان تجعل الكتابات عن الاديان البدائية متغيرة بتجدد هذه المعرفة وما قد تقدمه من مداخل جديدة لدراستها وفهمها . ثالثا ، ان الاديان البدائية تطلبت مدخلا جديدا حيث أن الدراسات السابقة للاديان كانت منحصرة فى النصـوص الدينية . وفى الاديان البدائية ، حيث لا نص ، ولا كتـاب مقدس يتركز الاهتمام حول ما يقوله الافراد أو ما يفعلونه فى شعائرهم . هذا التطور فى دراسة الدين بلا شـك يشير الى أنه على الرغم من اختلاف الفلسفة عن الدراسة العلمية للدين فى المنهج وهدف البحث ، الا أن كلاهما يعتمد على الآخر ويكمله . فالدين قد يدرس من خـلال التاريخ أو الفلسفة أو المداخل الوضعية . الا أن الاهتمام قد يكون بالاحكام الدينية والمحتوى الذى ظهرت فيه ، والخلفية التاريخية لها . كذلك ، قد يكون الاهتمـام بأهمية هذه الاحكام ومحاولة الوصول الى الحقيقة[٢٦] .

(26) Mora, José Ferrater, *op. cit.*, PP. 28—29.

جـ) اعتبارات منهجية فى دراسة الدين ومشكلة الموضوعية :

كان من النتائج التى أسفرت عن اللقاءات العديدة بين علماء الاديان اثارة كثير من المسائل التى كانت تعـد من قبيل التابوه أو المحـرمات أو المشاكل التى كان لا يمكن الاجابة عليها وبدى واضحا أن النزعة التوفيقية التى كانت تسود تلك اللقاءات من مختلف الاديان ، غير كافية لمواجهـة متطلبات الشعور الدينى المنبعث من جديد ، والاهتمام بالبحث الفلسفى فقد واجهت الاديان مشكلة التحرر من السلطة التقليدية بما ذلك السلطة الدينية • فالمكتسبين للحرية حديثا أطاحوا بأى شكل من أشكال السلطة• ولهذا أصبحت مشكلة علاقة السلطة بالحرية فى الدين من أهم المشـاكل التى تواجه دارس الاديان على المستوى النظرى والاخلاقى •

ومن ناحية أخرى لم يعد هناك مجالا لتجنب التحدى الذى طرحتـه مشكلة التعدد فى الولاء الدينى ، وعلاقته بمشكلة الحقيقة بالنسبة للافراد والجمـاعات والحـكومات • وقد يحـاول دارس الاديان أن يحتـذى الموضوعية والحيادية فى دراسته للدين ، وبالرغم من الانتقـادات التى توجه الى هذا الاتجاه ، الا أن مثال الموضوعية ideal of objectivity يجب أن يحتذى فى الدراسات المقارنة • ويؤكد فاخ Wach عـلى أن الموضوعية النسبية أمر ضرورى فى تدعيم المعطيـات والبيانات والمعانى التى تهتم بهـا(٢٧) •

ولم يكن هنـاك فى الشرق ، حتى وقت قريب من يهتـم أو يريد أن يدرس الدين دراسة علمية Scientifically مثل محاولات العلماء الغربيين فى هذا المجال • وعلى الرغم من انتشار الفكرة العلمية لدراسة الدين فى

---

(27) Wach, J., *Op. Cit.*, P. 9.

جميع أرجاء العـــالم ؛ الا أن الغرب بدأ يدرك من دراســات كيركجارد Kirkegaard أن الحيادية neutrality في الدين أمرا مستحيلا • حقيقة هناك خطــورة ، كما يقــول فاخ ، « تصــاحب اللجوء الى العــواطف والانفعالات تلعب دورا مشروعا في الدين »[٢٨] •

واذا كانت وظيفة اللاهوت Theology هي بحث وتدعيم العقيــدة في المجتمع الديني الذي ينتمي اليها ، فان الدراسة المقارنة للاديان هي توجيه وتنقية هذا الاتجاه • ولكن كيف يمكن أن يتحقق ذلك ؟ أليس من الممكن أنه على الرغم من تبجيل المرء لعقيدته ألا يكره أو يشوه العقائد الاخرى؟ الحق أن الدراسة المقارنة للاديان ، كما يرى فاخ ، هي التي تجعــل من الممكن الوصول الى الصورة الكاملة لما تعنيه التجربة الدينية والاشــكال المعبرة عنها ، وما يمكن أن تقدمه هذه التجربة للانسان[٢٩] •

وقد يتبادر السؤال : ما هي الطريقة المثلى لفهم الاديان الاخــرى ؟ والحق أنه قبــل الاجابة على هذا الســؤال يجب أن نسأل : هــل يمكن للباحث فهــم دين مختلف عن الدين الذي يعتنقه ؟ هناك احســاس بأن الاجابة قد تكون بالنفي ، ولكن هناك أيضا مؤشرات تشير الى أن الاجابة بالايجاب قد تكون ممكنة أيضا • فمما لا شك فيه أنه من الممكن معرفــة الحقائق بمعنى جمعها وترتيبهــا وتركيبها من المعلومات المتاحة • وهــذا بالنسبة للباحث الوضعي يمثــل مجال الدراســة في علم الاديان • ولكن

---

(28) wach, J., op. cit., P. 9.

انظـر أيضــا :

Vogt, E., "Objectivity in Rescarch in the Sociology of Religion," in J. Brothers (ed.) *Readings in the Sociology of Religion*. Oxford : pergamon press, 1967, PP. 115—125.

(29) Wach. J. *op. cit.*, P. 9.

يتساءل فاخ هل هذا يكفى ؟ هل من الضرورى أن تكون عضوا من المجتمع الدينى محل الدراسة ، حتى يمكنك فهم مبادؤه وعاداته الدينية ؟ • ولكن ما معنى أن تكون عضوا ؟ هل يمكن أن نقول أن عـالما ممتازا ينتمى الى الجماعة (أ) يكون أقل قدرة على فهم دين الجماعة (ب) عن شخص جاهل وبسيط ولكنه ينتمى الى الجماعة (ب) ؟ ويرى فاخ أن العضوية الرسمية، لا يمكن أن تكون المعيار لامكانية الفهم • أليس من الممكن أن شخصـا يشارك فى اقامة طقس معـين فى جماعة دينيـة ومع ذلك يكون غير واع بالمعنى فيما وراء ما يقول أو يفعل ، كل هذا يشير الى حقيقة هامة هى أن العضوية فى مجتمع ما ليست شرطا لتحقيق الفهم • بل على العكس قـد يكون ذلك صحيحا فى حالة العضو الجاهل أو المتشكك أو الملحد •

ومن الملاحظ أن مشكلة العضوية فى الاديان القبلية تعد أمرا بسيطا فهى تنتقل بالمولد رغم وجود بعض المتطلبات كاقامة الواجبات ••• وما الى ذلك ، ولكن العضـوية فى المجتمعـات الدينية الخاصة أمر معقـد وبالاضـافة الى ذلك نجد معايير موضوعية للعضـو متمثلة فى الاعتقـاد فى الخرافات والاسـاطير والروحانيات ، وقد توضع مستويات ذاتيـة أخرى • وفى جميع هذه الحالات من الصعوبة بمكان أن نتوصل الى الفهم الكلى ، خاصة وأن المشاركة تحدث وتنتظم بطريقة آلية[٣٠] •

د) مشكلة الفهم التكاملى للدين :

يمكن التمييز بين مرحلتين لعملية الفهم الخاصة بالظواهر الدينيـة • أحد هذه المراحل جزئى Partial والآخر تكاملى Integral وشـامل Comprehension واذا فمن الانصاف القول بأننا لن نستطيع القيام بوصف

(30) Wach. J., *op. cit.*, PP. 9—11.

متكامل للافكار أو الافعـــال الدينية الخاصـــة بدين معين دون أن نهتـــم بالافعال والافكار الاخرى التى قد تظهر فى هذا السياق ، أو أن نهتم بهذا السياق ككل • كذلك هناك قانون آخـــر للتوصل للفهم الدينى هـــو قانون اللاعكسية Irreversibility والذى يقضى بأنه من الممكن للاعلى أن يفهم الادنى وأنه يمكن للاقـــدم (الاصيل) أن يدرك ماذا يحـــدث للاحـــدث وليس صحيحا • كل هـــذا يوصلنا الى مناقشة أهـــم الشروط الواجب توافرها حتى يمكننا تحقيق فهم تكاملى للظاهرة الدينية ويلخص فاخ هذه الشروط على النحو التالى[٣١] :

١ — أن عملية الفهم لها طبيعة فكرية ، بمعنى أنه لا يمكن التوصل الى فهم أى دين وأى ظاهرة دينية دون أن يكون هنـــاك معلومات مكثفة عن هذا الدين أو تلك الظاهرة • والحق أن الاعمال التى تمت خلال المائة عام الماضية قد زادت من عمق ودرجة معرفتنا بالادين الاخرى •

٢ — كذلك فان الباحث فى الاديان مطالب بمعرفة العديد من اللغات خاصة ما يتعلق منها بالشرق الادنى وأفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية ، فلكى تنفـــذ الى روح أى دين يجب أن نقـــرأ مقدساته وتعاليمه باللغة الاصلية لهذا الدين •

٣ — وفى محـــاولة التوصل الى فهـــم أديان تختلف عن ما يعتنقه الباحث ، هناك مطلب يتعلق بالمشاعر وهو أن الدين يهتم بالشخص ككل ، أفكاره ومشاعره وارادته •

٤ — لابد أن يكون هناك هدف واضح وعناء من أجل دراسة الدين•

---

(31) Wach, J., op. cit., PP. 11-13.

فالدافع من أجل القيام بدراسة الاديان يجب ألا يكون البحث من أجل البحث ، أو رفض ما يخالف ما يعتنقه الباحث •

٥ ــ هناك شيء أساسى لفهم الدين وهو الخبرة experience ، فمن لديه خبرة واسعة بالخصائص الانسانية سيكون بلا شك أكثر قدرة على التوصل لفهم الآخرين بطريقة أشمل ، ذلك لانه قادر على النفاذ الى عقول وأفعال ومشاعر وطرق تفكير الآخرين •

هـ) مداخل دراسة الدين :

هناك العديد من المناقشات حول المنهج المستخدم فى الدراسات الدينية ، فهناك اتجاه يصر على أن المنهج المستخدم يجب أن يكون قائما بذاته Sui-generis كلية وليس له أية علاقة بالمناهج المستخدمة فى العلوم الاخرى • والاتجاه الآخر يرى أن المنهج الشرعى الذى يجب أن يستخدم هو المنهج العلمى Scientific mothod فالاتجاه الثانى يرى أنه طالما أن الحقيقة واحدة والكون واحد والمعرفة واحدة ، لذلك يجب أن يكون هناك منهج واحد للمعرفة • ويتطلب هذا الاتجاه أن يكون المنهج موحدا من ناحية ، ومناسبا لموضوع الدراسة من ناحية أخرى • وقد عبر الكثيرون من الفلاسفة ورجال اللاهوت عن عدم كفاءة المدخل العلمى لدراسة الدين • فقد تشكك كثير من العلماء فى مقدرة الطرق التجريبية والكمية والعلية عند تطبيقها فى المجال الروحى • وطبقا لهذا الاتجاه فانه يترك للباحث اختيار المنهج المناسب لموضوع دراسته[٣٢] •

والحق أن هناك العديد من الطرق المناسبة لدراسة أى دين من

(32) Wach, J., *op. cit.*, PP. 14—15.

الاديان • ويعد المدخل التاريخي من أوائل هذه الطرق وأهمها فى الوقت نفسه • ومن خلال هذا المدخل يحاول الباحث أن يتتبع أصل ونمو الافكار والانظمة الدينية خــلال فترات ، محددة من التطــور التاريخي ، وكذلك تحديد دور القوى التى نازعت الدين خلال هذه الفترات مثل هذا النوع من الدراسة يبدأ من الفترة التاريخية الاولى فى تاريخ الانسان • ولقــد قام العديد من الباحثين بأبحاث كثيرة فى هذا المجال على جميع حضارات العالم لدرجة أنه يمــكن القول بأنه ليس هنــاك دين الآن لم يتعرض الباحثون لتطوره التاريخي فى دراساتهم التى استخدمت المدخل التاريخي بالاضافة الى ذلك نجد أن اهتمــام الباحثين لم يكن موجهــا للحاضر فى حد ذاته ، بل لمعرفة القوى الداخلية ، وأشــكال وأهداف هذا التطــور التاريخــى •

ولا شــك أن المؤرخ فى بحثه عن أديان الانســان يستند أساسا الى البحث الاركيولوجى[٣٣] archaeological (الحفريات) واللغوى • فعن طريق الدراسة الواعية للآثار والدلائل اللغوية للماضى أمكن جمع المادة اللازمة لاعادة صياغة هذا الماضى • ومنــذ القرن التاسع والدراســات الخاصة بالحفريات والتفسيرات اللغوية ساهمت وتسهم فى تقديم نظرية واضحة للفهم فى مجال الكلاسيكيات ، ولكنها استخدمت فيما بعد لتشمل الحضارات الشرقية والبدائية • وبدون هــذه الابحاث يظــل الكثير عن التاريخ الدينى للانسان غير معروف أو مفهوم لنا • وستظل التفسيرات اللغوية والتاريخية عنصرا أساسيا لدراسة الدين عند تناولها من الناحية التاريخيــة •

---

(٣٣) انظــر :

Finegan, J., *The Archceology of World Religions*, Princeton Princeton University press, 1952.

ولعل الرغبـــة فى معرفة الجوانب الداخلية للتجـــربة الدينية وأوقات حدوثها ــ كل هذا ساعد على ظهور مدخل آخر يهتم بديناميات ومشاعر الفرد والجماعات الدينية ، وهذا ما يطلق عليه التفســـير النفسى للدين ، ومنذ بداية القرن العشرين وعلماء علم النفس الدينى Psychology of Religion يحاولون التعمق فى فهم وتحليل اللاشعور وميكانيزماته. وقد اشتملت كتابات Allport , Horney , Menninger, Fromm, Grensted على تطبيقات لنظريات فرويد Freud ويونج Jung عن الدين[٣٤] .

وبالاضافة الى دراسة التاريخ وعلم النفس ، فقد ظهر علم الاجتماع الدينى Sociology of religion محاولا فى البداية تطبيق المناهج العامة فى علم الاجتماع ، كما كانت فى أعمال كومت Comte وسبنسر Spencer وخاصة التفسيرت الاقتصادية لكل من لاســـال Lassalle ومـــاركس K. Marx وبعد ذلك أعتمد على أعمال رواد علم الاجتمـــاع الدينى من أمثـــــال Fustel de Coulanges , Emile Durkheim ، ماكس فيبر Max Weber أرنست ترولتش E. Troeltsch ، ورنـــر ســـمبارت Werner Sombart وماكس شيلر Max Scheler وغيرهم .

---

(٣٤) انظـــر :

(A) Allport, G., *The Individual and His Religion*. New York : Macmillan, 1950.

(B) Allport, G., *Psychology, Psychiatry and Religion Mass*: Andover Newton Bulletin, Vol. XLIV (1952)

(C) Grensted, L., W, *Psychology of Religion*. New York : Oxford University Press, 1952.

(D) Johnson, P., E., *Psychology of Religion*. New York : Ablngdom, 1945.

(E) Pruyser, P., "Some Trends in the Psychology of Religion, *Journal of Religion*, Vol. 40 (1960).

وقد ظهر مع هذا القرن مدخل آخر لدراسة الظواهر الدينية وهو ما يعرف باسم الفينومينولوجيا Phenomenology • ولقد أراد مؤسسه أدموند هـوسرل Edmund Husserl أن يكون هـذا المدخل بديلا للتفسـيرات السيكولوجية الصرفة لتفسير العمليات العقلية وقام بتطبيقه على الظواهر القانونية والقيمية والدينية والفنية • والحقيقة أن تطور فينومينولوجيا الاديان Phenomenology of Religion يرجع الى ماكس شيلر Max Scheler ورودلف أتو Rudolf Otto وجين هيرنج Jean Hering وجـردوس Geradus وفان ديرليـو Van der Leeuw وتهـدف فينومينولوجيا الاديان الى التوصل لفهم القصد أو النيـة Intention فيما وراء الافعال أو الافكار أو الانظمة الدينية ، دون ردها للنظـريات الفلسفية أو اللاهوتيـة أو الميتافيزيقية أو السيكولوجية • ولهذا تعـد فينومينولوجيـا الاديان البـديل للمداخل التاريخيـة السيكولوجيـة والسوسيولوجية ، فعن طـريق هذا المدخـل يمكن التوصل الى جوهـر الدين essence • وعلى الرغم من أن فينومينولوجيا الاديان(٣٥) تضم

---

(٣٥) عن المنهج الفينومينولوجي فى الاديان ، انظر :

(A) Farber, M., *The Foundation of Phenomenology*. Cambridge, Harvard University Press, 1943.

(B) Daniélou, J., "Phenomenolgy of Religion and Philosophy of Religion," in Eliade M., Kitagawa, J. (eds.) *op. cit.*, PP. 67—85.

(C) Neusner, J. (ed.) *Religion in Antiquity : Essay in Memory of E. R. Goodenough.* Leiden : E. J. Brill, 1970.

(D) Smart, N., *The Phenomenon of Religion. New York*: The Macmillan Press, LTD, 1973.

(E) Van der Leeuw, G., *Religion in Essence and Manifestation.* Trans, J. E. Turner. New York : Harper & Row, 1963 (2 Vols)

كلا من المدخلين الوصفى والمعيارى ، الا أن القواعد المنهجية المتبعة فيها يمكن ادراجها تحت المدخل الوصفى • وعلى أية حال ، نخلص من كل هذا الى أنه يمـكن تصنيف المداخل الخاصة بدراســة الدين الى مدخــلين أساسيين : الاول ، هو المدخل المعيارى[٣٦] ويتمثل فى دراسة العقيدة أو الدين كما ينبغى أن يكون الهدف الاســاسى من وراء هذا التفسير هــو الدفاع أو تبرير أو اضفاء قيم وتحيزات الباحث نفسه على الظواهر محل الدراسة • ويعتبر اللاهوت وفلسفة الاديان والدراسات التاريخية من أهم فروع هذا المدخــل •

والمدخل الثانى هو المدخل الوصفى ، وفيه يهتم الباحث فقط بوصف وتفسير الظاهــرة الدينية كما هى دون أى تدخــل منه ، ودون أن يكون هناك أى هدف الا الغرض العلمى من الدراسات المقارنة • هذا وتعتبــر

---

(٣٦) بالنسبة للمدخــل المعيــارى المتمثل فى دراسات فلســـفة الاديان واللاهوت •

انظــر :

(A) Burtt, E. A., *Types of Religions philosophy*. New York . Harper, 1951.

(B) Hick, J, *Philosophy of Religion*. Englewood Cliffs, N. J. : prentice - Hall, Inc. 1968.

(C) Hugel, B. F. V. *Essays and Addresses on Philosophy of Religion*. London : Dent 1949.

(D) Mcpherson, T., *The Philosophy of Relgion*. London : D. Van Nostrand company CTD, 1965.

أ) الطويل (توفيق) ، **قصة الصراع بين الدين والفلسفة** ، القــاهرة : مكتبة مصر ، ١٩٥٨ •

ب) غروية (لويس) ، قنواتى (ج) **فلسفة الفكر الدينى بين الاســلام والمسيحية** (ثلاثة أجزاء) ترجمة صبحى الصالح ، فريد جبر ، بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٥٧ •

الدراسات الخاصـــة بعلم النفس الديني والانثروبولوجيا[٣٧] ، وكذلك

---

(٣٧) بالنسبة لاسهامات الانثروبولوجيا فى دراسة الاديان أنظر :

(A) Benton, M. (ed.) *Anthropological Approach to the study of Religion*. London : Tavistock publications Limted 1968.

(B) Evans - Pritchard, E., *Theories of Primitive Religion*. Oxford : At the Claredon Press, 1965.

(C) ...., *Nuer Religion*. Oxford claredon press 1956.

(D) Frith, R, "Problem and Assumption in an Anthropological study of Religion," *Journal of the Royal Anthropological Institute*. Vol. 89, 1959.

(E) Geertr, C., *The Religion of Java*. Glencoe, III,: The Free Press, 1958.

(F) Goody, J. "Religon and Ritual. The Definition and Problem," *B. J. of S*. Vol. 12. 1961.

(G) Horton, R., "A Definition of Regilion and its uses : *Journal of Royal Anthropolgical Institute*, Vol. 90. 1969.

(H) Lesile, C., *Anthropology of Folk Religion*. New York: Vintage Books, 1960.

(I) Lowis, R., *Primitive Religion*. New York : Boni & Lweight, 1924.

(J) Malinowski,B.,*Magic, Science and Religion and Other Essays*. New York : Doubleday, 1940.

(K) Nadel, S., F., *Nupe Religion*. Glencoe, III. : Free Press, 1945.

(L) Radin, P., *Primitive Religion, Its Nature and Origin*. New York : Viking, 1957.

(M) Spiro, M., E., "Religion and the Irrational is Symposium on New Approaches to the study of Regilion (*Procceedings of the American Ethnological Society*) 1964.

الدراسات الخاصة بتاريخ الاديان ومقارنة الاديان[٣٨] وعلم الاجتماع الدينى ممثلة لهذا المدخل من الدراسة .

---

(٣٨) بالنسبة لتاريخ ومقارنة الاديان أنظر :

Bianchi, U., *et. al. Problems and Methods of the History of Religions*. Leiden : E. J. Brill, 1972.

Eliada, M., and Kitagawa, (eds.) *The History of Religions: Essays in Methodology*. Chicago : The University of Chicago Press, 1959.

Kitagawa, J. M., *The History of Religions : Essays on the Problem of Understanding*. Chicago: The University of Chicago Press, 1976.

أ) العابد (محسن) ، **مدخل فى تاريخ الاديان** : تونس . دار الكتاب . سوسة ، ١٩٧٣ .

ب) دراز (محمد عبد الله) ، **الدين ، بحوث معهد دراسة تاريخ الاديان** . بيروت : دار العلم ، ١٩٧٠

Kitagawa, J., M., "Theology and the Science of Religion," *Anglican Theological Review*. Vol XXXiX, No. 1 (1957)

Tilich, Pon, *Systematic Theology*. Chicago : The University of Chicago Press, 1951, (3. Vol.).

Toynbee, A., *An Histroian's Approach to Religion*. London: Oxford University press, 1957.

Webb, C., *The Historical Element in Religion*. London : Allen and Unwin, 1935.

انظر أيضا :

Bouquet, A., C., *Comparative Religion. A Outline* London: penguin Books, 1967.

شلبى (أحمد) ، **مقارنة الاديان** (٤ أجزاء) القاهرة : مكتبة النهضة العربية ، ١٩٦٦ ـ ١٩٦٧ .

٤ ـ الدين كموضوع للبحث السوسيولوجى

أ) سوسيولوجية الظاهرة الدينية :

الدين كظاهــرة اجتماعية ، يدخــل فى علاقة تفاعلية مع الوحــدات الاجتماعية الاخرى المكونة للمجتمع • هذه الحقيقة تمثل حجر الزاوية فى علم الاجتماع الدينى • واذا كان هذا هو منطلق علم الاجتماع الدينى، فان الامــر ليس كذلك فى رأى كثير من النــاس ، فالبعض قد ينظر الى الدين على أنه السياق الذى يتحد فيه الانسان مع ما هو فوق انسانى[١] وعلى هذا ، فان التجربة الدينية شىء خارج عن التجربة العادية • وقــد يرى البعض الآخر الدين على أنه مظهــر من مظاهر رد الفعــل الغريزى للقوى الكونية • وما زال فــريق ثالث يرى الدين على أنه مجموعة مــن الرسالات الظاهرة من الاله • ومن الملاحظ أن وجهات النظر هذه تقلل أو تتجاهل وربما ترفض الجوانب السوسيولوجية للدين • وسواء تكلمنــا عن الدين بصفة عــامة أو عن دين معين ، أو جماعة دينيــة خاصة ، فان الدين كظاهرة ينظر اليه على أنه فى تفاعل مع الانظمة والقوى الاجتماعية فى المجتمع[٢] • والتأكيد على الدين كظاهرة اجتماعية يتضمن العديد من الاعتبــارات :

أ) أن الدراسة السوسيولوجية للدين تبتعد عن الاحكام المعيارية ، بمعنى أن الباحث عنــدما يتناول الدين لا يتناوله من حيث الصــدق أو

---

(1) Sluzzo, L., "Sociology of the Supernatural," *American Catholic Sociological Review*. PP. 204-214.

(2) Dynes, R., R., "Toward The Sociology of Religion," *Sociology and Social Research*. Vol. 38 (March - April 1954) No. 4, PP. 227 — 237.

الكذب ، النفـع أو الضرر ، حقيقة قد تفيد هـذه المقولات فى التفسير اللاهوتى أو الفلسفى ، ولكن هذه المقولات المعيارية ليست من اختصاص عالم الاجتمـاع الدينى فالتأكيد هنا على أن دراسـة الحقيقة ، ومنهـا الحقيقة الدينية ، يتطلب الحيادية والموضوعية • حقيقة أن عالم الاجتماع ، لا يمكن أن يتوصـل الى الموضوعية والحياد الكامل ، وهنـاك الكثير من الدراسات الحديثة فى علم الاجتماع تنتقد « أسطورة » ما يسمى بعـلم الاجتماع المتحرر من القيمة • ولكن كل هذا لا يعنى عدم التأكيد على أن الموضوعية والحياد لابد وأن يكونا واضحين فى البحث السوسيولوجى •

ب) أن علم الاجتمـاع الدينى علم امبريقى ، بمعنى أنه يتوصـل الى نتائجه من الظواهـر التى يدرسها ويلاحظها • فمن أجـل اثبات أو رفض أى نظرية ، فان علم الاجتماع مطالب باختبار هذه النظـرية من خلال الملاحظات الامبريقية المناسبة • والبيانات الدينية ، خاصة الجوانب الروحية ، والتى لا تخضع للملاحظة أو القياس أو الوصف ، تخرج مـن نطاق البحث السوسيولوجى •

جـ) تحتم الوضعية والامبريقية استخدام المنهج العلمى فى دراسة الدين • والدراسة العلميـة للدين تتطلب البحث عن المتغيرات الدينية ، وهذا لا يمكن التوصـل اليه عن طريق الوصف والملاحظة • وقـد أثيرت اعتراضات على هذا المدخل ، وهناك ، اتجاهات جديدة فى علم الاجتماع الدينى بتبنى الاتجـاه الداخلى والخارجى لدراسة الظاهرة الدينيـة • فالمعلومات الامبريقية لا تشكل المعلومات الوحيدة الهامة عن الدين • كذلك لا يعنى وجود مقاييس امبريقية أو وصفية أنها تكشف عن جوهر الدين • حقيقة أن الدراسة الامبريقية تضع حـدودا على دراستنا للدين ، ولكن هذه الحدود أقل بكثير من الحدود التى تضعها اذا تبنينا الاعتقاد القائل بأن الدين يهتم بالمسـائل الروحية ، وهـذا بلا شك يشكل عائقا أمـام

الدراسة الامبريقية للدين وعلى كل حال ، فأى من الاتجاهين يفيد فى فهم كلية الظاهرة الدينية[٣] .

ولعل الحافز للاهتمـام السوسيولوجى بالدين راجـع الى تقارير الانثروبولوجيين فى بداية ومنتصف القرن التاسـع عشر الذين حـاولوا دراسة المجتمعات البدائية فى أفريقيا وآسيا . وقد توصل هؤلاء العلماء الاجتماعيين الى ملاحظتين أساسيتين هما : أولا ، وجود شكل من أشكال الدين فى كل مكان ، ثانيـا ، التنوع المذهل فى أشـكال السلوك الدينى . بمعنى آخر ، لوحظ الدين على أنه منتشر ومتنوع فى كل مكان . ولا تدرك هذه العمومية والتنوع للظواهر الدينية فى المجتمعات البدائية المعزولة . ومع قدوم الاسـتعمار الاوربى وما ترتب عليـه من زيادة فى التجـارة والاحـتكاك المستمر بمجتمعـات أفريقيا وآسـيا ، تزايدت البحـوث الاثنوجرافية التى قام بها العلماء الاجتماعيين . وقد أدت هذه البحـوث بدورها الى تفهم وتحليل التنوع الواسع فى الدين .

وقد أخـذ رد فعل المجتمع الغربى نحو هـذا التنوع الدينى عـدة اتجـاهات :

١ ــ ذهب كثيرون ممن ينتمون الى الكنيسة المسيحية الى أن هـذه الانساق الدينية الاخرى خاطئة وزائفة . والمسيحية هى الدين الوحيـد الصحيح ، وهى دين الله . ولهذا فقد طالبوا بمحاولة تصحيح ما يعتقده الآخرون وتحويلهم الى المسيحية ، ومحاولة منع انتشار هـذه الاديان الزائفة . ولهذا نجد جهود المبشرين قد اتسعت مع بداية القرن الثـامن عشر وزادت كثافتها فى القرن التاسع عشر . وهذه المحاولات والجهـود

---

(3) Johnstone, R.,L., *Religion and Society in Interaction: The Sociology of Religion*. Englewood Cliffs. N. J. : Prentice Hall, Inc., 1975, PP. 3 — 6.

لم تخرج عن كونها تكرار لاهداف الحملات الصليبية التى أمتــدت حتى نهاية القرن السادس عشر[٤] .

٢ ـــ وكان هناك ردفعل آخر تجاه هذه الاديان الجديدة مؤداه أن الاديان جميعا يجب أن تفهم على أنها محاولة مخلصة للنضال لحل مشاكل الانسانية المعقدة ، ولهــذا فان كل دين يعتبر مفيدا ، مثله مثــل الاديان الاخرى ، طالما أن من يعتنقونه راضون . بمعنى آخر ، أنه عــلى الرغم من هذا التنوع فان جوهر الاديان كله واحــد .

٣ ـــ ويمضى رد الفعل الثالث فى اتجاه معارض للاتجـــاه السابق ، فيرى أصحابه أن الادعاءات المتنوعة للحقيقة الدينية تتصف بالعموميـــة والتناقض ولذا فهى جميعها خاطئـــة ويجب الاستغناء عنها ان أمــكن . ويؤكد هذا الاتجاه أنه بتقدم العلم واختفاء الخـــرافات ، سوف يتزايد الاتجاه نحو رفض الدين باعتباره من بقايا عصر ما قبل العلم[٥] .

٤ ـــ والاتجاه الرابع نحو هذا التنوع والانتشار الدينى ، هــو أنه على الرغم من وجود جوانب قيمة فى كل هذه الاديان المتنوعة ، الا أن أيا منها لا يتصف بالكمال ، ولهذا فنحن مطالبون بانتقاء عناصر من كل منها للمجتمع والعصر الذى نعيش فيه .

والحق أن لكل من وجهات النظر السابقة بعض المدافعين المعاصرين ، الا أنه يمكن القول أنه لا يوجد واحد منها يناسب العــالم الاجتماعى . وذلك لانها جميعا تنطوى على أحكام قيمة بشكل أو بآخر . ولعل اهتمام السوسيولوجى بالدين لم يتخــذ الشكل الجدى ـــ باستثناء اســهامات

---

(4) Johnstone, R., L., *op. cit.*, p. 10.
(5) Johnstone, R., L., *op. cit.*, P. 10.

دور كيم ، زيمل ، وفيبـر — حتى وقت حديث • ويفسر دافيـد موبرج David Moberg هذا بالاسباب الآتية :

أ) بعض علماء الاجتماع تأثروا بالجمعيات التاريخية والدينيـة والفلسفية والميتافيزيقية، واعتقدوا أن الدين لا يمكن أن يدرس امبريقيا •

ب) تأثر بعض علماء الاجتماع بالعديد من الجماعات الدينيـة فى معارضة البحث السوسيولوجى للدين •

جـ) خشى فريق ثالث من علماء الاجتمـاع والذين كانوا يعملون فى الجامعات الحكومية من فقدان وظائفهم لو أنهم تخطوا الحد الفاصل بين الكنيسة والدولة •

د) اعتقد آخرون أن الدين يمضى فى طريقه الى الانقراض ولهـذا يفضلون ألا يضيعوا وقتهم فى دراسته •

هـ) يذهب البعض ممن يرفضون الدين من واقع تجربتهم الشخصية الى رفض أى اتصال به حتى ولو كان هـذا الاتصال نوعـا من البحث العـلمى[٦] •

والواقع أن أعمال أميل دور كيم وجورج زيمل[٧] وماكس فيبـر لم تحظ بتطور نظرى أو بحثى الا بعد الحـرب العالمية الثانية عنـدما زاد الولاء والنشاط الدينى خاصة فى الولايات المتحدة الامريكية • فبدأ علماء

---

(6) Moberg, D., O., *The Church as a Social Institution* Englewood Cliffs, N. J. : Prentice - Hall 1962. P. 13.

(7) Simmel, G., "A Cotribution to the Sociology of Religion," *A.J.S.* Vol. Lx part 11 (May 1955) No. 6., PP. 1—18.
.................., ***Sociology of Religion.*** Trans, by C. Rosenthal. New York : Philosophical Library, 1959.

الاجتماع ينظرون الى الدين كظاهرة اجتماعية يجب أن تدرس وتفسر . ومنذ عام ١٩٤٠ بدأت بحـوث ودراسات جـديدة واستمرت حتى الآن لمعرفة شكل وظائف الدين على المستوى الفردى والمجتمعـى ، وأصبحت النظرة الى الدين ليست على أساس صدقه أو زيفه ولكن على أساس أنه ظاهرة اجتماعيـة[٨] .

ب) علم الاجتماع ـ الدين ـ علم الاجتماع الدينى :

يعرف علم الاجتماع بأنه دراسة تفاعل الجماعات الانسانية وتأثيرها على أنظمة المجتمع عامة والسلوك الفردى خاصـة . وهكذا فان عـلم الاجتماع له هدفين رئيسين ، الاول : فهم ديناميات حياة الجماعة ، ما هى الجماعات الاجتماعية ، ما هى وظائفها ، وكيف تتغير وكيف يختلف كل منها عن الاخر . والثانى : فهم تأثير الجماعات على السلوك الفردى والجماعى وهناك افتراض أساسى لعلم الاجتماع فى هذا الاعتبار مؤداه أن النشاط الانسانى يتأثر بالجماعة ، وفى خلال حياة الفرد ، تخضع مكوناته وغرائزه البيولوجية لتعديلات وتأثيرات وذلك من خلال عمليات التنشئة . هـذه العملية تبدأ فى الاسرة وتنتقل الى العديد من الجمعيات والمؤسسات التى يشارك فيها أو يحتك بها الفرد مثل المدرسة ، وجماعات العمل ، والنوادى ووسائل الاتصـال . . . الـخ .

وفى كلا الاهتمامين بديناميات الجماعة وتأثيرها ، نجد أن الدين يعـد محورا للدراسـة والتحليل السوسيولوجى ، فالاديان تنظم اتبـاعها فى جماعات تعرف بأسماء مثل الفرق والطوائف والحركات والخلايا.وهكذا.

---

(8) Johnstone, R., L., *Op. Cit.*, P. 11.

انظر أيضـا :

الخشاب (أحمـد) ، **الاجتماع الدينى : مفاهيمه النظرية وتطبيقاته العمليـة** القاهرة : مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٧٠ ، ص ٢٥ ـ ٢٦ .

وعالم الاجتماع يهتم بدراسة بناء ووظائف هـذه الجماعات لمعرفة كيف تخضع هذه الجماعات الدينية للقوانين الاجتماعية المنظمة لحياة الجماعة عامة • كذلك يهتم عالم الاجتماع بتتبع تأثير هذه الجماعات الدينية ليس فقط على أعضائها ، بل أيضا على الاعضاء الاخرين فى المجتمع والجماعات الاخرى • وهـذا يعنى أن الجماعات الدينية لها تأثيرات واضحـة على سلوك الناس•مثلها فى ذلك مثل الجماعات الاجتماعية الاخرى•والاهتمام ليس بالاعتراف بوجود هذا التأثير ، ولكن بمعرفة درجته وطرقه وكيفية قياسـه[9] •

وهناك عدة افتراضات سوسيولوجية تدور حول طبيعة الانسان أولها: أن الانسان كائن بيولوجى ، مخـلوق له دوافع فسيولوجية وله حاجات وامكانيات وحدود • التأثيرات الاجتماعيـة للجماعة موجهة ومحـدودة بالعوامل البيولوجية • والدين بطبيعة الحـال ، أحد العوامل الرئيسية التى تحاول تعديل أو تهذيب الطبيعة البيولوجية للانسـان • فالجماعات الدينية المختلفة ، على سبيل المثال ، لها مداخل ووجهات نظر نحو الدافع الجنسى عند الانسان • وطالما أن النـاس تمتثل لهذه التعليمات سـواء المسموحات أو المحرمات ، فانهم سوف يختلفون فى شخصياتهم وقيمهـم واتجـاهاتهم • باختصـار فان علم الاجتمـاع ، رغم رفضه للحتميـة البيولوجية ، الا أنه يعترف بأن الانسـان لديه امكانيات وحدود وهـى محكومة بيولوجيا الى درجة كبيرة •

كذلك هناك افتراض سوسيولوجى آخر حول طبيعة الانسان ، هـو قدرته المتميزة على استعمال الرموز وابتكارها • ونعنى بهذا أن الانسان لديه قدرة على اضفاء معانى معينة على الاشياء والاصـوات والكلمات

---

(9) Johastone, R., L., *op. cit.*, P. 7.

والافعال • وهذه المعانى ليست قائمة فى الاشياء ولكنها من خلق الانسان نفسه ، وبخلق الاجماع حول تلك المعانى تستطيع الجماعات أن تتصل وتكتسب المعرفة • وباستخدام اللغة وهى عملية رمزية ، استطاع الانسان أن يتعامل مع المفاهيم المجردة والمشاعر الانسانية مثل الحب والعدل والمساواة•••الخ • والحق أن هذه القدرة على التعبير عن المعانى رمزيا هى أحد العوامل الدينية التى ساعدت على ظهور مختلف الجماعات والثقافات والايديولوجيات خلال التاريخ الانسانى • وليس هناك نشاطا انسانيا لا يحتوى بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، أفعالا رمزية ، سواء فى السلوك التعليمى أو الانتخابى أو الدينى • والدين فى حقيقته يحتوى على العديد من الرموز ، وهناك كثير من الانشطة التى لا يمكن أن تفسر الا رمزيا • فالاله والجنة والنار والخلاص والشيطان والملائكة •• كلها معانى ومفاهيم دينية تأخذ شكل رموز معينة لدى من يؤمن بها • ويمكن القول كذلك ، أن الحقائق الدينية التى أخذت شكل رسالات سماوية أو وحى عن طريق رسل معينون ، هذه الحقائق عبر عنها أو ترجمت باللغة الانسانية ، واللغة كما قلنا ، ما هى الا رموز (١٠) •

ومن الافتراضات السوسيولوجية حول طبيعة الانسان ، أن الانسان يصبح انسانا عندما يعيش فى جماعة أو جماعات ، فشخصية الرجل تختلف عن شخصيته فى مرحلة طفولته وهذا راجع الى التأثيرات الناجمة عن عمليات التنشئة والدين أحد هذه العمليات المتصلة بالتنشئة والتى تؤثر على كل فرد سواء ولد فى اسرة متدينة أو نال قسطا من التعليم الدينى • فالدين يؤثر بطريقة مباشرة أو غير مباشرة فى كل أنظمة المجتمع، حتى الانظمة العلمانية فيه •

---

(10) Johnstone, R., L., *op. cit.*, PP. 6—7.

ويعتقد علماء الاجتماع أن كل فعـل انسانى هو شكل أو درجـة من فعل أو ميكانيزم لحـل مشكلة معينة سـواء فى الحاضر أو المسـتقبل • والسلوك الدينى ــ مثله مثل أى سلوك اجتماعى آخر ، يحاول حل مشكلة ما • فالصلاة والذهـاب الى دور العبادة ومراعاة الحدود الدينيـة وكل الانشـطة الدينية الاخـرى تساهم بطريقة معينة نحـو حل مشكلة ما موجودة أو متوقعة • فالنـاس ينشغلون بالانشطة الدينيـة على اعتقاد منهم بأن هذا سوف يحل مشاكلهم (١١) •

ويؤكد علماء الاجتمـاع على أن الظواهر الاجتماعية ، داخل جماعة معينة أو داخـل مجتمع ، تعتبر متداخلة ، أى أن الظواهر الاجتماعيـة تتفاعل بصفة مستمرة مع بعضها البعض ويتفاعل الدين ، بطريقة دينامية، مع كل الظواهر والعمليات الاجتماعية ، ومن ناحية أخرى ، يتـأثر الدين بهـذه العمليات والظوهر الاجتماعيـة فالدين يؤثر ويتأثر ، فهو متغـير مستقل وتابع فى نفس الوقت • والحـق أن هذا التأثير المتبادل بين الدين والظواهر الاجتماعية هو أحـد الاهتمامات الرئيسية فى علم الاجتمـاع الدينـى •

ولا شك أن أهمية الدين فى فهم الاسهامات النظرية لعلماء الاجتماع الاوائل شيء معتـرف به فى التراث السوسيولوجى ولقـد كان الدين فى المرحلة المبكرة من تطور علم الاجتماع يمثل،ان لم يكن الموضوع الرئيسى، أحد الموضوعات الاساسية التى اهتم بها علماء الاجتماع • وتطور فرع جديد من فروع علم الاجتماع (١٢) وهو علم الاجتماع الدينى ليؤكد على

(11) Johnstone, R., L., *op. cit*, PP. 8—9.
(12) *Ibid.*, PP. 8—9.

حقيقة أن دراسة الاعتقادات والانشطة الدينية لا يمكن أن تنفصل عــن السياق النظرى حيث يمكن اعطاء تلك الظواهر تفســيرا سوسيولوجيا • وفى السنوات الاخيرة ، خاصة فى الستينيات من هذا القرن نجد العــديد من الدراسات السوسيولوجية التى ألقت الكثير من الضوء على الظواهر الدينيــة •

والمطلع على المسائلالتى تبحث من جانب الدراسات الحديثة فى علم الاجتماع الدينى يجد أنها تشــير الى حقيقة أن علم الاجتمــاع الدينى ليس تخصصا مقصورا على فئة معينــة ، تعمل على هامش الاهتمــامات العلمية • فالدراسة التى يقوم بها علم الاجتماع الدينى تعنى العمل مع معظم مجالات الاهتمامات الحديثة لتحليل المجتمع والثقافة[١٣] • فبدون الاعتبارات الواعية للجماعات والسلوك الدينى فان الباحث يترك ثغرات خطيرة وقصــور فى دراسته عن بعض الاهتمامات الدينية مثل التمــايز الاجتماعى والتغير الاجتماعى والعلاقات بين الجماعات المتداخلة وعــلم الاجتماع السياسى • والبيروقراطية ، والدراسة الخاصة بالمجتمع المحلى، والاتفاق والاختلاف الجمعى، وعلم اجتماع الصراع ، والعمليات التنموية فى المجتمعات الحديثة • وسوف نحاول أن نميز بين الطرق التى يمكننــا أن نبين بها شمول علم الاجتماع الدينى للعديد من فروع علم الاجتماع المعاصر •

والدين عنــد معظم الناس عقيدة Faith ، قد تتواتر أو تهمــل ،

---

(١٣) يقــول على ســامى النشــار فى مكانة الاجتمــاع الدينى فى عــلم الاجتماع : (لا يمكن أن نقول أن علم الاجتماع الدينى يحتوى عــلم الاجتمــاع كله احتــواء تاما • ولكنــه مع ذلك يكون أهــم أجزائه ، لانه مصدر الحيــاة الاجتماعية كلها •) •

انظر : النشار (على سامى) **نشأة الدين** ••• ، مرجع سابق ، ص ١٦ •

ولكن الدين عند قليل من الناس ظاهرة يمكن أن تدرس تاريخيا أو فلسفيا أو نفسيا أو اجتماعيا وعندما تطورت الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع فى القرن التاسع عشر ، أخذ الدين فى الاعتبار على أنه أحد الجوانب الهامة فى المجتمع والثقافة . والحق أن نظرة سريعة للمجتمعات الانسانية تكشف عن عالمية الدين كظاهرة ، رغم التنوع الواسع فى أشكال التعبير عنها . وتظهر عالمية الدين بوضوح عندما يكون هناك احتكاك ثقافى مكثف ، وعندما يخلق التنقل والتغير الاجتماعى أوضاعا للتنوع الدينى داخل المجتمعات . وتصبح الاستجابة لهذا أمرا ضروريا . ويميز ينجر Yinger بين عدة أنواع من أهم الاستجابات الشائعة الخاصة بالاحتكاك التداخلى بين الاديان[١٤] . وقد تأخذ الاستجابات الاشكال الآتية :

١ — أن أديان الآخرين خاطئة ، ويجب أن أعارضهم ، وأحاول أن أجعلهم يعتنقون دينى .

٢ — بالرغم من اختلاف الاديان ، الا نها جميعا يمكن أن تفهم على أنها جهود للنضال ضد المشاكل الانسانية المعقدة . فالاديان تتساوى جميعا فى أنها نافعة .

٣ — طالما أن الادعاءات المختلفة لصدق الاديان المطلق متعارضة مع نفسها ، فالاديان جميعا خاطئة ومن ثم فهى كاذبة .

٤ — الاديان مثل الكثير من الاشياء ، فهى تتغير وتتطور . ولكن بالنسبة للقيم والتأثيرات التى تحدثها فانها تختلف فيما بينها . ولهذا فالحاجة ما زالت قائمة للتمييز بين الاختيارات العاطفية وغير الرسمية بين الاديان .

---

(14) Yinger, J., M., *op. cit.*, PP. 11—13.

والحق أن عالم الاجتماع ، اتفاقا مع دوره المهنى ، لا يتبنى أيا من هذه الافتراضات السابقة ، رغم كونه متفق شخصيا مع أحدهما • فقد يهتم عالم الاجتماع بعالمية وتنوع الدين ، وهذا يجعله يثير نوعا آخر من الاسئلة مثل : ما هى الوظائف التى يؤديها الدين للمجتمع وللافراد ؟ أى الى أى درجة يعمل الدين للحفاظ على استمرارية الافراد والمجتمع فى تفاعل مستمر ؟ • كذلك قد يتساءل عالم الاجتماع عن امكانية الاختلال الوظيفى للدين ؟ وكيف يمكن الاخذ فى الاعتبار التنوع العريض بالنسبة للاعتقاد الدينى والممارسات الدينية بين الجماعات داخل المجتمعات ، كذلك كيف تكون علاقة الدين بالاعتقادات العلمانية والجماعات المتصلة بها ، وانعكاس ذلك على أنشطة مثل الاقتصاد والسياسية والطبقة والاسرة •

جـ) الاسباب التى أدت الى الاهتمام بالدراسة السوسيولوجية للدين :

تعتبر دراسة الدين من الموضوعات التى نالت اهتمام علماء الاجتماع منذ وقت مبكر ، وقد جعل كثيرون من علماء الاجتماع فى القرنين التاسع عشر والعشرين من التحليل السوسيولوجى للدين محورا لابحاثهم ومفاهيمهم عن الحياة الثقافية والاجتماعية ، وكان هذا الاتجاه سائدا فى أعمال العلماء فى الفترة المسماء بالفترة الكلاسكية لعلم الاجتماع والتى امتدت من ١٨٥٠ حتى ١٩٢٠ ، وفيها أنجز دور كيم وفيبر دراستهما الشاملة عن الدين • ويرجع رولاند روبرتسون[١٥] أسباب الاهتمام بدراسة الدين للاسباب التالية :

---

(15) Robertson, S., *The Sociological Interpertation of Religion*. New York : Schcken, 1972 PP. 7—12.

١ ــ هناك نظرة اجتماعية فلسفية للدين على أنه المنبع الاساسى لكل العمليات فى المجتمع الانسانى ، هذه النظرة كان لها أساس فى النسق الثقافى فى المجتمعات الاوربية فى ذلك الوقت • ولهذا نجد فيبر يستخدم دراسته للدين كمفتاح لفهم الاختلافات الجوهرية بين مجتمعات الشرق والغرب • ومن ناحية أخرى نجد دور كيم يعطى اهتماما لدور الدين كعامل أساسى فى تحقيق التضامن والتماسك الاجتماعى،وفى نفس الوقت نجد دور كيم يؤكد أن الدين نفسه ما هو الا تعبيرا عن اعتماد واستسلام الانسان للحياة الاجتماعية المحيطة به • والحق أن الدراسات السوسيولوجية للظواهر الدينية يمكن ارجاعها الى واحد من هذين المدخلين المختلفين لفيبر ودور كيم •

٢ ــ لقد نمت كتابات علماء الاجتماع الكلاسكيين فى الفترة التى كان فيها الدين ما زال موضوعا ذا أهمية فى المجتمعات التى كانوا أعضاء فيها أو فى تلك المجتمعات المتشابهة ثقافيا واجتماعيا مع مجتمعهم •

٣ ــ وساعد التصنيع والتحضر فى العالم الغربى على الاهتمام بدراسة الدين ، فقد غير التصنيع وما لحقه من ظهور المدن الحضرية الكثير من شكل ووظائف الحياة الاجتماعية مثل الاقتصاد والسياسة والاسرة فأصبحت هذه الانظمة مختلفة نسبيا عن بعضها البعض • كذلك أصبحت العلاقة بين تلك النظم مشوهة ، بمعنى آخر أصبحت العلاقة بين الدين وتلك النظم موضع تساؤل •

٤ ــ شهد النصف الثانى من القرن التاسع عشر اهتماما متزايدا للحصول على معلومات عن خصائص المجتمعات غير لاوربية ، المسماة بالمجتمعات البدائية • وقد انعكس وظهر هذا فى كتابات الانثروبولوجيين

الاوائل ، خاصة فيما يتعلق بالنواحى الثقافيـة والاجتماعية الخاصـة بالاديان البدائية والبوذية والهندوسية والاسلام ٠

٥ ــ كل هذا بطبيعة الحال،ارتبط بالتغيرات الاجتماعية والاقتصادية الخارجية والداخلية بالمجتمعات الاوربية فى تلك الفترة ٠ ولا يعنى ظهور هذه الاتجاهات أنها من صنع القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين ٠ والحقيقة أنه يمكن رد هذه الاتجاهات الى فجر التاريخ ولكن التركيز هنا على ظهور الفلسفة العقلانية وظهور الثورة الفرنسية وحركة الاصـلاح البروتستانى والاصلاح المضاد من الكاثوليكية ٠ كل هذا ، بلا شك ، جعل من الدين محورا للتفكير والتساؤل عن دوره فى المجتمع الحديث ٠

٦ ــ تميزت المجتمعات الغربية منذ نهاية فترة العصـور الوسطى باختلافات اجتماعية واسعة النطاق ، فالانشطة الاقتصادية انفصـلت نسبيا عن السياسة ، والسياسـة عن الدين ، والاقتصاد والتعـليم عن الاسرة ، ٠٠٠ وهكذا ٠ ولعل أهم ما يميز الفتـرة الكلاسيكية فى عـلم الاجتماع هو انفصال التعـليم عن الدين ، كذلك ظهور طبقات متميـزة منفصلة تماما عن السلطة الدينية ، ولا شك أن هذا أدى الى ظهور أنماط جديدة لعلاقات السلطة والقـوة والمكانة ٠ وقد ساعدت هـذه العمليات المستمرة على التمايز الاجتماعى بظهور مشاكل جـديدة متعلقة بالحفاظ على النظام فى العـلاقات الاجتماعية وفى تكامل الانشطة المنفصـلة فى الجماعات الاجتماعية ٠ ولعله بسبب هذه التراكمات والتطورات أصبحت الافتراضات الثقافية والتقليدية عن أهمية الدين غير مناسبة ٠ وبالنسبة للصفوات الاجتماعية المتعـددة فالاعتقاد السائد هو أن ما يحتـاج اليه المجتمع الغربى ليس تغيرا فى الجوهر ولكن بعض التعديلات فى المبادىء الدينية واعادة تنظيم النظم الدينية ، وهكذا ظل الارتباط بدعوى التدين

قائما حتى بين الذين ابتعدوا عن التوجيهات الدينية • فقد نظر الى الدين على أنه « وسيلة » لحل الكثير من المشـــاكل السياسية والاضطرابات فى المجال الصناعى • كل هــذا أعطى اهتماما بالغــا بين أعضاء الصـــفوات الاجتماعية المتنوعة ، خاصة السياسية والتعليمية ، بتحليل الدين والتدين ومطالبة العلماء الاجتماعيين باعطاء تفسيرات عن وضع الدين فى المجتمع الحـــــديث •

٧ — وقد ظهر فى فرنسا اتجاها سوسيوجرافيا Sociographic تحت تأثير جابرييل لابراس Gabriel le Bras الذى حـــاول أن يقيـــم خريطة يحدد فيها الارتباط الدينى على أساس الاقـــليم الجغرافى[١٦] • وقد تطور هـــذا الاتجاه باستخدام المنـــاهج المنظمة لجمع البيـــانات ، وحـــاول ايجاد علاقات محـــدودة بين التدين ومتغـــيرات أخرى مثـــل الاختلافات الحضرية الريفية ، والمكانة المهنية • وهكذا • وحاول هـــذا الاتجاه أن ينشغل بمسائل أكثر تعقيدا والوصول الى تفسيرات تحليلية ، واكن هذا أعاق اهتمامه بالنواحى العمليـــة من ناحية وعلاقته باللاهوت الكهنوتى من ناحية أخرى •

٨ — وظهر فى أمريكا اتجاه مماثل خـــلال العشرينيات والثلاثينيات من هذا القرن حاول البحث فى أنماط التدين فى المجتمع الصناعى والتحدى الذى تواجهه الكنائس فى الحياة الحضرية • والحق أن علم الاجتماع فى الولايات المتحدة قد نبع من القالب الدينى البروتستانتى • بمعنى آخر ،

---

(١٦) انظـــر :

Derroche, H., "Areas and Methods of a sociology of Religion, The Work of G. Le Bras," *Journal of Religion*. Vol.XXXV (1955) PP. 34 - 47.

أن علم الاجتماع الامريكى فى بداية هذا القرن كان مهتما بمشاكل الرفاهية الاجتماعية من خلال المنظور البروتستانتى للانجيل الاجتماعى. وقد تطور هذا الاتجاه فى الثلاثينيات تحت تأثير التخصص المتزايد فى العلم من ناحية ، وتحت تأثير علماء الاجتماع المهاجرين من أوروبا والذين حملوا معهم اهتماما بمشاكل فكرية أكثر اتساعا ومتعلقة بالتفسير والتحليل من ناحية أخرى • ولكن بسبب الطبيعة المبكرة المتميزة لعلم الاجتماع الامريكى وبسبب الخصائص الثقافية والاجتماعية للمجتمع الامريكى نفسه ، ظلت دراسة الدين هامة ان لم تكن القوام الحيوى لعلم الاجتماع • والحق أن الخصائص الثقافية والاجتماعية للمجتمع الامريكى فى هذا الصدد تشمل وجود المزيج من الموجهات الدينية ، والطريقة التى تختلط بها هذه الموجهات الدينية لتشكل نمطا يمثل أحد العوامل التى تساعد المجتمع الامريكى على القيام بوظائفه •

٩ — والحق أن التطور السريع لعلم الاجتماع يرجع فى المحل الاول لعلماء الاجتماع فى أمريكا ، وهذا يعنى أن الكثير من اتجاهات علم الاجتماع الدينى قد بدأت ودعمت من أولئك العلماء • وقد تميز علم الاجتماع الامريكى فى الحقبتين الماضيتين بدراسات ذات طبيعة لا هوتية لعلماء الاجتماع الكاثوليك • فلقد حاول هؤلاء العلماء أن يقيموا علم اجتماع ذو نزعة دينية مثل تلك المحاولات التى نمت فى فرنسا • والواقع أن الفروق بين علم الاجتماع الدينى وعلم الاجتماع ذو النزعة الدينية غير واضحة فى الدراسات السوسيولوجية للدين فى أمريكا • فالتطور الحديث يشير الى أن دراسة الدين جذبت العديد من علماء الاجتماع المتخصصين والذين قدموا دراساتهم وخدماتهم للهيئات الدينية ، كما نجد العديد من المفكرين يستخدمون النماذج السوسيولوجية فى التحليل • ولهذا نجد أن علماء الاجتماع الكاثوليكيين فى أمريكا كنتيجة للتخصص

الدقيق فى علم الاجتماع والطبيعة التعددية لنسق الاعتقاد كانوا أكثر ميلا لمعالجة المشاكل السوسيولوجية ذات الطبيعة العامة • وعلى أية حال فان العشرين سنة الماضية قد شهدت انفتاحا على العــديد من جوانب الدين والتدين • وبطبيعة الحال لا زالت هناك مشاكل كثيرة لم تحل بعد والتى تتعلق بقيمــة الافتراضــات الخاصــة بالبحث فى الــدين من جوانبــه الاجتماعية[١٧] •

---

(١٧) يرى أودى O'dea ان علم الاجتماع الدينى لم يحقق نجاحا الا فى الابحاث ذات للطابع الكمى ، وترك العديد من الموضوعات للتى كان لابد أن يتناولها • ويقترح أودى تبنى مدخلا ذو طبيعة متعددة فى دراسة علم الاجتماع الدينــى •

انظـــر :

O'dea, T., F., "The Sociology of Religion Reconsidered," *Sociology and Social Research*. Vol. 31 (Fall 1970) No. 3. PP. 145—152.

٥ ـ امكانية وجود علم اجتماع دينى :

أ) اهتمام عالم الاجتماع بالدين :

لعله بسبب تنوع وثراء مادة البحث فى مجال الدين فانه من الصعوبة بمكان أن يقوم الباحث ببحث سوسيولوجى متميز عن الدين • فالاهتمام بالدين لدى كثير من الباحثين،هو اهتمام بالنواحى الفردية أو الشخصية وقد مال البعض الآخر من الباحثين الى التركيز على الجوانب الفكرية والانتقالية للاخلاق والاعتقاد • وعلى حد ما ذهب اليه وليم جيمس W. James فأنهم مهتمون بالمشاعر والافعال وخبراتهم فى علاقتهم بالمقدس[1] • الا أن جيمس ومن تبعه أغفل فى تعريفه للدين الجوانب العامة والمجتمعية والنظامية ، والتى بلا شك هى الاهتمام الاول لعالم الاجتماع[2] •

والحق أن أهتمام عالم الاجتماع بالدين ليس مثل اهتمام الفيلسوف، واللاهوتى (المتكلم) أو عالم النفس الفردى • فاهتمام عالم الاجتماع بالدين يتركز على الوظيفة العامة للدين فى المجتمعات الانسانية • فهو يهتم بالدين على أنه جانب من جوانب سلوكه وأنشطة الجماعة ، والدور الذى لعبه الدين ، وما زال يلعبه فى تعزيز أو اعاقة استمرار الجماعات الانسانية • على أية حال ، فكلما كان السلوك الدينى محل الدراسة ، أقل

---

(1) James, W., *The Varieties of Religions Experience*. New York : Modern Library, 1937. PP. 31—34.

(2) Nottingham, E., K., *Religion : A Sociological View*. Ney York : Randome House, 1971. P. 3.

فردية وأكثر عمومية ، وكلمــا قلت ندرته وكثر تكراره ، كلمــا كان ذلك السلوك مفيدا لمجال البحث فى علم الاجتماع الدينى •

بالاضافة الى ذلك ، فعالم الاجتماع مطالب بالالتزام بالموضوعيــة objectivity فى دراسته للدين • والحق أن هذا يمثل مشكلة للباحث فى هذا الميدان ، لدرجة أن بعض الباحثين يؤكدون أنه من الصعب تجنب هذه المشكلة « ويؤكد الكثــير من الباحثين ، سواء فى علم الاجتمــاع أو فى الاديان ، أن الدراسة العلمية للدين ، اذا أفتراضنا أمكانية التوصل لذلك، أمر غير مرغوب فيه • فالدين لدى كثير من الناس هو احساس قلبى ، أو أرتبط بمشاعرهم ، وأرتبطت مشاعرهم بطقوسه التى أصبحت مقدمة من خلال مشاركتهم فيهــا • ولهذا فمن الصعب عليهم أن يتصوروا القيــام بدراسة موضوعية للاديان التى يعتنقونها •

فعلى الرغم من امكانيــة القيام بمثل هــذا النوع من الدراســة الموضوعية على أية حال ، الا أن المشكلة الحقيقية تكمن فى مدى وجــود الرغبة لدى الباحث ، وقد يرجع ذلك الى أن الدين قائم على الاعتقــاد أو الايمان ولذلك يخشى أن الدراسة الموضوعية للدين ربما قد تضعف الايمان وتحلل وتقلص الولاء الدينى religions allegiance • والباحث فى الدين مطالب بتقصى الحقيقــة ، لذلك يجب أن يتحكم فى مشــاعره ويجنبها عن موضوع بحثه • وعلى الرغم من كل ذلك فمن المستحيل بمكان اثبات أن تحليل الدين بواسطة العلم يعتبر مفيدا بوجه عام ، ولكن يمكن القول بأنه على المدى البعيد ، سوف تحقق نتائج استخدام الدراســة العلمية للدين كثيرا من الفوائد فاستمرار الجهل والتحيز قد يكون له على المدى البعيد أضرار بالغة بالانسانية •

ومن ناحية أخرى فقد كان الاعتقاد الذى ساد لفترة طويلة هو « أن

أى شىء هـــام عن الدين يمكن أن يعرف بالدراسة الموضوعيـــة » ولكن الدراسات الحديثة عدلت عن هذا الاعتقاد • فيذهب ينجر J.M. Yinger على سبيل المثال ، الى أنه بالنسبة للعالم الاجتماعى • لم يعد هنـــــاك تأكيد على أن كل شىء هام عن الدين يمكن أن يكون فى متناول الملاحظ الموضوعى »[٣] • ويرى ينجر أن الدراسة العلمية للدين ســـوف تكسب الكثير بتبنى هذا المفهوم المتواضع • ولا يعنى هذا أن الباحث قد يحجم عن فحص كامل لبحثه • ويؤكد ينجر على أن الباحث قد يكسب الكثير فى نظرته الى الدين من الداخل inside أكثر من نظرته من الخارج outside وبالرغم من أن ينجر لم يبين لنا كيف يمكن أن يتم ذلك ، الا أنه على أى حال ، أكد أنه من الخطـــأ الاعتقاد بأن المرء الذى يقوم ببعض أشـــكال الممارسات الدينية يمكن أن يقول شيئا له قيمة أو معنى عن الدين لمجـــرد قيامه بتلك الممارسات•وهنا يفرقينجر بين المدخل السوسيولوجى والمنهج اللاهـــوتى ، فالباحث ، حتى ذلك الذى لا ينتـــمى الى أى دين ، قـــد يستطيع أن يقوم بدراسة علمية عن أديان أخرى مخالفة لما يعتقده • ان كان له اعتقاد • فالباحث مطالب بعدم التعصب لاى ملاحظة ، فكل مدخل قد يمـــده بمعلومات قيمة تســـاعد على تطوير نظريتـــه عن الدين[٤] • وباختصار ،هناك اتجاه سائد بين علمـــاء الاجتماع يؤكد على أن ، مـــن المغالاة الاعتقاد فى أن الافتراضات السوسيولوجيـــة للدين مهما كانت درجة موضوعيتها قد احتوت المعنى الكلى للدين • ومن حسن الحظ أن علماء الاجتماع اليوم أكثر تواضعا فى ادعاءاتهم وهذا الاعتدال يســـاعد على الدراسة الاجتماعية ــ العلمية للدين •

---

(3) Yinger, J., M., *The Scientific Study of Religion* London : The Macmillan company, 1970. P. 2.

(4) Yinger, J., M., op. cit.,

كل هــذا يؤدى الى حقيقة ثابتة هــى أن هناك أشياء غير مرئيــة "Things Unseen" فى الدين لها اهميتها فى الحيــاة الاجتماعيــة ، ولا يمكن تطبيق مناهج العلوم التجريبية عليها • وهذا لا يسيىء بحــال الى طبيعة الحقائق والاساليب المستخدمة فى العلوم الطبيعية ، ولكن يبين فقط أن حقائق العلم الطبيعى ليست وحدها الحقائق التى يعيش بها الانسان• حتى العــلم نفسه يمكن النظــر اليه ، ليس على أنه مجموعة طــرق أو اجراءات معينة أو وسيلة لتحقيــق بعض الغايات ، ولكنه فى الحقيقــة « ايمان » ــ ايمان بالقوة المطلقة للعقل الانسانى على الفهم والتحكم فى الـــكون(٥) •

والباحث فى علم الاجتمــاع الدينى عليه أن يحدد الجــوانب التى يهتم بها فى دراسته للظاهرة الدينية أو النظام الدينى • ولا يفهم من هذا أن على عالم الاجتماع أن يضيق من مدخله ولا يهتم بمساهمات العــلوم الاخرى مثل علم النفس ، والانثروبولوجيا واللاهوت • وعلى الرغــم من أن أهتمام عالم الاجتماع ، يختلف عن اهتمام عالم النفس فيما يتعلق بالظاهرة الدينية الا أن تفهم عالم الاجتماع للدين كظاهرة عامة ، الدافعية الدينية خاصة قد يتأثر بلا شك باسهامات علماء النفس من أمثال وليــم جيمس W. James ، جــوردون البــــورت Gordon W. Allbort وسيجموند فــرويد S. Freud • كذلك فان أعمــال بعض علمــاء الانثروبولوجيــا من أمثال مالينوفســكى B. Malinowski وراد كليف ــ براون A. R. Radcliff-Brown قد ساعدت علماء الاجتماع فى فهم الكثير من الظواهر الدينية خاصة فى المجتمعات البدائيــة • حتى اللاهوت ــ بغض النظر عما كان يعتبر علما أم لا ــ قد يساعد عالم الاجتمــاع فى

---

(5) Nottingham, E., K., *op. cit.*, P. 5.

مهمته . حقيقة أن عالم الاجتماع ليس مطالبا باعطاء أى حكم معيارى على الحقيقة أو الظاهرة محل الدراسة ، أو على صدق أو كذب أى نسق دينى معين ، الا أنه مطالب ، على أية حال ، بمعرفة تأثير أنساق الاعتقاد على السلوك الاجتماعى . فدراسة الانساق الاعتقادية أو اللاهوتية تمد عالم الاجتماع ببيانات هامة لا يمكن تجنبها . ولا شك أن رجال اللاهوت من أمثال بول تليك paul Tillich ورهينهولد Rhoinhold ونيبور Niebur ومارتن بوبر Martin Buber قد أثروا فى الفكر السوسيولوجى خاصة فى بيان الدور الاجتماعى للدين . وكما تشير اليزابيث نتنجهام فان اغفال هذه التأثيرات المتبادلة من العلوم الاخرى قد تكون نتيجته علم اجتماع دينى « عاجز »[٦] .

ب) المدخل السوسيولوجى لدراسة الدين :

ان الافتراض الاساسى الذى يبدأ منه عالم الاجتماع فى تحليله للدين فى حقيقته بسيط للغاية مؤداه أنه لا يمكن فهم الدين بمعزل عن باقى أنظمة المجتمع . فالدين جزء من نسق يتأثر ويؤثر فى العمليات الاقتصادية والسياسية فى المجتمع ، وفى أنماط الاسرة والتكنولوجيا وفى طبيعة المجتمعات المحلية . فلو تغير أحد أجزاء النظام فان كل الاجزاء الاخرى قد تتأثر بطريقة أو بأخرى . فلو أنتقل الناس من القرى الزراعية الى المناطق الحضرية فان حياتهم الدينية سوف تتأثر بطريقة حيوية ، واذا مر المجتمع بتطور فى التعليم والتنقل الاجتماعى والعلم ، فان الاديان فى مثل هذا الموقف سوف تمر بتغيرات هامة ، ليس فى أشكالها الظاهرة ولكن فى طرقها الاساسية . ولو أن دينا جديدا قد بدأ ينشر بقوة فى مجتمع ما فان بناءه الاجتماعى برمته سوف يشعر بوطأة هذا التغير ، وفى الوقت نفسه نجد أن هذا البناء سوف يعدل من الدين الجديد الذى يستوعبه[٧] .

---

(6) Nottingham, E., K., *op. cit.*, P. 6.

(7) Yinger. J., M., *Sociology Looks at Religion. op. cit.*, P. 18.

وكما سوف نشير فيما بعد ، فان عالم الاجتماع يتبنى مفهوما آخـــر يسمى الوظيفة Functionalism، ويعنى هذا المفهوم أن الاجزاء الدينية للبناء الاجتماعى يمكن أن تفهم على أنها جهـــود للقيام بوظائف معينـــة حيوية بالنسبة للمجتمع • وبناءا على هذه النظرة ، فان المجتمعات ليست مغلقة على نفسها أو غير قابلة للتغير • فالحـــركات الثورية ، على سبيل المثال ، قد تهاجم البنـــاء النظامى فى المجتمـــع ، خاصة أنظمة الحـــكم والاسرة والدين•وقد تنتج وتكتسب هذه الحركات الثورية القوة والسلطة فى المجتمع،وذلك بسبب الاغتراب والتوتر المنتشر بين أعضاء المجتمع•وغالبا ما يكتشف القادة أن كثيرا من الوظائف الضرورية للحياة فى المجتمع قـــد تستمر باعادة اقامة الانظمة التى هوجمت أو بخلق بعض نظائرها •

هذا المفهوم الوظيفى عندما يطبق على الدين يعنى أن كل مجتمع له دين حتى ولو أعتبر مجتمع لا دينى anti-regiion • وبكلمات أخـــرى ان فى كل مجتمع نوع من أنماط الاعتقاد والفعل الدينى ، والتى بواسطتها يستطيع المجتمع والفرد القيام بوظائف حيـــوية معينة • وربما لا يكون الدين على ما يرام من وجهة نظـــر الباحث أو أى انسان آخـــر ، وذلك لانه لا يؤدى وظائفه بطريقة مرضية • ويذهب ينجـــر الى أن تصـــور مجتمع بدون وجود نسق تكاملى للقيم هـــو فى حد ذاته تناقض لفظى ، حيث أن طبيعة المجتمع الانسانى تقتضى وجود مثل هذا النسق[٨] •

والحق أن دراسة الدين تمثل مكانة غير ثابتة بين فروع علم الاجتماع الاخرى ، وترى سوزان بود Susan Budd أن دراسة الدين تتميـــز

---

(8) Yinger, J., M., *Sociology Looks at Religion op. cit.*, P. 19.

بأنها « ميدان للسلوك ما يزال يبحث عن نظرية ومنهج ناجح »(٩) • وقد تركز العديد من الدراسات النظرية فى مطلع هذا القرن على دراسة الدين فى المجتمعات البسيطة والبدائية ، الا أن هذا الاتجاه قد بدأ يتغير الآن • وبالرغم من الدراسات الهامة فى هذا الميدان الا أنه ليس هناك أحكام نظرية مقبولة يمكن أن تعد بمثابة أساس لمعلومات جديدة وتحليل متميز • ولعل أحياء الاهتمام بالدين راجع الى الاعتقاد العام بأن هناك شيئا حاسما وهاما فى دراسة المجتمع بوجه عام وأن فشله راجع الى تجنب التحيز الذى منع تقدم علم الاجتماع عامة(١٠) •

ويرجع الاهتمام بالدين الى القلق المتزايد فى المجتمع الصناعى والذى بلغ حدا كبيرا وذلك بشأن أرتفاع معدل اضطراب انماط السلوك وما اذا كان ذلك يتصل بطريقة أو بأخرى بتدهور مكانة وقوة الفكر الدينى والانظمة الدينية • وقد يرجع الاهتمام أيضا الى محاولة توسيع مجال علم الاجتماع وذلك بدراسة موضوعات أهملت منذ فترة طويلة مثل المعرفة والافكار والمعانى الذاتية • ولعل سبب اهمال دراسة الدين حتى وقت حديث يرجع فى اساسه الى أن المنظرين للدين فى القرن التاسع عشر كانوا يعتنقون وجهات نظر ليبرالية عن الدين • بمعنى انهم كانوا ينظرون الى الاعتقاد الدينى على أنه خطأ فكرى ، وان تقدم العلم

---

(9) Budd, S., *Sociologists and Religion, London* : Collier Macmillan Publishers, 1973. P. 1.

(١٠) انظر :

Yinger, J., M., "The Present Status of the Sociology of Religion", in R. D. Krudten, *The Sociology of Religion : An Anthology*. New York : Appleton — Ceutury — Crafts, 1967, PP. 26-38.

والعقلانية سوف يؤدى الى اضعافه واخفاقه لدى افراد المجتمع ككل • فالدين يهتم به من الناحية التاريخية ولكنه لا يناسب المجتمع الحديث • وظلت الدراسات الخاصة بعلم الاجتماع الدينى تأخذ الشكل النظـرى فى كثير من الاحوال ، ودرس علم الاجتمـاع الدينى من جانب علمـاء يعتقدون ان الدين بمعنى أو بآخر غير حقيقى وغير عقلى فى المجتمعـات الحـديثة •

وحديثا فان كثيرا من الباحثين ، رغم تأثرهم بالابتعاد عن الاعتقادات الميتافيزقية الا أنهم تبنوا وجهة النظر القائلة أن الدين يمكن أن يناقش ويحلل ويفسر دون مناقشـة صـدق أو كذب الاسس القائمـة عليها الاعتقادات وانتشر هذا الاتجـاه المرغوب فيه بين الباحثـين المعتنقين للوظيفية الدينية وبين اللاهوتيين الاحرار ، رغم أن بعض اللاهـوتيين يرون ان الدين « الحقيقى » يوجد فى الاعتقاد ، وهو ما لا يمكن لعـلم الاجتماع أن يصل اليه عن طريق الوصف •

وهكذا انتقلت دراسة الدين بسرعة الى مجالات ، حيث الاعتقادات والسلوك المرتبطة بها ليست هى محور التفسير • ولعل الكثير من البحوث الناجحة قد اكتملت فى المجـال الذى استخدمت فيه المناهـج الوضعية وغيرها من المناهج[11] من ذلك مثلا ، دراسة العلاقة بين معـدل التردد على الكنيسة والخصائص الديموجرافية والاقتصادية والاجتماعية ككل • كما ظهرت دراسات أخرى لا تناقش مشكلة صدق أو كذب الاعتقادات ، كدراسة التنظيم الدينى وأنماط التردد على دور العبادة •

ولقد ألقى البحث فى هذا المجال الضوء على مشكلة الدور الذى يلقيه

---

(11) Budd, S., *oP. cit.*, P. 3.

الدين فى المجتمع ، ولكنه « حذف كثيرا من معالم الانظمة الدينية »(١٢) .
حقيقة قد ساعدت الطرق والنظريات التى ثبت نجاحها فى فروع علم الاجتماع الاخرى ، على فهم الظاهرة الدينية ، ودعمت هذا الفرع الجديد — علم الاجتماع الدينى — الذى عانى من التأمل غير المضبوط للحقائق . وعندما استخدم المنهج الاحصائى كمدخل منظم لمعالجة البيانات العلمية ظهرت له بعض العيوب من أهمها نظرته للدين باعتباره عديم الاهمية ومن ثم لا ينبغى دراسته ، فالسلوك الدينى فى المجتمعات الصناعية يمكن قياس تناقصه بسهولة من ناحية ، كما يمكن قياس التصاقه بالنساء والكبار من أفراد الطبقة العاملة غير الماهرة من ناحية أخرى .
وهذه الطريقة لا تمثل ، بالنسبة لهذا الاتجاه ، أية أهمية نسبية فى تشكيل المجتمع والسياسة والقوة ، طالما أنها طريقة هامشية وتعتمد فى وجودها على غيرها . وكشفت البحوث فى هذا الاتجاه أيضا أن الدين غير مؤثر نسبيا فى المجتمعات الحديثة كمحدد للاتجاهات والآراء والسلوك المتعلق بالسياسة والاخلاق والحياة الاقتصادية . وهكذا حظيت دراسة الدين بأهمية ضئيلة فى المجتمع الحديث .

وقد عرف الدين من خلال الاعتقاد ، ولكن لم يعد الاعتقاد مؤشرا كافيا لذلك ، اذ استبعدت الاعتقادات كقوى سببية فى تفسير الفعل الانسانى ، ولذا يعرف الدين من خلال أنظمته والسلوك القابل للقياس .

انظر :

(12) Shneider, L, “The Sociology of Religion : Some Areas of Theoretical Polential,” *Sociological Analysis*. Vol. 3 (fall 1970) No. 3. PP. 131 - 144.

Allardt, E., “Approaches in the Sociology of Religion”, *Temenos Vol*. 6. 1970. 7 - 19.

ولكن هذه الطريقة دعمت فكرة هامشية الدين وعدم أهميته فى المجتمع الحديث • ولكننا نجد اتجاها حديثا ظهر بتأثير من الفلسفة الوجودية تبدو فيه التجربة الذاتية والاعتقاد مرة أخرى محورا للدراسات السوسيولوجية وتحت تأثير هذا الاتجاه ، نجد الكثير من البحوث المهتمة بالتدين Religionsity (١٣) •

ولعل دراسة برجر Berger ولكمان Luckmann كما سوف نرى فيما بعد ، تعد من الدراسات التى تركز على دراسة الافكار الدينية كقوى فعالة فى كل مجال من مجالات الحياة والتى تشكل تجربة وسلوك الناس • ويعتقد هذان المؤلفان أن الدين ما زال مستمرا رغم تضاؤله فى المجتمع الصناعى • وربما يرجع اهمال دراسة الدين الى الاتجاه الوضعى فى علم الاجتماع ، الذى أهمل دراسة المجال الذاتى للحقيقة الاجتماعية• فهذه الطبيعة الذاتية لتجربتنا فى المجتمع هى التى تخلق تجاربنا وتحدد اختيارتنا • وقد أخذت هذه التجربة الشكل الموضوعى من خلال اللغة ، ومع أهميتها الكبرى فى الفعل الانسانى الا أن جزءا بسيطا منها هو الذى يتجسد فى نظام • وباختصار ، يعتقد برجر ولكمان أن كل الناس يجب أن يتقبلوا وجهة النظر المنظمة للواقع ليجنبوا أنفسهم أية اضطرابات فمثل هذا الواقع المنظم اجتماعيا يكون للدين فيه دورا حاسما فى بنائه والحفاظ عليه وفى أوقات الازمات تبدو ضرورة تكرار الصيغ الدينية لتأكيد أن عالمنا لم يخرج عن انتظامه • ويلاحظ أن هذا الاتجاه يضع علم الاجتماع الدينى داخل مجال علم اجتماع المعرفة ، ويتناول كليهما على أنهما أبنية أخلاقية وفكرية وشرعية للمجتمع ، فضلا عن اشتمالهما على الابنية العلمية والسيكولوجية والسياسية(١٤) •

---

(13) Budd, S., *oP. cit.*, P. 4.

(١٤) أنظر :

=

جـ) دعوى علم الاجتماع الدينى :

ان مناقشة مشكلة امكانية وجود علم اجتماع دينى[١٥] ، تقتضينا مناقشة العلاقة بين التفسيرات الدينية والتفسيرات السوسيولوجية ، فمن الواضح أن بعض المداخل التى تبناها الكتاب المبكرين والمعاصرين ذات قيمة للدراسة السوسيولوجية للدين عن غيرها • وبادىء ذى بدء نقرر أن المسائل المنهجية الاساسية التى تواجه علم الاجتماع الدينى هى نفسها الى نجدها فى علم الاجتماع • كما يمكن القول أن الانتقادات التى توجه الى علم الاجتماع الدينى يمكن أن توجه أيضا الى كل علماء الاجتماع فى الفروع الاخرى[١٦] •

ويمكن مناقشة المشكلة ، المشار اليها سلفا ، على مستوى آخر • فهل ما نريده علم اجتماع له نزعة دينية Religious Sociology [١٧] وهنا

=

Bergar, P., L., Luckman, T., "The Sociology of Religion and the Sociology of Knowledge," *Sociology and Social Research*. Vol. 47. (1963) No. 4, PP. 417 - 427.

(15) Nelson, Benjamin, "Is the Sociology of Religion poosible A reply to R. Bellah", *Journal of the Scientific Study of Religion*. Vol. 9. (1970) No. 2. PP. 107 - 111

(16) Hill, M., *A Sociology of Religion,* New York, Basic Books, Inc., 1973, PP. 5 - 6.

(١٧) اسم علم الاجتماع ذو النزعة الدينية مستمد من التسمية الفرنسية Sociologie religluse وهى مرتبطة باسم عالم الاجتماع الفرنسى جابرييل لابراس Gabriel le Bras • وقد حدد (لابراس) برنامج هذا العلم بقوله (انه يحتوى كل الاديان ، سواء القديم والحديث ، والمتداولة وغير المتداولة وكل العلوم تتعاون فى هذا المجال •••) ويلاحظ أن لابراس جعل نقطة انطلاقه فى هذا العلم هى الاعتقاد اللاهوتى theological للجماعة الدينية ولا شك أن هذا يثير العديد من المشاكل فيما يتعلق بالكيفية التى يقوم بها الباحثبالدراسة من الداخلومع هذا يحتفظ بالموضوعيةوالتقييم الصحيح =

بكون الدين صفة مسبقة أم أنه علم اجتماع دينى The sociology of religion حيث يأتى الدين كاسم لاحق •

والواقع أن هناك اختلافا هاما بين هذين العلمين • فعلم الاجتمـــاع ذو النزعة الدينية هو نوع من البحث يأخذ موجهاته واتجاهاته الاساسية من مصادر لاهوتية وليس من مصادر نظرية سوسيولوجية • ولهذا نقول أن الافتراضات النهائية لهذا العلم ليست داخل مجال علم الاجتمــاع • حقيقة ، قـــد يناقش علمـــاء الاجتماع الاختـــلافات القائمة فى التـــراث الاجتماعى والمتضــمنة لبعض الافتراضات المسبقة عن طبيعة الانســـان ومكانته فى المجتمع ، ولكن عالم الاجتمـــاع ذو النزعة الدينية يســـتبعد بالضرورة مناقشة مثل هذه القضايا لان مناقشاته وحججه تنتمى الى مجال آخر • وطالما أن موجهات علم الاجتماع ذو النزعة الدينيـــة معترف بأنها خارجة عن علم الاجتماع وعن نطاق البحث السوسيولوجى • فأن فهـــم

= ويتجنب استخدام المادة العلمية تدعيم معين ويرى هيل أن الفهم الذى يمكن الباحث الذى ينتمى الى دين أو لمجتمع معين أن يقدمه لا شك فى أهميته لتفسير الجوانب الداخلية الموجهة للفعل الاجتماعى ، ولكن هذا لا يعنى أن هذا الفهم هو فهم العضو ، وبمعنى آخر أنه ليس من الضرورى أن يكون الباحث عضوا منتميا الى دين معين لكى يتسنى له فهمه •

Ibid., PP. 9 — 11.

انظـــر أيضـــا :

Robertson, R., *The Sociological Interpretation of Religion. op. cit.*, PP. 10 — 11.

Le Bras, G., "Roligious and Science of Religions" in J. Brothers (ed.) *op. cit.*, PP. 129 — 149.

Piulat, T., "Religious Sociology and its Aims", in J. Brothers (ed.) *op. cit.*, PP. 151 - 166.

مصطلح علم الاجتماع فى هذا السياق هو اشـــارة الى منهج method أكثر من كونه نشاط عقلى مستقل[١٨] •

ولعل من أهم المسائل التى تواجه علم الاجتماع الدينى هى النظـــر الى الظواهر الدينية باعتبارها خارجة عن البحث الانسانى وتعلو أى تأثير من البيئة الاجتماعية ، ومن ثم فهى خـــارج نطاق أى علم أمبريقى مثـــل علم الاجتماع ، ووجهة النظر هـــذه تستبعد امكانية ملاحظة الظواهـــر الدينية ، ولهذا فان علم الاجتماع الدينى يصبح أمرا مستحيلا • ويلاحظ هيل أن المناقشة هنا تتخذ شكل الدفاع عن الدين الذى ينتمى اليه الباحث والذى يحاول أن ينأى به عن البحث السوسيولوجى أو يحاول استخدام الطرق الخاصـــة بالبحث السوسيولوجى فى دراســـة التـــراث الدينـــى للاخـــرين[١٩] •

---

(١٨) يذهب هيل الى أن التفرقة بين هـذين المسميين توجد أيضا فـــى فروع عـــلم الاجتماعالاخرى وهناك تسميات مثل علم الاجتمـــاع السياسى Political Sociology وعلم الاجتماع الصناعى Industrial Sosiology وعلم الاجتماع التربوى Educational Sociology ، تمر بلا مناقشة ويتساءل ، هل الافتراضات الاساسية لعلم الاجتماع السياسى لا تعكس مداخل مختلفة لبعض الكتاب السوسيولوجيين الذين لهم اتجاهاتسياسية معينة؟كذلك علمالاجتماع الصناعى ، كان يبحث تأثير مدرسة العلاقات الانسانية وانتقد بسبب قبـــوله بالمعيار الادارى القائل بالكفاءة وتحقيق أقصى انتاج • ويرى هيـــل بالنسبة لعلم الاجتماع التربوى أن هناك أختلافا بين الفرعين Eductional Sociology Sociology of Eduction على اعتبار أن الاول يشير الى الاهتمام بالمسائل التربوية ، بينما يهتم الاخر بالمشاكل السوسيولوجية •

Hill, M., *op. cit.*, P. 6.

(19) Hill, M., *oP. cit.*, P. 7.

هنا يشير هيل الى دراسة ورنر ستارك Werner Stark عن المسيحية فى كتـــابه :

=

ان امكانية قيام علم اجتماع دينى تكمن فى رفض الادعاء القائل بأن الدين ليس فى متنـاول أدوات البحث الامبريقى المسـتخدمة فى عـلم الاجتماع ، والاساس الذى يعتمد عليه علم الاجتماع الدينى فى هذا هو التسليم بأن الاعتقادات الدينية يعتنقها ويتمسك بها الناس ويأخذ الجزء الخارجى أو المرئى منها أشكالا اجتماعية وطالما أن علم الاجتماع يدعى محاولة التوصل الى المعرفة النظرية المنظمة عن النشاط الاجتماعى والنظم الاجتماعية فليس هناك ثمة ما يدعو لعدم تطبيق هذا على ذلك الجانب من الانظمة الدينية • ومن ناحية أخرى ، فعلى الرغم من أن متطلبات عـلم الاجتماع تقتضى قيام الملاحظ باعطاء أحكام عن الجوانب المختلفة للظاهرة محل الدراسة ، فان هذا المطلب لا يعنى أن الباحث يستطيع التوصل فى كل حالة الى تفسير كامل للجوانب المختلفة للظاهرة • بمعنى آخر ، ان مـا يعتبر ذا معنى بالنسبة للفاعلين لا يمكن أن يفسر كلية فى ضوء الاهـداف التى يمكن أن تكون قابلة للقياس الامبريقى • فلو قصرنا البحث عـلى تلك الأنشطة التى يمكن أن تقاس وتختبر فاننا نكون بذلك قد أسأنا فهم ما هو ذو معنى للفـاعلين(٢٠) •

هذا ، ويمكننا القول بأن علم الاجتماع الدينى هو واحـد من العلوم

Stark, Werner, *The Sociology of Religion : A Study of* = *Christendom* (Routledge and Kegan Paul, London : Vol. 1. Estatablished Religion (1966), Vol. 11. Sectarian Religion(1967) Vol. III. The Universal Church (1965) . Vol. IV. Types of Religions Man (1969).

ويلاحظ هيل أن ستارك خرج عن (دوره كعالم اجتماع عند مناقشته فكرة الكنيسة العالمية وأصبح مدافعا عن المسيحية) •

Ibid., P. 8.

(20) Hill, M., *op. cit.*, PP. 14 - 15.

التى تهتم بدراسة الدين ، وان كان هناك مداخل عديدة تحاول استخدام مناهجها وطرقها الخاصة[٢١] فى دراسة الظواهر الدينية • وقد يبدو عالم الاجتماع مهملا لبعض المداخل والطرق الخاصة باصدار التقييم ، من ذلك مثلا ، رفضه اصدار حكم بشأن مشكلة ما يمكن اعتباره وحيا صـادقا • ان موقف عـالم الاجتماع ينبغى ألا يفهـم على أنه يرى ضرورة رفض امكانية اصدار مثل هذا النوع من الاحكام ، ولكنه يرجـع الى أنه ليس مؤهلا لاصدار هذا الحكم وقد نجد اللاهوتى أو الانسان المؤمن قـادر على اصدار مثل هذه الاحكام ، ولكن كلاهما بادعائه ذلك يكون خارج عن مجال علم الاجتماع•ولا يعنى هذا أن عالم الاجتماع لا يهتم بالادعاءات اللاهوتية وخاصة الادعاءات التى تناقشـها الجماعات الدينية المتنـوعة داخل نفس التراث الدينى ولكن اهتمامه بها يرجع الى أنه يعتبرها وقائع اجتماعية لا يمكن أن يفصل بينها •

ولا يعنى هذا أنه من المستحيل أن يكون الباحث مؤمنا ، وفى الوقت نفسه عالم من علماء علم الاجتماع الدينى • والحقيقة أن وجود كثير من علماء الاجتماع فى هذا الميدان مع انتمائهم الى أنساق اعتقادية متباينـة يدحض ذلك الرأى • والاعتقاد بعكس هذا يدعـونا اذن الى التشكك فى علم الاجتماع فى عمومه خاصة وأن علماء الاجتماع فى معظم الاحيـان أعضاء فى نفس المجتمعات التى يدرسونها • وفى الوقت نفسه يتبنى عالم الاجتماع دورا معينا فى أبحاثه • وهذا الدور محدد جزئيا باطار نظـرى

---

(٢١) يرى P. H. verijhof أن علم الاجتماع الدينى ليس علمـا دينيا ، ولكنه علم سوسيولوجى ، أى الدراسة العلمية للكائنات البشرية وعلاقاتهـا الجماعية ، ويعتبر الدين موضوعا مناسبا لهذه الدراسة طالما أنه يساعد عـلى استخراج نتائج عن العلاقات الانسانية •

Verijhof, P., H., "What is the Sociology of Religion," in J. Brothers, (ed.) *Readings in Sociology of Religion* Oxford : per gamon press, 1967. P. 29.

يطور فروضه من خلاله • ومن ناحية أخرى يتحدد دوره بالتقييم النقدى الذى يمارسه علماء الاجتماع وتطبق تلك المقاييس على عالم الاجتمــاع المؤمن بشدة أكثر من زميله الذى لا ينتمى لاى نســق اعتقادى • ولهذا يوجه النقد الى ستارك Stark وكتابه عن علم الاجتماع الدينى الــذى عالج فيه المسيحية وذلك لانه تعدى دوره كعالم اجتماع ليكون مدافعا عن احدى الجماعات المسيحية[22] •

والخلاصــة أن علم الاجتمــاع الدينى يصبح ممكنا لو أنــه تجنب الادعاءين التــاليين :

الاول ، رفضه وجهة النظر القائلة بأن الدين يعتبر تجربة انسانيــة منتظمة ومستقلة بنفسها ، وأنه نشاط لا يخضــع للتأثيرات الاجتماعية ، ومن ثم فهو لا يخضع للطرق الامبريقية المستخدمة فى علم الاجتمــاع • والادعاء الثانى ، وهو الذى يفترض أنه من الضرورى ارجاع الدين الى عنــاصره الحقيقية التى يمكن أن نجدها كامنــة فى البيئة الاجتماعيــة والاقتصادية للذين يؤمنون به • وهذا معناه أن علم الاجتمــاع ســوف يتخذ بالضرورة شكلا نقديا للدين • ان علم الاجتماع الدينى اذا ما أراد أن يحقق وجوده عليه أن يتبنى وجهة النظر المعتدلة التى تدعى أن التفسير السوسيولوجى ان هو الا واحد من المداخل التى تدرس الدين ، وهو فى هذا لا يهتم باصدار أحكام أساسية بشأن ما اذا كان الدين محل الدراسة حقيقى أم أنه غير ذلك اذ يقوم المدخل السوسيولوجى للدين على أساس الاعتراف بأن الواقع ذو المعنى بالنسبة للذين يعتنقــون أشكالا دينيــة معينة يشكل مجالا أساسيا للبحث السوسيولوجى ، وهو ما نطلق عليــه علم الاجتماع الدينى •

---

(22) Hill, M., *op. cit.*, PP. 15 - 17.

د) علاقة علم الاجتماع الدينى بعلوم الدين الاخرى :

من الملاحظ أن الانسان يثير من آن الى أخر عديد من التساؤلات التى تنطوى على المعنى الحقيقى لحياته ومصيره • فقد يتساءل عن سبب وجوده فى هذا العالم ، وما اذا كان ينتمى الى عالم آخر ، واذ كان الامر كذلك ، فما هى طبيعة هذا العالم الآخر • والواقع أن هناك دافعا قديما وقويا للعثور على اجابة عن هذه الاسئلة • وفى محاولة الوصول الى تلك الاجابة ، تؤكد الاديان وجود عالم آخر غير الذى نعرفه وهو العالم « الماورائى » aerealm of beyond لهذه الطبيعة • ويؤكد August K. Reischamer بأن هناك اعتقادا تؤكده معظم الاديان مؤداه أن العالم الذى نخبره بالحواس ليس هو كل الحقيقة ، بل أن هناك عالما آخر فوق الحواس World Super — Sense يتسم بالواقعية ويمثل الجانب العميق من الحقيقة(٢٣) •

وقد ظهرت الاديان للاجابة على كل التساؤلات ، وفضلا عن تقديمها الاجابات الفكرية على التساؤلات المشار اليها فهى تتطلب بعض الممارسات الشعائرية ، ولهذا يعد الاعتقاد والممارسات الدينية من أهم السمات المميزة للمجتمع الانسانى • ولم يكتف الناس بالصلاة والعبادة والتضحية بل أخذوا يعمقون فكرهم عن تلك الاسئلة ، ومن هنا ظهرت الدراسات الخاصة باللاهوت Theology ، وفلسفة الدين Philosophy of Religion ومقارنة الاديان Comparative Religion • وخلال القرن الماضى ظهر علم الاجتماع بادعاء جديد لدراسة الظاهرة الدينية متمثلا فى الدراسة الاجتماعية للدين والتى تحاول أن تجعل منه دراسة وضعية اجتماعية •

---

(23) Berger, H., Luckmann, T., "Sociology of Religion and Sociology of Knowledge, *op. cit.*, PP. 417 - 427.

ويرى روجيه باستيد امكانية وجود علم اجتماع دينى وذلك لاعتبارين : الاول ، اننا نرى فى الدين رابطة بين الجماعة الانسانية والاله • والثانى، أن الجماعة الانسانية تتفق على عقائد معينة وتشارك فى الطقوس الخاصة بها ولما كان علم الاجتماع هو دراسة الجماعة الانسانية ، فقد أخذ يهتم بالدين على أنه أحد المقومات الاساسية للجماعة الانسانية(٢٤) •

ولقد تطورت الدراسات الخاصة بالدين ، وتبين أن لعلم الاجتماع الدينى موضوعا خاصا به وهو دراسة تكون الدين وتطوره ، ودراسة النظام الدينى وعناصره وكيف يعبر هذا الدين عن حياة الجماعة وتطورها •

وفى البدايات الاولى للتفكير فى علم الاجتماع الدينى ، نجد امتزاجا واضحا بين علم الاجتماع الدينى وتاريخ الاديان المقارن • فقد ذهب البعض الى أن « أبحاث علم الاجتماع الدينى انما تتصل بها فى تاريخ

---

(٢٤) باستيد ، (روجيه) مبادىء الاجتماع الدينى • ترجمة محمود قاسم • القاهرة • مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٥١ • ص ١١ • يذهب روجيه باستيد الى تحديد مجال الدراسة فى علم الاجتماع الدينى بقوله : (•• ان الفكرة التى يكونها الناس لانفسهم عن وجود علاقة بينهم وبين آلهتهم ، والتى تختلف صورها من عصر الى آخر ، تصلح أن تكون موضوعا لدراسات مشروعة • ولكنها لا تعبر بأى حال عن علاقات اجتماعية يمكن الكشف عنها بطريقة موضوعية وحينئذ فليس ثمة مجال لدراسة المجتمع الذى يتكون من الآلهة والبشر ، بل هناك مجال لدراسة الافكار التى قد يكونها الانسان لنفسه عن مثل هذا المجتمع • وهنا ننتقل فى هذا الحال الى الفكرة الاخرى التى يقول بها علم الاجتماع الدينى وهى الفكرة التى يكونها لنفسه من يدرس الجماعات التى تنشأ على أساس الاشتراك فى العقائد والمعاملات • وتلك هى فكرة الاكثرية الساحقة من علماء الاجتماع) • المرجع السابق ، ص ١٢ •

الاديان المقارن وفى دراسة الاجناس مبتدئين من الاجناس غير المتحضرة وفى الاساطير حيث تعبيرها عن حقائق اجتماعية ، ثم لا ينبغى أن نهمـل الظواهر الدينية المعاصرة »[٢٥] •

ولعل المنهج المقترح للدراسة الاجتماعية للدين قائم على أساس «عقد المقارنات الدقيقة بين تلك الظواهر وظواهر الحيـاة البدائية لتدل دلالة واضحة على كثير من خفايا تلك الحياة » كذلك فان استخدام الاحصـاء يسـاعد على تفهم الظواهر الدينيـة • ولكن هناك محـاذير ترد عـلى استخدامنا للاحصاءات،حيث أن تلك الاستخدامات • « تؤدى الى نتائج خادعة ، اننا نفسرها فى ضوء تجربتنا الدينية الخاصة وهذا يؤدى الى خطأ عظيم فى المنهج » والمنهج المقترح الذى ينبغى تطبيقه هو المنهـج المقارن مـع تجنب : (أ) جمع التفصـيلات المتشابهـة (ب) الاسراف فى استخدام عملية التحليل ، (جـ) الابتعاد عن مشاهدة التشابه بين الظواهر الدينيـــــة[٢٦] •

ولكن كيف يمكن التمييز بين هذا الفرع الجديد من المعرفة ــ عـلم الاجتماع الدينى ــ وبين اللاهوت والفلسفة والدين المقارن[٢٧] •

---

(٢٥) النشـار ، (على سامى) مرجع سابق ، ص ١٨ •

(٢٦) المرجع السابق ، ص ١٩ ، ٢٠ ــ راجع التشابه القائم بين هـذا ، وبين ما كتبه روجيه باستيد • المرجع السبق ص ١٩ ــ ٢١ •

(27) Reischaur, A., K., *The Nature and Truth of the Great Religions*. Rutland : C. E. Tuttle co., 1966., P. 2.

انظر أيضـا :

الخشاب (احمد) مرجع سابق ، ص ٣٧ ــ ٤٩ •

Rhoades, D., H., "What Social Science has Done To Religion, " *Numen* Vol. IX, Jan. (1962) PP. 69 - 80.

= Hvidtfeldt, A., "History of Religion, Sociology and Soci-

ولنبدأ بالتفرقة بين عالم الاجتماع ورجل اللاهـوت • فاللاهـوتى يبدأ من الاعتقاد فى المقدس divine ويحاول أن يجـد متضمنات هـذا بالنسبة للحياة الانسانية ، وكيف تساعد التجربة الانسانية فى فهم طبيعة هذا الكائن المقدس • كذلك ، فان اللاهوتى يتميز بكونه مفكرا داخل تراث دينى معين ، يتركز اهتمامه الاول على الحقيقة كما يراها ، أو كما تراهـا ثقافته الدينية ، كما أنه قد يهتم فى الدرجـة التالية ، بالاديان الاخـرى وذلك من خلال علاقتها بما يعتقد فيه • أما بالنسبة لعالم الاجتماع فقـد يكون له معتقد دينى أو قد لا يكون ، والبيانات التى يتعامل معها قد تكون مستمدة من نسق دينى واحد أو من عدة أنساق دينية أخرى ، سواء كان يدين بها أو يدين بها الآخرين • فقد يعمل عالم الاجتماع فى مجال محدود مثـل التحليل الدقيق لفرقة دينيـة أو يحاول تطوير نظـرية عن الدين والمجتمع ، فمهمة عالم الاجتماع الرئيسية هى فهم « المعنى » المستمد من النسق الدينى لمجتمع معين ، وتداخل الدين مع البناء الاجتماعى ومـع الجوانب اللادينية من الثقافة مثل السحر ، والعلم والتكنولوجيا • وقـد يؤثر مثل هذا النوع من الدراسات ، مثله فى ذلك مثل أى دراسة اجتماعية أخرى ، على الوضع الدينى الشخصى لعالم الاجتماع ، سواء قـاده الى الافضل أو الى الاسوء • وحديثنا عن عـالم الاجتماع يتأدى بنـا الى الحديث عن مشكلة التحيز وحكم القيمة التى تبرز فى هذا المجال كما هـى فى أى دراسات لاى جانب اجتماعى آخر ، الا أنه من المتطلبات الرئيسية لعالم الاجتماع الدينى أن يضع نفسه فى عقل المؤمن دون أن ينتمى الى معتقده ، حتى ولو كان عالم الاجتماع من الذين ينتمون الى الدين محـل

= ology of Religion", *Tomens,* Vol. 7 (1971) PP. 75 - 89.

Reiss, P., J., "Science and Religion in the Evolution of Sociological Association," *Sociological Analysis* Vol. 31 (Fall 1970) No. 3, PP. 119 - 130.

الدراسة فانه يحتاج الى التراجع قليلا للوراء عن ما يعتنقه لكى يفكر كعالم اجتماع[٢٨] .

وعلى الرغم من اختلاف الموقف الفكرى والاهتمام لدى كل من عالم الاجتماع واللاهوتى الا أن هناك تداخلا فى اهتمامات كل منهما ، فاذا كان اللاهوتى يحلل التجربة الانسانية من أجل اكتشاف طبيعة اللـه من خلالها والتعرف على أفعاله فى هذا العالم ، فان عالم الاجتماع يعتقد أنه يمكن من خلال تحليل تجارب خاصة بمجتمعات معينة ، توضيح أنساق الاعتقادات والممارسات المرتبطة بها . ولو نظر الى دين معين على أنه «وهم» فان الاشكال الخاصة بهذا الوهم يمكن أن تكون واضحة بالرجوع الى بناء المعرفة فى مثل هذا المجتمع ، ومن ناحية أخرى ، اذا كان هذا الدين حقيقيا ، فان صدقه يمكن ادراكه والتعبير عنه من خلال خبرة الحياة داخل بناء معين وعند مستوى معرفى خاص . وهكذا فان عمل عالم الاجتماع يعد اسهاما يسهل مهمة اللاهوتى وذلك من خلال استعراض نسق المعتقدات فى سياقه الاجتماعى . ان الاهتمام بتطور نسق اعتقادى معين فى مجتمع ما ، يختلف عن الاهتمام بمشكلة صدق وتماسك النسق الاعتقادى . وتجاه هذه المشكلة اللاهوتية ، يقف عالم الاجتماع صامتا[٢٩] .

أما عن فيلسوف الاديان فهو يشارك اللاهوتى فى مشكلة الصدق ، ولكن دون أن يكون ملتزما بنسق دينى معين . والفيلسوف باعتباره

---

(28) Scharf, B., R., *The Sociological Study of Religion* N. Y. : Harper Torchbooks, 1970. PP. 11 - 12.

(29) Scharf, B.,R.,*The sociological Study of Religion* op. *cit.*, P. 12.

ميتافيزيقى يناقش حجج وجود وعدم وجود الله ، وكأبستمولوجى فهـو يهتم بمعنى الاديان وأن الناس يمكن أن يعرفوا اللـه سواء عن طـريق الوحى أو اللاهوت الطبيعى أو طرق أخـرى • وهو فى النهاية كمنظـر اخلاقى ، يهتم بالعلاقة بين الدين والاخلاق ، وهنا يقوم بتحليل عـلاقة الدين بالبناء الاجتماعى فيظهر التشابه بين فهمه وفهم عالم الاجتماع • الا أنه يمكن القول بأن فيلسوف الاديان يختلف عن عالم الاجتماع فى أن معظم نظريات الدين جاءت ضد مشكلة أنواع المعرفة التى يمكن أن يكتسبها الناس وكيفية حـدوث ذلك • وبينما نجـد أن عالم الاجتماع يمـكن أن يستحث المنظر الاخـلاقى وذلك بتقديم ــ بيانات جديدة ــ أو منظمـة بطريقة جديدة عن القيم والمعايير ، فقد يثار عالم الاجتماع من الفيلسوف فيدرك بطريقة كلية أى نظرية معرفية تتضمنها أعماله • وهكذا فان علماء الاجتماع الوضعيين الذين يعملون فى مجال الدين قد انتقدوا لادعائهم أن المناهج المناسبة لدراسة موضوعات العالم الطبيعى يمكن أن تكون صالحة لدراسة الانساق الرمزية مثل الدين والسحر (٣٠) •

أما عن علاقة علم الاجتماع الدينى بالدين المقارن فهناك اتصال شديد بينهما ، فبالاضافة الى التراث الهائل فى مجـال الأديان المقارنة ، فاننـا لا يمكن فصل هذا التراث فى أشكاله القديمة أو الجديدة عن علم الاجتماع الدينى • ومن ناحية الاختلاف القائم بينهما ، فهو من جهة ، يدور حـول الدراسة ، وذلك من حيث تحديد محتوى الانساق الاعتقادية والشعائرية والاخلاقية ومن جهـة أخرى فيما يتعلق بتحديد مكان هذه الاعتقـادات والشعائر والانساق الاخلاقية فى سياق أبنية اجتماعية معينة • ويعتقـد

(30) Scharf, B., R., *The Sociological study of Religion op., cit.*, PP. 12 - 13.

عالم الاجتماع ، أنه على الرغم من أن وضع قوائم أو مقارنات العنــاصر الدينية يعد أمرا مفيدا فى بيان عمومية ودوام بعض الموضوعات الخاصة بالاديان الا أنه يعتقد كذلك،أن فهمنا قد يزداد وذلك من خلال دراسة هذه الانساق الاعتقادية فى سياقها الاجتماعى(٣١) .

---

(31)Scharf, B., R., *The sociological study of Religion op.* cit., P. 13.

أنظــر أيضــا :

Gualtieri, A., R., "What is comparative Religion Comparing The Subject Matter of Rellgious studies", *Journal for the Scientific study of Religion.* Vol. VI (April 1967) No. 1 PP. 31-39.

٦ ـ خـــاتمة :

بعد هذا العرض عن الدراسة العلمية للدين ودعوى علم الاجتماع الدينى ، نقول أن الدراســـة العلمية للدين تمــدنا ببعض الافتراضـــات الاساسية عن الدين ، ولا ندعى أن مثل هذه الافتراضات صادقة ونهائية• ولكن نتساءل ببساطة : هل يستطيع المرء منطلقا من هذه الافتراضات أن يقول أى شىء مفيد وله قيمة عن الدين ؟ والواقع أنه ليس هناك ادعاء فى مجال الدراسة العلمية للدين بأن هذا هــو الطريق الوحيد الذى يمكن أن تدرس البيانات من خلاله • كما أنه لا يوجد ادعاء بأن كل ما يمكن أن يقال عن الدين يمكن دراسته عن طريق العلم • فكل ما هنالك هو التأكيد على أن مناهج العلم الموضوعى يمكن تطبيقها على الظواهر الدينية • وهـــذا يعنى أن الدين عندما يفحص من خلال اطار العلم ، فانه يعامل وكأنه جزء من العالم الطبيعى الخاضع لقوانين العلة والمعلول وتنطبق عليه قواعـــد المنطق • وليس هناك أى سبب يجعل العالم يقف حائرا بين الموضـــوعية والذاتية ، أى ينظر الى الدين على أنه بطريقة أو بأخرى يختلف عن أى عمل علمى آخـــر • فالباحث يحتاج بطبيعة الحـــال، الى أن يكون عـــالما متواضعا ، ذلك لان موضوع الدراسة يتميز بالتعقيد الشديد • فمما يمكن أن يقال بثقة عن الدين على أساس من المعرفة الحاضرة قد لا يشك أحـــد فى أهميته اذا ما قورن بما يقال عن الدين من مداخل غير علمية أخرى ولا يعنى هذا أن ينزلق العـــالم فى اعطاء أطر مرجعية تقييمية ، فقـــد تكون الاجراءات التى اتخذها غير مناسبة لحل المشاكل التى ظهرت من استخدام مداخل أخرى • فما يمكننا قوله بكل صدق ، أن هذه الاشياء صادقة تحت مجموعة معينة من الظروف ولا شك أن استجابتنا الدينية للحياة ، قـــد يكون لها معنى لو أنها أسست على الفهم الصادق للعـــلاقات التى تربط

الدين بالمجتمع ، لا على الجهل بها • وكما سوف نرى فان علم الاجتماع الدينى تتمة قيمة ليس فقط لعلوم الدين الاخـرى ، ولكن أيضا للمطلب الدينى نفسه[1] •

ولكن هل يمكن دراسة الدين من الداخل أو من الخارج ؟ بمعنى آخر ، هل نطبق المناهج المعيارية أو الوضعية فى دراسة الدين ؟ وللاجابة عـلى هذا السؤال يعطى لنا ينجر المثال التالى : لو أفترضـنا أن كاتبا بذل كل جهده فى اعداد كتاب عن الفن،وحاول فيه أن يحلل قيمة شخصية الفنانين ويصف علاقاتهم بأنواع مختلفة من الجماعات المعقدة ، ويحاول أن يربط بين الفن والمسائل الاقتصادية والسياسية • فى هـذه الحالة قد يندهش القراء ويتساءلون عمـا حدث لجوهر الموضـوع ، أعنى الفن ببساطـة ووضوح • هذا فضلا عن أن معظم المهتمين بالفن قد يكونوا غير سـعداء بهذا التحليل وهـذه النظرة الخارجية التى لم تقيم أو تحـاول أن تبين بطريقة حيوية بعض الصفات العاطفية للتجربة الفنية • ونفس الاعتراض ربما يثـار حـول الجهـد الذى يبـذل لدراسـة الدين « عن بعـد » at a distance • فقد يفقد هذا المدخل الكثير من الامور الهـامة التى يمكن أن تقال عن الدين أو التجربة الدينية • وبطبيعة الحال ، فان أحدا لا يستطيع أن يرى من الخارج ما يغطيه زجاج عاكس • وعلى الرغم من أن ينجر يترك للقارىء أن يجيب عن التسـاؤل ، الا أنه يقول ، « اننـى سـوف أحاول دراسـة الدين من خـلال منظـور عـلم الاجتمـاع ، والانثروبولوجيا ، وعلم النفس الاجتماعى • أى سوف أنظـر الى الدين كأحد العمليات الاساسية فى الحيـاة الاجتماعية »[2] • والحق أن هـذا

---

(1) Yinger, J., *M. Sociology Looks at Religion op. cit.*, PP. 12 - 13.

(2) *Ibid.*, P. 17.

المدخل جزئى ومتواضع ، الا أنه قد يعمق فهمنا الكلى لمعنى الدين اذا ما اعترفنا بامكانياته • ويعترف ينجر بأن فشلنا فى استخدام مصادر العلوم الاجتماعية المعاصرة سوف ينعكس على فهمناللدين •

هذا ، وسوف نركز مناقشاتنا فى الفصول التالية على علم الاجتمـــاع الدينى ، تطوره التاريخى ، موضوعه ، ومنهجه ، مجالاته وكيفية استخدام المنهج السوسيولوجى فى دراسة الظواهر والنظم الدينيـــة •

الفصل الثانى

التطور التاريخى لعلم الاجتمـاع الدينى

التطور التاريخى لعلم الاجتماع الدينى

١ ــ تمهيــــــــد

٢ ــ الـــــرواد

ا) أوجيست كونت : الدين وطفولة الانسانية •

ب) هربرت سبنسر : الدين والمبدأ الحيوى •

جـ) جيمس فــريزر : الدين والسحر والطبيعة •

د) الاب شميــدت : الديانات البدائية والتوحيد •

هـ) هوبهــــوس : الدين والاخــلاق •

و) أميــل دور كيــم : الدين والعقل الجمعى •

٣ ــ اسهامات أخــرى :

أ) هيوبرت وموس : الشعائر والحياة الاجتماعية •

ب) مالينوفسكى : الجانب السحرى والعملى فى السلوك البدائى•

جـ) ماركس : الدين والوعى الطبقى •

د) ترولتش : تصنيف للتعاليم الاجتماعية للكنائس المسيحية •

هـ) باريتـــو : نسبية الظاهرة الدينيــة •

و) لابراس : الاتجاه السوسيوجرافى فى دراسة الدين •

٤ ــ خاتمــــة :

١ ـ تمهيـــد

لا شك فى أن الدراسة السوسيولوجية للدين تدين بالكثير من الفضل لعديد من الباحثين فى مختلف فروع المعرفة ، فقد أثرى رجال اللاهـــوت والفلاسفة والمؤرخون وعلماء السياسة المعرفة السوسيولوجية عن الدين• ويميز روبرت بللا R. Bellah بين اتجاهين أساسيين أثرا بشكل واضح فى التطور التاريخى لعلم الاجتمـــاع الدينى • وهذان الاتجاهان همـــا : الاتجاه العقلانى Rationalist ، والاتجاه اللاعقلانى Nonrationalist (١) وكل من الاتجاهين له جـــذوره فى تاريخ الفكر الغربى ، اذ شـــهد القرن الثامن عشر بلورتهما ، كما كان لهما نتائجا هامة فى القرن التاســـع عشر ، وما زال تأثيرهما مستمرا فى كثير من جوانب المعرفة •

وارتبط التراث العقـــلانى بظهور الفـــكر العلمانى والمذهب الشكى skepticism فى انجلترا وفرنسا ابان القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وقد أدى ذلك الى ظهور الاتجاه اللاعقلانى كرد فعل للاتجـــاه العقلى • وباختصار ، فان الموقف الذى يتخذه العقلانيون ، مؤداه أن كل ما هو لا عقلى لا يمكن دخوله تحت حدود التحليل العقلى ولكن ينبغى أن ينظر اليه باعتبـــاره مؤثر عـــلى السلوك الانســـانى ، رغم أن كثـــيرا من الباحثين يتشككون فى أن قد يكون ممكنا ومفهوما بالنسبة للعـــامة • وهكذا فهـــم يعتقدون أن المبادىء المنافية للعقل فى الدين القائم قد جاءت الى الوجود بسبب جهل رجـــال الدين ومغالطاتهم المتعمدة ، أولئك الذين يخـــدمون

---

(1) Bellah, S., "Religion : The Sociology of Religion" *International Encyclopaedia of Social Science* PP. 406-413.

أغراضهم وأغراض أسيادهم من الحكام العلمانيين ، ذلك أن وراء الاشكال التاريخية المنافية للعقل هناك دين فطري أو طبيعي يتفق مع مقتضيات العقل •

ويعد روسو Rosseau وكانت Kant من المشايعين لفكرة وجود دين معقول متميز عن أي عقيدة تاريخية • وقد بنى روسو اعتقاده هذا على أساس الاعتقاد الدينى فى الطبيعة الانسانية ، بينما ذهب كانط الى أن هذا مرده متطلبات التجربة الاخلاقية أكثر من استناده على الحجج الادراكية البحتة •

ومن جهة أخرى يؤكد التراث اللاعقلى ، والذى تطور أساسا فى ألمانيا ، على أن الدين مستقل بنفسه وقائم بذاته ، Sui-generis فيذهب هردر J. G. Herder الى أن الدين يقوم على التجربة الخاصة والمشاعر بدلا من العقل • وقد عبر شلاير ماخر F. Schleirmacher عن هذا الاتجاه بوضوح ، حيث يرى أن الدين لا ينظر اليه على أنه نوع من « الفلسفة الجافة » أو على أنه « نسق أخلاقى بدائى » ولكنه حقيقة بذاته • فالدين عنده ، ليس قائما فى المعرفة ولا فى العقل ولكن فى المشاعر feelings ، أكثر من هذا فهو يعتقد أن الدين مستمد أصلا من الاحساس بالتبعية المطلقة • وعلى أية حال فان كلا من هردر وشلاير ماخر يرفضان أى فهم عقلي للدين ويعارضان البحث عن دين طبيعى عالمى يتميز بأن يحمل فى ذاته دليل عقلانيته• بينما تقف المدرسة الالمانية على النقيض من ذلك وتصر على معالجة الاشكال الخاصة من الثقافة والاديان فى تنوعها التاريخى •

وفى الوقت الذى ارتبط فيه الاتجاه اللاعقلانى فى معالجة الدين بتطور الفلسفة المثالية فى ألمانيا ارتبطت المعالجة العقلانية للدين بظهور

الوضعية positivism فى فرنسا والنفعية Utilitarianism فى انجلترا خلال القرن التاسع عشر وبظهور التاريخية Historicism ، وقضت على هذه الفواصل وسيطرت على الفكر الغربى فى كل من انجلترا وفرنسا وألمانيا • فأخذت العقلانية فى فرنسا وألمانيا شكلا تاريخيا جديدا هو التطورية evolutionism • ويمكن النظر الى قانون الحالات الثلاث عند كونت على أنه مثال لهذا الاتجاه • اذ ينظر كونت ، كما سوف نرى ، الى اللاهوت على أنه كان مناسبا لطفولة الانسانية ، ولهذا فكلما زادت قدرة الانسان الفكرية على الفهم استدل الدين بالفلسفة وأخيرا استعان بالعلم بدلا من الفلسفة • وعلى الرغم من أن كونت قد اتجه اتجاها جديدا يطلق عليه الآن الاتجاه الوظيفى ، أكد فيه على دور الاعتقادات والشعائر فى التضامن الاجتماعى وضبط المشاعر الشخصية • وبينما يرى كونت ، وأتباعه خاصة دور كيم ، أن هناك جوانب لا عقلية فى الدين نجده يذهب الى أن الدين يمثل جانبا هاما فى الوجود الانسانى ، وهذا يعد تأكيدا من جانبه على العوامل الادراكية فى نظريته عن التطور الدينى •

وفى انجلترا طور سبنسر مدخلا تطوريا عن الدين وحاول تيلور أن يفسد التطور الدينى للانسانية من خلال المدخل التطورى ، فهو يرى أن هناك تطورا من المبدأ الحيوى الى التعدد الى الوحدانية ، وكل هذه مراحل يمر بها الفكر الانسانى أيضا • كذلك نجد أن فريزر اتخذ نفس المدخل وقام بجمع العديد من البيانات عن مجموعة من الشعائر ونسق القرابة والتضحية الانسانية وشعائر الخصوبة ••• الخ ونادى بمعالجة هذه الموضوعات بمنظور مختلف •

ويعد دالثى Dilthy من أتباع مدرسة شلاير ماخر ، حيث أكد على الطبيعة الداخلية للدين والتى لا يمكن تشويهها ، ويرى ضرورة أن يكون هناك فهم داخلى للاشكال المختلفة للدين • والحق أن هذا الاتجاه قد

أدى مباشرة الى ظهور علم الاجتمــاع الدينى متمثلا فى أعمال ترولتش Troeltsch وماكس فيبـــر • وكذلك فقـــد تبنى رودولف أوتو R. otto اتجاها فينومينولوجيا فى كتابه عن فكرة المقدس ، متأثر فى ذلك بأعمـــال شلاير ماخر وأكد على أن الدين شىء قائم بذاته • والتجربة الدينية، كما يرى أوتو ، يمكن أن تفهم فينومينولوجيا ولا يمكن أن تفسر • هذا ، ونجد نفس الاتجاه عنـــد فان ديرليو Van der leeuw وذلك فى كتـــابه عن جوهر ومظاهر الدين وفيـــه تنصل من كل النظريات السابقة فى تفســـير الدين • على أية حـــال ، اذا كان التراث اللاعقلى قد أكد على الطبيعـــة الخاصة للتجربة الدينية ، الا أنه لم يقدم لها تفسيرا بينمـــا قدم التراث العقلى طرقا عديدة لتفسير هذه التجربة ، ولكنه فى نهاية الامر كان قـــد فتتها الى أجزائها المكونة • ومع بداية هذا القرن ، تخلى كثير من المفكرين عن هذه المواقف الفكرية ، وبدأوا فى تبنى مداخلا أكثر تناسبا مع طبيعة الظاهرة الدينية • ومع ظهور الماركسية ، فهم الدين على أنه ايديولوجية، اما أن تدافع عن الوضع الراهن ، أو تكون بمثابة سلاح النضال السياسى والاقتصادى • وســـوف نناقش هنا أهم النظريات التى ساهمت بشـــكل مباشر فى تطور علم الاجتماع الدينى •

٢ ـ الرواد

أ) أوجست كونت : الدين وطفولة الانسانية .

لقد طبع أوجست كونت علم الاجتماع منذ بدايته بفلسفته الوضعية، ولا شك أن هذا انعكس على اتجاه علم الاجتماع الدينى فى مراحله الاولى، فالفلسفة الوضعية تدعى أن الحقائق الاجتماعية يجب أن تعامل كأشياء ، وأن الباحثين فى هذه الاشياء يجب أن يتبنوا مدخلا موضوعيا ، وبهذا يمكن التوصل الى تعميمات امبريقية تستمد منها القوانين المفسرة للمجتمع وظواهره . وهذه القوانين من نوعين الاول خاص بقوانين الاستقرار الاجتماعى Social Statics والآخر خاص بقوانين التغير الاجتماعى Social dynamies وقدم لنا كونت قانونه الشهير المسمى بقانون الحالات الثلاث law of the three stages ليبين قيمة المراحل التى مرت بها الفكر حتى بلغ الحالة الراهنة . فيشير قانون الحالات الثلاث الى تقدم أو تطور تدريجى فى الفكر الانسانى ينظر اليه كونت ككل . فالمجتمع ينتقل من الحالة الاولى والتى يتميز فيها فرع من فروع المعرفة بأنه يعكس نظريات أو آراء لاهوتية الى المرحلة الثانية وفيها يفسر الفكر الانسانى كل الظواهر من خلال أفكار ميتافيزيقية مجردة ، وأخيرا توصل الفكر الانسانى فى مرحلته الثالثة الى التفكير العلمى أو الوضعى كأساس لكل العمليات الفكرية . وهذه المرحلة الاخيرة ، كما يرى كونت ، تتميز بأنها نهائية وحتمية . فالتفكير الوضعى يفسر الظواهر بالقوانين التى تحكم عملها . وقد أعطى كونت فكرة واضحة عن الهدف النهائى للوضعية عندما أشار الى كيف أنه فى كل مرحلة من المراحل الثلاثة يبلغ الفكر الانسانى النقطة النهائية للتطور ، وبعدها فى المرحلتين الاولى والثانية يتم التحول والانتقال الى المرحلة التالية فقد كانت قيمة التطور الذى

وصلت اليه المرحلة اللاهوتيــة ، هو تطور مفهوم التوحيــد ، وفى نهاية المرحـــلة الميتافيزيقية توصل الفكر الانســـانى الى أن الطبيعةمن أهــم الاسباب المفسرة لكل الظواهر • وفى المرحلة الوضعية يمكن أن نتوقع أن كل الظواهر الخاصة تقع تحت الحقائق الكبرى مثل قانون الجاذبية الذى يفسر العديد من الظواهر[١] •

وهذه المراحل الثلاثة ضرورية ويتبع كل منها الآخر ، كما أن المرحلة اللاحقة تصحح أخطاء المرحلة السابقة • ويعتقد الوضعيون أن تقدم علم الاجتماع يعتمد أساسا على رفض الناس البحث فى المسائل التى لا يمكن الاجابة عليها مثل المعانى المطلقة وأصل وهدف الحياة • • • الخ • لذلك ينادى الوضعيون بالالتــزام بالاجابة عــلى الاسئلة العملية للاشـــياء الملاحظة • ولعــل تقدم العلوم الطبيعيـــة راجع أساســا الى ابتعادها وانفصالها عن الاعتبارات الدينية والميتافيزيقية • ويرى كونت أن عـــلم الاجتمـــاع يستطيع أن يحقق هــذه العلمية اذا جــرد نفسه من هــذه الاعتبارات • وبلا شـــك فقد ساعد هذا الاتجـــاه الوضعى على ظهــور نظريات تفسر الدين على أنه نوع من التضليل الاجتمـــاعى ، أو نوع من التفكير والافعـــال الرمزية أسىء فهمها أو نسيت معانيها • ولهذا نجــد كثيرا من النظريات التى تعبر أصلا عن الاتجاه الوضعى ، مثل نظــريات سبنسر ، تايلور ، فريزر ، ودور كيم تتفق جميعا فيما بينها على أن الناس لا يدركون فى دينهم حقيقة خارج أنفسهم ، ولكنهم نظــرا لبعض جوانب

---

(١) أنظـــر :

Comte, A., *The Positive Philosophy*. trans. by H. Hartineau, 1853.

أنظر أيضـــا

Caird, E., *The Social philosophy and Religion of Comte*. Glasgow : James Maclehouse and Sons, 1885.

الوجود الانسانى الغامضة ، يتخيلون وجود الأرواح والآلهة والقوى فوق الطبيعية ، وبهذا يخضع تفكيرهم للنواحى الانفعالية[٢] .

وقد شجعت الوضعية التركيز على النظريات الخاصة بالتطورية الاجتماعية ، وقد أدى هذا الى التطبيق الناجح للافكار التطورية فى الجيولوجيا والبيولوجيا خلال القرن التاسع عشر ، كما كان هناك تأثير آخر جاء من تراكم قدر هائل من البيانات المتاحة عن طريق الاكتشافات والتجار والحكومات الاستعمارية ومن البعثات التبشيرية فى كل مكان من العالم . فبينما كان الباحثون فى الدين المقارن يقارنون الاديان ذات الرسالات السماوية للشعوب المتحضرة ، فان علماء الاجتماع بناء على هذه البيانات ، أصبحوا قادرين على معرفة الكثير عن الشعوب البدائية فى أفريقيا وأمريكا وآسيا واستراليا . وطالما أن أديان هذه الشعوب المختلفة يمكن أن توصف وتصنف وكذلك بناءهم الاجتماعى والتكنولوجيا الخاصة بهم فمن الممكن اذن أن نبين أنواع الاديان المتصلة بكل نوع من الابنية الاجتماعية أو التكنولوجيا ، وطالما نظر الى التكنولوجيا على أنها عامل تقدمى فى التطور الانسانى ، فمن الممكن أن نجد مجتمعات بدائية فى العصر الحديث ، تتميز بقدر ضئيل من التكنولوجيا ، والتى تمثل المرحلة البدائية للمجتمع الانسانى ويمدنا علم الحفريات والتاريخ القديم بدلائل عن المراحل اللاحقة فى التطور الاجتماعى للحضارات القديمة فى الشرق الاوسط والصين والحضارة الرومانية اليونانية ، وأخيرا الحضارة الاوربية . فمن خلال دراسة هذه الحضارات وتصنيف شعوبها يمكن تعيين خط التطور الاجتماعى للانسانية .

---

(2) Scharf, B., R., *The Sociological Study of Religions op. cit.*, PP. 13 - 15.

على أية حال ، فقد ساهم كونت فى تحديد معالم الوضعية ، ولكنه لم يقدم لنا تفسيرا سوسيولوجيا للدين ، بل على العكس ، فانه قدم تفسيرا دينيا للمجتمع • وكما كتب نيسبت Nisbet « انه من الصعب عندما نقرأ أعمال كونت أن ندرك ما اذا كان لاهوتيا أو عالما »[٣] • فقد حاول كونت أن يحل الوضعية كدين جديد محل الاديان والاعتقادات الموجودة • وبالرغم من أن قانون الحالات الثلاثة قد يبدو وكأنه قانون أو نظرية علمانية فانه فى رأى هيل Hill انقلب ليكون برنامجا للدفاع الدينى • • • مع هدف واضح لاعادة تقديم التماسك الاجتماعى لكاثوليكية العصور الوسطى باسم دين الانسانية[٤] •

ب) هربرت سبنسر : الدين والمبدأ الحيوى •

لعل دراسة سبنسر عن الانتقال من الجماعات المتجانسة ذات المجال الصغير الى الجماعات اللامتجانسة والمعقدة ذات المجال الواسع هى بمثابة بداية لنظرية المبدأ الحيوى animism [٥] وتعنى عبادة كثير من الارواح المختلفة والقوى المقدسة بين البدائيين فى مرحلة تعدد الآلهة والتى يمكن أن نجدها فى الحضارات القديمة • وتدور المناقشات فى هذه النظرية حول ثلاثة موضوعات رئيسية ، الاول يدور حول عمومية الطوطمية totemism وتمثل هنا أكثر الاشكال الاولية للدين ، والامر الثانى مرتبط بالعلاقة بين الدين والسحر magic والعلم وأخيرا الاهتمام

---

(٣) أنظر :

Nisbet, R., A., *The Sociological Tradition*. London : Heinemaun, 1967. P. 228.

(4) Hill, M., *A Sociology of Religion op. cit.*, P. 25.

(5) Peel, J., D., *Herbert Spencer : The Evolution of a Sociologist*. London : Heinemann, 1971.

بامكانية وجود النظرية الحيوية animatism ، أى الاعتقاد فى القوى اللاشخصية المقدسة بدلا من الارواح المجسمة وذلك بالمراحل الاولى .

وقد أشار سبنسر الى أن ظواهر مثل الموت والاحلام والنوم تعطى احساسا بوجود الروح منفصلة عن الجسم الذى تحركه ، والانفصال المؤقت للروح عن الجسد أثناء النوم يفسر ظواهر الاحلام ، فالموت هو انفصال دائم للروح الى مثوى آخر فأرواح وأشباح الموتى — يجب أن تسترضى ، تماما كما يتلقى الاحياء الاحترام لمكانتهم . كما تقدم الهدايا ومن ثم القرابين والتضحية لهم . وقياسا على ذلك تحتوى الاجزاء غير الانسانية من البيئة مثل الشمس والمطر والانهار والعواصف على أرواح محركة وتصبح مثوى للاشباح الانسانية . فهذه الارواح التى تؤثر فى رفاهية الانسانية يجب أيضا أن تحظى بالاسترضاء والعبادة(٦) .

وترى هذه النظرية التى يشارك فيها تيلور أيضا ، أن أصل الدين يمكن أن نجده فى حب الاستطلاع الفكرى عند الانسان ، وفى قدرته على عقد مماثلات والخروج منها بتعميمات . فالاعتقاد الدينى الاول للانسان، كان بلا شك فى الارواح المشخصة وليس فى القوى اللامشخصة لان المبدأ الذى يعطيه الحياة هو الروح.ولكن هذه الاعتقادات تظل محل اختبار من التجربة الانسانية وتخضع لقاعدة المحاولة والخطأ وبالتدريج فان ارضاء التعطش الفكرى يقتضى احلال هذا الاعتقاد بالايمان فى قليل من الآلهة أو الكائنات التى لها مسئولية عن قطاع كبير من الظواهر أو مصير الجماعة ككل ، وفى مرحلة متأخرة قد يتوصل الانسان بالخيال الى الاعتقاد بوجود قوى مقدسة تحكم العالم وتخلق نظاما يجب أن يفهمه الانسان(٧) .

---

(6) Scharf, B., R., *op. cit.*, PP. 17 - 18.
(7) Scharf, B., R., *op. cit.*, P. 16.

جـ) جيمس فريزر ، الدين والسحر والطبيعة •

يرى فريزر أن السحر مرحلة سابقة على أى شكل من أشكال الدين • ويذهب أيضا الى أن مناقشات الانسان التى استخدم فيها القياس أدت الى وجود اقتراحين مؤداهما أن ما يحدث للجزء لابد وأن يكون له تأثير مماثل على الكل ، وأن ما يحدث لشىء سوف يحـــدث للاشياء الاخـــرى التى يكون لها احتكاك به فهـــذه الاعتقادات فى الســـحر دلائل على ذكاء الانسان فى محاولته المستمرة للتحكم فى العالم[٨] ولعل الافعال المرتبطة بهذه الاعتقادات قـــد تدعمها ، ولكن الناس يدركون بالتـــدريج أنهم لا يتحكمون ، حقيقة ، فى الحوادث بهذه الممارسات السحرية • وفى بحثهم عن وسيلة أخرى للتحكم فى العالم ، فانهم يلجأون الى قياس مســـتمد من السلوك الانسانى وهو ضرورة تضرع الضعيف للقوى • واذ ما فشل السحر فى ارغام الطبيعة على العطاء فان الابتهال الدينى قد يحثها عـــلى ذلك وطبقا لهذه النظرية فان الموضوعات الدينية الاولى ليس من الضرورى أن تكون مشخصة ، ان قوتها هـــى خاصتها الرئيسية • ويســـلم فريزر بالتحول الدينى نحو اتجاه التوحيد ، الا أنه يذهب الى أن هذه التحولات محدودة داخل الطبقة المثقفة فقط ، ويظل هناك اتجاه بين العامة يعبر عن استمرار تصديق تعميمات السحر • كما يذهب فريزر الى أن تقدم العلم وسيلة هامة أولا فى تهـــذيب المبادىء الدينية ، وثانيـــا فى اضـــمحلالها وانقراضها[٩] •

والخط الثانى من مناقشة أصل الدين والسحر لا يعتمد على الناحيـــة

---

(8) Frazer, J., G., *The Golden Bough*. London : Macmillan, 1933.

أنظـر أيضـــا :

.....................*Magic and Religions* : 1944.

(9) Scharf, B., R., *op. cit.*, PP. 16 - 17.

الفكرية أو الاعتقادية ولكنه يستند الى الجانب الانفعالى والشعائرى • فلو وضعنا أنفسنا مكان الرجل البدائى سنجد أننا محاطين بقوى الطبيعة، التى نعتمد عليها فى استمرارنا ولكن لا يمكننا التحكم فيها • حقيقة ؛ هناك انتظامات معينة مثل دورة النهار والليل ودورة الفصول والعادات المرتبطة بسلوك الحيوانات ، ودورة الزراعة وهكذا • ولكن الى جانب ذلك فهناك عديد من الامور غير المتوقعة تثير الرعب والخوف ، فالسماء قد لا تمطر وتموت المحاصيل ، كذلك الرياح والعواصف والجبال كلها تثير قلقا ورعبا وخوفا جماعيا يقابله الانسان البدائى بشعائر جمعية • فيحاول الانسان مرة أخرى أن يستخدم وسائل مختلفة للتحكم فى هذا العالم • فالشعائر فى حقيقة أمرها أمور دينية ، تفسر من خلال الاساطير والمعتقدات الخاصة بالارواح والقوى والآلهة ولا يتساءل الناس لماذا يؤدون هذه الشعائر وكل ما يهم أنها تلبى رغبة الانسان فى التحكم فى الطبيعة من ناحية وتزيل القلق والخوف الذى ينتابه من القوى الطبيعية من ناحية ثانية[١٠] •

د) **الاب شميدت : الديانات البدائية والتوجيه •**

من أجل فهم كيفية تطور الاديان من السحر الى المبدأ الحيوى ومن التعدد الى الوحدانية ينبغى أن نعترف بالجانب الانفعالى والفكرى فى حياة الانسان ولا شك أن هناك عالمين من أعلام الفلسفة الوضعية حاولا أن يقدما نظرية متكاملة عن أديان الانسان وهما هوبهوس Hobhouse ودور كيم Durkheim وقبل مناقشة اسهاماتهما ، فاننا سوف نقدم محاولة لنقد الوضعية التطورية التى قدمها لنا الاب شميدت Father Schmidt وزملائه فى استراليا[١١] • وقد تركز اهتمامهم على

(10) *Ibid*. P. 17.

(١١) أنظــر :
Schmidt, W., *The Origin and Growth of Religion*. 1931.

الادلة المتراكمة عن الدين البدائى وشـــاركوا الرأى القائل بأن البدائيين المعاصرين يمكن أن يمثلوا المجتمعات الانسانية البدائية الحقيقية فى مرحلة ما قبل التاريخ • وقد لاحظ شميدت أنه على الرغم من وجود العديد من الارواح والآلهة فى كل من هذه الاديان الا أن هنـــاك اله أعظم أو الاله الاعلى الذى يعد بمثابة الشخص الرئيسى كمصدر للاسطورة والضـــامن لاستمرارية النظام الطبيعى والاجتماعى فالاله العظيم موضوع للاساطير ولكنه ليس موضوعا لجماعات الطقوس ، وتقدم التضحية للارواح الاقل درجـــة من الاله الاعلى • ويستنتج شـــميدت من ذلك وجـــود نوع من التوحيد الاولى فى العــديد من الديانات البدائية • فالناس بالرغـــم من غياب التكنولوجيا وعدم وجود احتكاك مع شعوب أخرى ، لديهم ومضات الطبيعة الحقيقية للاله ، ولكن هذا غالبا ما يكسوه بعض الممارسات المعبرة عن المبدأ الحيوى • فالتوحيد اذن ، هو نوع من الادراك المباشر للحقيقة المقدسة من الممكن أن يكون بوحى مباشر من الله عن طبيعته ، وليس كما يدعى الوضعيون أن التوحيد ناجم عن عملية فكرية متقطعة • ولعل أهمية أراء شميدت ترجع الى بيانه أن الفلسفة الوضعية والتطورية لم يكن لها الطابع العالمى فى علم الاجتماع الدينى فى القرن التاسع عشر • حقيقـــة يعتقد شميدت مع الآخرين بامكانية البحث فى النتـــائج التطورية ، ولكن المراحل التى ميزها شميدت للدين لها طبيعة مختلفة عن تلك التى يدعيهـــا التطـــوريون (١٢) •

هـ) هوبهوس : الدين والاخلاق •

يتمثل اسهام هوبهوس فى علم الاجتماع الدينى أساسا فى بحثه عـــن المبـــادىء الخاصة بالتطور الاجتمـــاعى والذى لم يحاول فيه أن ينـــكر

---

(12) Scharf, B., R., *op. cit.*, PP. 47 - 48.

اسهامات سبنسر،ولكنه حاول أن يضيف ويفسر المميزات والعيوب الخاصة ببحث العلاقة بين التباين والتنظيم • ويرى هوبهوس أن الحركة من البسيط المركب يمكن أن تحلل الى أربعة حركات مختلفة ، امتداد فى المجال ، زيادة فى الفاعلية ، زيادة فى التكافل أو التعاون بين الاعضاء المعتمدين على بعضهم بعضا فى المجتمع ، وأخيرا زيادة فى حركة الاعضاء لاختيار أدوارهم فى الكل المعتمد والمتباين • والتقدم فى المجال يسير مع التقدم والفاعلية ، ولكن تأثير هذه التغيرات غالبا ما يحد من حرية وارادة الافراد فى التعاون • وقد يمكن فرض وتدعيم التعاون ولكن كلما زاد احتمال وجود العصيان واللامبالاه ، ولا شك أن هذا يمنع التقدم على مستوى المجال والفاعلية • هكذا ، فان التطور الاجتماعى لا يسير فى الاتجاه التقدمى ، والتجارب مستمرة فى تحديد الاهداف العامة وانجاز الحرية فى المجتمعات الواسعة والمتميزة بالتقدم التكنولوجى ولكنها للاسف لم تحقق المطلوب • ولكن هوبهوس يرى أن الانسان يعود مرة أخرى الى نفس المهمة ، ذلك لان هذا من طبيعته الجوهرية أن يبحث فى تحقيق التوازن والتماسك للانشطة والتى يناضل الانسان من أجلها فى حياته الفردية • أو بمعنى آخر أنه طالما أن الناس كائنات اجتماعية ، فانهم لا يستطيعون تحقيق التوازن فى حياتهم الا اذا كانت مجتمعاتهم هى أيضا متوازنة ، وطالما أن هناك مجتمعين فى حالة احتكاك فان هذا الاحتكاك يجب أن يكون متوازنا طالما أن هدفهما ليس احباط كفاح الاعضاء فى أحد أو فى كلا المجتمعين(١٣) •

ولكن بينما أن نمط الفعل الانسانى فى تشييد « مدينة الله » City of God يتقدم خطوتين ويتراجع خطوة ، فان قدرة الانسان على

(13) Scharf, B., R., *op. cit.* PP. 18 - 19.

القيام بالانشطة الفكرية ليست مرتبطة بالافعال ذات الطبيعة العملية • فالانسان يمـكن أن يتخيل وينظر ويتـأمل ، ليس بدون الرجـوع الى التجربة ، ولكن بدون استجابة مباشرة لها • فالتطور الفكرى سـواء فى علاقته بالفن أو العلم أو الاخلاق أو الفلسفة أو الدين ، ما هو الا تعبير عن درجة من الحرية المستمدة من البناء الاجتماعى • هكذا يرى هوبهوس أن الانتقال من المبدأ الحيوى الى تعدد الآلهة الى التوحيد مع العمليـة الخاصة بتكون مثال أخلاقى عالى للسلوك ، ما هو الا أحد جوانب نمـو العقل ، الذى تعد وظيفته العامة هى اقامة اتصالات واضحة بين الاجزاء المبعثرة للتجربة ، وبهذا تسـاعد مالكيه على التعلم من الماضى وكيفيـة استخدامه فى المستقبل(١٤) ولكن اختيار ما يمكن أن يقدمه المثال الدينى أو الاخلاقى للمستقبل أمر تكتنفه صعوبات كثيرة عند التطبيق بطريقـة حاسمة • فمن أجل اقامة اتصالات واضحة بين الاجزاء المبعثرة للتجـربة فان الجهود العقلية فى الفلسفة واللاهوت سوف تتوصـل الى فكرة الاله المتسامى أو الكائن المطلق والمجرد ، بحيث لا يمكن تقديم دليـل أمبريقى لوجوده أو عدمه • كذلك فان المثل الاخلاقية ، لاسباب مختلفة أخـرى ، من الصعوبة اثباتها وتفنيدها من خـلال التجربة • ويرى هوبهـوس من الاعتقـادات الدينية أن هنـاك حركة نحـو تأكيد العناصر العـامة فى الاعتقادات التوحيدية ونحو الاعتراف بوجود غموض جوهرى لا يمـكن التغلب عليه فيمـا يتعلق بالاله الذى له القوة والخـير ، فالاله بالنسبة لهوبهوس هو اسم لقوة العقل الخلاقة فى المادة ، والتى هـى خليط من الحب والفهم ، وهنا نلاحظ أن هوبهوس يحـاول الابتعاد عن أسـلافه الوضعيين فى محاولته تقديم وجهة نظر عن العقل الانسـانى مؤداها أن

---

(١٤) أنظـر :
Hodhouse, L., *Morals in Evolution,* 1915, PP· 384 - 386.

العقل أو الذكاء الانسانى ليس ملكة منفصلة عن الغرائز ولكنه من الجهد الذى يحاول تحقيق وحدة الفكر والمشاعر والتجربة التى تميز الانسان عن الحيوانات الاخرى[١٥] . حقيقة أن الدين عند الشعوب البدائية ينبع أساسا من مشاعر الخوف والقلق والتعجب الا أن هذا لا يعنى أن الدين يمكن أن يجرد ليصبح نوعا من التعبير البسيط عن المشاعر ، أو أن قدرة الانسان على التحكم فى بيئته وتقليل المناسبات التى يعبر فيها عن مشاعره أو رهبته يمكن أن تؤدى الى اضمحلال الدين . فذلك الضبط أو التحكم من الممكن أن يخلق اتجاها أكثر قدرة على النقد والتأمل فى التجربة الانسانية ، ولا شك أن من أحد ثماره هذا الكم الهائل من الفكر الدينى الاخلاقى . فالدين يؤكد دائما على النظام فى مقابل الفوضى وعلى الالتزام فى مقابل الغرائز ، ويعبر عن حقيقة التجربة الانسانية ليس باعتبارها عبث ووهم . وأصول التجربة الانسانية فى الظروف البدائية للحياة لا يمكن أن تفسر الاشكال التى تطورت تحت ظروف أخرى مختلفة وبرغم اعجاب هوبهوس بالتراث الوضعى والفكر التطورى الا أنه شارك الفلاسفة المثاليين آرائهم مما جعله يتوصل الى نتائج مختلفة تماما عما ذهب اليه الوضعيون . فعلى المستوى الفلسفى أكد هوبهوس على حقيقة الصيغ الدينية الامر الذى تنفيه الوضعية ، ومن الناحية السوسيولوجية فقد تناول العلاقة بين الدين والاخلاق والبناءات الاجتماعية ، مع وعى كامل بتعقيداتها ، دون محاولة منه أن يجد علاقات بسيطة بين أنواع الاديان والمجتمعات . وعلى الرغم من أن أفكار هوبهوس لم تحظ باهتمام الكثير من علماء الاجتماع ، الا أن هناك عديدا من العلماء الذين تبنوا أفكاره فى مجال فلسفة الدين وعلم الاجتماع الدينى من أمثال :

[١٦] Teilhard do Chardin, Alister hardy, Julian huxley

---

(15) Scharf, B., R., *op. cit.* PP. 20 - 21.

(16) Scharf, B., R., *op. cit.*, P. 21.

أميل دور كيم : الدين والعقل الجمعي ٠

لا شك أن دور كيم أثرى علم الاجتماع الديني بعديد من الاعمال الهامة فى ذلك المجال ٠ وقد حاول ، مثل التطوريين الاوائل ، أن يبحث عن أصل الدين وذلك بتحليل الدين فى أكثر المجتمعات البدائية ٠ ويعتقد دور كيم هنا أن التغيرات فى الشكل تؤدى الى تغيرات جوهرية فى الطبيعة، وأن الوقوف على تطور المجتمع من البسيط الى المركب سوف يحدد لنا مجرى التطور الاجتماعى ٠ وما يهمنا هنا أن دور كيم كان له الفضل فى التأكيد على أن عالم الاجتماع له منهجا مخالفا لدراسة الظاهرة الدينية ٠ فالدين بالنسبة له يجب أن يدرس كحقيقة اجتماعية Social fact أو كشىء a thing ٠ ويرفض دور كيم تفسير الدين على أنه نتاج تقسيمات عقلية زائفة أو توهم ناجم عن ضغط مشاعر معينة ٠ ويتساءل هل يمكن لمثل هذا الوهم أو الخيال أن يستمر فى أن يكون له قوة عالمية فى كل المجتمعات الانسانية ٠ فالدين يجب أن يكون حقيقيا ، حتى يمكن أن يكون له تأثيرات اجتماعية ، ويعتقد دور كيم أن القواعد والقيم الخاصة بأى مجتمع تكون بالنسبة لاعضائه فى مكانة عليا وفوق كل الافراد ٠ وكل عضو يدرك هذه القيم والقواعد السلوكية ، ويدرك أن لها وجود مستقل عنه ولها القدرة على اكراهه على الالتزام بها ٠ كما يشعر العضو باعتماده على المجتمع ٠ ومن المعترف به أن الدين يعتمد على قوى عليا ، وهذا الاعتراف نابع من الشعائر التى تساعد العابد على وضع نفسه فى العلاقة الصحيحة مع هذه القوى ، يتلقى النفع منها ويبتعد عن اضرارها[١٧] ٠

ويرى دور كيم أن الاشياء المقدسة لاى نسق دينى هى فى الحقيقة رموز للمجتمع الذى يمارس هذا الدين ٠ ويفسر هذا بأن الشعوب التى تعيش حياة بدائية تحيا حياة شبه جماعية ، وعندما تجتمع فى مناسبات

(17) Scharf, B., R., *op. cit.*, P. 21.

معينـــة ، يقوى هذا الاحســـاس الجمعى ، وبتكرار هذا الاحســاس فى المناسبات يصبح نوعا من الشعائر ويأخذ فى ذهن المشاركين فيه شـــكل القوى المقدسة • فتلك الاحاسيس التى يعبـــر عنها من خلال الشـــعائر تنعكس على الموضوعات التى أصبحت ذات طبيعة مقدسة فى رأى الجماعة وتضفى نوعا من الخشوع الدينى فى مواجهة القوى الغامضة(١٨) •

لقد حاول دور كيم أن يبرهن على مـــا ذهب اليه ، فأخذ مثـــالا من دراسة قبيلة Arunta فى وسط استراليا والتى يعد طوطم القبيلة فيهـــا الطوطم الرئيسى بالاضافة الى وجود طقوس مرتبطة بطواطم أخـــرى ولكنها أقل أهميـــة على مستوى الاشـــخاص أو القبيلة عامـــة • ويذهب دور كيم الى أن العضوية فى هذه القبيلة تشكل محور الحياة الاجتماعية فالطوطم الشخصى يمثل استدماج القيم الاجتماعية والاعتراف بأن فردية الفرد تعتمد على مساندة المجتمع • والاعتقاد فى وجود اله متسام يمثل الوعى بأن النـــاس يرتبطون فيما بينهـــم بمشاعر وقيم عليـــا ، ولكن فى مناسبات قليلة غالبا ما يركد هذا المفهوم من خلال التجربة دون أن يتخذ ذلك اشكالا طقوسية أو دينية جديدة(١٩) •

ما يريد أن يؤكده دور كيم هو أن الجماعة الاجتماعية هى المسئولة عن تكـــوين الدين والاخـــلاق والتعبير عن ذلك رمزيا • فالدين خـــاص بجماعة معينة وعندما تتغير هذه الجماعة يتغير الدين أيضا ، بمعنى آخر ، أن بناء الجماعة عنده يعتبر متغيرا مستقلا والدين يعتبر فيه متغيرا تابعا • ولكن من الناحية الوظيفيـــة يرى دور كيم أن الدين يسند ويدعم بنـــاء اجتماعى معين عن طريق منع الانحراف وتحديد مجريات التغير ، وكذلك

---

(18) Scharf, B., R., *op. cit.*, P. 21.

(١٩) انظـــر :

Durkheim, E., *The Elementary Forms of Religions Life* trans. by J. W. Swain. 1915.

باعطاء سلطة مطلقة ومقدسة القواعد والقيم الثابتة للجماعة • فالدين مستمد أيضا من التضامن الاجتماعى من ناحية فضلا عن أنه يعضده من ناحية أخرى ، فهو يعبر عن ولاءات الجماعة ويعمل على استمرارها • وعلى الرغم من أن الدين ، سواء بطريقة ظاهرة أو مستترة يمر بتغيرات نجد أن بعض الجماعات تضفى صفة التقديس على أعضائها ، ولهذا يعمل المجتمع على استمرار الدين ، وفى الوقت نفسه يعمل الدين على تعضيد هذا المجتمع • فضلا عن ذلك ، يرى دور كيم أن نمو المجتمعات فى الحجم وفى الاحتكاك المتبادل وتقدم العلم والتكنولوجيا يجعل الناس يميلون الى الانتقال من عبادة طوطم القبيلة أو أرواح الاسلاف أو آلهة المدينة أو القبيلة الى مفهوم الاله الواحد الذى يحكم كل الخلق[٢٠] • ولكن التجربة التى تصاحب المشاعر الدينية تظل تجربة المعيشة فى جماعة خاصة ، بما تحتويه من تراث وقواعد وقيم خاصة • فالاديان التوحيدية ، اذن ، تحتوى ادعاء بالعالمية مع التزام خاص بالدفاع عن جماعات خاصة وتدعيمها ، ولهذا فليس مستغربا أن نجد تبريرا لاله الانسانية الذى يدافع عن شعب معين ومن ناحية أخرى فان آلهة الديانات التوحيدية ربما تكون فى وضع شبيه بالاديان البدائية يؤمن بها الافراد ولكن لا يعبدونها نظرا لغلبة نفعية الاشياء المقدسة الاخرى مثل الراية المقدسة أو الزعيم السياسى • وباختصار يرى دور كيم أن حقيقة الدين ماثلة فى تأثيرها وتعضيدها الثقة والتماثل بين أعضاء جماعة معينة • ويبين التحليل الاجتماعى كيفية مساهمة الابنية الاجتماعية الخاصة فى اعطاء فرصة لظهور أنساق دينية معينة ، كما تبين فى الوقت نفسه ، كيفية تأثر هذه الابنية بتلك الانساق الدينية[٢١] •

---

(20) Scharf, B., R., *op. cit.*, PP. 23 - 24.

(٢١) تبنى دور كيم فى كتابه تقسيم العمل الاجتماعى موقف سبنسر الذى يرى أن تطور المجتمع يتحقق من خلال انتقاله من الشكل البسيط الى =

ويلاحظ روبرتسون R. Robertson أن معالجة دور كيم للدين قد حظيت باهتمام كثير من الباحثين ، خاصة علماء الانثروبولوجيا ، ويرى أن مرد هذا أن نظرية دور كيم عن الجانب التكاملى للدين وأثر الدين علـى المســتوى الفردى والجماعى جــذبت كثيرا من الباحثين الذين حــاولوا الاهتمام بدراسة المجتمعات البدائية مع التركيز على الجانب الوظيفى أو التكاملى للدين ، أى الاهتمام بدور القيم والمعتقدات والرموز فى اعطــاء شعور بالتكامل للافراد وتحديد ما ينبغى أن يكون عليه المجتمع • كل هذا أدى الى ظهور النظرية الوظيفيــة أو التكاملية للدين • كذلك فقــد كان لدوركيم الفضل ، بما قدمه من دراسات عن التفرقة بين المقدس والدنس وتأكيده على عالمية الدين ، فى استبعاده الدراسات الانثروبولوجية التى اهتمت بموضوع التفرقة بين ما هو عقلى وغير عقلى فى الاعتقــاد الدينى

= الشكل المركب • فيذهب دور كيم الى أن المجتمع الانسانى يتميز بنوع من التضامن الآلى Mechanical Solidarity ، ويعيش ويشارك الاعضاء فيــه نفس التجربة ولهذا يقبلون نفس القواعد والقيم والسلطة ، وأى هجوم على هذه القواعد يعد هجوما على الكل • ولهذا يرتبط التضامن الآلى بأشياء مقدسة فــى المجتمع • وبازدياد العمل داخل المجتمع وتحت ظروف خاصة بالضغط الســكانى يســود المجتمع نوع جديد من التضامن وهــو التضــامن العضــوى Organic Solidarity • وهنا يظهــر نوع من الحرية للافــراد ، ومن ثم يتحــررون من السلطات والقيم التى كان لها مكانة التقــديس وتظهر قواعــد وقوانين جــديدة تتميز بالطبيعة العلمانية • على أى حال ، هذا النوع من التضامن العضــوى لا يمكن أن يتم تمثيله رمزيا فى أشياء مقدسة ، ولذا فالافراد يوجهون ولاءهم الى بعض الجماعات الفرعية • وعليه يرى دور كيــم أن الشيوعية والقوميــة التى ظهرت فى المجتمع الصناعى الحديث ان هى الا بدائل للديانة المسيحية حيث أن المجتمع لابد وأن ينمى نوعا من التعبير المثالى الذى يأخذ شكل الشعائر فيمــا بعد ويحظى بالتقديس •

أنظــر :

Durkheim, E., *The Division of Labour in Society*. trans. by G. Simpson, 1947.

والذى ساد الدراســات الانثروبولوجية التطــورية فى القرن التاســع عشر[٢٢] •

واذا ألقينا نظرة نقدية على اسهامات فيبر نجد أن نظريته عن الدين تتميز بالتعقيد فكما سبق أن رأينا ، شرح دور كيم نظريته عن الدين فى ضوء ظاهرة الطوطميــة فذهب الى أن الطوطمية البدائيــة للدين ، وأن الاديان المتقدمة ما هى الا صــورة معقدة منها ولكن مع توافــر كثير من المعلومات عن الاديان اتضح أن الطوطمية ليست ظاهرة دينية كما ادعى دور كيم • فقد ذهب ليــفى استروس Lévi Strauss [٢٣] الى أن تلازم الطوطمية وارتباطاتها بالدين هو الذى أعطاها مكانة فى الدين ، على الرغم من أن الطوطمية قد انفصلت تماما عن الاديان المتحضرة خشية أن تقوم تلك الاديان باحتوائها • ويرى ليفى استروس كذلك أن دور كيم قد أهتم بعلاقة البناء الاجتماعى بالمعتقدات والقيم ، ولكن دور كيم بذلك ، كما يرى ليفى استروس ، قد أغفل العلاقة بين المجتمع والطبيعة • ويؤكد ليفى استروس أن هناك اتجاها مخالفا لاتجاه دور كيم ، وهو الاتجــاه الذى ظهر مع مالينوفسكى والذى يذهب الى أن الدين والســحر قد ظهر

---

(22) Robertson, R., *The Sociological Interpretation of Religion. op. cit.* P. 18.

أنظـر أيضــا :

Alpert, H., "Durkheim Functional theory of ritual" in Nisbet, E., (ed.), *Emile Durkheim*. Englewood : Spectrum Books, 1965.

Honigsheim, P., "The Influence of Durkheim and His School on the study of Religion" in Wolff, k. (ed.) *Emile Durkheim* Ohaio State University, 1960.

(٢٣) أنظـر

Lévi Strauss, C., *The Savage Mind*. London : Chicago, 1965.

من خـــلال العلاقة المعقدة بين الانســـان والبيئة الطبيعية التى تضـــمن ضبيعة الانسان البيولوجية • فالرأى عند ليفى استروس أن مقولات الفكر الانسانى لها علاقة بالوســـائل التى تتسامى بالاختلافات بين الطبيعـــة والثقـــــافة(٢٤) •

ويمكننا أيضا عقد مقـــارنة بين نظرية كل من دور كيم ومـــاركس فى الدين • فكما يرى روبرتسون ، هنا كاتفاق بينهما فى كثير من الموضوعات، فكلاهما يؤكد على تبعية الفكر الدينى للتنوع القائم فى بناء المجتمع ، ولكن بينما يرى مـــاركس أن بناء المجتمـــع هو محصلة العـــلاقة المتغيرة بين الانسان وبيئته المادية ، ينظر دور كيم الى البناء الاجتماعى باعتباره شىء معطى a given •

فالتفســـير الماركسى للدين لا يرى البناء الحقيقى للاعتقاد الدينـــى باعتباره انعكاس مباشر للعلاقة البنائية بين الافـــراد والجماعات ، ولكن ينظر اليه على أنه مظهر من علاقة معينة للتفاعل ، أعنى علاقة الانســـان بالانتاج الاقتصادى • ان طبيعة عملية الانتاج والعلاقة بين الجمـــاعات الاساسية التى تهتم بعملية الانتاج هى التى تخلق الظـــروف التى تؤدى الى ظهور نمط معين من الاديان • ففى كل المراحـــل السابقة على ظهـــور المجتمع الاشتراكى يقع الناس فى علاقة اغترابية alination مع كل من وسائل الانتاج ومحصلتها من المنتجات ، كما أنهم يشعرون بالاغتراب فى علاقتهم بعضهم ببعض • وفى حالة الاغتراب تستمر الاعتقادات الدينية والشعائر فى الظهور ، فهى بمثابة الاستجابة للمشاعر العامة التى تكشف عن عدم التحكم فى مصـــير الانسان • فالماركســـية اذن ، ترى أن الدين تعويض فى موقف دينامى معقد خال من العلاقات الاجتماعية ، ولا يتمتع فيه الانسان بأى قوى سوى القوى الفكرية • بينما نجد دور كيم يؤكد على أن الدين تعبير عن الحياة الجمعية والعقل الجمعى(٢٥) •

---

(24) Robertson, R., *op. cit.*, P. 19.
(25) *Ibid.*, PP. 19 - 21.

٣ ـ اسهامات اخرى :

أ) هيوبرت وموس : الشعائر والحياة الاجتماعية .

جذبت نظرية دور كيم ، خاصة تحليله الوظيفى ، عديدا من الباحثين فى مجال الانثروبولوجيا الاجتماعية . فقد حاول هيوبرت Hubert وموس Mauss تطبيق نظرية دور كيم على البناء الاجتماعى للاسكيمو وأنشطته الدينية وذلك لاثبات أن هناك علاقة بين الحياة الاجتماعية والنشاط الشعائرى فى الاسكيمو تشبه العلاقة القائمة فى قبيلة Arunta التى درسها دور كيم . وتبعا لذلك بذلت كثير من الجهود فى الدراسة الوظيفية للاديان البدائية . وتركز الاهتمام فى البداية حول الاديان التى لها خصائص قبلية والتى كانت المشاركة الدينية فيها جانبا من جوانب عضوية الجماعة التى تميز بناء اجتماعى ثابت ومنعزل . بينما نجد أن الانثروبولوجيين الاجتماعيين بعد ذلك ، قد أعطوا أهتماما للتغيرات المفاجئة التى حدثت لاديان الشعوب البدائية نتيجة التأثيرات الاوربية المتمثلة فى التجارة أو الاحتكاك الثقافى والاستعمار (١) .

ب) مالينوفسكى : الجانب السحرى والعملى فى السلوك البدائى .

يرى مالينوفسكى Malinowski أن المعرفة الوضعية وأجراءاتها غير كافية أو شاملة لتفسير كل الظواهر طالما أن هناك بأستمرار منطقة غير واضحة وخارجة عن تحكم الانسان ، وهى منطقة الأديان والسحر . ومن دراسته عن جزر التروبرياند Trobriand لاحظ مالينوفسكى أن سكان هذه الجزر يملكون كما هائلا من المعلومات عن الفلاحة والتى

---

(1) Scharf, B., R., *op. cit.*, P. 6.

تشكل المصدر الرئيسى لمعيشتهم • فهو يرى أن ذلك الكم من المعـلومات والانشطة الخاصة قد أرتبطت به بعض الشعائر السحرية • فكما يقـول « فى كل عام تقام سلسلة من الشعائر فى الفلاحة ••• فطالما أن قيـادة عمليات الفلاحة فى أيدى السحرة ، وطالما أن العمل الشعائرى والممارسات ترتبط بنظرة سطحية ، فان هذا يؤدى الى أختلاط السلوك الاسطورى بالعقلى ، كما لا يمكن تمييز أيا منهما لدى السكان أو حتى على مستوى التحليل العـلمى[٢] •

ويذهب مالينوفسكى الى أن سكان هذه الجزر يفرقون تفرقة واضحة بين ما يمكن انجازه بالوسائل العلمية وما يبقى ليحل عن طريق الاعتقادات السحرية أو الشعائر • فالرجل البدائى يعمل لوجهين من الحقيقة ، الجانب العملى والجانب السحرى • ويستخدم السحر فى الحـالات التى تكون فيها المشاعر قوية وشديدة ، فى بعض الانشطة ، الى الدرجة التى لا يمكن معها الاعتماد على الاجراءات الامبريقية فقط • ويصبح الدين والسحر بمثابة مخارج من المواقف أو المآزق التى لا مخرج منها عبر الطـريق الامبريقى ولا حل لها الا بواسطة الشعائر والاعتقاد والايمان بما هـو روحانى أو فوق عضـوى •

وهكذا حاول مالينوفسكى أن يبين ، أننا لكى نبتعـد عن التفسـير الوضعى ينبغى أن نشير الى أنه فى كثير من الحـالات لا يمكن أن تكون المعرفة والاجراءات العقليـة مناسبة كلية مع البيئة • ولهذا فالاعتقادات السحرية والدينية والشعائر ليست أخطـاء ، كما يذكر فـريزر ، ولكنها استجابات لنوع مختلف من السلوك ويعترف بها كما هى بالنسبة للذين

---

(٢) انظـر :
Malinowiski, B., *Magic, Science and Religion and Other Essays*, Giencoe III : The Free Press, 1948. P. 11.

يمارسونها أو يعتقدون فيهـا • فلكل من الـدين والسـحر ، كما يرى مالينوفسكى ، وظائف خاصة يجب أن توضع فى مقولات خاصة بها[٣] •

جـ) ماركس : الدين والوعى الطبقى •

لا شك أن ماركس قد أسهم بطريقة غير مباشرة فى اثارة الاهتمـام بمكانة الدين فى المجتمع[٤] • اذ يرى ماركس أن الانتقال نحو المجتمـع المركب يحمل فى معنـاه الانتقال نحو الصراعات الاجتماعيـة ، صراعات مصالح الجماعات أو الطبقـات الاقتصادية • ولم يكن أهتمـام ماركس بالدين فى كل المجتمعات ، ولكن أهتمامه الاساسى كان بالدور الذى يلعبه الدين فى المجتمعات ذات الطبقات الواضحة وكيف يسهم فى أخماد أو نمو الوعى الطبقى بين أفراد الطبقة المستغلة • وقد لخص ماركس أفكاره عن الدين فى عبارته الشهيرة : « أن الدين هـو أنين الكائن المضطهد ، وقلب العالم عديم الرحمة ، وحس الظروف القاسية ، انه أفيون الشعب »[٥] • والحق أن انجلز Engles هو الذى حاول أن يبين العلاقة المحـددة بين الظواهر الدينية والتقسيمات الطبقية فى مجتمعات معينة • فحاول ، على سبيل المثـال ، أن يفسر الانتشـار المبـكر للمسـيحية من خلال نمـو

---

(3) Hill, M., A *Sociology of Religion op. cit.,* PP. 36 - 38.

(4) Marx, k., "Critique of the Hegelian Philosophy of Low" in *Economic and Philosophical Manuscipts,* 1844.

أنظـر أيضـا :

Acton, H., B., "The Marxist-Leninist Theory of Religion", *Ratio* Vol. 1, No. 10. 1958. PP. 136 - 149.

Bottomre, T., B., and Rudel M., *Karl Marx : Selected writtings in Sociology and Social Philosophy,* Penguin Books. 1943.

Marx, Karl and Engles, F., *On Religion* Moscow Foreign laugauge publishing House, 1957.

(5) Scharf B., R., *op. cit.,* PP. 26 - 27.

البروليتاريا ـ الاحرار والعبيد فى مـدن الامبراطورية الرومانيـة ـ اليونانية ، كما حاول أيضا أن يحلل حـرب الفلاحين الالمان فى القـرن السادس عشر والتى استخدم الفلاحون فيها الرموز الدينية وألتفوا حول قائد دينى كجزء من مواجهتهم للاقطاع • باختصار فان كلا من ماركس وأنجلز أراد أن يبين أن الدين يمكن أن يكون وسيلة للاعتراض والقبول والخضوع ولذا فقد حاولا تمييز الظروف التى يظهر أو يكمن فيها الصراع الطبقى من خلال تبريرات دينيـة •

د) ترولتش : تصنيف التعاليم الاجتماعية للكنائس المسيحية •

ساهم عالم الاجتماع الالمانى ترولتش Troeltsch [٦] فى دراسـة التنوع الهائل بين الجماعات المسيحية فى العالم الغربى ، فحاول فى كتابه التعاليم الاجتماعيـة للكنائس المسيحية أن يقدم لنا نموذجـا تصنيفيـا للكنائس والفرق والجماعات الدينية • ولا شـك أن مثل هذا النمـوذج التصنيفى محل أهتمام ومناقشة حتى وقتنا المعاصر من جانب معظم علماء الاجتماع الدينى من أمثال فيبـر M. Weber وولسون Wilson نيبور H. R. Niebuhr ويعتقـد ترولتش أن هنـاك أهمية خاصـة للانجيـل الاصـلى Original gospel للمسيحين فى أحداث كل التطورات اللاحقة • فالاعتقاد فى هذا الانجيل بما يحتويه من أعتقادات خاصة بصلب المسيح ورفعه الى السماء ، والايمان باليوم الآخر • كشىء مقدس قد أثر على المؤمنين به بغض النظر عن أوضاعهم الاجتماعية أو الاقتصادية كنتيجـة للتأكيد على جانب واحد من هذا الانجيل على حساب الجوانب الاخرى ، فطالما أ نالكنيسة تحاول التوافق مع عالم المخطئين فاننا نجد أنفسناأمام موقفين ، أحـدهما للشخص المنتمى الى فرقـة معينة وينشـد الكمـال

---

(6) Trosltsch, E., *The Social Teachings of Christian Chnrches*, trans, by O. Wyon, 1913 (2 Vol.).

الاخلاقى والدينى فى عالمنا هذا ، والآخر للشخص ذو النزعة الروحية (الصوفية) mystic وينظر الى الشعائر والتنظيم الدينى والقواعد الاخلاقية باعتبارهم أمورا غير هامة اذا ما قورنت بانجازات الفرد فى سعيه نحو تحقيق الوحدة مع الاله • ويرى ترولتش أيضا ، أن الذين ينتمون الى الفرق الدينية غالبا ما يكونون من الطبقات الدنيا • فالظلم الاجتماعى وعدم المساواة،كما يرى ترولتش ، هى جوانب أساسية فى خلق الظروف السيئة للانسان ، ولهذا فان التوتر بين الكنيسة والفرقة والتجربة الروحية سوف يستمر طالما أستمرت المسيحية فى الوجود • وترى بتى أسكارف B. R. Scharf أن ترولتش لم يتنبأ مثل ماركس بأن الاعتراض الدينى للفرق سوف يتحول الى اعتراض سياسى للحزب ، والذى سوف يؤدى الى احدث الثورة التى تطيح بالظلم•وعلى أية حال، فأن ترولتش قد أنتصر فى نموذجه على المجتمعات المسيحية قبل عصر التصنيع السريع ، ولكن أتباعه حاولوا تطبيق ذلك النموذج على الجماعات المسيحية فى المجتمعات الصناعية ، وحاولوا تطبيقه كذلك على مجتمعات غير مسيحية(٧) •

هـ) باريتو : نسبية الظاهرة الدينية •

لقد تبنى باريتو Pareto أتجاها مشابها للاتجاه الوضعى فى التفسير • فأنماط الفعل الاجتماعى ، كما يرى باريتو ، يمكن فى كثير من الحالات أن تفسر من خلال ما أسماه بالمقياس التجريبى المنطقى Logico - experimental standard ، يقصد باريتو بهذا أن الغايات التى يسعى لتحقيقها والوسائل المستخدمة يمكن أن يعبر عنها من خلال صدقها العلمى الامبريقى • ويرى باريتو أن الاعتقاد فى معرفة الحقيقة ،

(7) Scharf B., R., *op. cit.*, PP. 27 - 28.

المطلقة يحجب الاعتراف بوجود حقائق أخرى ، فالانسان الذى يعتقد أنه يمتلك الحقيقة المطلقة لا يمكن أن يسلم بأن هناك حقائق أخرى فى العالم ، ويرى كذلك أن هناك بعض الافتراضات التى لا يمكن أن تقاس عن طريق الاجراءات المنهجية مثل صفات الله(٨) .

وتتميز أسهامات باريتو فى دراسة الظاهرة الدينية بتأثره بالمبدأ القائل بأن المعرفة السوسيولوجية لها طبيعة نسبية فكل افتراض يجب أن يوضع فى حدود الزمان والتجربة التى عرفناه فيها • وفى بحثه للظواهر الدينية كتب يقول « أننا لا نهتم بالبحث فى حقيقة أى دين أو عقيدة أو اعتقاد اخلاقى أو ميتافيزيقى مهما كان ، ليس لاننا نحتقر أى من هذه الاشياء ، ولكن لانها ببساطة ، تقع خارج نطاق الحدود التى نعمل بداخلها فالاديان والاعتقادات وما شابهها يمكن النظر اليها فقط على أنها حقائق اجتماعية ••• نحن نبحث فى كيف يتكون الاعتقاد ؟ وكيف يتطور ؟ وما هى علاقته بالحقائق الاجتماعية الاخرى(٩) .

و) لابراس : الاتجاه السوسيوجرافى فى دراسة الدين .

وفى نهاية استعراضنا لاهم من أسهموا فى تطور علم الاجتماع الدينى يجدر بنا الاشارة الى اسهامات لابراس Le Bras فى فرنسا • فعلى الرغم من تأثره بنظريات دور كيم الا أنه طور لنفسه أتجاها مميزاً يعرف باسم الاتجاه السوسيوجرافى فى الدين Sociography of Religion فقد حاول أن يبين بنوع من التفصيل درجة تأثير الممارسات والشعائر الدينية على فرنسا المعاصرة وتاريخ فرنسا الحديث ومن خلال دراسته

---

(8) Hill, M., *A Sociology of Religion. op. cit.*, PP. 35 - 36

(٩) أنظر :

Finer, S., E., (ed.) *Vilfredo Pareto. Sociological writings.* London : Pall Mall Press, 1966 P. 172.

ودراسات تلاميذه تكونت صـــورة واضحة عن نقاط القوة والضـــعف فى الكاثوليكية الفرنسية • وعلى الرغم من كونه كاثوليكيا الا أن أهدافه ، لابراس ، كانت أكاديمية صرفة ، ولكن تلاميذه حاولوا الاهتمام بكيفيـــة تقوية الكنيسة فى فرنسا • وقد قامت دراسات مشابهة لدراسة لابراس فى أمريكا اللاتينية والمجتمعات الاوربية • ومع استخدام الطرق المسيحية حدث تطور لكثير من الدراسات الخاصة بالذهاب الى الكنيسة ودرجـــة الانتماء الدينى والاعتقاد والمعرفة فى المعتقدات الدينية • وعلى الرغم من الانتقادات التى وجهت الى طرق المسح الاجتماعى ، الا أنها تعطى معلومات كافية عن العلاقات القائمة بين متغيرات مثل الصناعة وحيـــاة المدينة والطبقة الاجتماعية والممارسات الدينية(١٠) •

---

(10) Finer, S., E., (ed.), *op. cit.*, P. 30.

٤ ـ خاتمـــة :

قدمنا فى هذا الفصل عرضا سريعا عن النظريات المبكرة التى ساهمت بشكل واضح فى تطور علم الاجتماع الدينى ، وبينا كيف أن هذه النظريات قد ساهمت فى تقديم تفسير عقلى ، ومن ثم تضمنت أحكاما عن حقيقة أو عدم حقيقة الدين • فكما رأينا ، حاولت النظريات التطورية المبكرة تفسير الظواهر الدينية داخل الاطار الوظيفى ، فالظواهر الدينية ينظر اليها من خلال هذا المدخل على أنهـا أساليب بدائية من التفـكير الانسانى والتى ما زالت تميز بعض الثقافات الدنيا فى سلسلة التطور • فالاتجاه السائد عند الكثير من ممثلى هذا الاتجاه هو اعتبار الدين نوع من الجهل أو الوهم أو الخطأ الانسانى الذى سوف يتضاءل أمام الاكتشافات العلمية •

وبأستثناء دوركيم كانت معظم هذه الدراسات أقرب الى الدراسات الانثروبولوجية أو النفسية أو ربما الفلسفية • والحق ان ماكس فيبـر قد ساهم بشكل مباشر فى ارسـاء معالم عـلم الاجتماع الدينى ، فقـد تنوعت دراساته المقـارنة عن الاديان وشملت أديان الصـين والهنـد واليهـودية والمسيحية وغيرها • وقـدم لنا نظرية ما زال لها صـداها وجاذبيتها فى الفكر الاجتماعى وهى أن الافكار الدينية لها أهمية عليـا فى أى نسق يتعلق بالفعل الاجتماعى أو التغير الاجتماعى وسوف نفـرد الفصل القادم لمناقشة هذه الافكار بالتفصيل •

الفصل الثالث

علم الاجتماع الدينى عند ماكس فيبـــر

علم الاجتماع الدينى عنـد ماكس فيبر

١ ـ تمهيــــــد •

٢ ـ نظرية الاخلاق البروتستانتية •

٣ ـ الدراسات المقارنة للاديان •

٤ ـ نقــاد فيبــر •

أ) أصل الرأســمالية •

ب) الكالفنية ، التطهرية وروح الرأسمالية •

جـ) العــلاقة العلية •

د) روح الرأسمالية •

هـ) تعليـــق •

٥ ـ التطبيقات الامبريقية لنظرية فيبــر •

٦ ـ خاتمــــة •

١ ـ تمهيـــد :

جعل فيبر من دراسة الدين محورا لاهتماماته السوسيولوجية • فقد حاول أن يتناول أديان العالم الكبرى من خلال تحليل أوضاعها التاريخية والاجتماعيـــة • ونهج فيبر نهجـــا مخالفا للمنـــاهج التى اســـتخدمتها الاتجـــاهات التطـــورية والوضعية ، فاهتمـــامه الأساسى كان متعلقـــا بالاختلافات بين الانساق الدينية المختلفة أكثر من التشابهات التى بينها • حقيقة كان اهتمامه مثل ماركس يتركز على تتبع تطور الرأسمالية الحديثة، ولكنه يختلف عنه فى أنه لم ينظـــر الى الرأسمالية على أنها مرحـــلة من التاريخ العالمى للمجتمع الانسانى ، بل نظر اليها باعتبارها ظاهرة تاريخية منفردة • فقد كانت المشكلة الرئيسية عند فيبر هى بيان سبب عدم ظهور الرأسمالية فى مجتمعات أخرى • وهل هناك علاقة بين ظهورها فى مجتمعات معينة وبين الأخلاق الاقتصادية الخالقة للرأسمالية التى يمكن أن نجدها فقط فى المسيحية البروتستانتية • ولكى يثبت هـــذا قام بعمل تصنيفات لاديان العالم والنسق القيمى المرتبط بكل منها وبحث ما اذا كانت هنـــاك قيم مشجعة للنشاط الاقتصادى أم لا • وباختصار فقد حاول فيبر اقامة علم اجتماع دينى من خلال دراسة دور الأفكار والقيم والدين فى التغير الاجتمـــاعى •

٢ ـ نظرية الاخلاق البروتستانتية :

تعد مقالة فيبرعن الاخلاق البرتستانتية وروح الرأسمالية[1] • أحد الاسهامات الهامة فى علم الاجتماع الدينى • فقد حاول فيبر فى هذه المقالة أن يناقش العلاقة بين المعتقدات الدينية والاخلاق العملية ، خاصة أخلاق النشاط الاقتصادى الذى كان سائدا فى المجتمع الغربى منذ القرن السادس عشر وحتى العصر الحديث • وتعد هذه المشكلة فى السياق الخاص بالاديان المختلفة ، محور الاهتمام فى كل الدراسات التى قام بها ماكس فيبر عن اليهودية القديمة وأديان الهند والصين والاديان اليونانية والرومانية والديانة المسيحية • وعلى الرغم من أن اهتمامه الاساسى فى هذه الاعمال كان منصبا حول الاخلاق الاقتصادية ، الا أن فيبر حاول أن يقدم نظرة كلية حول العلاقات بين أنواع المجتمعات وأنواع الاديان السائدة فيها[2] •

على أية حال ، فان أول اهتمام لفيبر فى مقالته عن الاخلاق البروتستانتية هو تقديم الدليل على التلازم بين أشكال معينة من البروتستانتية والتقدم المنظم نحو الرأسمالية وقد أخذ فيبر أمثلته من التطهرية Puritanism الانجليزية فى القرن السابع عشر وكيف استقرت فى أمريكا واشتغلت بالمشروعات الرأسمالية • ويرجع اهتمام فيبر بهذه الامثلة لتوضيح المناسبات التى فيها تتغير الاتجاهات نحو النشاط

---

(1) Weber, M., *The Protestant Ethic and Spirit of Capitalism*, London University Books, 1930.

(2) Scharf, B., R., *op. cit.*, P. 132.

الاقتصادى ويتفتت النظام الاقتصادى التقليدى • ويرى فيبر أن رفض هذا النظام التقليدى كان راجعا الى تأثير القوى الدينية والاخلاقية • كذلك حاول فيبر أن يبين الفرق المختلفة التى حاولت فيها الجماعات الدينية المشاركة فى اقامة الرأسمالية فى ذلك الوقت • ولكى يثبت هذا قام فيبر بفحص فرص العمل والتعليم المتاحة فى فرنسا وانجلترا والمجر ووجد أنها تشير الى أن البروتستانتيين خاصة اتباع كالفن اذا ما قورنوا بالكاثوليك نجدهم يحتلون المراكز الكبرى ويميلون الى البقاء فى المزارع وفى المراتب الدنيا والمشروعات الصغيرة ، أو الوظائف الادارية •

وبعدما حاول فيبر أثبات العلاقة بين البروتستانتية الكالفنية والرأسمالية الحديثة انتقل ليبين الملامح المميزة للرأسمالية الحديثة واختلافها عن الانواع الاخرى من التنظيمات الاقتصادية • ويقرر فيبر فى وضوح ، أنه لا يدعى أن الرأسمالية لم تكن موجودة فى كل الانظمة الاقتصادية السابقة ، فقد عرفت أنظمة اقتصادية كثيرة العديد من سمات الرأسمالية ، ولكن فيبر لا يتحدث عن ذلك النوع من الرأسمالية ، أنه يبحث عن الرأسمالية الحديثة التى لا تعتمد على الدولة الا فى حماية القانون والنظام الذى يسمح للرأسمالية بالعقلانية فى السلوك التجارى وبينما كانت الرأسمالية القديمة لا تعبأ بالتعاليم الدينية والرأى العام ، نجد أن رواد الرأسمالية الحديثة أكثر تحمسا فى اتجاهاتهم نحو الاخلاق واتباع القيم الدينية فى أعمالهم ، وينظرون الى ثرواتهم على أنها هبة ونعمة من الله من بها عليهم • فالمشارك فى الرأسمالية الحديثة — سواء كان صاحب المشروع أو الادارى أو العامل ، هو ، كما يرى فيبر ، « منحرف » عن التقاليد التى لا تحبذ التغيرات التكنولوجية والنظامية وتحجب تراكم الثروة ، وهو ، كما يؤكد فيبر ، المؤمن بأخلاق العمل الشاق ، والتحسن المنظم لتحقيق أقصى انتاج ممكن والمقتصد فى

الاستهلاك الفردى ، والمؤمن بالفردية أكثر من الجمعية فى مسئولية الحياة الاقتصـــــادية(٣) .

ولكن كيف ترتبط هـذه النظرة الجـديدة للعمل والتعطش للثـروة بالرأسمالية ؟ يرى فيبر أن مبدأ الدعوة Calling للواجب الدينى من الاسس الهـامة فى هـذه القيـم الجـديدة ، وكذلك مبـدأ الجبـرية Predestination الذى يولد الارادة القوية اللازمـة لوضع ذلك المبـدأ وتطبيقه فى الممارسات العملية فالبروتستانت ، كما يؤكد فيبـر ، كانوا متحمسين للتفكير فى عملهم اليومى بأى مهنة على أنه وسيلة من خلالهـا يقدمون الشكر لله ، فالعمل بالنسبة لهم يجب أن يؤخذ مأخذ الجد تماما مثل الواجبات الدينية التى يقوم بها القس الكاثوليكى الذى يعتقـد أنه يلبى دعوة أو واجب دينى خاص . فالعمل له قيمة فعلية ولم يعد ينظـر اليه بعد ، على أنه نتيجة لخطيئة آدم . ومن ناحية أخرى ، فالكالفانيـة تعتبر أكثر تأكيدا على حرية اختيار الواجب الدينى من الكاثوليكية كمـا أنها لا تفرض الالتزام بقبول أى واجب ليرتبط به الانسان منذ ولادته .

ويرى فيبر أن هـذين المبدأين ، مبدأ أهميـة العمل ، وحـق الفرد وواجبه فى اختيار ميدانا لنشاطه ، كان لهما اسهاما واضحا فى التقـدم الاقتصادى الذى لم يبـدأونه فقط بل مارسوه بالفعل . كما يعتقـد أن البروتستانت قاموا بممارسة هذا النوع من النشاط الاقتصادى حينمـا كانوا يؤمنون بعقيـدة الجبرية . فالاعتقـاد الكالفانى يدعى أنه بسبب خطيئة آدم فان جميع الناس سـوف يختارون ليكونوا من الناجـين من العذاب . ولكن لا يمكن لانسان أن يعرف تقدير الله بالنسبة للمؤمنـين والناجين ، ولهذا فان الجميع يجب أن يبذلوا قصارى جهدهم فى طاعـة

(3) Scharf, B., R., *op. cit.*, P. 133.

أوامر الله على هذه الارض • ولم يكن اهتمام فيبر منصبا على الاسباب التى جعلت كالفن ينادى بهذا المبـدأ ولكنه كان مهتما أساسا بالتغـيرات التى صاحبت ذلك المبدأ فى سلوك المعتنقين له • بمعنى آخر ، أراد فيبر أن يتتبع الطرق التى حاول الكالفنيون من خلالها تحقيق الخلاص فقد قبـلوا مبدأ كالفن أن لا عودة للشعائر والاعترافات المسيحية ، وبدلا من ذلك ، ركزوا جهودهم فى العمل المتواصل ، التنظيم الذاتى للشخص ، واتبـاع الطرق السليمة لتحقيق الاهداف ، والتأكيد على أنهم من المختارين من قبل الله • واذ ما أصيب المرء بالقلق فعلاجه هو التأكيد على هذه القيم الجديدة فلا الكنيسة ولا رجل الدين ولا أى شخص يمكن أن يقدم للانسـان أى شيء ، فهو وحده وبكفاحه المستمر يستطيع أن يصل الى مرحلة الخلاص، وهذا ما يعرف فى المسيحية بالزهد الدنيوى inner wordly ascticism كل هذا أعطى امكانية تطور الرأسمالية الحديثة فى أوربا فى القرن السابع عشر ، ولم تكن مصادفـة اذن ، أن تكون هذه الامكانية متاحـة فقط بين البروتستانت الكالفنيين فى معظم دول أوروبا(٤) •

ومن الملاحظ هنا أن تحليل فيبر يقف فى أتجاه مخالف تماما للتحليل الماركسى ، فقد أعطى فيبـر اعتبارا أكثـر لدور الافكار فى خلق البنـاء الاجتماعى • وعلى أية حال ، فان فيبـر يدين بالفضل لدراسة سمبارت W. Sombart عن أصل الرأسمالية وخاصة معالجته لما أسـماه روح الرأسـمالية The Spirit of Capitalism كقوة مساعدة فى تطـور الرأسمالية الحديثة • اذ يرى سمبارت أن اليهود الاوربيون هم الذين لهم الفضل فى خلق الرأسمالية الغربيـة •

---

(4) Scharf, B., R., *op. cit.*, P. 134 - 135.

٣ ـ الدراسات المقارنة للاديان :

جاءت دراسات فيبر عن أديان الهند والصين واليهودية تحت أسم الاخـلاق الاقتصـادية لاديان العـالم The Economic Ethic of the World Religions (١) لا شك أن هـذا العنوان يشـير الى استمرار اهتمام فيبر بتأثير الاخلاق البرتستانتية على الانشطة الاقتصادية ، كما أنه يشير أيضـا الى أن الاعتقادات الدينيـة تختلف فيما بينها بشـأن الانشطة الاقتصادية ، ومع ذلك فان جميع الاديان تحاول أن تعطى توجيها أخلاقيا للانشطة الدنيوية لاعضائها سواء كانت هذه التوجيهات ضمنية أو صريحة • وبهذا المعنى الواسع نستطيع أن نقـول أن فيبر يتعامل مـع الاخلاق العلمانية التى هى جزء من كل دين عالمى • بمعنى آخـر أن فى كل دين « مستودع للحوافز الروحية للمؤمن » وهذا ما يشكل الاخـلاق ونسق القيم الخاص بكل دين • ولا يعنى هذا أن فيبر أهمل تأثير المجتمع على الدين بل على العكس من ذلك فقد بين بوضوح التأثيرات المتبادلة بين الدين والمجتمـع • ولعل اهتمام فيبـر الرئيسى ، كما يشـير بندكس Bendix كان مركزا حول معرفة تأثير الافكار الدينية على الانشـطة الاقتصادية وتحليل العـلاقة بين التمايز الاجتماعى والافكار الدينيـة ، وأخيرا اهتم فيبر بتأكيد وايضاح الصفات المميزة للحضارة الغربية التى تتميز بالعقلانية(٢) •

---

(١) انظـر :

Weber, "Religions Reflections of the wordly and their Directions," and "Social psychology of the world Religion," in *Essay from Max weber,* trans, by H. Gerth and C. W. Mills, 1947.

(2) Bendix, R., *Max Weber, An Intellectual Protrait.* Garden city, New York : Doubleday & Company, 1962, P.257.

ولقد تركزت تحليلات فيبر حول العلاقات بين المعتقدات الدينيـــة ومكانة وبناء القوة للجماعة المكونة للمجتمع • واستخدم فيبر منهجــا مناسبا لدراساته المبكرة عن الوضع المتغير لعمال الزراعة ومشكلة تنظيم سوق الاوراق المالية وعلاقة ذلك بالتوجيه النموذجي للمشاركين ، كل هذا يكشف عن الجوانب الدينية للبناء الاجتماعى فى ألمانيا • ثم تحول اهتمام فيبر نحـــو دراسة القادة الدينيين فى الصـــين القديمة ، والهنـــد وفلسطين ، الذين صاغوا ونشروا الاتجاهات الدينية للعديد من أديـــان العالم • ويمكن فهم البواعث الاخلاقية لتلك العقائد على أنها استجابة للاهتمامات المادية والفكرية للجماعات الاجتماعية ، كما يمكن فهمها أيضا على أنها تأثيرات اجتماعية شكلية ومستقلة للالهامات الدينية والشخصيات الكارزمية • ومع التقدم الذى أحرزته دراسات فيبر انتقلت اهتماماته بالتدريج من التحليل المطول لتلك التأثيرات المتبادلة الى الدراسةالمقارنة للابنية الاجتماعية حيث أن المتضمنات الاخلاقية الدنيوية لاديان العالم المختلفة تمثل محورا رئيسيا للدراسة • والنظرة العالمية للاديان الكبرى كانت من عمل جماعات رجال الدين الموجودة والتى لها أسلوب خـــاص فى الحياة ، وكل منها حاولت تطوير المعتقدات الدينية الخاصة بها•ولذلك انصب هدف فيبر الاساسى على تحليل الظروف الاجتمـــاعية التى من خلالها أصبح الالهام الكرزماتى للاقلية أسلوبا للجماعة المتميزة والتى أصبحت فيما بعد التوجيه السائد للحضارة ككل • وحاول فيبر أن يطبق هذا الافتراض الاساسى على كل الحضارات الكبرى فى فترة تكـــوين أنساقها الاعتقادية المتميزة[٣]•

ومن الواضح أن كتابات فيبر لا تتضمن مناقشة مستفيضة عن كيفية

---

(3) Bendix, R., *op. cit.*, PP. 258 - 259.

ارتباط أفتراضـــه الاساسى بوجهـــة نظر المجتمـــع ، وربما نجـــد بعض الاشارات الضمنية ، اذ يرى فيبر أن كل مجتمع هو تكوين ايجابى أو سلبى من جماعات متميزة ومترابطة من أجل الحفاظ على أسلوب الحياة بواسطة المسافة الاجتماعية والعزلة واستغلال الفرص الاقتصادية•ولكى نفهم ديناميات واستمرار المجتمع فاننـــا يجب أن نفهم تلك الجهـــود فى علاقتها بالافكار والقيم السائدة فى المجتمع ، أو بمعنى آخر ، فان كل فكرة أو قيمـــة نقوم بملاحظتها بحيث نبحث عن الجمـــاعة المتميزة التى تعضدها وأسلوبها المادى والفكرى فى الحياة ، وهكذا فان فيبر يدرس الافكار الدينية في ضوء علاقتها بالافعال الجمعية ، وخاصة فى ضـــوء العمليات الاجتماعية التى من خلالها تصبح الهامات الاقلية اعتقاد الكثرة وبذلك يعتبر فيبر كل جماعة اجتماعية موجهة بفكرة معينة تؤكـــدها من خلال حياتها ، فالفلاحين يميلون نحو عبادة الطبيعة والسحر ، والزهـــد المسيحى هـــو ظاهرة برجوـــوازية حضريـــة ، والجمـــاعات المســـيطرة والارستوقراطية العسكرية تملك احســـاسا بالعزة يجعلها ترفض الافكار الدينية التى تدعو الى التواضع ••• وهكذا • ويشير اهتمام فيبر الى تأكيد واضح على أن المجتمع يتكون من جماعات كثيرة لها مصالح ومميزات خـــاصة بها •

على أية حال ، فقد استخدم فيبر فى دراسته للاخلاق البروتستانتية مصطلحا جديدا هو الزهد الدنيوى Inner - Wordly Asceticism (٤)

---

(٤) انظـــر :

(A) Weber, M., *Sociology of Religion* trans by E. Fischoff, London : Methuen, 1965.

(B) ...., *The Theory of Social and Economic organization* trans - by A. M. Henderson and T. Parsonc. N. Y. : Free Press, 1964.

والحق أن هذا المصطلح له استخدام واسـع فى الدراسات المقـارنة للاديان • وقد استخدمه فيبر كمصطلح مقابل لمصطلح التطهرى النشط والراهب الكاثوليكى ، فكلاهما يسلك طريقا زهديا فى الحياة•فالتطهرى يحاول أن يثبت لنفسه أنه من المختارين للحياة النهائية • والاخر يفعل ذلك لكى يحقق خلاصه • وفى حالة كل منهما نجد أن الاعتقاد الدينى هو الموجـه لطريقة الحياة ، حيث تخضـع الدوافع لمجمـوعة نمطية من الانشطة وتكون المغريات الحسية قليلة الشأن لدى كل منهما • كمـا يمارس كل منهما نظاما تهذيبيا خاصا ••• بطريقة ما حيث أن كل الافعال تهدف فى نهاية الامر الى تحقيق الغاية النهائية وهى الخلاص • ولكن يبدو الاختلاف فى أن الراهب الكاثوليكى يرى أن هدفه يتطلب منـه الانسحاب من الحياة الاسرية والجنسية ومن العلاقات الطبقية والملكية ومن الممارسة السياسية ، هذا فى الوقت الذى يعتقد فيه التطهرى أن كل تلك الانشطة السابقة ، لو نظمت وأعيد توجيهها ، فانها يمكـن أن تساهم فى تلبية ارادة الله وتحقيق تبجيله على الارض والـذى يعـد واجبا انسانيا اسمى • ويرى فيبر أن الزهد الاخروى Other - wordly asceticism لرجل الدين الكاثوليكى يفرض الكثير من المتطلبات مما يجعله ملتزما طوال حياته بها • فالراهب الكاثوليكى طالما كان متمسـكا بالمثال الذى يتطلع للوصول اليه فان تأثيره على العالم يكون ضعيفـا ، بينما نجد أن التطهرى لو تمسك بمثاله لازداد تأثيره فى العالم • وبينما تمثل طريقة الراهب فى الحياة أسلوبا لعدد قليـــل من الذين يريدون الكمال ، يعد التهذيب الذاتى للمتطهر متطلبا من الجميع[٥]•

ومن ناحية أخرى ، فقد استخدم ماكس فيبر مصطلحى الزهـــد

---

(5) Scharf, B., R., *op. cit.*. P. 139.

الدنيوى والاخروى ليقارن بين المسيحية وأديان أخرى مثل الهندوسية والبوذية والديانة الطاوية Taoism ويرى فيبر أن هناك تشابها بين حالة الراهب الكاثوليكى والحال فى الديانة البوذية ، فالبوذية ، كما يذهب فيبر ، تشجع الراهب ويمكن التمييز بين التزام الراهب فيها وبين ما يقوم به العامة • وعلى الرغم من أن فيبر اكتشف أن الرهبان البوذيين فى الصين كانوا من ملاك الاراضى ومن بين أفراد يمثلون مراكز القوى السياسية الامر الذى أفسد المثال الدينى ، الا أنه يرى أن البوذية يمكن أن توصف بأنها تشجع الزهد الاخروى ، فالبوذية تشجع احتقار كل الافعال التى توجه نحو تحقيق غايات دنيوية مثل الاشباع الحسى أو امتلاك الثروة أو المركز السياسى ، ولهذا فان الاتجاه فى البوذية دائما نحو الزهد الاخروى ومن ثم فهى بعيدة تماما عن أى أخلاق تعطى قيمة ايجابية للعمل الشاق والتجديدات فى الميدان الاقتصادى • فالبوذية دائما ما تمثل عائقا للتقدم الاقتصادى خاصة تلك الانشطة التى تتطلب مبادرة ومسئولية فردية والتى قد تؤدى الى وجود تباين وعدم مساواة بين الافراد ، وهذا يعارض الاخوة والانغماس فى التجربة الدينية(٦) •

والهندوسية(٧) رغم أنها لا تعرف الرهبنة الرسمية مثل البوذية، الا أن نسقها الفلسفى للاخلاق يشير الى نوع من الزهد الاخروى • فالانشطة العادية لهذا العالم ، سواء الانشطة الاسرية أو الاقتصادية أو السياسية ان هى الا واجبات يجب أن تلبى،ولكن ينظر اليها باعتبارها ليست أهم جوانب الحياة • فلقد بين رجال الدين الهندوسى العظام أن

---

(6) Scharf, B., R., *op. cit.*, P. 140.

(7) *Ibid*. P. 140.

عالم الظواهر ليس الا وهما • وبينوا أن الوســــائل المختلفة للتهذيب البدنى والتأمل والصلاة ، كل هذا يساعد الناس على ادراك الحقيقــة المتسامية وراء الاشياء المادية والعلاقات الاجتماعية • ولفهم العالم على هذا النحو والتحكم والسيطرة على النفس يقتضى الامر تأكيد الاتجاه نحو الزهد الاخروى ، ولا شك أن هـــذا كان عقبة فى سبيل تطــور الرأسمالية فى المجتمع الهندى[٨].

وتنادى الديانة الطاوية Taoism أيضا بالزهد ، فهى ترى أن هناك طريقا فى الحياة لابد أن يتبعــــه الانسان ويقتضى منه الابتعاد عــن الاكتسابات الذاتية أو المنافسة أو العداوة • فالانسان يجب أن يبــذل قصارى جهده للانسحاب من الانشطة التى تؤدى الى هذه الاغراءات والانسحاب من الانشطة السياسية والابتعاد عن الغايات الاقتصــادية• وقد أدى هذا أيضا ، كما يؤكد فيبر ، الى عدم ظهور الرأسمــالية فى بلاد الصين[٩].

واذا كانت البوذية والطاوية والهندوسية تضع قيودا على التطــور الاقتصادى وتنادى بالزهد الاخروى ، فان هناك أديانا أخرى افتقــدت الاتجاه المتسم بالزهد ومن ثم وبطريقة مختلفة لم تساعد عــلى وجود الرأسمالية • فالكونفوشية أكدت على وجود بناء اجتماعى ثابت حيث تتقدم أنشطة وتجديدات الفرد • ومن ثم لا يسمح للتغير فيه • فهــذا النسق الاعتقادى يؤكد على القيم الدنيوية ولكن أهمها الخيرية والايمان

---

(٨) أنظــر :

Weber, M., *The Religion of China, Confucianism and Taoism*. New York : Macmillan, 1964.

(9) Scharf, B., R., *op. cit.*, P. 140.

القوى وليس قهر الطبيعة وتحقيق انجازات فردية وهكذا فـان الدين الرسمى للصين لم يفسح الطريق بوضوح للتقدم التكنولوجى(١٠) .

ويختلف الاسلام(١١) كما يرى فيبر ، عن تلك الاديان ، فهـو دين المحاربين والموجه نحو القيم الدنيوية . ويعترف فيبر بأن هناك بعض الفرق الصوفية فى المراحل المتأخرة من الاسلام شبيهة بتلك الفـرق الزهدية فى المسيحية الا أنها لم تكن قوية لدرجة أنها تؤدى الى وجود تطور اقتصادى . كذلك فان اليهودية(١٢) كما يؤكد فيبر ، لـم تعط اعتبارا وقيمة للزهد .فاليهودية قد لعبت دورا هاما فى التقدم الاقتصادى وفى التطور الرأسمالى . ولكن بسبب افتقادها للقيم الزهدية فانها لـم تستطع أن تطور الرأسمالية السياسية أو الحديثة كالتى ظهـرت فى أوربا وأمريكا فى القرن السابع عشر(١٣) .

(10) Scharf, B., R., *op. cit.*, PP. 140 - 141.

(١١) أنظـر :

Weber, M., *Sociology of Religion, op. cit.*,

(12) Weber, M., *The Ancient Judaism*. trans by Gerth and Martindale, 1932.

(13) *Ibid.*, P. 141.

٤ ـ نقـــاد فيبر :

الحق أنه منذ نشر مقالة فيبر عن الاخلاق البروتستانتية فى عـــام ١٩٠٨ ، والنظرية التى قدمها لازال تشكل «مناقشة علمية» ، فكثـــير من الكتاب لديهم تصورا أو رؤية أسطورية لما كتب فيبر بالفعل ، ولهـــذا حاولوا أن يفسروا أو يدافعوا أو ينتقدوا هذه النظرية من خلال رؤيتهم الخاصة لها[1] . وكما أشار R. W. Green بحق فان : هؤلاء الكتاب الذين حاولوا التعليق على عمل فيبر وكأنهم لم يفهموا أو أساءوا تفسير أما منهج فيبر ، أو النتائج التى توصل اليها أو كلاهما معا ... »[2] .

ولعل نقدهم راجع جـــزئيا الى فشلهم فى ادراك المعنى الحقيقى للمفاهيم التى قال بها فيبر مثل «الروح» «والاخلاق والرأسمالية»... الخ . كذلك ، فان كثيرا من الكتاب «قد بالغوا فى النقاط التى حـــاول فيبر اثباتها»[3]. وما سوف نقدمه هنا هو محاولة تبين أن هناك أربع مجموعات من الباحثين قد ركزوا نقدهم على جانب واحد من نظرية فيبر غافلين بذلك النظر الى النظرية ككل ومتجاهلين كذلك تحذيرات فيـــبر الخاصة بفهم نظريته . وسوف نناقش كل من هذه المجموعات الاربـــع بالتفصيل .

---

(1) Hill, M., *A Sociology of Religion. op. cit.*, P. 98.

(2) Green, R., W., (Ed.) *The Protestantism and Capitalism : The Weber and its Critics.* (Boston : D. C. Heath and co 1965), P. VII.

(3) Hudson, W., S., The Weber thesis reexamind, *Chruch History* Vol. XXX (March 1961), No. 1.

١ ــ أصل الرأسمــالية :

بالرغم من أن فيبر قـــد أكد على اهتمــامه «بروح» Spirit الرأسمالية الحديثة وليس بالرأسمالية ، الا أن بعض الباحثين ، حاولوا اثبات أن الرأسمالية أقدم فى وجودها من البروتستانتية• فى عـــام ١٩٠٨ ــ على سبيل المثال ــ هاجم F. Rachfall نظرية فيبر ، وادعى أن الرأسمالية أقدم بكثير من البروتستانتية ، وأن هناك عوامل أخـــرى أكثر أهمية من البروتستانتية ، هذه العوامل الاخرى هى التى أدت الى نمو وتطور الرأسمالية الحديثة•[٤] ومنذ ذلك الوقت وهذا الخـــط من الهجوم يستخدم من قبل نقاد آخرين •

فقد ذهب ورنر ســـمبارت Werner Sombart فى الطبعة الثانية من كتابهDer Modrene Capitalismusالى تطور الرأسمالية الحديثة قد بدأمبكراعمايعتقدفيبر•وفىكتابه The Jews and Modern Capitalism ادعى ان الاتجاهات الاجتماعية والممارسات الاقتصادية التى ارتبطت باليهــودية كانت المصـــدر الاســـاسى لروح الرأســمالية • وفى كتـــابه The Quintessence Capitalisim فحص سمبارت التأثير الذى مارسته الكنيسة الكاثوليكية على «روح» الرأسمالية • ونلاحظ أن سمبارت،مثل فيبر ، قد اعترف فعلا بتأثير القيم الدينية على النشاط الاقتصادى،ولكنه أعطى أولوية للشعوب وسياساتهم النقدية باعتبارها التى ساعدت عـــلى اقامة الرأسمالية وانتشار الروح الرأسمالية وقبل سمبارت ، «مثل فيبر أيضا» ، «الترشيد» باعتباره أحد الخصائص للرأسمـــالية الحديثة ، ولكنه وجد أن هذا المبدأ وكذلك المبادىء الاخرى مثل الاعتدال ، وواجب الادخار ، والامانة والربح والفائدة ــ كل هذه المبادىء يمكن أن نجدها

---

(4) Green, R., W., (ed.) *op. cit.*, P. VIII,

فى مبادىء الكنيسة الكاثوليكية التى كانت متضمنة فى كتابات علمـاء العصور الوسطى والمدرسين من أمثال توماس الاكوينى Thomas Aquinas وأنطونى الفلورنسى Antonine of Florance وبرنـارد السرينى Bernard of Sirena وكاردينال كافنتان Cardinal Cafentan [5].

ومن ناحية أخرى يرى سمبارت أن البروتستانتية كانت دائمـا على خط معارض ومعاد للرأسمالية ، خاصة النظرة الاقتصادية الرأسمالية[6] ويفسر هذا العداء بين الرأسمالية والبروتستانتية بقوله : «طـالما أن الرأسمالية شيء دنيوى ، شيء للحياة على الارض ، ولهذا السبب فانها سوف تكره وتنبذ من كل الذين ينظرون الى الحياة على أنها اعـداد للحياة الاخرة»[7].

والنتيجة كما يعبر عنها سمبارت هى «زيادة شدة المشاعر الدينيـة كنتائج ضرورية للاختلافات المتزايدة للانشطة الاقتصادية . وتزايـد الاختلاف حول الانشطة الاقتصادية يعنى ضعف وتحلل الرأسمالية»[8]. ويعتقد سمبارت أن هذا هو ماحدث فى عصر الاصـلاح ، ففى بلاد الكالفنية كانت الكنيسة معادية للرأسمالية . ويعتـرف سمبارت بأن التطهرية قد ساعدت على تطور الرأسمالية ، ولكن التطهرية لم تهب لها الحياة . فمعظم الاخلاق البروتستانتية يمكن تتبعها والعثور عليها لدى كتاب العصور الوسطى . وباختصار فان النتيجة العامة التى توصـل اليها سمبارت هى أنه لو كان هناك أى نسق دينى يعد مسئولا عن ظهور

(5) Green, R., W., (Ed.), *op. cit.*, P. 32.
(6) *Ibid.*, P. 34.
(7) *Ibid.*
(8) *Ibid.*

الروح الرأسمالية ، فانه سيكون الكاثوليكية ، والبروتستانتية لم تفعل أكثر من ترديد وتأكيد ما قاله وخلفه المدرسيون[9].

ولقد اتخذ عالم الاقتصاد الايطالى A. Fanfani نفس الموقف الذى اتخذه سمبارت ، فذهب فى كتابه Catholicisim, Protestantism & Capitalism [10] الى أن أوروبا قد خبرت الرأسمالية قبل ظهور البروتستانتية ، وأن البروتستانتية كانت قادرة على اقامة نفسها فى هذه البلاد فقط حيث كانت الاوضاع السائدة بها قد مهدت لتوسع الحياة الاقتصادية فى الاتجاه الرأسمالى . ويتساءل فنفانى كذلك «هل من الممكن لجوهر الشىء — والروح الرأسمالية هى جوهر الرأسمالية عند فيبر — أن يأتى الى الوجود فى وقت لاحق بعد وجود الشى نفسه[11]. فأفكار مثل «الوظيفة» «الترشيد» والتى اعتبرها فيبر جوهر الروح الرأسمالية كانت موجودة فى الكاثوليكية فى القرن الرابع عشر،فالتعاليم الكاثوليكية تكررت من جانب البروتستانتية ولهذا «فاننا نحتم القول بأن البروتستانتية والكاثوليكية لهما أهمية متساوية فى تطور الروح الرأسمالية التى كانت عامة بين الكاثوليك والبروتستانت ، كانت هذه الروح دائما موجودة وستظل دائما موجودة ، ولكن الروح الرأسمالية كقوى اجتماعية لم تكن موجودة ولن يكون لها وجود»[12].

ولتفنيد هذه المجموعة من الانتقادات التى تدعى بأن الرأسمالية كانت سابقة على البروتستانتية ، يمكن القول بسهولة ، أن فيبر لم يكن

(9) Green, R., W., (ed.), *op. cit.*,
(10) *Ibid.* PP. 35 - 37.
(11) *Ibid.*, P. 201.
(12) *Ibid.*, P. 202.

مهتما أساسا بالرأسمالية ولكن بنوع خاص من الاخلاق الاقتصادية التى انتشرت فى العالم الغربى بعد الاصلاح. وكما أشار بارسونز Parsons فان فيبر قد استخدم لفظة الرأسمالية بطريقتين مختلفتين : وهمـــا الرأســمالية فــى عمومهــا Capitalism in eneral والرأســـمالية الحديثـــة Modern Capitalism (١٣) .

وقد كان فيبر واعيا بأن هناك أشكالا من الرأسمالية كانت موجــودة قبل الاصلاح الدينى فى مختلف الثقافات ، ولكن الاختلاف ، كما لاحظ فيبر ، أن هذه الثقافات قد تجاوزت تماما عن هذه الأنشطة وعــرفت كثيرا من الممارسات التجارية . أكثر من ذلك ، فان الثقافات كانت تفتقد الاخلاق أو القيم التى تتطلبها الروح الرأسمالية الحديثة . وقــد عبر فيبر عن ذلك بقوله : «لقد وجدت الرأسمالية فى الصين والهند وبابــل وفى العالم القديم . وفى العصور الوسطى ... ولكن فى كل هــــذه الحالات .. فان روحا خاصة كانت مفتقدة»(١٤)

هذه الاخلاق ــ كما يشير فيبر ــ تميزت بمذهبها الخاص بتكريس الشخص للواجب الدينى المفروض من الله كأساس للحياة المسيحيـــة. هذه الاخلاق ــ فى رأى فيبر ــ معارضة للاخلاق الكاثوليكية التقليدية

---

(13) Parsons, T. "Capitalism in Recent German Literature Sombart and Weber", Part II, *Journal of Political Economy* Vol. 37 (February 1929) No. 1, P. 34.

انظـــر أيضـــا :

Shell's list of Weber's six types of capitalism : Shils, F, "Some Remarks on the Theory of Social and Economic Organization" *Economica* (*New Series*), vol 15, 1948. No. 57, PP. 36-50.

(14) Weber, *protestant Ethic.*, *op. cit.*, P. 52.

التى كانت سائدة طيلة فترة الاصلاح • وقد حدد فيبر أهتمامه بدراسة هذا الشكل الجديد من الاخلاق الاقتصادية • وقد كتب فيبر فى ذلك قائلا : «المشكلة الرئيسية لنا ليست تطور النشاط الرأسمالى فى حد ذاته ، وتباين — ذلك النشاط — فى ثقافات مختلفة فى الشكل فقط مثل: النموذج المعاصر أو الرأسمالية فى التجارة ، الحروب ، السياسة أو الادارة كمصادر للربح ، ولكن اهتمامنا بأصل هذا النوع الرشيد من الرأسمالية البرجوازية وتنظيمها العقلانى للعمل الحر»(١٥)•

من الواضح اذن أن فيبر قد طبق بحثه على شكل خاص من الرأسمالية ، والاختلاف الرئيسى بين هذا الشكل الخاص من الرأسمالية وبين الاشكال الاخرى قائم فى أسسها الاخلاقية والدافعية ، بينما الرأسمالية التقليدية كانت محدودة بفقدان الدافعية للعمل فيما وراء ارضاء حاجات المرء ذاته ، قدمت الاخلاق البروتستانتية للبرجوازية التصديق الدينى لذلك • وكما كتب فيبر : «هذا الزهد البروتستانتى الدنيوى عمل بقوة ضد الاستمتاع الذاتى بالملكية ، وحدد الاستهلاك خاصة الكماليات • ومن ناحية أخرى ، كان له تأثيرا سيكولوجيا لتخليص حيازة البضائع والامتعة من السكان الذين ينتمون الى الاخلاق التقليدية وقد فتتت قيود دافع التملك ليس فقط بتقرير شرعيته ، ولكن بنظرته اليه على أنه متفق ومشيئة الله»(١٦)•

وهكذا فان فيبر عندما ذهب الى أن البروتستانتية قد ساعدت على ظهور الرأسمالية الحديثة كان يقصد فقط أنه قد برزت من الكالفنية

---

(15) Weber, *Protestant Ethic, op. cit.*, PP. 22-24.
(16) *Ibid.*, P. 171.

مجموعة من القيم الجديدة ، هذه القيم ـــ الاخلاق كما يسميها فيبـــر ـــ نشطت ودفعت الناس فى تلك الفترة التاريخية الى نوع خاص من الفعل الاقتصادى ، أعنى الرأسمالية • ولهذا فان مهمة فيبر كانت تحليل هذه القيم ومعرفة كيف ســـاعدت ويسرت ظهور هذه الروح الخـــاصة بالرأسمالية الحديثة•وواضح اذن أن نقاد فيبر لم يدركوا المشكلة فبينما كان يتحدث عن روح الرأسمالية الحديثة ، كان نقاده يناقشـــون أصـــل الرأسمالية فى عمومها • وبينما كان يحلل البروتستانتية كنســـق قيمى جديد ونسق دافعى سيكولوجى نظر نقاده الى البروتستانتية على أنهـــا لاهوت دينى وقارنوها بالعقائد الكاثوليكية •

ب ــ الكالفنية • التطهرية وروح الرأسمالية :

ركزت مجموعة أخرى من الكتاب المناقشة حول الجزء الثـــانى من نظرية فيبر أى العلاقة بين المتطهرين وروح الرأسمالية • فقـــد انتقد هدسون W. S. Hudson مفهوم فيبر ، المبسط لدرجـــة كبيرة ، عن الكالفنية ، وكان هدسون مهتما ، بوجه خاص ، بالطريقـــة التى استخدم بها فيبر وتونى Tawney كتابات المتطهرين فى القرن السابع عشر لتدعيم حجتهما • ويرى هدسون : «أن فشل فيبر فى اعطاء وزن للطبيعة التبادلية للعليـــة ، أدى به الى مزيد من التبسيط ـــ أى مضاهاة تطهرية القرن السابع عشر بكالفنية القرن السادس عشر • وانتقل فيبر ـــ لخدمة أغراض بحثه ـــ الى افتراض مؤداه أن الزهد البروتستانتى يمكـــن أن يعالج على أنه كلا واحدا ـــ وقد وجد فيبر أوضح تعبير له بين المتطهرين البريطانيين فى أواخر القرن السابع عشر[١٧]•

---

(17) Hudson, W., S., "Puritanism and the Spirit of Capitalism", *Chruch History*. Vol. XVIII (March 1949), No. 1, P.6

هذا الافتراض ، بالنسبة لهدسون ، يعد افتراضا خاطئا لا يمكن الدفاع عنه ذلك لانه تحت تأثير الظروف الاقتصادية الجديدة حدثت سلسلة من التغيرات العميقة ، وفى هذا يقول لنا هدسون : « أن الكالفنيين فى القرن السادس عشر كانوا يؤمنون بالنظام الصارم والفردية الاقتصادية الذين نسبهما كل من فيبر وتونى Tawney للحركة التطهيرية فى شكلها المتأخر والتى ربما قد أفزعها هذا النظام الصارم وهذه الفردية الاقتصادية[١٨] .

ويدعى هدسون ، أن فيبر قد اعترف بأن العلاقة بين مبدأ «الواجب الدينى calling والحياة التجارية لا يمكن أن توجد فى كتابات كالفن Calvin نفسه ولكن على أية حال ، فان اتباع كالفن ، تأسيسا على مبدأ الضرورة السيكولوجية أقاموا مثل هذه العلاقة . وهذا يعنى ، كما يقول هدسون ، أن فيبر ، وتونى بعد ذلك ، قد اعترفا بأن مفهوم calling قد كشف عن نفسه فى النصف الثانى من القرن السابع عشر كسمة مسيطرة فى الفكر التطهرى .

ويذهب هدسون الى أن فيبر وتونى قد «فشلا فى ادراك أن مثل هذا التفسير ليس فقط ، يعزل مبدأ الواجب الدينى عن سياقه الاوسع فى الفكر الكالفنى ولكنه أيضا ، يدمر كلية البناء اللاهوتى الاساسى للكالفنية . كذلك فانهما (فيبر وتونى) لم يدركا أن مثل هذا التفسير لم يكن ضروريا لشرح النشاط الحماسى والمؤثر الذى «أبداه المتطهرون فى الحياة التجارية»[١٩]

---

(18) Hudson, W., S., *op. cit.*, P. 6.

(19) Hudson, W., S., "Puritanism and the Spirit of Capitalism", *op. cit.* P. 7.

أكثر من هـــذا ، فان مدلول النشـــاط التطهرى لا يوجد فى المفهــوم التطهرى «للواجب الدين» ، ولكن فى السياق الاوسع للمفهوم الكالفنى للعلاقة بين الله والانسان • فكما يشير هذا المفهوم فان الانسان وكيل Steward الله ، ولهذا فانه محـــاسب من الله فى شيئين : وقتـــه وممتلكاته ، ومن ثم فهو مسئول أمام الله عن كل لحظـــة يمضيها وأى نقود ينفقها •

وقد هاجم المؤرخ البرت هيما Albert Hyma فى كتابه Renaissance to Reformation [٢٠] ، نظـــــرية فيبر من النـــــاحية التاريخيـــــة واستخدم أدلة وثائقية ، ومذكـــرات القادة البروتستانت فى القـــرن السادس عشر لكى يثبت :

١ ـــ أن الرأسمالية وروح الرأسمالية كانتا تنتشران بسرعة قبل أن يكون هناك بروتستانت •

٢ ـــ أن لوثر Luther ، زونجلى Zwingly وكالفن Calvin فى اتجاهاتهم نحو الربا Usury والفائدة Interest كانوا أكـــثر تحفظا وعداء للرأسمالية من الكاثوليك •

٣ ـــ المبدأ الاساسى الذى يعتبره فيبر جوهر الـــروح الرأسمالية (واجب القيام بالعمل الشاق ، كان معروفا لرجال الكنيسة العظام ، وأن لوثر كالفن استمد هذا المبدأ من كتابات القديس ST. Augustine) •

وأشار هيما كذلك ، الى أن فيبر لم يدرس وجهة النظر الاقتصادية

---

(20) Hyma, A., "Renaissance to Reformation (Grand Rapids, Michigan : Earclmans 1951).

والاجتماعية لكالفن نفسه ، ولكنه لجأ الى الاقتباس أساسا من كتابات الاجيال المتأخرة عن الكالفنيين • وكما يشير هيما : فان كالفن Calvin أظهر اتجاها حتميا معاد للرأسمالية ، ممثل فى السخط على المحـاولات التي تضمن ازدياد الثراء الدنيوى ، ونبذ استهلاك الكماليات فضلا عن ذلك ، فان تأكيدا أكثر وضـــع على أهمية الواجب الدينى فى نمـــو الكالفينية ، ولكن الاشارات المتكررة للواجب نحو العمل الشاق والادخار هى السمة الغالبة لنظرية فيبر»[٢١]•

وباختصار ، كان هدف هيما هو أن يبين أن البروتستانتية لم تسلك أى طريق تقدمي من بين المعتقدات الاخرى أو تعاليمها الخاصة بالسلوك الاقتصادي ، ولهذا لم يكن لها تأثير قاطع على نمو الرأسمالية الحديثة•

أما بالنسبة لتونى Tawney فقد قبل التوضيح الذى قدمه فيبر عن فرضه المستمد من كتابات المتطهرين الانجليز فى أواخـر القـرن السابع عشر ، وقد اعترف تونى بتعقيد الظاهـــرة محـل الدراســة (الرأسمالية الحديثة) • وأكد أن هناك فروقا بين الكالفنيين والتطهريين فى القرن السابع عشر ، بمعنى أن المتطهرين المتأخرين فى كل من انجلترا وهولندا كما يقول تونى ، قد توصلوا الى «اتفاق بموجبه يكون هنـاك توازن قد تأصل بين الرخاء والخلاص ، وبينما حافظوا على لاهـــوت المؤسس (كالفن) فانهم رفضوا نسقيته (أو نظريته) للاخلاق الاجتماعية مقتنعين بأن التدين يتضمن الوعد بهذه الحياة والحياة الاخرى ، ولهذا قاوموا بشدة التدخل فى المسائل التجارية من جانب كل من الدولة أو المؤسسـات هذا هو الوجه الفـردى الثانى للكالفنيـة بدلا من الترمت

---

(21) Green, R., W., (ed.) *op. cit.* PP. 102 - 103.

الصارم من كالفن نفسه ، الذى يمكن ، بطريقة مقبولة ظاهريا ، القول بأن لديه تطابقا مع الصفة التى أسماها فيبر (روح الرأسمالية)[٢٢].

وفى نفس الاتجاه أكد سميلسون K. Samuelsson أن المذهب التطهرى كان أساسا معارضا للانغماس الشديد فى النشاط الاقتصادى . وكتب سميلسون يقول «لو أننا قبلنا رأى تونى، ما تحقق نجاحا لجهود استمالة رجال الاعمال والتجار لجعل واجبهم الاساسى متمثلا فى ارضاء مطالب الاخلاق المسيحية والخير العام . والحق أن ذلك ، وعن عمد ، حد من مجال عملياتهم ومن تجنبهم للتكتلات . اذن فان النتيجة الواضحة للفرض مختلفة (عند تلك الخاصة بتونى) ومؤداها أن وجهات النظر الاقتصادية للمتطهرين لم تكن تشجع أو تعين الروح الرأسمالية[٢٣] .

أكثر من ذلك فان روح الرأسمالية التى نجدها لدى رجال الاعمال الناجحين مثل بنيامين فرانكلين Benjamin Franklin لم تكن نتيجة الاخلاق التطهيرية بل على العكس «كانت مختلفة فى النوع عن هذه التعاليم»[٢٤] ويدعى سميلسون أيضا أن الاخلاق التطهرية مثل التعطش للثروة ، الربا ... الخ يمكن أن نجدها فى الكاثوليكية»[٢٥].

ولتفنيد هذا النوع من النقد الخاص بالمجموعة الثانية ، فانه يمكن القول بأن فيبر لم يكن مهتما بما قاله كالفن عن نفسه ، ولكن بما فهمه

---

(22) Tawney's Forward to weber, *The Protestant Ethic.*, *op. cit.*, P. 10.

(23) Samuelsson, K. *Religion and Economic Action trans.* by E. G. French (New York : Harper TorchBooks, 1916) P.42

(24) *Ibid.* P. 79.

(25) *Ibid.*

اتباع كالفن • بمعنى آخر ، كان فيبر مهتما ببحث كيف أن المتطلبـات اللاهوتية التطهرية دفعتهم الى الانتاج الاقتصادى • ولم يبسط فيبـر التاريخ وكان داعيا للتغير فى الاخلاق الكالفنية ، وقد قـرر فيبر ذلك بقوله : «ولكن لا يفهم من ذلك أننا نتوقع أن نجد أى من المؤسسين أو ممثلى الحركات الدينية من يعتبر اعلاء ما أسميناه روح الرأسمالية،بأى معنى ، غاية لعمل حياته ، كذلك فانه لا يمكننا القول بأن السعى للاشياء الدنيوية قد برهن على أنها غاية فى ذاتها • فليس لاى من هؤلاء قيمـا أخلاقية ايجابية»(٢٦)•

فقد كان فيبر مهتما بالتصديق السيكولوجى الذى من خلاله انشغل الناس بالنشاط الاقتصادى • وهكذا لم يدرك نقاد فيبر مقصده فى هذه النقطة • فعندما ذهب فيبر الى أن التطهرية ساهمت فى ظهور الرأسمالية الحديثة كان يقصد فقط ان اسهام المتطهرين يكمن فى اتجاهاتهم التى «أخرجت الزاهد من الصوامع الى المنزل والسوق العام»•(٢٧) وكـذلك فان هؤلاء النقاد كما أشار بارسونز : لم يقوموا بأية اشارة الى كتابات فيبر الاخرى غير الاخلاق البروتستانتية ••• وطالما أن فيبر أقام حالته الاساسية على منطق التحليل المقارن ، فان نقده دون الاشارة الى الادلة المقارنة التى استخدمها ••• يبدو وكأنه ابتعـاد عن المقاييس العلمية الكبرى»(٢٨)•

---

(26) Weber, *The Protestant Ethic., op. cit.*, 89.

(27) Wood, H., "Puritanism and Capitalism". *The Congregational Quarterly*, Vol. 29 (April 1951) No. 2. P. 113.

(28) Parsons, T., "Review of Samulesson's Religion and Economic Action", *Journal for the Scientific Study of Religion*. Vol. 1 (Spring 1962) No. 2, PP. 226 - 227.

جـ) العـــــلاقة العليـــة :

بالرغم من أن تونى فى كتابه *Religion and the Rise of capitalism* [٢٩] قـــد قبل وجهة نظر فيبـــر القائلة بوجود عـــلاقة عليـــة بين الاصـــلاح البروتستانتى وظهور الرأسمالية ، الا أن تونى يؤكد أن الكالفنية لم تكن المصدر المباشر للرأسمالية ، ولا يمكن للكالفنية بمفردها أن تشرح ســـمة العلاقات الكلية بين البروتستانتية والرأسمالية • وقد عبر تونى عن ذلك بقوله : «انه اغراء لاى شخص يقوم بشرح فكرة جديدة ومفيـــدة أن يستخدمها كأنها مفتاح لكل الابواب المغلقة وأن يفسر بالاشارة اليهـــا ظواهر أساسية ، هى فى الواقع نتيجة لعديد من الاسباب المتقاربة[٣٠] •

ويميل تونى الى تأكيد الدور العلمى للحـــــركة البروتستانتية ككل• وكذلك الى ابراز أهمية الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياســـية العامة خلال القرن السادس والسابع عشر • ويذهب تونى الى أن فيبر قد أهمل «الحركات الفكرية التى كانت مشجعة لنمو الاعمال التجـــارية والاتجاه الفردى نحو العلاقات الاقتصادية التى لم يكن لها علاقة تذكر بالدين»[٣١] •

على أية حال ، فان النقد الاساسى لتونى يمكن أن نلخصه فى هذين الاعتراضـــين :

---

(29) Tawney, R.,H., *Religion and the Rise of Capitalism*: *A Historical study* (New York : Harcourt, Brace and world Inc., 1926).

(30) Tawney's Forward to weber's *Protestant Ethic*., *op. cit.*, P. 7.

(31) Tawney, *Religion and the Rise of Capitaism, op. cit.*, P. 316.

١ — «ليس من التصنع أو التكلف اقتراح أن المشروعات الرأسمالية كان يجب أن تنتظر ، ويبدو أن فيبر قد يشير الى ذلك ، حتى يحـــدث التغير الدينى ، الروح الرأسمالية»[٣٢].

٢ — أليس أيضا من «المعقول أن نذهب الى أن التغيرات الدينيـــة ذاتها كانت مجرد نتائج للحركة الاقتصادية »[٣٣] .

وكذلك فقــد ذهب المــؤرخ الفرنسى هنــرى ســييه Henri See بتساءل : «الا يمكن أن تكون القدرة الرأسمالية لاعضاء الفرق التطهرية هــى المؤدية — جزئيــا على الاقل — لكل هــذا الامتزاج بين الظروف الاجتماعية والسياسية ؟»[٣٤].

ويرى سييه أن الكالفنية انتشرت بين البرجوازية الحضرية والطبقات التجارية التى أصبح أفرادها من الرأسماليين ، حتى بدون أن يستسلموا لتــأثير المذهب الكلفانى . بالاضــافة الى ذلك ، فان الفــرق التطهــرية والكالفنية كانوا — خارج هولندا — أقليات دينية ، ممنوعين من الوظائف الحكومية والمهن الحـــرة ، وطبيعيا أن يكرسوا أنفسهم للمعاملات . ولكونهم مضطهدين وعوملوا معاملة الاجانب انتشروا فى كل العــالم وأقاموا العلاقات مع بعضهم بعضا ، وطوروا نوعا من السمة العالمية

---

(32) Tawney's Forward to *weber's Protestant Ethis., op. cit.* P. 8.

(33) *Ibid.*, P. 8.

(34) Sée, H., "The Contribution of the Puritans to the Evolution of Modern Capitalism, "*Revwe Historique*. Vol. 155 (1927), Trans. by R. H. Green in his edited work. *Protstant and Capitalism, op. cit.*, P. 62.

التى تميـــزهم عن غيرهم . وقد ساعدتهم وحـــدتهم الدينية على تكوين علاقات اقتصادية مختلفة عن الاقتصاد القومى للبلاد العديدة التى كانوا يقيمون فيهـــا ، وباختصار يؤكد سييه عـــلى أن أى انسان يدرس هـــذه المشاكل فانه لا يمكن أن يهمل الظـــروف الاجتماعية والسياسية التى انتشرت بها الكالفنية[٣٥] .

وقد انتقد ماكنتير A. MacIntyre سييه فيبر من جانبين :

فأولا وقبل كل شىء ، انتقد فيبر فى استخدامه لمنهج ميل J. S. Mill الخاص بالاختلاف Difference . ذلك أن فيبر بين أنه : «فى الصين والهند ، كل الظروف السابقة على ظهور الرأسمالية لم تظهر ، ومن ثم فان لدينا سببا قويا لافتراض أن البرتستانتية هى سبب الرأسمالية»[٣٦]

ويرى ماكنتير أن وجهة نظر هيوم Hume وميل Mill عن العلم لا تنطبق على العلاقة بين الاعتقاد Belief والفعل Action بمعنى أن الافكار والاعتقادات تؤثر فى الفعل الاجتماعى والحياة الاجتماعية تؤثر فى القيم والاعتقاد . فهناك اذن اتجاهات للعلية.[٣٧] وقد شرح ذلك بقوله : «الحق أن فيبر يقدم لنا الفعل الرأسمالى على أنه نتيجة للقياس العملى الخاص بالمسلمات البروتستانتية ، وادراك هذه العلاقة المنطقية بين الاعتقاد والفعل يعد انجازا هائلا ، ولان هذا الانجاز كان استخداما

---

(35) Sée H., *The Contribution of the Puritans. op cit.,* P. 63.

(36) MacIntyre, A., "A Mistake about Causality in Social Science", In P. Laslett and W. G. Runciman (eds.), *Philosophy, Politics and Society* (Second Series) (N. Y : Barnes and Noble Inc., 1927), P. 49.

(37) Mac Intyre, A., *"A Mistake about Causality," op. cit.,*

لمناهج ميل Mill فهو فى غير محله كلية ، فلسنا بحاجة لان نخـدع بالبدائل العلية • فالهند والصين لم تدعم ولم تستطع أن تضعف حـالته (أى حالة ذلك الفعل) عن أوروبا ، ذلك لان السؤال ليس عما اذا كان هناك علاقة عارضة بحتة بين الظواهر ••• ومثل هذا الاقتران الثابت ليس هنا أو هناك»(٣٨) •

وماكنتير لا يرفض أن يكون هناك علاقة علية بين الفعل (السـلوك الاقتصادى) والفكرة (المسلمات البروتستانتية) ، ولكنه يرفض أن يثبت ذلك عن طريق منهج ميل Mill المسمى بطريقة الاختلاف • ولهذا فان اللجوء الى حالة الصين أو الهند للخـروج بأنه على الرغم من أن كل الظروف كانت موجودة ما عدا القيم البروتستانتية ، ومع ذلك لم تظهر الرأسمالية ، فالبروتستانتية هى اذن السبب للرأسـمالية فى أوروبا هـذه فى رأى ماكنتير طريقـة خاطئة لا يمـكن استخدامها فى العـلوم الاجتماعية •

أما عن النقد الثانى لماكنتير فمـؤداه أن الاتجاهات السيكولوجية لا يمكن أن تؤدى الى ظهور الرأسمالية ، وفى هـذا يقول : « ان فيبـر نسب العلية الى البروتستانتية فيما أسماه روح الرأسمالية ، وهو مفهوم بواسطته ظهرت الاتجـاهات الرأسمالية لتكون فى مقابلة الانشـطة الرأسمالية • وفى الحقيقة وبطبيعة الامر ، فان الاتجاه لايمكن أن يميز الا فى شكل أنشطة يعبر فيها عنه ، فالاتجاه بمعنى أكثر دقة ، هـو القابلية لعمل أشياء معينـة ، وربما بأسلوب معين ، ولهذا فالحـديث عن روح الرأسمالية وأسبابها هو حديث عن الاسباب المتعلقة بمجموعة من

(38) MacIntyre, A., "A Mistake about Causlity", op. cit., P. 55.

الانشطة ينظر اليها بطرق معينة ، ولاشىء آخر ..»[٣٩] وباختصار فان ماكنتير ذهب الى أن الضغط السيكولوجي ليس كافيـــا لشرح نتـــائج الكالفينية ، فالقيم كما يذهب ماكنتير ليست كافية لشرح الظاهرة ويفسر ماكنتير هذا بقوله : «لاننى لو شرحت أفعالك على أنها تبين مسلمـــاتك فاننى يجب أن أكون قادرا على تمييز كل من الفعل والمسلمات باعتبارها تخصك»[٤٠].

للرد على كل ذلك نقول ، حقيقة لقد كان فيبـــر واضحا فى اعترافـــه بالعلية المتعددة للرأسمالية الحديثة . ولانه كان يحلل دور القيم الدينية فى التغير الاجتماعى ولكى يحقق هذا ، فانه عزل هذا العامل ليرى تأثيره. وهذا الاجراء المنهجى لا يعنى أو يتضمن أن هذا العامل هـــو العـــامل الوحيد المفسر للظواهر ، وقد شرح لنا فيبر ذلك بقوله : «نحن مهتمون بالعلاقة بين روح الرأسمالية الحديثة مع الاخلاق العقلانية للبروتستانتية الزهدية . وهكذا فاننا نعـــــالج هنا جانبا واحـــــدا فقط من سلسلة الاسباب».[٤١] أكثر من ذلك ، أكد فيبر أن مقصده ، ليس ابدال تفسير على مادى لجانب واحد ، بتفسير على روحانى لجانب واحد من الثقافة والتاريخ[٤٢].

وكما ذكرنا فان فيبر قد اعتـــرف بالحاجة الى استقصاء عن كيف أن الزهد البروتســـتانتى قد أثر فى تطـــور الرأسمالية ، وذلك عن طـــريق

---

(39) Mac Intyre,A·,"*A Mistake Aboute Causality·, op.cit.*, p· 54·

(40) *Ibid.*, P· 56.

(41) Weber, *The Protestantism Ethic·, op. cit.*, P· 27·

(42) *Ibid., P.* EBA.

«كلية أو شمولية الظروف الاجتماعية» • والحقيقة أن فيبر كان حريصا على تجنب الخطأ الذى حاول نقاده أن ينسبوه اليه ، ومرة أخرى يقول فيبر : «ليس لدينا نية أيا كانت ، لندعى مثل هذه النظريات الحمقاء، غير العملية ، كتلك — التى تقول — بأن الروح الرأسمالية •• كانت قد ظهرت فقط نتيجة تأثيرات معينة للاصلاح • أو حتى التى ذهبت الى أن الرأسمالية كجهد اقتصادى هى من خلق الاصلاح •• على العكس ، اننا فقط نريد أن نتأكد مما اذا كان ، والى أى حد ، أدت القوى الدينية دورا فى التشكيل الكيفى والامتداد الكمى لهذه الروح فى كل العالم»(٤٣) •

د) روح الرأسمالية :

حاول روبرتسون H. M., Robertson فى كتابه Aspcets of the Rise of Economic Individualism : A Criticism of Max Weber and his School أن يبين ، أنه «بسبب تبنى فيبر مدخلا سوسيولوجيا بدلا من المدخل التاريخى لمشكلته فان حجته الرئيسية التى تتناول المبدأ التطهرى عن الواجب الدينى لا يمكن تأييدها» •(٤٤) ولكى يثبت روبرتسون أن الروح الرأسمالية لم تكن من نتاج الاخلاق البروتستانتية ، قام فيبر على أساس أنه — أى فيبر — لم يأخذ فى اعتباره أى رأسمالى غير ذلك الرأسمالى التطهرى الذى يبحث عن الثروة تلبية للواجب الدينى • وقد لاحظ روبرتسون أن : «واقعيا مثل ماركس بدون شك ، سوف يدهش بشدة لو طلب اليه ، أن يعتبر الانشطة الخاصة بالكسب المالى قد حفزت فقط

---

(43) Weber, The Protestantism Ethic, op. cit., P. 91.

(44) Robertson, H. M., *Aspects of the Rise of Economic Individialism : A Criticism of Max weber and His School*, (Cambridge : Cambridge University Press, 1933).

(45) Green, R., W., (ed.) *op. cit.* P. 67.

بواسطة غايات دينية أو شبه دينية تستحوذ عليها الروح الرأسمـالية الحقـة»[٤٦] .

ويضيف روبرتسون ، أنه لا يمكن لمؤرخ أن يكون غير واع بأن فكرة الواجب الدينى كانت أصل الرأسمالية ، وذلك لان هذه الفكرة ظـلت موجودة فى كل من بروتستانتية القرن السابع عشر وكاثوليكية القـرن الرابع عشر ، ولهذا فاننا نسـتنتج أن البروتستانتية والكاثوليكية لهمـا أهمية متساوية فى نمـو الروح الرأسمالية.[٤٧] أكثر من هذا فـان الاخلاق البروتستانتية «قد تتغير كنتيجة لتأثير ظهور الطبقـة الوسطى ذات العقلية الرأسمالية ، فالكنائس الخاصة بالكالفنيين والمتطهرين لم تحمل دائما نفس الاهتمام فيما يتعلق بواجبات رجال الاعمال. وتأكيدا متغيرا يعكس روحا متغيرة للعصر حول المبدأ الدينى ،... فمن كـونه العائق للمشروع ، أصبح الباعث»[٤٨].

وتوصل روبرتسون الى أن السبب الاساسى لظهور الرأسمالية هـو الرأسمالية نفسها . فالرأسمالية قد برزت من الظروف المادية للحضارة، وليست من بعض المبادىء الدينية[٤٩]. فالبروتستانتية لـم تؤثر فى الرأسمالية ، ولكن الرأسمالية هى التى أثرت فى الاخـلاق الاجتماعية للبروتستانتية.

وللرد على الرأى الماركسى لروبرتسون نقول بأن غيبر كان مهتمـا

---

(46) Green, R., W., (ed.) *op. cit.*, P. 67.
(47) *Ibid.*,
(48) *Ibid.*, P. 76.
(49) *Ibid.*, P. 67.

بالروح الجديدة التى ظهرت من البروتستانتية الزهدية ، ولم يكن فيبر مهتما بتحليل أنشطة الفرد ولكن «روح الحياة الاقتصادية الجديدة التى تتميز بالعقلانية والعمل الحر . والاخلاق البروتستانتية ــ عند فيبر ــ لم تكن العامل الوحيد الذى انتج هذه الروح الجديدة» وهدف فيبر هو أن يبين فقط ، الاهمية الكيفية ، للعنصر الدينى البحت ، فى هذه الروح، وهو يدعى ــ فيبر ــ فقط أنه «عنصر هام»[50].

أما عن تقرير روبرتسون الــــذى مؤداه أن فيبر كان مهتما فقــط بالرأسمالى التطهرى فيمكننا الاشارة الى أن فيبر لم يستبعد امكــانية وجود انجازات مشابهة يمكن أن تعمل بطريقة مغايرة ، وذلك بحســب الاختلافات فى أنساق الدافعية . وقد كان تحليـــل فيبر للمتطهــرين يستهدف فقط بيان ، كيف أن الدين قد أمدهم « بالتصديق السيكولوجى » فى سلوكهم ومن ثم فهو يوجهه فى اتجاه معين ــ ذلك ــ الــذى انتج روح الرأسمالية الحديثة .

هـ) تعــــــليق :

يمكننا فى هذا العرض السريع لاوجه النقد التى وجهت لنظرية فيبر من العديد من الكتاب ، القول بأن نقدهم يعكس التوجيه الاقتصــادى أو الخلفية الدينيــة للكاتب . ونتيجة لذلك فان نظرية فيبــر كانت ضحية هذه النزعات الشخصية ، والحقيقة أن السبب الاساسى لفشل كل هــذا النقد يكمن فى أن كل ناقد قد ركز نقده على جانب واحد من نظرية فيبر متجاهلا ببساطة الجوانب الاخرى ، أكثر من هذا ، فان معظم هــؤلاء

---

(50) Parsons, T., "H., M., Robertson, on Max weber and his School," *Journal of Political Economy,* Vol. 43 (1935), P. 689.

الكتاب اما أساؤا فهم هدف فيبر أو أساؤا قراءة كتاباته ، أو لم يحيطوا علما بمنهجه ، أو تجاهلوا الاسلوب التحذيرى لنظريته •

وكتاب فيبر — الاخلاق البروتستانتية — له هدفا أساسيا ، هـو بيان تأثير القيـم الدينية على الفعـل الاقتصادى ، وفى هذا الكتـاب لم يقصد فيبر أن يقدم نظرية كاملة عن الرأسمالية ، أو حتى معالجة كاملة عن العلاقة بين الدين وظهور الرأسمالية ، فعمل فيبر كان موجها لفهم أحد الجوانب الرئيسية للروح الجديدة : عقلانيتها ، سماتها التخصصيـة واحساسها بالواجب • وفى تتبع جوهر هذه الرأسمالية الحديثة ، حاول فيبر أن يبين أنها لم تكن محصلة التطور التكنولوجى ، ولـكن نتاجـا لعوامل موضوعية متعددة • وأصر فيبر على أن هناك حقيقة أسـاسية لا يمكن اغفالها وهى أن الروح العقلانية والمعادية للتقليدية ظهرت مـع الاخلاق البروتستانتية •

ومن الناحية المنهجية يمكن القول بأنه ، بالنسبة لفيبر فان «اكتشاف القوانين كان غاية فى حد ذاته فى العلوم الطبيعية ، ولـكن فى عـلم الاجتماع ، فالقوانين هى فقط وسائل تساعد على دراسة العلاقات العلية المتداخلة للظواهر التاريخية»(٥١)•

ويرى فيبر — كما لاحظ جرين R. W. Green أن هناك مجموعة من المفاهيم التى يستخدمها عالم الاجتماع لتكوين فروضه للعمل ، من أهمها مفهوم « النماذج المثالية » Ideal Types ومفهوم الرأسـمالية ، ومفهوم «الكالفانى»(٥٢) ولهذا فانه يمكن القول بأن هذه النظرية هى

---

(15) Green, R., W., (ed.) *Protestantism and Capitalism op. cit.*, P. 1.
(52) *Ibid.*, P. 1.

جزء من محاولة فيبر لاستخدام منهجه فى فحص الاسباب والتفاعل لهذه الظواهر الحضارية مثل الرأسمالية والبروتستانتية • وقد أشار E. Fischoff الى أن استخدم منهج النموذج المثالى قد أدى الى تشويهات متنوعة • فكما يقول «ان منهجه — فيبر — أدى الى تفتيت أى ظاهرة مركبة الى عناصرها ، ثم اختيار كل عنصر على التوالى كمتغير مستقل لتتبع تأثيره على المتغيرات الاخرى • وفى نهاية العملية فهو — فيبر — يشير الى أنه يجب العودة لتأكيد القوة المتغيرة لكل عنصر فى التركيب التاريخى الواقعى ، وتحديد الى أى مدى اقتربت الظواهر الامبريقية من النماذج المثالية التى كونها»(٥٣)•

بكلمات أخرى ، فقد صرح فيبر بوضوح ، أن هدفه هو تحليل عامل واحد فقط من كل العوامل التى أدت الى ظهور الرأسمالية الحديثة،فضلا عن هذا ، اعترف فيبر بالحاجة الى بحوث أخرى لتحديد درجة وقوة الجماعات الدينية المتنوعة التى لها علاقة بالموضوع ، وأهمية الاخلاق المهنية فى المقارنة مع العوامل الاخرى، ويجب أن نلاحظ هنا أن فيبر لم يكن ينوى تقديم تفسيره الروحانى للرأسمالية ليكون رفضا للماركسية فقد حاول فيبر فقط ، أن يعبر عن رفضه أن يكون فرض الماركسية هو الفرض الوحيد المطلق والعام فى تفسير الرأسمالية الحديثة • هذا ويؤكد فيبر فقط ، على أن الدافعية السيكولوجية لها وزنها فى تفسير ظهور الرأسمالية •

---

(53) Fischoff, E., "The Protestant Ethic and the Spirit of Capitalism : The History of Controversy, "*Social Research*... Vol. 11, (1944), PP. 75 - 76.

٥ ـ التطبيقات الامبريقية لنظرية فيبر :

بالرغم من هــذه الاعتراضات التى قــدمناها ، الا أن الفرض الذى قدمه فيبر فى كتابه الاخلاق البروتستانتية ما زال مستمرا فى ممارســة نوع من التأثير القوى على البحوث الجارية فى العلوم الاجتماعية • وقد ذهب A. Greelcy الى أنه « يبدو من الحقيقة أن نقــول بأن الفرض لا زال حيا وصحيحا ، وسوف يستمر فى توجيه العديد من الابحاث ••• لفترة قادمة ، وقد يدهش من يحدد سببا لذلك »(١) وقد أخــذ الكثيرون هذا الفرض ، بأستمرار ، كمسلمة فى تحليل التوجيهات الدينيــة المختلفة لمعرفة ما اذا كانت القيم الدينية لها علاقة بالنشاط الاقتصادى الناجح ، بوجه خاص أو بالتحديث بوجه عام(٢) •

وقد جذبت الدراسات العديدة الهامة عن التغير الاجتماعى الانتبــاه الى العلاقة بين القيم الدينية والتغير الاجتماعى • فعندما يشير بارسونز الى الافكار المعيارية Normative Ideas والقيم ، فانه لا يشــير الى محتواهم ولكن الى وظيفتهم ودورهم فى الافعال الاجتماعية ، وقد لاحظ بارسونز أن : « عمليات التغير التكنولوجى والتى ينسب اليها كثــير من الماديين الدور الاساسى ، هى جزئيا وظيفة للمعرفة ، أى الافكار ، تماما

(1) Greeley, A., *"The Protestant Ethic : Time for a Moratoruim", op. cit.*, P. 27.

(٢) هذه النظرية قد طبقت على معظم بلاد العالم • على ية حال ،فــان تطبيق هذه النظرية فى العالم الاسلامى يمكن أن يوجد فى :

Turner, *Weber and Islam,* London and Boston : Routledge & Kegan Paul, 1974, "Modernization in a Muslim Society : The Indonesian Case," in R. N. Bellah. *The Religion of Java* (Glenocoe, Ill. : Free Press, 1960).

وبنفس الطريقة التى تكون عليها العمليات الاقتصادية »[٣] وكذلك أعطى دانيال ليرنز Daniel Lerner اهتماما لدور النبى « القائد العقلانى » Rational Prophecy فىالتحديث فى الشرق الاوسط ، فالتحديث يمكن أن يحدث عندما تظهر : « شخصية دينامية ، تتميــز بقدرة عالية عــلى الاتحاد مع الجوانب الجــديدة ببيئتها •• وتأتى مزودة بالميكانيــزمات الجديدة المحتاجة اليها لتوحد المطالب الجديدة الملقاه على عاتقها وتظهر خارج نطاق تجربتها المألوفة ، هذه الميكانيزمات التى توسع من ذاتية هذه الشخصية تعمل من خلال المشاركة التقمصية »[٤] •

كذلك فقــد أكد دافيــد مكليلانــد David McClleland ، متابعــا فى ذلك فيبر ، الحاجة الى دافع انجازى Achievement motive قــوى أو ما يسميه N. Achievement ، الانجاز المطلوب للنجــاح الدنيوى • ففى كتابه المجتمع المنجــز The Achieving Society ، بعـــد أن أستعرض البيانات المتوفرة عن الانجــاز المطلوب فى ألمانيــا والولايات المتحدة الامريكية ، توصل الى النتائج التالية :

١ ــ أن الكاثوليك التقليديين يبدو وأن لهم قيم وأتجاهات متصلة بمستوى أدنى من الانجاز المطلوب •

٢ ــ بعض الجمــاعات الكاثوليكية التى تعيش أخــيرا فى الولايات المتحدة وألمانيا ، قد تحركت بعيدا عن هذه القيم التقليدية نحو أخــلاق

---

(3) Parsos, T., "The Role of Ideas in Social Action," in his *Essays in Sociological Theory* (Revised Ed.) (New York: The Free Press 1964), P. 23.

(4) Lerner, D., *The Passing of Traditional Society : Modernizing the middle East* (New York : The Free Press, 1964) P. 49.

الانجاز . والكاثوليكية بينما قد تكون متصلة بالاتجاهات التى تؤدى الى مستوى أدنى من الانجاز المطلوب ، الا أنها اليوم مجموعة مركبة مـــن الثقافات الفرعية . بعضها تقليدى ، والبعض الآخر حديث فى نظرته(٥) .

وقد قام بعض الباحثين بشرح أمبريقى للعلاقة بين الدين — خاصة البروتستانتية والاشكال المختلفــة للافعال الاجتماعيــة(٦) . ومحــاكاة لكليلاند أهتم فيروف J. Veroff وفيــــلد S. Feld وجـــيرالد G. Gerald بالانجــاز المطــلوب Need Achicvement . وهــؤلاء المؤلفين الثلاثة أقــاموا دراستهم على بيانات جمعت من مســـح قومى ، وتوصلوا الى أن « تصورنا هو أن فرض الاخلاق البروتستانتية عنـــدما يستخدم للمقارنة بين انجاز البروتستانت النشطين والكاثوليك فان هذا الفرض له العديد من الاوجه الجديدة التى نأخذها فى الاعتبار مع بعض الاوضاع الاجتماعية الخاصة ، فالفرض يبدو صادقا فقط على الطبقات العليا والمتماسكة بشـــدة ذات البناء الاقتصـــادى الناجح فى الاجـــزاء

---

(5) Mc Clleland, D., C., *The Achieving Society* (New York : The Free Press, 1961), PP. 361 - 362.

أنظـــر أيضـــا :

Mc Clelland, D., C., Atkinson, J., W., Clark, R., A. and Lowell, E., L., *The Achievement Motive* New York : Appleton Century - Crofts 1953); McClelland, D., C., Winter, D., G., *Motivating Economic Achievement* (New York : The Free Press, 1971).

(٦) أنظـر على سبيل المثال :

Johnson, B., "Ascetic Protestantism and Political Preference in the Deep South," A.J.S. Vol. XXIX (Januory 1964), No. 4, PP. 359-366; Anderson," *Review of Religions Research,* Vol. 7. (1966), No. 3, PP. 167 - 171.

الشمالية الشرقية من الولايات المتحدة الامريكية ، وربما لان هذا الاقليم أكثر تشابها مع البناء الاوروبى الذى لاحظه فيبر أصلا[٧] •

وأختبارا آخر للفرض قام به كل من مـــاير A. J. Mayer وشارب H. Sharp فى دراستهما لمدة خمس سنوات فحصا خلالها تسعين ألف مفحوص من منطقة ديترويت Detroit وقد وجد الباحثان « أن هذه الدراسة الراهنـــة ، ربما تفسر نتيجتها على أنها تأييد جزئى للمدخـــل الفيبرى ، بينما هى تقدم بعض التعديلات الهامة ، فالممارسة الدينيـــة يبدو أن لها نتائج معقولة على النجاح الاقتصـــادى •• ولهذا يبـــدو أن الدين مستمر فى القيام بدور أساسى فى التحكم وتحديد وتوجيه السلوك الاقتصادى ، وكما يقترح فيبر فان معظم الطوائف البروتستانتية أكثر تجاوزا من الكاثوليك فى الوضع الاقتصادى »[٨] •

كذلك فان لنســـكى G. Lenski فى دراسته عن العـــامل الدينـــى The Religious Factor بين اليهـــود والبروتستانت والكاثوليـــك ، أيد نظرية فيبـــر • وأنتهى لنســـكى من دراسته الى أنه ، من بين الغالبيـــة العظمى ، ميز اليهود والبروتستانت البيض أنفسهم بالانماط المتنافســـة لانساق العقل والفكر ، المتصلة بالطبقة الوســـطى والمنسوبة للاخـــلاق البروتستانتية تاريخيـــا ، وبالمقارنة فالكاثوليك والبروتستانت الزنـــوج غالبا ما يتميزون أكثر بأنماط الطبقة العاملة ، المتميـــزة بالجمعية والامن فى الفكر والعقـــل[٩] •

---

(7) Verroff, J., Feld, S., and Gurin, G., "Achievement Motivation and Religious Background," *A.S.R.* Vol. 27 (April 1962), No. 2, P. 217.

(8) Mayer, A., and Sharp, H., "Religious Preferences and Wordly Success;. *A. S. R.*, Vol. (April 1962), No. 2. P. 227

(9) Lenski, G., *The Religions Factor* (Garden City, New York : Doubleday, 1961), P. 101.

ومن ناحية أخرى توصل بعض الكتاب الى نتائج سلبية عندما طبقوا نظرية فيبر (١٠) فثلاثة من الباحثين ، مستخدمين عينة غير عشوائية حجمها ٢٠٥ر٢ شخصا من الذكور البيض يعملون بثلاثة مهن ، أختبروا الفرض أمبريقيا فى شكل الفرض النافى Null hypothesis : « ليس هناك أختلاف جوهرى سوف يوجد فى أنماط « التنقل الاجتماعى أو فى مستوى الطموح بين البروتستانت والكاثوليك الامريكيين فى العديد من الوظائف »(١١) •

وبعد اختبار الفرض خاصة بالنسبة لهدف ، الدخل ، التوجيه المهنى ، التنقل الوظيفى (المهنى) بين الاجيال وفى داخل الجيل • أنتهى الباحثون الثلاثة الى أنه « مهما كان تأثير هذان النسقان الفرعيان للدين على أتباعهما فى مجتمعنا ، فيما ذهبت اليه النظرية الفيبرية ، فأنهما مطموسان بالروح العامة »(١٢) •

أما بالنسبة لروزن B. G., Rosen فهو يبدو وكأنه يرفض الفرض• ففى دراسته وجد أن الاطفال اليونانيين واليهود والبروتستانت لديهم دافعية أنجازية أكثر من الاطفال الفرنسيين والكنديين والايطاليين

---

(١٠) انظر على سبيل المثال :

Ball, D., W., "Calvinists, and Rational Control : Futrher Explorations in the weberian thesis, "*Sociological Analysis*, Vol. 25 (1965), No. 4, PP. 181 - 188; McNamara, R., J., Intellectual Values and Instrumental Religion" *Ibid.*, Vol. 25, (1964), No. 2, PP. 99- 107.

(11) Mack, R., W., Murphy, B., J., aud Yellin, S., "The Prostant Ethic, Level of Aspiration, and Social Mobility : an Empirical Test" *A. S. R.*, Vol 21, (June 1956), No. 3, P. 296.

(12) Mack,R., W., Murphy, B., J., and Yellin, s. op. cit., P. 300.

(وغالبيتهم من الكاثوليك) • ولكن روزن يفسر هذه الاختلافات بأشارة الى الاساس الاثنوجرافى Ethnographic عن البــلاد الاصلية لهؤلاء الاطفال • وبكلمات أخرى ، فانه بالرغم من أن روزن يعتبر نظرية فيبر تفسيرا جزئيا للاختــلافات ، الا أنه يؤكــد أن الدين ليس هــو السبب الاساسى لهذه الاختــلافات التى لاحظها ، ولكن ترجع الى أختــلافات الخلفية السلالية والقومية لجماعات معينة(١٣) •

كذلك فان العنصر السلالى Ethnic factor قد استخدمه ليبست M. Lipset وبندكس R. Bendix لشرح الاختلافات بين الكاثوليك والبروتستانت ففى كتابهما عن التنقل الاجتماعى فى المجتمــع الصناعى Social Mobility in Industrial Sosiety ذهب الباحثـــــان الى أن هناك اختلافات قليلة ، ان لم تكن منعدمة ، بين المكانة المهنية المنجزة فى الجيل الثالث الكاثوليكى والبروتستانتى ، ما عــدا أن البروتســتانت الفلاحين أكثر من الكاثوليك ••• عددا ــ ومن ناحية أخــرى ، بين الذين هاجروا حديثا ولا زالت خلفيتهم الثقافية عالقة بهم ، نجد البروتستانت فى وظائف أعــلى من الكاثوليك • وهــكذا فان الاختلافات المهنيــة بين الجماعتين الدينيتين تختفى عندما يضمحل العامل السلالى • ولكى نعبر عن ذلك بطريقــة أخرى نقول ، أن المهاجــرين البروتستانت جــاءوا من جماعات ســلالية تتمتع بمكانة عليــا ، بينما الكاثوليك كانوا أعضــاء فى جماعات سلالية تحتل مكانة أدنى ، ولقد جــاء البروتستانت من بلاد كان التحصيل العلمى فيها مرتفعا ، أما الكاثوليك فكانت بلادهم فقيرة ، حيث كانت الطبقات الفقيرة ، تحصل على قدر أقل من التعليم ، ومن ثم فــان

---

(13) Rosen, B., C., "Race Ethnicity, and the Achievement Syndrome," *A. S. R.*, Vol. 24 (February 1959), PP. 47-60.

الأختلاف بين المهاجرين الكاثوليك والبروتستانت ربما ينسب الى العوامل السلالية بدلا من العوامل الدينية[١٤] .

(14) Lipset, S., M., and Bendix, R., *Social Mobility in Industrial Society* (Berkeley : University of California, 1960). PP. 50 - 51.

٦ ـ خـــاتمة :

لكى نعلق على هذه الدراسات ، يمكن القول بأن نظرية فيبـر قـد أسيء استخدامها من أجل اثبات وجود أو عدم وجود علاقة ايجابية أو سلبية بين البروتستانت المحدثين والنمو الاقتصادى . فبالتأكيد أن نظرية الاخـلاق البروتستانتيـة ليست مناسبة لدراسـة المجتمـع الامريكى والاوروبى المعاصر . فالدراسات الامبريقية حاولت أن تبين البروتستانت موجهين اقتصاديا وأكثـر نشاطا من الكاثوليك ، وذلك بسبب الخلفيـات الدينية المختلفة . وقد أدى مثل هذا التبسيط الشديد للنظرية ـ كما لاحظ جريلى A. Greeley الى أن « كثير من الجهـود التى حاولت جعـل الفرض مطابقا قد تميزت بكونها دون المستوى العلمى المطلوب وهـذه الجهـود تمثل سوء فهم للبروتســتانتيين والكاثوليكية ، وحقـا لماكس فيبـــر »[١] .

كما أن هؤلاء الذين أستخدموا النظرية ليفترضوا ، مستخدمين أدلة امبريقية ، أختـلافات بين الكاثوليك والبروتستانت فى التعليم والتنقـل والمهنة ... الخ ، قد أخطأ أساسا فى اختيار موضع النظرية عندما طبقوها على المشاكل المعاصرة . وبعضهم ذهب بعيدا عندما حاول أن يدعى أن : « الدين فى ذاته يعمل على اعاقة التطور الاقتصادى فى المجتمع ، فـلو أعطى حـرية التعبير كاملة ، فان المصلحة الدينيـة قد تجعل الحيـاة الاقتصادية مستحيلة »[٢] .

---

(1) Greeley, A., *The Protestant Ethic Time for a Morate-rium,"* *op. cit.*, P. 20.

(2) Clark, S., D., *Religion and Economic Backword Areas* *op. cit.*, P. 264.

ونحن نرد على هؤلاء الذين حاولوا تطبيق النظرية على الاختــلافات المعاصرة بين الجماعات الدينية ، نقول لهم أنهم تناسوا الفرق الزمنــى بين أصل البروتستانت المهاجرين وأديان أجدادهم ، كذلك فانهم أهمــلوا تعدد الاسباب فى الانجازات الاقتصادية والتعليمية • فلم يكن فى نية فيبر أن يقــارن بين أنشطة الكاثوليــك والبروتستانت المحــدثين بالنســبة لانجازاتهم ، كذلك لم يكن فيبر مهتما بقياس أو اجراء دراسة احصائية عن الاختلاف بين الكاثوليك والبروتستانت ، فاستخدامه للاحصاءات جاء « عرضا لبيان حجته • فقد اســتخدم هذه البيانات باعتبــارها مؤشرا للمشاكل الهامة أكثر من كونها أدلة »[٣] •

لقد كان مصــدر نظرية فيبــر هو الوثائق التاريخية والتفســيرات السوسيولوجيــة ، فالنظرية تعالج العــلاقة بين البروتستانتية وظهــور الرأسمالية الحديثة كظاهرة تاريخية ومعظم الدراسات الوثائقية ــ كما لاحظ ــ واجنر H. Wagner تفتقد الاشارة التاريخية أى « بينمــا نحن لا نتوقع من علماء الاجتماع المعاصرين أن يقدموا بيانات فى معظمها غير متوافرة ، نعتبر أنه من المدهش ، كقاعدة أنهم يبدون وكأنهم غــير مهتمين باقتفاء الادلة التاريخية »[٤] •

وهكذا فالدين ليس العامل الاساسى فى الاختــلافات بين الكاثوليك والبروتستانت المعــاصرين ، بل يجب عــلى الباحث أن يعطى اعتبــارا للعوامل الاخرى ، مثل التعليم ، السلالة ، الاكتســاب الثقافى ، القيــم القومية ، الوضع الحضرى ••• الخ • على أية حال ، هذه النتائج سواء

---

(3) Hill, M., *A Sociology of Religion. op. cit.*, P. 128.

(4) Wagner, H., "The Prostant Ethic : A Mid-Twentieth Contury View," *op. cit.*, P. 37.

ايجابية أو سلبية لا تثبت أو ترفض نظرية فيبر وذلك لان هناك العديد من العوامل المتعلقة بكل حالة ، ومعظم الكتاب ، أساءوا فهم هدف نظرية الاخلاق البروتستانتية ، أعنى ، كيف أن القيم الدينية الجـديدة دفعت الناس فى فترات زمنية معينة لتحقيق نجاح دنيوى •

الفصل الرابع

القضايا الرئيسية في تحليل الدين

القضايا الرئيسية في تحليل الدين

١ ـ تمهيـــــــد .

٢ ـ مشكلة التعريف .

٣ ـ جوانب التدين .

٤ ـ مشكلة التفســير .

٥ ـ تأثير الانثروبولوجيا على النظريات السوسيولوجية المفسرة للدين.

أ) تمهيـــــــد .

ب) تأثير نظريات التطـور .

جـ) تأثير النظرية الوظيفية .

د) خاتمـــــــة .

٦ ـ خاتمة : الدين وحالة الانسانية .

١ ـ تمهيـــد

من المعترف به كحقيقة أن كل المجتمعات المعروفة لدينا تتميز بكونها « دينية » بطريقة أو بأخرى • وهذا الاعتراف يتضمن الاتفــاق على ما يشكل السلوك الديني ، ولكن الحقيقة تشير الى أن هناك اختلافا حــول تحديد معنى الدين • فالمناقشات ما زالت مستمرة حول تعــريف الدين وكيفية تميزه عن السحر من ناحية ، وعن العلم والفلسفة وسائر أشكال الحماس الاجتماعي أو السياسي من ناحيـــة أخرى •• كذلك ذقــد أدى تنوع الاديان الى مشكلة أن التعريف الذي قد يستنبط من دين معـــين لا ينطبق بالضرورة على أديان أخرى ، وعلى أية حال،فان عالم الاجتماع الديني يواجه هذه المشكلة ويعتبرها نقطة بداية قبل شروعه في تحليــل الدين • وقد ترتب على هذه المشكلة أن ظهرت اتجاهات أخرى تحــاول الابتعاد عن اعطاء تعريف رسمي صوري للدين ومحاولة تحديد جــوانب التدين ، فهناك جوانب روحية اجتماعية وثقافية أخرى للسلوك الديني • ولهذا فعالم الاجتماع مطالب بتحديد الجوانب التي تدرس من الظاهرة الدينية ســـواء للفرد أو للمجتمع ككل • أيضــا قد يثير عالم لاجتمــاع التساؤل عن دور العامل الديني في التأثير على الجــوانب الاخرى مــن الحياة الاجتماعية ، اذ أن هذا العامل الديني قد يعد متغيرا مستقلا أو تابعا في التحليل والتفســـير العلمي • وكما سوف نرى ، هنــاك العديد من المحاولات التي تسعى الى ايجاد تفســـير علمي لعلاقة الدين بالانشــطة الاجتماعية ، خاصة الانشطة الاقتصادية • وأخيرا فان عالم الاجتمــاع يواجه بنظريات تحاول تفسير الظاهرة الدينية ، ومعظم هــذه النظريات مستمد أصلا من الدراسات الانثروبولوجية • وعلى الرغم من تشــابه

العلمين فى الاهتمـــام بتناول الظاهرة الدينيـــة مع الاختلاف فى مجـــال الدراسة ، وعلى الرغم ، أيضا ، من تأثر علماء الاجتماع المبكرين بهـــذه الاطر النظرية الا أن معظم الابحاث المعاصرة تحاول ايجاد أطـــر نظرية بديلة تعبر عن جوهر علم الاجتماع الدينى • وسوف نناقش هنا هـــذه المسائل التى تواجه عالم الاجتماع فى تحليله للظاهرة الدينية ، وهى : مشكلة التعريف ، ومشـــكلة تحديد جوانب التدين ، ومشكلة التفســـير ، ومشكلة تأثير نظريات الانثروبولوجيا على علم الاجتماع الدينى •

مشكلة التحريف: التعريف

يذهب البعض الى أنه ليس من المفيـد أن نتعمق بشدة فى مشكلة التعريف والمفاهيم فى علم الاجتماع الدينى • فكل منا يعرف ما هو الدين، ولكن علينا أن نجعل هذه المعرفة أمرا منظما • بمعنى أن نسعى الى الوصول الى شبه اجماع على حدود موضوع الدين – الذى يحتوى على تنوع هائل – قبل أن نبدأ فى تحليله • فنحن فى حاجة الى قواعد منظمة لاستخداماتنا للفظة الدين[1] • ونحن نقرر أنه ليس هناك تعريف مطلق

---

(١) يذهب سكوبس Schoepes الى أن لفظة Religion الانجليزية مستمدة من اللفظة اللاتينية Religio الا أن هناك اختلافا حول معنى اللفظة• فقد استخرج Cicero لفظة الدين من relegere لتعنى يعتبر to consider ومن ناحية أخرى يفضل القديس أوغسطين Augustine استخدام معنى الكلمة ليشير الى(ايجاد ما قد فقد مرة أخرى) ومن ناحية ثالثة نجد Lactontius يرى أن اللفظة مشتقة من religare لتعنى ليربط أو ليصل To Tio أى أن الدين يعنى الاتصال أو الانسان بقوى عليا •

أنظر :

Schopes, H., J., *op. cit.*, PP. 2 - 3.

أما بالنسبة لاستخدام لفظة الدين فى اللغة العربية ، فكما يلاحظ محمد عبد الله دراز المعاجم يشوبها الغموض والخلط والاعادة ، فقد يقال عن الدين ما يدان به ، أو يقال ان الدين هو الملة وأن الملة هى الدين فالدين كما يذكر دراز، يستعمل بمعانى متباعدة ومتناقضة يضا : فالدين هو الملك ، وهو الخدمة • هو العز ، وهو الذل – هو الاكراه ، وهو الاحسان• هو العادة • هو القهر والسلطان، وهو التذلل والخضوع – هو الطاعة ، وهو المعصية • هو الاسلام والتوحيد ، وهو اسم لكل ما يعتقد أو لكل ما يبتعد الله به ••• الخ) •

وعلى الرغم من هذا الاختلاف الا أن دراز يرى أن هناك صلة تامة فى جوهر المعنى ، وأن هذه المعانى المختلفة للدين يمكن ردها الى ثلاثة معان تكاد =

لاى ظاهرة متضمنا فيها • فنحن اذن فى حاجة الى تعريف عام يشـــمل معظـــم الافكار الرئيسية لهذا المفهوم ويحتـــوى كل التنوعات الهـــامة والخاصة بالظاهرة الدينيـــة •

وقد عبر ماكس فيبر عن المشكلة التى تواجه الباحث فى تعريفه للدين عندما بدأ كتابه عن الاجتمـــاع الدينى بهذه العبارة « لنعـــرف الدين ـــ لنقول ما هو ـــ أمر غير ممكن فى بداية هذه الدراسة • فالتعـــريف ربما يمكن التوصل اليه عند نهاية هذه الدراسة »[2] وكما يلاحظ بيرجر فان فيبر حتى فى نهاية دراسته لم يعط لقارئه التعريف المرتقب[3] •

= تكون متلازمة • ويرجع ذلك الى أن كلمة الدين ليست كلمة واحدة،بل ثلاث كلمات ، أو أنها تتضمن ثلاثة أفعال بالتناوب • (أ) فالاستخدام الاول لكلمـــة (الدين) على انه فعل متعد بنفسه : (دانه يدينه) ، فاذا قلنا (دانه دنيا) عنينـــا بذلك أنه ملكه ، وحكمه وساسه ، ودبره وقهره ، وحاسبه ، وقضى فى شأنه ، وجازاه وكافأه • فالدين هنـــا يستخدم ليعنى الملك والتصرف بما هو من شـــأن الملوك من السياسة والتدبير (ب) وقد تؤخذ كلمة الدين من فعل متعد باللام ، (دان له) بمعنى أردنا أنه أطـــاعه وخضع له • فالدين هنـــا الخضوع والطاعـــة والعبادة والورع • (جـ) وقد تؤخذ كلمة الدين من فعل متعد بالباء (دان به) فـــاذا قلنا (دان بالشىء) كان معناه أنه اتخذه دينا ومذهبا ، أى اعتقده أو اعتـــاده أو تخلق به • على أية حال ، فان استخدام اللفظة فى اللغـــة العربية ، كما يرى دراز ، (تشير العلاقة بين طرفين يعظم أحدهما الاخر ويخضع له • فاذا وصف بها الطرف الاول كانت خضوعا وانقيادا،واذا وصف بها الطرف الثانى كانت أمرا وسلطانا) • بمعنى آخـــر فالدين له ثلاث استخدامات : الاول ليعنـــى الالزام والاقتياد ، والثانى الالتزام والانقياد ، والثالث هو المبدأ الذى يلزم الانقياد له• أنظـــر :

دراز (محمد عبد الله) ، مرجع سابق ، ص ٢٩ ـــ ٣١ •

(2) Weber, M., *The Sociology of Religion op cit.*, P. 1.

(3) Berger, P. L., *The Sacred Canopy, op. cit.*, P. 175.

من الجدير بالاشارة هنا أن موقف فيبر قد أثار عديدا من الاعتراضـــات =

والحق أن قول فيبر هذا يعبر عن المشكلة الخاصـة بالتعريف والتى تواجه عالم الاجتمـاع • فالذين انشـغلوا بمشكلة التعريف غالبـا ما يعارضون التعريفات بعضها بالآخر ، ولهذا يغلب على محاولتهم الاهتمام بلا شيء سوى التلاعب بالالفاظ • فهناك الكثير من الفروق التى تميـز تعريفات الدين ، ويرجع السبب فى ذلك الى أن الذين يحاولون تعـريف الظاهرة الدينية تختلف ثقافاتهم وتتنوع اهتماماتهم • فهناك — مثلا — مجموعة من الكتاب الذين يحاولون تعريف الظاهرة الدينية بلغة ما ينبغى أن تكون عليه الظاهرة ولا شك أن هذا النوع من التعريفات لا يمثل أية

= فيلاحظ Robertson أن فيبر يذهب الى أن التوصل الى التعريف قد يكون ممكنا بعد البحث الامبريقى ومناقشته ، ولكن ، كما يذهب روبرتسون ، كيف نناقش ونبحث شـيئا غير محـدد ؟ كذلك فان فيبر يتحـدث عن جوهـر الدين essence of religion ، ولكن كما يتسـاءل روبرتسون هل هذا ماهـو مطلوب لتعريف الدين وأخيرا فان فيبر يشير الىالسلوك الدينى ، وكما لاحظ روبرتسون ، كيف يمكن لفيبر أن يشير الى هذا مع العلم أنه لم يقدم تعريفـا له ، ويرى روبرتسون أنه من الصعب تحليل شيء دون أن يكون لدينا معيـار تعريفه • فليس هناك شيء اسـمه جوهر الدين نحـاول تتبعه ويوجد هنـا أو هناك ويدرك عى أنه دينى وبارغم من أن فيبر ، كما يرى روبرتسون لم يقـدم لنا تعريفا سوسيولوجيا يساعد فى تحليل الدين ، الا أنه لم يكن مهتما بالدين فى حد ذاته ، ولكن كان اهتمامه منصبا أساسا على قواعد المعانى grands of mening بالنسـبة للافراد والجمـاعات التى تحـاول تنظيم حياتهـا الاجتماعية ومفاهيمها عن الوقت ومعنى الموت وعلاقة ذلك بالتجربة الانسانية وما يهمنا هنا هو أن فيبر قد ساوى البحث فى قواعد المعانى بالبحث فـى علـم الاجتماع الدينى ، الاأن فيبر فى تحليله الاخير لم يعتبر الدين أساس قاعدة المعانى والتى تعد أحد خصائص المجتمعات الحديثة • فعلى العكس مـن بعض العلماء المحدثين فان فيبر لم يعتبر الموجهات الثقافية العامة المجتمع الحـديث كتعريف للدين •

أنظـر :

Robertson, R., *The Sociological Interpretation of Religion. op. cit.*, PP. 34 - 35.

قيمة بالنسبة لعلماء العلوم الاجتماعية . وهناك جماعة أخرى تحاول أن تحدد تعريفها من بيانات مستمدة من تعبيرات خاصة بظاهرة معينة . وهذا النوع من التعريفات أيضا ليس بذى فائدة لعلماء العلوم الاجتماعية أما المجموعة الثالثة فهى التى تحاول أن تقدم تعريفات بعد القيام بدراسة لعدد من مظاهر الظاهرة ومعرفة ما هو شائع بينها . هذا النوع من التعريفات ، هو الذى يهتم به عالم الاجتماع[٤] .

اذن فالمشكلة التى تواجه عالم الاجتماع الدينى هى ايجاد تعريف للدين يتناسب مع هتماماته ، أعنى تعريف محدد يكون بمثابة أداة تحليلية تفيده فى فهم أشكال معينة من الحياة الدينية.كذلك يجب أن يكون هذا التعريف من الاتساع والشمول بحيث يشتمل على كل أنوع السلوك الدينى فى مختلف الظروف . ولكن لماذا ينبغى أن يكون هناك مفهوم واسع وشامل للدين ؟ الحق أن هذا التعريف مطلب أساسى ، طالما أن السلوك الدينى يبدو وكأنه عام بين كل الكائنات الانسانية . فلم تكتشف بعد أى جماعة انسانية دون أن يكون لها سلوكا يعرف بأنه سلوك « دينى » ولا شك أن مظاهر السلوك الدينى قد تكون متداخلة مع الجوانب الاخرى والهامة للسلوك الانسانى وأنه من الصعب التمييز بين ما هو دينى فيها عن غيره[٥] .

وقد حاول تيلور E. B. Tylor أن يقدم لنا ما أسماه « الحد الأدنى من التعريف » minimum definuton للدين . فالدين بالنسبة له هو « الاعتقاد فى الكائنات الروحية » ولكن هذا التعريف ، كما تلاحظ B. R. Scharf غير مقنع وكاف لانه قائم على أساس فكرى أكثر من الاشارة

---

(4) Nottingham E., K., *op. cit*, PP. 6 - 7.
(5) *Ibid.*, PP. 6 - 8.

الى مشاعر الخشوع الرئيسية والتبجيل المرتبط بهذه الاعتقادات • كما أنتقد هذا التعريف على أساس أنه يتضمن أن موضوعات الاتجاه الدينى هى دائما كائنات مشخصة بينما أن البيانات الانثروبولوجية المجمعة تشير الى أن ما هو روحى دائما ما يدرك على أنه قوى غير مشخصة[٦] •

كذلك نجد أن ردكليف ـ براون Radcliffe - Brown يعرف الدين على أنه « فى كل مكان هو تعبير فى شكل أو آخر عن احساس بالاعتماد أو التبعية لقوى خارج أنفسنا ، هذه القوى قد ينظر اليها على أنها روحية أو أخلاقية » ويرى راد كليف ـ براون أن التعبير الاساسى عن هذا الاحساس هو الشعيرة• ولعل تعريف رادكليف ـ براون يشارك تعريف دور كيم التأكيد على الخصائص الجمعية أو الاجتماعية للدين والشعائر • فالدين بالنسبة لدور كيم هو ذلك « النسق الموحد للاعتقادات والممارسات ، المتصل بالاشياء المقدسة ، أى الاشياء التى تستبعد وتحرم، مثل هذه الاعتقادات والممارسات تتحد فى جماعة أخلاقية متفردة تسمى الكنيسة لكل المنتمين لها »[٧] • فمن الواضح أن دور كيم هنا لم يعرف ما هو المقدس ، الا أنه فى ثنايا كتابه أشار الى أن ما هو مقدس هو ما يستبعد أو يحرم ، هو ما يمكن أن يدرك من خلال الشعائر لان قوتها لها شأنها • كذلك فان الانتقال من الدنس فى العالم اليومى الى وجود المقدس لا يمكن أن تدرك الا من خلال طرق اجتماعية وذلك عن طريق تقديس الجماعة لنفسها والتعبير عن ذلك فى الاحتفالات العامة • هكذا فان كلا من دور كيم ورادكليف ـ براون قد أعتبر أن الشعائر والشعور بالخوف والرهبة من أهم الصفات الرئيسية المميزة للدين ، بغض النظر عن موضوع هذه الشعائر[٨] •

---

(6) Scharf, B., R., *op. cit.*, P. 31.

(٧) أنظـر :

Durkheim, E., ***Elementary Forms of Religions Life***. *op. cit.*, P. 47.

(8) Scharf, B., R., *op. cit.*, P. 32.

ويرى روبرتسون R. Robertson أن هنــاك عددا من التعريفات الوظيفية المستخدمة فى علم الاجتمــاع الدينى • فهناك أولا التعــريف الوظيفى للدين الذى يعرف الدين من خلال « الاهتمام بالمسائل المطلقة »، على أســاس الافتراض القــائل بأن كل المجتمعات أو كل الافــراد فى المجتمعات لها مسائل مطلقة[٩] • وهناك مدخل وظيفى آخر ، خاصة أعمال بارسونز وبللا ، يحدد الدين على أنه المستوى الاعلى والاعم فى الثقــافة « والاساس الذى يقوم عليه هذا التعريف ، أن أى نسق للفعل الانسانى فيه الافراد محكومون بالمعايير الخاصــة بالتفاعل المحددة من النســق الاجتماعى ، وهذا النسق الاجتماعى بدوره محكوم بالنسق الثقافى للقيم والمعتقدات والرموز • والنسق الثقافى يؤدى وظيفة فى اعطاء التوجيهات العامة للفعل الانسانى ولا شك أن أعلى مستوى فى النسق الثقافى نفسه هو « قواعد المعانى وتلك التى تحدد على أنها معتقدات وقيم دينية • ومن هذا المنطلق نقول أن المجتمعــات تعبر عن قيم وأعتقادات دينيــة[١٠] • وأخيرا هناك مدخل آخــر يقدمه لكمان Luckmann عن الدين ويعــد أمتدادا لمدخل دور كيم عن الدين • فبالنسبة الى لكمان ، فان كل شىء انسانى يعتبر دينيا فى الوقت نفسه ، فالدين هو قدرة الكائن الانســانى على التسامى بطبيعته البيولوجية من خلال تكون المعانى الوضعية والعالمية والاخلاقية • والمشكلة هنا ، كما يلاحظها روبرتسون أن لكمان ، وبرجر يريان أن دراسة الدين جزء أساسى من دراسة علم اجتماع المعرفــة • فتعريف الدين على أنه النسق المميز للحالة الثقافية والاجتماعية ، يعنى أن لكمان لا يعطى اعتبارا للدين النظامى • أكثر من هذا فان لكمان يرفض

---

(9) Robertson, R., *The Sociological Interpretation of Religion op. cit.*, P. 39.

(10) *Ibid.*, PP. 40-41.

الاهتمام بالتعبيرات الموضوعية والمرئية للتدين • ولكنه على العكس من ذلك يبحث فى الجوانب الذاتية وغير المرئية للدين وهذا ما يشكل بالنسبة له جوهر علم الاجتماع الدينى(١١) •

وعلى أية حال يلاحظ ينجر أن الفشل فى تحديد مفهوم الدين سـوف يؤدى ، بلا شك ، الى ضعف قدرتنا على فهم عـديد من التطـورات فى الاوضاع الحضرية • والدين كما يعرفه بول تلك P. Tillich هـو « ما يتعلق ويهتم به الانسان مطلقا » وعلى الرغم من أن هذا التعريف له وجاهته ، الا أنه كما يرى ينجر ، سوف يكشف عن أختـلافات كبيرة لو أستخدمنا مدخلا مقارنا لما تعنى به مختلف الاديان مما يسمى بالمسـائل المطلقة للحياة(١٢) « ففى جوهر الكثير من الاديان يمكن أن نميز المسـائل المطلقة على أنها تدور حول كيف يستطيع الانسان أن يمضى حياة مطلقة • وبالرغم من هذا الاعتقاد الرئيسى للمسيحية الا أننا يمكن أن نتساءل عن أنطباق هـذا على سكان المدن الحديثـة ، حيث أنهم يفكرون بطريقـة مختلفة ، فهم ينظرون للدين كوسيلة للتغلب على مشاكل الوحدة والمعاناة فى حياة المدينة المزعجة • وقد نجد أن المسائل المطلقة لها جانب اجتماعى لدى آخرين • فالحياة فى مجتمع قد يدمر أعضاءه ولا يعطيهم الفرصـة للاستخدام الكامل لملكاتهم وقد تضع جماعة ضد جماعة أخرى — مثـل هذه الحياة فى ذلك المجتمع تهدد القيم المطلقة •

وقد توضح مشكلة التعريف فى سياق آخر ، لنقول أن هناك أتفاقا بين كثيرين على أن الدين هو طريق للخلاص تعضده الجماعـة • ولكن قـد

---

(11) Robertson, R., *The Sociological Inerpretation of Religion. op. cit.*, PP. 41 - 42.

(12) Yinger, J., M., *Sociology Looks at Religion, op cit.*, P. 19.

يثار تساؤل مؤداه ، الخلاص من ماذا ؟ وقد تختلف وتتنوع الاجـابات حسب الاعتقادات والمهن والطبقات والاجناس والتعليم والاقامة وعوامل أخرى • فالدين فى المجتمعات الحضرية ليس هو الطريق الوحيد للخلاص• فالانســان قد يحاول الخــلاص من أمور أخــرى ــ مثل اللا معنــى ، المعاناة • • • الــخ • والتى قد تكون متصلة بالدين ولكنها ليست متوحدة معه • فالدين قد يشارك الانظمة الطبيــة وظيفة التقليل من الامــراض الصحية والمعاناة فى المجتمع الا أن القليل هو الذى قــد يكون معروفا عن أسباب هذه الامراض ، ولكن الدين يتخلى بالتدريج عن تلك الوظيفــة للجماعات العلمانية فى المجتمع حيث تكون المعرفة الطبية قد نمتوأتسعت• ففى المواقف التى يكون فيهــا التغير الاجتماعى بعيد المنــال ، فان الدين يشارك مع الحركات الاخرى الاهتمام ببعض المسائل الرئيسية الخاصة بالمعنى • أكثر من هذا فان الدين فى المجتمعات الحضرية قد يغلف بما هو لا دينى • كذلك قد يتفاعل الدين مع المجهودات الاخــرى للصراع مــع المشاكل المطلقة للانسان •

وقد أوضح بول تلك Tillch هذا بجلاء عنــدما علق على تنــوع الاعتقادات وانماط السلوك التى تنبع من المجتمع التكنولوجى • فكثير من هذه الاعتقادات يمكن أن يطلق عليه « دينى بالمعنى الضيق » ، ولكنهــا بالرغم من ذلك تحاول أن تقاوم عملية عدم التحديد وفقدان الذاتية التى تخشاها فى المجتمع الحديث • فالفلسفات الحديثة ما هى الا محــاولات لمقاومة هذا العالم الذى تحول كل فرد فيه الى شىء a thing ولهــذا يجب أن تدرس الافكار العلمانية على أنها محاولات لتقديم معنى للحيــاة الحضرية(١٣) •

---

(13) Yinger, J., M., *Sociology Looks at Religion* *op. cit.*, PP. 20 - 21.

على أية حال ، فان ينجر يتبنى تعريفا وظيفيا للدين ، فهو يرى أنه « هو ذلك النسق من الاعتقادات والممارسات التى من خــلالها تستطيع جمــاعة من الناس النضال ضد المشــاكل المطلقة للحياة الانسانيــة » • انه ــ الدين ــ رفض الاستسلام للموت ، والاستسلام للاحباط ، أو لاى عداوة تحاول أن تخرق الارتباطات الانسانية البشر »[١٤] • فالدين ، فى نظر ينجــر ، هو الذى يساعد النــاس على النضال بنجاح ضــد القلق والكراهية • هــذا التعريف الوظيفى يتضــمن أن الدين بديل لليــأس ، ويوصلنا كذلك الى نتيجة مؤداها أنه على الرغم من أن الدين عامل أساسى فى الحياة الانسانية ، الا أن هذا التعريف وضع فى كلمات عامــة بحيث ترى امكان اعتبار أى هدف حماسى أو أى ولاء قوى تشارك فيه الجماعة « دينــا » •

ومن ناحية أخرى نجد أن جريتز Greetz يقيم تعريفه للدين على قدرة الانسان العقلية المفسرة ، فالدين بالنسبة له هو نسق من الرمــوز التى تحاول خلق حالة نفسية عامة ومستمرة ودوافع فى كل الناس وذلك عن طريق تكوين مفاهيم عن النظام العام للوجود وتغليف هذه المفاهيــم بهالة من الواقعية حتى تبدو هذه الحالات النفسية وهذه الدوافع عــلى أنها واقعية ومتميزة »[١٥] • وعندما حاول جريتز أن يبين كيف تتغلف هذه الرموز والمفاهيم بهذه الهالة من الواقعية فاننا نجده يقترب من مفهــوم دور كيم عن الشعائر الجمعية • كذلك فقد خلق هذا التعريف تشابها بين الظاهرة الدينية والحركات الاخلاقيــة أو السياسية والتى تلعب فيهــا

---

(14) Yinger, J., M., *The Scientific Study of Religion. op. cit.*, PP. 1 - 16.

(15) Greets, C., "Religion as a Cultural System", in M., Barton (ed.) *Anthropological Approach to the Study of Religion op. cit.*, P. 4.

الشعائر الجمعية دورا هـاما مماثلا للدور الذى يلعبـه الدين فى تكوين اعتقاد وراء حدود الاعتقاد العقلى • كذلك فان هذه الحركات تخلق مفاهيم للنظام العـام للوجود وتخلق حـالات نفسية ودوافع تتسم بالواقعيـة والتميز • وبهذا فان الحركات القومية والشرعية والفاشية يمكن أن تقع داخل نطاق هذا التعريف(١٦) •

على أية حال ، فان الدين كما سوف نعرف فيما بعد ، يتميز بأنه ظاهرة جماعية كما أنه لابد وأن يكون موجها نحو ما يسمى بالمقدس أو ما هـو فوق طبيعى ، وينعكس هذا فى نسق من الاعتقادات والممارسـات ، واذا كان لنا أن نعرف الدين ، فاننا نقول أن الدين يمكن تعريفه بأنه نسق من الاعتقادات والممارسات ، والذى تستطيع جماعة من الناس من خلاله أن تفسر وتستجيب لما تشعر به على أنه مقدس • فعالم الاجتماع الدينى لا يؤكد أو ينكر وجود ما يسمى بما فوق الطبيعى ، كذلك فهو لا يحدد ما هو المقدس ولكن يترك للجماعة تحـديد ذلك من خلال ما تعتنقـه • وكل ما يحاول عالم الاجتماع الدينى أن يهتم به هـو ذلك السلوك والاتجاهات الناجمة عن الاعتقاد فى مثل هذه المقدسات • وعلى الرغـم من أن بعض التعريفات توضع باتساع لتحـوى كل الاشكال المذهبية isms مثـل الشيوعية والفاشية ، والعلمية والانسانية ••• الخ(١٧) • فاننا نرى أنه

---

(16) Scharf, B., R., *op. cit.*, PP. 32 - 33.

أنظـر أيضـا :

Badd S., *Sociologist and Religion. op. cit.*, PP. 7, 5 - 11.

(١٧) يرى R. Robertson أنه يمكن القول بأن هذه الحركات ـ خاصة الشيوعية ، تعد أديانا وذلك بسبب الوظيفة التى تؤديها فى المجتمع • فنقول أن الشيوعية مثلا هى المعادل الوظيفى للدين • بمعنى أن الشيوعية تؤدى الوظائف المشابهة التى يقوم بها الدين فى المجتمعات غير الشيوعية •

أنظـر :

Robertson, R., *The Sociological Interpretation of Religion op. cit.*, PP. 38 - 39.

مع وجود كثير من العناصر فى هذه المذاهب التى تتشابه مع الدين من حيث وجود نسق اعتقادى وولاء من الاعضاء وشعائر معينة وأماكن مقدسة وحماس تبشيرى » الا أن هذه الانساق الفكرية لا تحتوى مثل الدين على ما يسمى بالمقدس أو ما هو فوق طبيعى أو روحى ، وهذا ما يخرجها عن نطاق الدين[18] . وتعريف الدين لا يمكن أن يوضع باتساع ليحوى كل سلوك وفى النهاية لا يمكننا أن نميز بين ما هو دينى وغير دينى فى السلوك الانسانى . لذلك يجب الاشارة هنا الى أن معظم التعريفات الخاصة بالدين مستمدة أصلا مما يسمى بالتراث المسيحى — اليهودى . وهى لا تنطبق بالضرورة على الاديان الاخرى مثل الاسلام والبوذية والهندوسية . . . الخ . فالتعريف ينبع من الظاهرة نفسها ومن الاحساس بالتدين لدى من يؤمن بها . ولهذا فان الاجتماع الدينى مازال فى حاجة الى العديد من التعريفات الممثلة لكل دين حتى يمكننا أن نصل الى « تعريف » قد يصف الظاهرة الدينية فى عمومها .

(18) Johnstone R. L., *Religion and Society in Interction* *op. cit.*, PP. 12 - 24.

٣ ـ جوانب التدين :

تشهد الكتابات المعاصرة فى علم الاجتمــاع الدينى عدم رضــا عن تعريفات الدين التى انتشرت منذ الخمسينيات من هذا القرن • وقد أدى هذا بلنسكى وجلوك الى تحديد وأستخدام الجوانب الخاصة بالتـــدين religiosity فى البحث الامبريقى ، بمعنى الاطر الخاصة بالتحليل والتى تقترح بوضوح أن هناك جوانب منفصلة لتدين الشخص • وهذه الجوانب للتدين قد تكون مستقلة عن بعضها بعضا ، وقد يكون الشخص متميزا فى جانب واحد وليس كذلك فى الجوانب الاخرى ، وعلى الرغم من التقـــدم المنهجى والبحثى الا أن استخدام جوانب التدين ما زال غير مرض مـــن الناحية الاكاديمية • وتواجه المحاولات التى تبذل للبحث فى جوانب الدين بالعديد من الصعوبات خاصـــة المشاكل المتعلقة بقياس التـــدين ، وكذلك العلاقة بين قياس تدين الفرد وتدين النسق ككل •

وهناك مشكلة أخرى تقابل الباحثين عن جوانب التدين ، وهى تلك التى تتعلق بمفهوم التدين ، فقد جرت العادة فى البحوث الامبريقية فى علم الاجتماع الدينى أن تستخدم لفظة التدين لتعنى الحضور الى دور العبادة أو العضوية فى التنظيمات الدينية • ولا شك أن هذه الجوانب غير كافية ، فهى لا تفرق بين التوجيه نحو التنظيم الدينى وبين التوجيه نحو نسق الاعتقاد لتنظيم دينى كذلك فان بعدى الحضور والتردد عـــلى دور العبادة والانتماء الى تنظيم دينى معين غير كافيين لتوضيح معنى الدين ووظائفه الاساسية والتى قد تكون وراء مثـــل هذه الممارسات المتعلقـــة بالاهتمام بالمطلق وما هو فوق طبيعى[1] •

---

(1) Robertson, R., *The Sociological Interpretation of Religion op. cit.*, PP. 51-52.

ولكن البحث عن جوانب التدين لا يعنى سرد الخصائص المتعلقة بالانتماء أو التميز الدينى • فقد تميز تراث علم الاجتماع الدينى بمحاولة تحليل ظاهرة التدين الى هذه المكونات ، أكثر من الاهتمام بالمفهوم ككل • ولقد حاول لنسكى أن يحدد بعض جوانب التدين فميز بين أربعة جوانب رئيسية هى ، المرافقة Associtionism ، الطائفية Communalism (يشير الى الجوانب الاجتماعية) والتقليدية Orthodoxy ، والتكريسية Devotionalism (يشير الى الجوانب الثقافية) • وبالنسبة الى لنسكى فان الفرد الذى لا يحرز أى درجة فى هذه الجوانب يعد غير متدين ولكن هذا يتعارض مع تعريف لنسكى للمتدين ومؤداه أن أى انسان عاقل وعضو فى أى مجتمع انسانى يعتبر متدينا[٢] ويقدم لنا جلوك جوانب أخرى للتدين أكثر تقبلا لانها محددة فى مقولات من القيم والمنظورات الدينية والتى تقف على النقيض من القيم اللادينية أو العلمانية • وهذه الجوانب الخمس هى المعايشة Experiential أى التجربة أو المشاعر الدينية الذاتية ، الشعائرية Rituallstic أى الممارسات الخاصة المتوقعة من الافراد أو المعتنقين للعقيدة ، الايديولوجية Ideological أى الاعتقادات الحقيقية التى يعتنقها المنتمون اليها ، الفكرية Intellectual أى المعرفة الخاصة بالاعتقادات المتصلة بالعقيدة ، الترابطية Consequential أى الآثار العلمانية المترتبة على الاعتقاد والممارسة والتجربة الدينية[٣] ولعل المشكلة

أنظر أيضا :

Zahn, G., "The Commitment Dimention," *Sociological Analysis* Vol. 31., (winter 1970) No., 4, PP. 203 - 208.

(2) Lenski, *The Religions Factor op. cit.*, P. 331.

(3) Glock and Stark, R., *Religion and Society in Tension op. cit.*, ch 1,2.

التى تواجه هذه الجوانب الخمس هى مشكلة عزلة لجوانب بعضها عن بعض خاصة الجانب الايديولوجى عن الجانب الفكرى(٤) ٠

كذلك فانه من الصعوبة أن نتعامل بأمانة مع تجربة الممارسة الدينية عن طريق استخدام المسح ، اذا كان الباحث يريد التوصل الى عمق ومجال مشاعر الفرد الدينية ٠ كما أنه من الصعوبة بمكان أن نتحقق من درجة التدين ككل ، ليس فقط لان التعريفات الدينية تتنوع من دين لآخر، ولكن لان أحد الجوانب وهو الجانب الايديولوجى — هو الذى يتصل بالوصف السوسيولوجى ، فالاعتقاد الثابت ليس مسألة درجة ٠ على أية حال،فان اسهامات جلوك وستارك تكمن فائدتها فى الوصف السوسيولوجى المناسب لتدين الفرد ٠ ويرى روبرتسون كذلك أن قيمة هذه الجوانب الخمس يقل تأثيرها لاحتوائها الجانب الترابطى ٠ ذلك الجانب من التدين الذى يشير الى أى درجة يكون للانتماء الدينى نتائج على الاشكال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والجوانب الاخرى والصعوبة تكمن هنا ، كما يرى روبرتسون ، فى أنه ليس من المنطقى أن تحتوى هذه الجوانب الخاصة بالتدين على جانب يعد نتيجة للتدين ٠ فلا يمكن أن يكون هذا الجانب الظاهرة وفى الوقت نفسه نتيجة لها(٥) ٠ ولا تعنى هذه الانتقادات بأى حال التقليل من قيمة المحاولات المبذولة لتحديد جوانب الدين أو التدين ٠ فالمشكلة فى غاية الاهمية ولا يمكن للبحث أن يتقدم بدون حلها ، وذلك بأن يكون هناك تماسك بين المفاهيم العامة للتدين والجوانب المتعلقة بالتدين ٠

---

(4) Robertson, R., *The Sociological Interpretation of Religion. op. cit.,* P. 53.

(5) *Ibid.* P. 53.

أما بالنسبة لمشكلة العلاقة بين تدين الفرد وتدين النسق الذى يعد الفرد عضوا فيه فان جلوك يرى أن تدين المجتمع موضوع للقياس من خلال المؤشرات الاجمالية لتدين أفراده • ولكن هذا يؤدى الى ما يسمى بالمغالطة الفردية ، أعنى مغالطة بسبب أن هذا الرأى ينظر الى النسق باعتباره ليس أكثر من المجموع الكلى للوحدات الموجودة بداخله ، فاذا أردنا أن نقول شيئا عن الديموقراطية السياسية أو التدين بنسق معين فاننا لا يمكن أن نصف هذا فى عبارات تقول ، هل الافراد ديموقراطين أو متدينين فما يمكن أن نقوله هنا ضد حجة المجموع الكلى هو أن قطاع كبير من الافراد فى مجتمع (أ) يعدون متدينون اذا ما قورنوا بمن هم فى مجتمع (ب) • ولا يعنى هذا بالضرورة أن المجتمع (أ) أكثر تدينا من المجتمع (ب) فقد يكون سبب تدين الافراد فى المجتمع (أ) هو اتجاههم ضد ما تدين به الاقلية المسيطرة ، أو لوجود عديد من التقاليد الدينية المختلفة ، أو لظهور استجابة جماعية ضد العلمانية فى الجوانب الهامة من الحياة الاجتماعية • فلو قلنا أن تدين الافراد يمكن أن يكون فى مجموعة تدين المجتمع فان هذا يعنى أننا يمكن أن نحصى تدين كل فرد من الافراد ونصل الى القول بأن المجتمع (أ) لديه ٦٦٪ من المؤمنين بينما مجتمع (ب) لديه فقط ٢٣٪ من المؤمنين • أو يمكن أن يقال بدلا من ذلك أن كثافة التدين هى النقطة الرئيسية فقد يكون الامر أن عددا قليلا من الافراد فى مجتمع ما يتمتعون بدرجة عالية من التدين وهذا يجعل النسق الكلى للمجتمع يتميز بأنه دينى(٦) •

على أية حال،فان النتيجة التى نتوصل اليها من المناقشة السابقة هى أن مشكلة تدين المجتمعات يمكن أن تحل لو أعطينا اعتبارا للبناء •

---

(6) Robertson, R., *The Sociological Interpretation of Religion, op. cit.*, P. 202.

والخصائص الدينية للنسق ككل ودرجة الاختلاف والاستقلال للقطاعات الدينية بالنسبة للقطاعات الاجتماعية الاخرى ، والوضـــع الاستراتيجى للقادة الدينيين ، والعلاقة بين الجماعات الدينية وهكذا . هــذه العوامل تتعلق جميعا بالبناء الاجتماعى والعلاقات والاوضاع داخل الجماعات ، وهذه كلها جوانب للتدين لا يمكن بسهولة الفصل بينها أو تحديدها .

٤ ـ مشكلة التفسير :

الحق أن الباحثين فى مجال علم الاجتماع الدينى قد أعطوا مشكلة تفسير الاعتقادات الدينية أهتماماتهم ، وذلك بالتحقيق من الظروف التى تؤدى الى ظهورها أو أختفائها والبحث عن العوامل الاساسية بين هذه الظروف • ومعظم التفسيرات العامة للدين ترى أن الاعتقادات الدينية توجد عندما تشعر الكائنات الانسانية بأنها غير قادرة على التحكم فى مصيرها الذاتى • وقد أتخذ التفسير الحديث للظاهرة الدينية أتجاها آخر وذلك بوضع فروض خاصة بالوظائف التى تؤديها الاعتقادات والقيم الدينية بالنسبة للنسق الاجتماعى الذى تظهر فيه • ولا تعنى الوظيفية هنا الاعتقاد فى التفسير العلمى ، بمعنى اذا كان من أهم الوظائف الرئيسية للدين ، تقليل القلق عند الانسان ، فلا يعنى هذا أن القلق سبب وجود الدين[1] •

ويذهب البعض أنطلاقا من الاعتقاد بأنه لا يوجد تفسير الاعتقادات الدينية أكثر من أرتباط ذلك بنوع الشخصية الانسانية ، الى البحث عن نوع نسق الشخصية الذى يكون أكثر تمثيلا للانتماء الدينى ، ولا شك أن هذا يؤدى الى الاهمتام بتدين الفرد ، ومثل هذا النوع من التفسير غير مقنع بالنسبة لعالم الاجتماع ، ذلك أن مثل هذا النوع من التفسيرات السيكولوجية لا يعطى أعتبارا لطبيعة الانتماء الدينى ، ففى مثل هذا النوع من التفسيرات لا نجد أى شىء عن نوع الاعتقاد أو القيمة الدينية

---

(1) Robertsion, R., *The Sociological Interpretation of Religion op. cit*., P. 58.

التى يهتم بها الفرد • فما تتطلع اليه هو تقدير الظروف التى تدعم بها الاعتقادات والقيم الدينية من جماعة الافراد ، والطرق التى من خلالها تتحول وتتعدل هذه القيم والاعتقادات الدينية • ولقد حاول بعض علماء الاجتماع والانثروبولوجيا التركيز على متغيرات الشخصية ذلك باعتبار نسق الشخصية كمتغير متداخل مع متغيرات سوسيولوجية أخرى• وفى هذه الحالة ، يمكن النظر الى نسق الشخصية على أنه يقوم بتحويل خصائص الجماعة الى خصائص ثقافية دينية • فالاعتقاد بأن أهم متغير فى حياة المجتمع هو الاسرة ، ومن خلال فحص ذلك البناء فى أنواع مختلفة من المجتمعات ، يمكننا أن نرى أى نوع من الشخصية ينتج عن هذه الابنية الاسرية والعلاقات الاجتماعية فى الاسرة • كذلك يمكننا أن نعرف كيف أن نوع الشخصية ، بدوره ، يؤدى الى وجود تنوع فى الاعتقاد أو القيمة الدينية • والمشكلة فى هذا الاعتقاد أن نقطة البداية هى بناء الاسرة ، ومن المعروف أن بناء الاسرة نفسه يخضع لمؤثرات أخرى من المجتمع • على أية حال ، فانه يمكننا فقط ، من خلال فحص السياق الذى تعمل فيه شخصية الفرد أن نتعامل مع المسائل السوسيولوجية التى لها علاقة بتنوع الاعتقاد والانتماء الدينى(٢) •

ولعل المخرج الوحيد من مثل هذه المشاكل ، كما يقترح روبرتسون ، هو أن يعتبر علماء الاجتماع التفسير العلمى مشكلة مفتوحة فى كل حالة، بدلا من محاولة اكتشاف مجموعة العمليات الاجتماعية التى تؤدى الى وجود الظاهرة الدينية وهذا يعنى أن ندرك ، أنه فى بعض الانساق الاجتماعية ، قد يكون الدين متغيرا مستقلا ، وفى بعض الحالات وفى

---

(2) Robertson, R., *The Sociological Interpreation of Religion op. cit.*, P. 59.

بعض الاماكن قد يتمتـــع بنوع من الاستقلال ويكون مسيطرا على بعض جوانب الحياة الاجتماعية الاخرى • وفى حالات وأماكن أخرى يكـــون الدين «تحت رحمة» العـــوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية. ولتبنى مثل هذا المدخل يجب أن نحدد دائما ما هو الجانب الذى نتحدث عنه من الدين خاصة الفارق بين الجوانب الثقافية والجوانب الاجتماعية للدين • ففى حالات معينة نجد أن وظائف الدين قد تكون مؤثرة عـــلى المجتمع ، ولكن دون أن يمتد هذا التأثير الى شكل الاعتقاد والقيم الدينية المتوارثة من الدين نفسه • ومن الواضح فى مثل هذه الحالة أن الجانب الاجتماعى للدين هو الذى نعطى له الاهمية (الاولوية العلمية) • ومن ناحية أخرى قد تكون القرارات السياسية على سبيل المثال مستمدة من الاعتقاد والقيم الدينية ، وهنا فان الجانب الثقافى للدين هو الـــــذى يتمتع بالاستقلالية • وقد تتحقق الاستقلالية الكاملة للدين لو أن كـــلا من الجوانب الثقافية والاجتماعية للدين قد توحدت وأصبحت متساوية التأثير[٣] ولعل الكثير من التفسيرات الخاصة بالتدين والمقدمة من الدين الوظيفى تهتم فى المحل الاول بالاطر ، أكثر من الاهتمام بالجماعات أو الأنساق الاجتماعية ، فلو تحدثنا عن وظيفة الدين للتقليل من القـــلق وعدم الطمأنينة فاننا نتحدث على مستوى الفرد ، ولاشك أن هذا لايبين العلاقة بين العوامل الدينية ، والعوامل الاجتماعية الاخـــرى • ولعل الاتجاه المقبول فى الوظيفية هو الذى يؤكد على أن الدين جانب أساسى من الثقافة وأن القيم والاعتقادات الدينية تعطى نوعا من الانماط التى يتفاعل وينتظم فيها الافراد من خلال تفاعلهم الاجتماعى • ولعـــل من

---

(3) Robertson, R., *The Sociological Interpretation of Religion. op. cit.*, P. 60.

أهم الدراسات التى تمت فى هذا الاتجاه ، كما سوف نرى فيما بعد،هى محاولة سوانسون Swanson الذى تبنى فكرة دوركيم فى أن بناء الجماعة يؤثر بدرجة هامة على خاصية وشكل نسق الاعتقاد الدينى. ويقترح سوانسون أن نحدد وظيفة مايسمى بالجماعات المسيطرة فى المجتمع فهى التى تحدد بناء وشكل نسق الاعتقاد الدينى • وما يهمنا فى تحليل سوانسون هو ما طرحه من امكانية عقد مقارنة بين كل الحالات التى تنطبق عليها العلاقة بين التجربة البنائية للجماعة والاعتقاد الدينى ولعل المشكلة التى تواجه تحليل سوانسون ، هى الى أى درجة تكون الاعتقادات الدينية مستقلة ، وفى الوقت نفسه تشكل طبقا لبناء الانساق الاجتماعية(٤) •

ويحاول عالم الاجتماع أن يعطى تفسيرا فى بحثه عن الظروف التى تظهر وتتغير فيها التنظيمات الدينية • فالكثير الان معروف عن الظروف التى تستمر فيها الفرق الدينية والخصائص المميزة للطائفية وذلك بارجاعها الى النسق الثقافى والاجتماعى فى المجتمع ، فالتفسير هنا يتضمن تحديدا للخصائص الداخلية للحركة الدينية والظروف الاجتماعية والثقافية التى تواجهها وطبيعة وظروف المجتمع ككل(٥) •

ولعل أشهر التفسيرات للظواهر الدينية كما عرضنا فيما سبق،تفسير ماكس فيبر للدين البروتستانتى على أنه العامل الاساسى فى خلق روح معينة للتوجيهات الرأسمالية الحديثة • وقد استمرت المناقشات الخاصة

---

(4) Robertson, R., *The Sociological Interpretation of Religion op. cit.*, P. 61.

(5) *Ibid.*, P. 62.

بالفوارق بين الكاثوليك والبروتستانت فى الانجـــاز الاقتصـــادى أو الانجازات الاخرى خاصة ، فى الولايات المتحدة الامريكية ، كذلك فقد بينا محـــاولة لنسكى لمعرفة دور لانتماء الدينى فى المجـــالات الرئيســـية للحياة الامريكية • حيث أن هناك اختلافا بين الكاثوليك والبروتستانت البيض فى أن الكاثوليك أقل دافعية نحـــو الامور الاقتصادية والتعليميـــة والعلمية ويفضلون تدخل الدولة أكثر من البروتستانت • وقد بينا كذلك أن هناك انتقادات وجهت الى لنسكى ممثلة فى محاولة جريلى Greeley الذى انتقد نتائج لنسكى من حيث أن العنية التى اعتمد عليها غير ممثلة ، كذلك لم يراع لنسكى الاختلاف العنصرى داخل الجماعات الكاثوليكية على أية حال ، فان مثل هذه الدراسات تثير التساؤل حـــول أســـباب الاختلافات الدينية وهل يرجع ذلك الى اللاهوت والاخلاق الخـــاصة بالدين أم أن مرد ذلك الى التجارب الاجتماعية للجماعة والتى بدورها تعد نتيجة للاحداث التاريخية(٦)• على أية حال ، تؤكد هذه الدراسات على التفرقة بين الجوانب الاجتماعيـــة والثقافية للانشطة الدينية ، كمـــا أنها هى وغيرها من الدراسات الاخرى تبين دور «العامل الدينى» كعامل أساسى ومستقل فى التأثير على كل من موجهات السلوك الاجتمـــاعى للفرد وعلى النسق القيمى والثقافى للمجتمع •

(6) Robertson, R., *The Sociological Interpretation of Religion*· *op*· *cit*., PP. 61 - 65.

٥ ـ تأثير الانثروبولوجيا على النظريات المفسرة للدين :

أ) تمهيد :

لا شك أن الباحث فى مناقشة هذا الموضوع يواجه بمشكلتى التعريف والتمييز بين العلمين ، وليس هنا مجال مناقشة التعريفات العديدة للانثروبولوجيا والمفاهيم المختلفة لمجالات أهتماماتها • فالاعتقاد السائد أنه طالما أن الانثروبولوجيا تهتم بدراسة موضوعات مثل الدين فان مداخلها لا شك فى أنها تكون قريبة من مداخل علم الاجتماع • ولكن السؤال الذى قد يثار هو ، ما مدى التقارب بين العلمين ؟ ومن حيث المبدأ نقول أن العلمين متشابهين الى درجة اهتمامها ببذل الجهد لتطوير نظريات منظمة وتحليلية عن الدين • ولا شك أن هناك اختلافات ، الا أن الاختلافات يمكن حصرها فى المنهج ونوع البيانات التى لها أولوية فى التحليل • ولكن من الصعوبة أن ينظر الى « نظرية أنثروبولوجية عن الدين » منفصلة عن « علم الاجتماع الدينى » •

ولو سلمنا بهذا ، فانه يمكننا فقط ، وبصعوبة أن نميز بين الدراسات الانثروبولوجية للدين • وقد يكون التمييز على أساس التميز المهنى للعاملين فى العلمين ، وعلى أساس درجة التركيز على المجتمعات البدائية أو المتحضرة ، أو على مدى اعطاء أهمية أساسية للجوانب التفاعلية ـ الاجتماعية أو الثقافية للدين • وعلى الرغم من ذلك فان هذه المعايير لا تسمح لنا الا بالتمييز الضيق بين العلمين • فليس هناك أتفاق واضح بين العلماء على من هو الانثروبولوجى ، كذلك فالاهتمام بالمجتمعات البدائية ليس علامة واضحة للمدخل الانثروبولوجى فى الدراسة خاصة بعد دراسات دور كيم وجودى وموس وسوانسون وغيرهم • كما أن التفرقة

على أساس درجة الاهتمام بالتفاعل الاجتماعى والثقافى أقل وضوحا فى التمييز بينهما • اذ يشير كروبير ، على سبيل المثال ، الى أن علم الاجتماع يهتم فى دراسته للدين بدراسة « الكنائس » على أساس أنها أنساق فعالة لاشخاص متفاعلين • بينما تهتــم الانثروبولوجيا بدراسة ثقافة هــؤلاء الاشخاص • ويعلق ينجر على هذا بانه من الصعوبة أن يفهم كيف يجرى عالم الاجتمــاع دراسته عن العلاقات الخاصة بأعضــاء الكنائس دون الرجوع الى الاعتقادات والامور الثقافية الاخرى التى يشاركون فيها • وما يتطلبه كروبير من الانثروبولوجى هــو دراسة الحقائق الثقافيــة والاجتماعية معا ، والتى تشكل التزاما على عالم الاجتماع ، رغم وجود بعض الاختلافات بينه وبين الانثروبولوجى فى التركيز والبحث[1] •

واذا كان لنا أن نميز بين أعمال ما لينوفسكى ودور كيم أو بين مدخل دراسة الدين عند Howells أو بارسونز فان الرأى ، على أية حال ، أنه فى علم متقدم للدين يجب أن تختفى مثل هذه الاختلافات • وقد يصبح هذا ممكنا لو عرفنا علم الاجتماع الدينى على النحو التالى : « هو الدراسة العلمية للطرق التى من خلالها يؤثر المجتمع والثقافة والشخصية فى الدين، يؤثروا فى مصدره ، وفى مبادئه وممارساته ، وفى أنواع الجمــاعات التى تعبر عنه وأنواع القيادة • • • الــخ • ومن ناحية عكسية فهو دراســة الفرق التى من خــلالها يؤثر الدين فى المجتمع والثقافــة الشخصية وفى عمليات الحفاظ والتغير الاجتماعى ، وفى بناء الانساق المعيارية والرضا أو الاحباط المتصل بالحاجات الشخصية • • • »[2] •

(1) Yinger J., M., *Sociology Looks at Religion.* *op. cit.*, P. 118.

(2) Yinger, J., M., *Religion, Society and the Individual.* The Macmillan Company, 1957. PP. 20 - 21.

على أية حال ، فى بيان أثر الانثروبولوجيا فى تطور مثل هذا العلم ، لا نهتم أساسا بتتبع التأثير المباشر للافكار من شخص الى آخر ، ولكننا نهتم بدلا من ذلك بالطرق التى من خلالها أثرت الحقائق الانثروبولوجية والمناهج والنظريات على الدراسات السوسيولوجية للدين •

ب) تأثير نظرية التطور :

تبنى كثير من علماء الاجتماع المفاهيم التطورية المستمدة من تيلور وفريزر وآخرين ، واستخدمت هذه المفاهيم لتشكل الاساس لوصف الانظمة الدينية • وهذا يعكس بوضوح الافتقار لوجهة نظر سوسيولوجية أصيلة عن الدين • وقد أدى هذا بكل من سبنسر وسمنر وجدنجز Giddings وكثيرين آخرين الى استخدام التطورية الكلاسيكية رغم مدخلها الفردى والعقلانى دون أن يوجهوا أية انتقادات لها • ويجب الاشارة هنا الى أن وجهة النظر التطورية ليست متصلة بالنظرية السوسيولوجية للدين • ومثل هذه النظريات تبناها بعض علماء الاجتماع، وكل ما يمكن أن نقوله هنا هو تأمل النتائج المترتبة على الاعتماد الاساسى من جانب علماء الاجتماع على البيانات والنظريات السوسيولوجية • ولا شك أن هذا قد أدى الى بطء تطور علم الاجتماع الدينى وذلك لعدم وجود اهتمام بدراسة الدين من الباحثين فى المجتمعات المعاصرة • فلو نظرنا الى الدين من خلال منظور تايلور وفريزر وسبنسر وجدنجز فاننا قد لا نرى الدور الذى يلعبه الدين فى حياة الرجل المعاصر • كذلك فان النظرية التطورية قد أدت بعلماء الاجتماع الى اثارة بعض النظريات القليلة عن الدين وأصله وحقيقته الانفعالية أكثر من المداخل الاخرى للدين • ومن ناحية أخرى ، فان الانثروبولوجيا المبكرة كانت أكثر حيوية فى تدعيم النظرة المقارنة والضرورية للدين والتغلب على التحيز الثقافى الذى قد يمنع التوصل الى تحليل موضوعى للدين(٣) •

---

(3) Yinger, J., M., *Sociology Looks at Religion. op. cit.*, P. 119.

ولو فحصنا أعمال رواد علم الاجتماع خاصة دور كيم وفيبر فاننــا نجــد أن اهتمامهم بالــدين لم يكن محــدودا على المســتوى الوظيفى وبالنظــريات المستعارة • فبالنسبة لفيبر لم تتأثر أعماله تأثرا واضــحا ومباشرا بالاعمال الانثروبولوجية ، واعتمدت دراسته للدين على التاريخ والكلاسيكيات والاقتصــاد والفلسفة الماركسية ، اذ لم تعتمد البيــانات والموجهات النظرية لفيبر عــلى الانثروبولوجيا ولو بأدنى درجة • وقــد يرجع هذا ، جزئيا ، الى أن محور بحثه عن دراسة أصل وأنواع وبنــاء الرأسمالية فى المجتمعات المركبــة كان يقتضى أن يتجه البحث اتجــاهات أخرى • كذلك فان الذين تابعوا فيبر فى دراساتهم (من أمثال ترولينتش ، تــونى ، نيبهــور ، كلارك ، ورنر وآخــرون) لم يظهــروا أى تأثــر بالانثروبولوجيا • وتجدر الاشارة هنا الى أن فيبر فى اهتمامه بعــامل الوقت قد بين اهتماما بالانثروبولوجيا الثقافية والتى تميــزت بالوظيفية المتطرفة • هذا الاهتمام بالمصادر التى تعطى الخلفية اللازمة قد أدى الى وجود نقاط ضعف وقوة فى علم الاجتماع الدينى والتى نجد لها مثيــلا فى الانثروبولوجيا ، فالباحث يجد نفسه بين أمرين اما الاعتماد على المصادر القديمة وفى هذا اغفال للمعنى المعاصر للاعتقاد ومن ناحية أخــرى فان افتقاد المعرفة عن الماضى يؤدى حتما الى أخطاء فى التفسير[٤] •

وبالنســبة لدور كيم فان الامر يختــلف ، فدراسته عن الدين تعــد دراسة عن الطوطمية فى استراليا ، الا أن دور كيم أولا وأخيرا منظــر يستخدم بيانات مستمدة من أعمال عديد من الانثروبولوجيين من أجــل تشييد نظــرية سوسيولوجية للدين • بمعنى آخــر أن دور كيم حــاول تشييد نظرية تؤكد على أهمية المجتمع كنقطة بداية فى تحليلنا للدين مــع التقليل من العوامل الاخرى • وقد قبل دور كيم محاولة ايجاد أصل للدين

---

(4) Yinger, J., M., *Sociology I ooks at Religion*. *op. cit-*, P. 120.

على أنها المحور الاساسى للبحث ، ولكنه انتقد بشدة النظريات الخاصة بتفسير أصل الدين ، خاصة نظريات تيلور وسبنسر وميلر • وعندما قدم لنا دور كيم عمله نجد أنه لم يكن مهتما بتقديم نظرية عن الاصول الدينية بل بتحليل المكان الدائم للدين فى الحياة الاجتماعية • وبذلك فان عمله يحمل بصمات كونت وسميث وهما مؤرخان أكثر من كونهما ينتميان الى الانثروبولوجيا[٥] •

جـ) تأثير النظرية الوظيفية :

وبتطور النظرية الوظيفية بات واضحا أن تأثير الانثروبولوجيا على علم الاجتماع الدينى أصبح أكثر مباشرة وأهمية • والوظيفية • على أية حال ، ليست كلية من انتاج الانثروبولوجيا ، فهى أحد الموجهات العلمية الاساسية التى ظهرت فى كثير من المجالات الاخرى • كذلك فانه يمكننا تتبع الوظيفية السوسيولوجية منذ كونت وسبنسر ودور كيم وشيفل Schaffle وسمول وكولى حتى العلماء المعاصرين • الا أننا نقول أن استخدام المدخل الوظيفى من جانب علماء الانثربولوجيا فى تفسير الدين والسحر كان له تأثير هام على علم الاجتماع الدينى خلال الثلاث حقب الماضية • فالوظيفة من بين المؤثرات التى أدخلت فى علم الاجتماع الدينى فكرة أن الدين جزء من نسق اجتماعى مركب • فمفهوم الدين قد ارتبط وظيفيا بالمجتمع ، كشىء ضرورى لبقائه واستمرار التوازن فى الشئون الانسانية • ولا شك أن هذا المفهوم الجديد قد تطلب اعادة نظر من جانب علماء الاجتماع المبكرين فى المفاهيم السابقة • ولقد تحقق ذلك فى المجتمعات البدائية أكثر من المجتمعات المتمايزة ، ولا شك أن هناك

---

(5) Yinger, J., M., *Sociological Looks at Religion. op. cit.*, PP. 120 - 121.

صعوبات ومخاطر فى تحويل التحليل الوظيفى من المجتمعات البدائية الى المجتمعات المركبة ، ويرجع هذا الى الانفصال الحاد بين النظم الاجتماعية فى الحياة الحديثة ، والى الاختلاف حول تعريف الدين . وكما يرى ينجر فان جـــوانب كبيرة من الدين قـــد أعطيت أسماء أخرى مثل القـــوانين ، الشيوعية ، العلمية كطريقـــة فى الحياة . وهذا كله يشـــير الى استخدام التعريفات الواسعة للدين لتساعد فى فهم السلوك الانسانى فى العـــالم المعـــــاصر(٦) .

وقد ترتب عـــلى تبنى التحليل الوظيفى من جانب علماء الاجتمـــاع ظهور عديد من الصعوبات فى التنظير . فقد ثبت فشـــل التحليل الوظيفى عند تطبيقه على المجتمعات التى تتسم بالتمايز والتغير السريع . وانتقـــد ميرتون النظرية الوظيفية المتطرفة فى تطبيقها على المجتمعات المركبـــة . وقد ناقش ميرتون ثلاث مسلمات اعتقـــد أنها ليست ضرورية للتحليـــل الوظيفى ، والتى فى الحقيقة حولت الوظيفية من نظرية الى ايديولوجية . المسلمة الاولى خاصة بالوحدة الوظيفية للمجتمع — أى أن كل نشاط مقنن أو اعتقاد يعتبر وظيفى ، أى ضرورى ونافـــع للنسق الاجتمـــاعى ككل ، والمسلمة الثانية ، أن كل شكل اجتماعى له وظيفة ايجابية ، والمسلمة الثالثة هى أن بعض الوظائف ضرورية لاستمرار المجتمع أو أن أشكالا ثقافية أو اجتماعية معينة ضرورية للقيام بمثل هذه الوظائف(٧) كذلك فاننا نجد أن م لينوفسكى يعطى للدين وظيفة ايجابيـــة ، فالدين فى مشكلة الحيـــاة

(6) Yinger, J., M., *Sociology Looks at Religion. op. cit.*, Press, 1957, PP. 77 - 83.

(٧) انظـــر :
Merton, R., K., *Social Theory and Social Structure, Toward the Codification of Theory and Research,* New York: The Free Press, 1957, PP. 77 - 83.

والموت يعطى الاعتقاد القـــوى بالخلود وانفصـــال النفس عن الجســد واستمرارية الحياة بعد الموت • فشعائر الموت والاتحاد مع الموتى وعبادة أرواح الاســـلاف ، يعطى الدين من خـــلالها شكل ومحتـــوى الاعتقاد الايجابى ولا شك أن هذا قد يتفق مع ما ذهب اليه بعض علماء الاجتماع المحدثين من أمثال Hertzler [٨] و K. Davis حيث أعتقــدوا أن الدين يساعد النـــاس على التخلص من الاحبـــاطات التى يواجهونها فى محاولتهم الحصول على الغايات القيمة اجتماعيا فالدين يعطى اطارا مــا ورائيا لعالم الحقائق يحاول فيه الانسان الوصول الى السعادة المطلقة[٩] •

ونحن لا ننتقد هنا المدخل الوظيفى ، بل على العكس ، نرى أنه هام وحيوى فى علم الاجتماع الدينى ، فقد نظر الى الدين على أنه ينطـــوى على مفارقات تاريخية ، وساعدت الوظيفة على الاهتمام بالدين وربطـــه بالمركب الثقافى والاجتماعى الكلى ، وفى استخدام الوظيفة يجب أن نكون على حذر شديد بالنسبة للوظائف الكامنة والظاهرة والوظائف السلبية • كذلك ، فنحن نهدف الى التفســـير أكثر مما ذهبت اليه الانثروبولوجيا فى معالجتها للوظائف البديلة • كما أننا لو ســـلمنا بالحاجة الى وجود بنـــاء سوسيو ثقافى يتعلق بالمشـــاكل المطلقة للفرد أو بحياة الجمـــاعة ، فاننا مطالبون بشرح مجال الاشكال المختلفة التى يمكن أن يأخذها ذلك البنـــاء فى مجتمع معـــين • على أية حال ، فان الوظيفية قـــد استخدمت فى عـــلم الاجتماع الدينى على يد دور كيم ، ثم انتقلت من الانثروبولوجيا مباشرة

---

(٨) انظـــر :

Hertzler, J., O., "Religions Institutions" Annals of the American Academy of Political and Social Science, (March,1948), PP.413

(9) Davis, Kingsley, *Human Society*. New York : the Macmillan company, 1949. P. 532.

الى علماء الاجتماع المتأخرين ولا شك أن تأثير الانثروبولوجيا واضح على الدراســات والابحــاث فى علم الاجتمــاع الدينى • وبالرغــم من تأثر الدراسات المعاصرة بالوظيفية الا أن معظمها يشــير الى قاعدة نظــرية واسعة ، والحقيقة أن أول كتاب بالانجليزية تحت أسم علم الاجتمــاع الدينى كان لفـــاخ J. Wach وفيــه يلاحظ القارىء بوضــوح تأثره بالدراســات الانثروبولوجيــة ، ورغم محاولته تطوير بعض المفاهيــم السوسيولوجية الا أنه ما زال متأثرا أيضا بمنظوره اللاهوتى • كذلك فان الاعمال الاخــرى التى ظهرت لعلمــاء الاجتماع من أمثــال Williams and Davis ، ونوتنجهام وبارسونز ، نلاحظ فيها أن كلا من هؤلاء حاول تطوير علم اجتمــاع دينى مستقل عن الانثروبولوجيا الا أن البيــانات الانثروبولوجية قد أخذت باعتبارها أدلة فضــلا عن أن هناك اعتمــادا مباشرا على أعمال دور كيم وفيبر [١٠] •

وقد أسهم الاستخدام الحديث للبيــانات المستمدة من المجتمعــات البدائية فى تطوير علم اجتماع دينى كما يتضح من أعمال كل من وليــم جودى William Goode وجاى سوانسون Guy Swanson • فقد حاول جودى فى كتابه عن الدين بين البدائيين أن يحلل الطــرق التى يتخلل عن طريقها الدين كل جوانب الحياة الاجتماعية فى خمس مجتمعات بدائية • وعلى الرغم من اعتماد جودى على بيانات أنثروبولوجية الا أن عمله يدخل تحت اطار علم الاجتماع الدينى ، والنظريات التى استخدمت، استمدت أصلا من أعمال بارسونز وميرتون وفيبر ودور كيم مع اشارات محدودة الى أعمال الانثروبولوجيين خاصة الوظيفيين • قد اعترف جودى

---

(10) Yinger, J., M., *Sociology Looks at Religion. op. cit.*, P. 126.

بصـــعوبة استخدام نفس التحليل الذى استخدمه فى دراســة الشعوب البدائية على الشعوب الحديثــة • الا أنه يذهب الى أنه بالاضــافة الى أهمية تطوير علم اجتمــاع دينى للشعوب البدائية ، فان هناك امكانيــة تطوير مفاهيم من خلال دراسة الشعوب البدائية والتى يتم اختبارهـــا بتطبيقها الواسع على مجتمعات أخرى[١١] • وقد استخدم سوانسون فى دراسته عن أصل الاعتقادات البدائية المعلومات المتاحـــة عن الدين من خمسين مجتمعا لشرح سؤال محدد عما اذا كان الاعتقاد فى الله والعـــالم فـــوق الطبيعى فى تلك المجتمعـــات له علاقـــة بالجوانب المختلفة للبنـــاء الاجتماعى ؟ ولعـــل النتيجة التى انتهى اليها هى أن التوحيـــد يوجد فى المجتمعات التى تتميز بثلاث مستويات من الجماعـــة المستقلة والمسيطرة (الاسرة ، والعشيرة ، والقبيلة) والتى تتمتع كل منها بمجالات متميـــزة للقـــوة[١٢] •

ويتميز علم الاجتماع فى ألمانيا بتأثره بماكس فيبر ودراساته ، وفى فرنسا فان أعمـــال موس Mauss وهالفاكس Halbwachs وآخـــرين تشير الى تأثرهم بفكر دور كيم والبيانات المستمدة من الشعوب البدائية ولعل أعمال لابراس Le Bras تشير الى تأثير الاتجاه الديموجرافى وعلم الاجتماع الحضرى على علم الاجتماع الدينى • ومع تبنى الوظيفية عند لابراس ، الا أنه يلاحظ تضاؤل تأثير الانثروبولوجيا على أعماله • وحديثا حاول ينجر أن يقيم علم اجتماع دينى معتمدا على أعمال فيبر وترولتش ودور كيم الا أنه على الرغـــم من ذلك فقد تأثر بالانثروبولوجيا خاصـــة

---

(١١) أنظـــر :
Goode W., J., *Religion Among the Primitives*. N. Y. : The Free Press, 1951.

(١٢) أنظـــر أيضـــا :
Yinger, J., M., *Religion, Society and Individual op. cit.*,

أعمـــال بتلود لانج Lang ومالينوفســـكى ، ولوى Lowie ورادن Radin وهـــويل Howeels وآخرين[١٣] • كذلك فان هويلت أشار الى تأثره الشديد بالدراســـات الانثروبولوجية[١٤] على أية حال ؛ فـــان الاعمال الرئيسية فى علم الاجتماع الدينى مثل أعمال Benson [١٥] ، Moberg [١٦] ، Vernon [١٧] وآخرين تشير الى تضاؤل الاعتمـــاد على البيانات والمفاهيم الانثروبولوجية لدرجة كبيرة •

وفى ختام مناقشتنا لتأثير الانثروبولوجيا على علم الاجتماع الدينى ، يمكننا أيضا الاشارة الى تأثير نظريات فرويد على الدين وذلك من خلال علاقتها بالانثروبولوجيا وعلم الاجتماع ، فكما أشرنا فان نظرية فـــرويد عن الطوطمية تعتبر بمثابة فرض أنثروبولوجى غير قابل للاختبار ، الا أنها تتضـــمن نظرية وظيفية عن الدين • فالدين ينبـــع أساسا من شـــعائر الانسان ومتطلبات العدالة غير المتاحة والرغبة فى الحياة الابدية • هـــذا الاتجاه الوظيفى فسره كل من يونج Jung وفـــروم Fromm ، فقد كان فروم واعيا بماهية الوضع السوسيوثقافى أكثر من فـــرويد ويونج ،

---

(١٣) أنظـــر :

Swanson Guy, E., *The birth of The Gods : The Origin of Primitive Beliefs*. Michigan : University of Michigan Press, 1960.

(14) Hoult T. F., *The Sociology of Religion*. New York: Holt, Rinehart & Winston, Inc. 1958.

(15) Benson, P., H., *Religion in Contemporary Culture*. New York : Harper & Brothers, 1960.

(16) Moberg, D., O., *The Church as a Social Institution op. cit.*,

(17) Vernon, G., M., *Sociology of Religion*. New York : McGraw-Hill, 1962.

ورغم أن نظريته لا تحتوى على اتجـاه وظيفى واضح ، الا أن أعمـاله تشير الى معرفته المكثفة بالبيانات الانثروبولوجية • ولكن يبقى تسـاؤل عن الكيفيـة التى انتقـلت بها التفسـيرات الفـرويدية المسـتمدة من الانثروبولوجيا وأثرت فى علم الاجتماع الدينى ، والحق أن التأثير هنـا محدود للغاية ، وعلى مستوى البحث والمؤلفات • ولعل بارسونز وينجر من بين الذين تأثروا بنظريات علم النفس وجعلوا من جانب الشخصـية عاملا أساسيا فى تكوين نظرية متكاملة عن الدين[18] •

د) خاتمـــة :

عـلى أية حـال ، يمكننا أن نوجـز تأثر علم الاجتمـاع الدينـى بالانثروبولوجيا على النحـو التالى :

١ ــ بالنسبة لفيبر وترولتش كان تأثير الانثروبولوجيا قليـلا أو منعـــدما •

٢ ــ بالنسبة للدراسات الامريكية عن المجتمع المحلى والايكولوجى (مثل دراسة Paul Douglass عن الكنائس فى المدينة وليند Lynd فى بحثـه عن Middletwon) فهنـاك بعض الاشـارات الى المنهـج الانثروبولوجى ولكننا لا نجد استخداما واضحا له • •

٣ ــ بالنسـبة للماركسـية والفـكر المعارض لهـا فان المشـكلة الرئيسية هى معرفة علاقة الدين بالاهتمامات الاخرى والتغير الاجتماعى، ولهذا لا نجد تأثرا بالانثروبولوجيا •

٤ ــ نجد تأثيرا للمدرسة التطورية فى الانثروبولوجيـا على بعض

---

(18) Yinger, J., M., *Sociology Looks at Religion, op. cit.*, P. 128.

الاعمال السوسيولوجية العامة ولكنه تأثير محدود فى الاعمال التخصصية فى مجال علم الاجتماع الدينى •

٥ — الوظيفية ، رغم التعديلات التى أدخلت عليها الا أنها تشكل تأثيرا حيويا على نظريات علم الاجتماع الدينى •

٦ — الفرويدية ، تأثيرها يكاد يكون ضئيلا الا على بعض العلماء الذين يعطون مكانا للشخصية كاطار مرجعى للتحليل[١٩] •

ويجب الاشارة هنا الى أن أعمال الانثروبولوجيين الثقافيين فى أمريكا لم يكن لها تأثيرا مباشرا على علم الاجتماع الدينى ، ولا يرجع هذا الى اهمالهم للدين أو لعدم رغبة علماء الاجتماع استخدام البيانات الانثروبولوجية ، وانما مرجعه ، كما يلاحظ ينجر ، الى أن المدخل الثقافى التاريخى بافتقاده الى النظرية وتركيزه على الجوانب المميزة لكل ثقافة ومحاولة تطويره مقولات عامة عن البيانات التى تم ملاحظتها ، كل هذا جعل من الصعب على علماء الاجتماع استخدام هذه البيانات فى علم الاجتماع الدينى[٢٠] •

على أية حال،فان عالم الاجتماع ليس مطالبا الا بالاستخدام المحدود للبيانات المقارنة من مجال الانثروبولوجيا وذلك من أجل اختبار الفروض الخاصة بالدين ، ولو أنه تجنب المخاطر المتعلقة بالمنهج وكان واعيا بمجال البيانات المتاحة ، فانه — عالم الاجتماع الدينى — يستطيع بسهولة أن يستخدم بكثافة البيانات الانثربولوجية فى أغراض التحليل والتفسير •

---

(19) Yinger, J., M., *Sociology Looks at Religion· op cit.*, P· 130.

(20) *Ibid*. P· 130.

صفوة القول ، أن الانثروبولوجيا قد أثرت فى علم الاجتماع بطريقة مباشرة ولكنها هامة • فقد احتفظت الانثروبولوجيا بالاهتمام الحيـــوى بالدين كعامل أساسى فى حياة الانسان وحاربت النزعات الذاتيــة مؤكدة عــلى التسجيل الموضوعى للبيـــانات عن كل المجتمعات • كما أنهــا — الانثروبولوجيا — قد طورت امكانيات المدخل المقارن فى دراسة الدين • كذلك فان للانثروبولوجيا الفضل فى تأثيرها المستمر فى عالم الاجتماع اذ جعلته يرى الثقافات محل الدراسة باعتبارها كلا واحدا وليست أجزاءا غير مترابطة • وبدون هذا المدخل يصبح وجود علم اجتماع دينى مناسب أمرا مســتحيلا(٢١) •

(21) Yinger, J., M., *Sociology Looks at Religion op. cit.*, P. 130.

٦ ـ خاتمة : الدين وحالة الانسانية :

يتضح من المناقشات السابقة ، أن تعريفا واحدا للدين غير كاف لارضاء كل الباحثين أو للتعبير الكامل عن الظاهرة الدينية فى عمومها . وقد يرجع هذا الى أن التنوع الهائل للدين يدعو الى الوصف أكثر من التحديد أو التعريف . فالظاهرة الدينية تستعصى على محاولات التجربة العلمية . أكثر من هذا فان الدين مرتبط بمحاولات الانسان للتوصل الى « المعنى » سواء داخل نفسه أو فى العالم المحيط به . هذه المحاولة ، للتوصل الى المعنى ، هى التى أدت الى ظهور انتاج الخيال الانسانى ، كما أنها استخدمت لتبرير قسوة الانسان على أخيه الانسان . ورغم انشغال الدين بحقيقة العالم غير المرئى يهتم الدين أيضا بالمشاكل اليومية فى تفاصيلها . فقد استخدم الدين لانارة الطريق فى عالم المجهول ، وظهرت المثاليات باسم الدين ، ومع هذا فقد استخدم الدين أيضا لتقييد الناس بالعادات والتقاليد البالية[1] .

ولا شك أن العبادة عامة ، والمشاركة فى الرموز الدينية قد وحدت الجماعات الانسانية وشدتها بأقوى روابط عرفها الانسان ، ومع هذا فان الاختلافات الدينية هى التى أدت الى تدمير بعض الجماعات الانسانية . وقد بجلت العبادة الدينية ، وعبر عنها فى كل الفنون ، ولكنها ازدهرت أيضا تحت الظروف الصعبة والمدمرة . والدين هو الذى أمد الانسان بالرموز ليعبر عما يصعب التعبير عنه ومع هذا فان جوهر التجربة الدينية يتسم بالطابع الانعزالى . والتفكير فى الله قد يستخدم لتشجيع

---

(1) Nottingham, E., K., *op. cit.*, PP. 8 - 13.

الانسان مـع أقرانه فى مصيرهم المشترك أو يسـاعدهم على مواجهـة المشاكل التى تعترضهم فى الحيـاة •

ويبدو التناقض ، ولو ظاهريا ، فى جوهر الدين ، طالما أن النـاس يحاولون التعمق فى أسرار الاشياء • فانهم يحاولون فهم كثير من الامور الخاصة بهذا العالم وبأنفسهم مثل مشاكل الخير والشر والحب والكراهية والعبادة والالحاد والاله والشيطان • • • الـخ •

ولكن ماذا يعنى كل هـذا للباحث فى علم الاجتماع الدينى ؟ فعـلى الرغم من اهتمام عالم الاجتماع الدينى بالجانب السلوكى من الدين فهو مطالب بالنظر الى الدين كتجربة كلية • وبنيت المناقشات السـابقة على أن قاعدة الدين فى المجتمع الانسـانى شىء مركب تمثل ظروف وحـالات الانسانية نفسها ، وأن طبيعة الدين لا يمكن فهمها الا فى علاقتها بالحـالة الكلية للانسـان •

والخلاصـة ، عـلى أى حـال ، أن الدين والتـدين من الناحيـة السوسيولوجيـة أو الانثروبولوجية ، هـو نتاج الثقافة ونتاج فاعليـة الانسان كمخلوق ثقافى ومن هذا المنطلق يمكن اعتبار الدين أداة ثقافيـة عن طريقها يستطيع الانسان أن يكيف نفسه مع بيئته الكلية التى تشمله أقرانه والعـالم الطبيعى المحيط به والاحساسات التى قد يشـعر بأنها تتسامى بكل هذا •

الفصل الخامس

مجالات البحث في ميدان علم الاجتماع الدينى

مجالات البحث في ميدان علم الاجتماع الدينى

١ ــ تمهيـــد •

٢ ــ ميدان علم الاجتماع الدينى والميادين الاخرى •

٣ ــ المستلزمات المنهجية لعلم الاجتماع الدينى •

٤ ــ المداخل النظرية لدراسة الدين •

أ) المدخــل الوظيفى •

ب) النظريات التطورية •

جـ) المداخل النمطية والتاريخية •

د) المداخل المقــارنة •

٥ ــ الطرق التى يستخدمها علماء الاجتماع فى دراسه الدين •

٦ ــ مجالات البحث فى ميدان علم الاجتماع الدينى •

٧ ــ الدراسات الامبريقية فى مجال علم الاجتماع الدينى •

أ) تمهيـــد •

ب) أنواع الدراسات الامبريقية •

١ ــ الدراسات الخاصة بالعلاقات الاحصائية •

٢ ــ الدراسات الخاصة بالحركات والهيئات الدينية •

أ) الدراسات الخاصة بالحركات الدينية •

ب) الدراسات التثاقفية •

جـ) الدراسات الخاصة بالجماعات المنعزلة والمقاومــة للتغـــير •

د) الدراسات فى الضواحى .

٣ ــ الدراسات ذات المجال المحدود .

أ) الدراسات التى تقوم بها الهيئات الدينية .
ب) الدراسات الخاصة بالبيروقراطية الاكليركية.
جـ) الدراسات الخاصة بالادوار الدينية .
د) الدراسات الخاصة بالدين الشعبى .

٨ ــ خــــــــــاتمة

١ ـ تمهيـــد :

سوف نحاول فى هذا الجزء ، أن نبين أن هناك مداخـــل نظرية ، وأنواع من البحوث التى تشير الى التنوع الهائل فى المداخل والمنــاهج المستخدمة • وفى علم الاجتمــاع الدينى ، كما هو الحال فى دراســة أى ظاهرة ثقافية اجتماعية هامة أو عامة من الحتمى أن يكون هناك مداخل ومناهج متعددة لكل منها مميزاته وعيوبه •

والمطلع على ما يكتب فى ميدان علم الاجتمــاع الدينى ، يرى أن النصف الثانى من القرن العشرين قد شهد ظهور العديد من المؤلفــات والمقالات والبحوث الامبريقية التى قام بها العديد من علماء الاجتمــاع فى بحثهم للظاهرة الدينية • ولقد أدى هذا الى ظهور العديد من المجلات العلمية المتخصصة•[١] والى عقد الكثير من المؤتمرات العلمية فى أوروبا وأمريكا•ويرجع البعض هذا الى حركة الاحياء الدينى religious revival

---

(١) أنظر على سبيل المثال :

A) *The Review of Religious Research*. (begun in 1959).

B) *The Journal for the Scientific Study of Religion*. ... (begun in 1961).

C) *Sociological Analysis* (the Journal of the American Catholic Sociological Society).

F) *Commentary*. (a Journal devoted in part to Jewish life and thought).

هذا بالاضافة الى ما ينشر فى المجلات السوسيولوجية مثل :

The American Sociological Review; The American Journal of Sociology.

التى أدت بدورها الى حركة إحياء أكاديمى للاهتمام بدراســة الدين[٢] ولم يكن هذا الاهتمام مركزا على الدين فى حــــد ذاته فقط ، بل كان الاهتمام الاكبر حول علاقة الدين بتنظيم المجتمع وعلاقته بالســلوك الاجتماعى بصفة عامة •

ولقد بات واضحا لكل من المتخصصين فى الدين والعامة — على حد سواء — ان الاهتمام يجب أن يكــون بالنتائج الاجتماعية الناجمة عن الانتماء الدينى ، كذلك أصبح معلوما لرجال اللاهوت ورجال الدين أهمية علم الاجتماع الدينى فى فهم الدين عامة والغايات المطلقة خاصة • ومن ناحية أخرى ، أدرك علماء الاجتماع الحاجة الى معرفة المحتوى الحقيقى للتجربة الدينية عن قرب • فالاكتفاء بدراسة الجوانب النظامية والرسمية للدين أمر غير كاف لفهم الجانب المجتمعى Societal للدين ، والذى هو الاهتمام الحقيقى لعلم الاجتماع الدينى • هذا الادراك يشكل اليوم التحدى الحقيقى لتطور عــــلم الاجتماع الدينى • وذلك التحدى أدى بدوره الى تبنى الفينومينولــــوجيا ، والفهم ••• الخ كمناهج مناسبة لدراسة الظاهرة الدينية • ولعل هذا الاهتمام المتزايد بعلم الاجتمــاع الدينى راجع ، كما سبق أن أشرنا ، الى وجود الازمة العالمية والغموض الذى يكتنف الانسان المعاصر • كذلك فان اضمحلال روح التعصب فى كثير من أديان العالم الكبرى ، قــد أدى الى الاهتمام بدراســة الدين • بالاضافة الى ذلك فان المناقشات المستمرة بين أعضاء مختلف الاديان قد ساعدت على الاهتمام بدراسة محتوى العقائد ، وكذلك الدور الذى

---

(2) Nottingham, E., K., *op. cit.*, PP. 289 - 291.

يلعبه الدين فى المجتمعات(٣) • كل هـذه العوامل أدت بدون شـك الى الاهتمام المتزايد بالعلاقة بين الدين والمجتمع(٤) •

ونجد ثمار ذلك الاهتمام فى بداية هذا القرن فيما يسمى « بالعصر الذهبى» لعلم الاجتماع حيث ظهرت أعمال دوركيم وترولتش Troeltsch وزيمل وفيبر ، هذه الاعمال أثرت ومازالت تؤثر فى نظريات وأبحـاث عـلم الاجتماع الدينى • على أية حـال ، ببزوغ الافكار الوضعية والماركسية (فى العقد الثانى والثالث من هذا القرن) أصيبت الدراسات الخاصة بعلم الاجتماع الدينى بنوع من الخوف فقد كان اهتمام علمـاء الاجتماع فى المحل الاول مركزا على دراسة المشاكل الناجمة عن التغـير السريع والتحول من الحياة الريفية الى الحياة الحضرية ، وما تابع ذلك من تغيرات على مستوى المجتمع ككل • لقد أعطى علماء الاجتمـاع فى هذه الفترة اهتماما أكثر لتأثير العوامل السياسية والاقتصادية ، أمـا بالنسبة للعامل الدينى فقـد نسبت اليه ولانظمتـه أهمية ضئيلة ، وذلك نظرا لضعف تأثيره فى حياة المدينة • ومن ثم نجد أن علماء هذه الفترة قد بذلوا القليل لدراسة الدين وأثره فى حيـاة المدينة • وكما لاحظ لنسكى G. Lenski بحق أن علمـاء هـذه المرحلة لم يستطيعوا أن

---

(٣) كما سبق أن أشرنا فان الاسلام قد وجه العلماء لدراسة الدين وعلومه، وكذلك دراسة الاديان الاخرى • وأهتم العلماء المسلمين والمصلحين فى كل عصر بالتوافق بين قيم الدين ومطالب الحياة العملية • أما فى الفكر المسيحى فحديثا نجد البابا يوحنا الثالث والعشرين Pope John XXIII يؤكد فى المؤتمـر الثانى للفاتيكان Second Vatican Council على أن الدين يجب أن يكون (متناسبا Relevant) مع الظروف الاجتماعية الحديثة ، ويعتبـر هذه المعاصرة Updating للدين شيء أساسى •

(٤) انظـر : Nottingham, E., K., *op. cit.*, P. 290.

ينظروا الى الدين بعيدا عن "هيئات الدينية المنظمة ، مثـل الكنـائس والطوائف والفـرق • بمعنى آخر أن هـؤلاء العلماء لم يدرسـوا تأثير الجوانب للدين ، وبدلا من ذلك أعتقدوا أن الذين يشاركون نفس التقاليد الدينيـة ، حتى ولو لم يكونوا أعضاء نشطين داخل الجماعات الدينيـة المنظمة يشكلون تجمعات ثقافية لها صبغة دينية ولها تأثير مباشر وقـوى فى السلوك وفى نقل المعايير الاخلاقية الى الاعضاء الآخرين(٥) •

ولعل الاهتمام الحديث بالدين من جانب علماء الاجتماع قد بدأ فى الثلاثينيات من هـذا القرن ، بظهور أعمـال سوروكن ، وبصفة خاصـة بارسونز الذى ترجـم الى الانجليزية كتاب ماكس فيبـر عن الاخـلاق البروتستانتية وروح الرأسـمالية واليه يرجع الفضـل فى انتشار أفكار دور كيم وفيبر فى دوائر علم الاجتماع الامريكى •

---

(5) Lenski, G., *op. cit.*, PP. 11 - 13.

٢ ـ ميدان علم الاجتماع الدينى والميادين الاخرى :

يعد التفاعل المستمر بين النظرية والبحث أمرا ضروريا بالنسبة للمنهج العلمى ، والمحاولات التى تبـذل لوضع واحد قبل الآخر غـير مستحبة نسبيا • فالبحث الذى لا يستند الى نظرية ، بحث غير مترابط وتراكم غير مناسب • والنظرية التى لا تختبر وتعدل بالبحث بصـفة مستمرة تعـد نظرية تأملية ولا يمكن معرفة صدقها •

وخـلال السنوات الماضية كان علم الاجتماع الدينى قد تطور تطورا شمولياً فى جوانبه النظرية أكثر من جوانبـه البحثية • ففى الحقبتـين الماضيتين ، على أية حال ، تغير هذا الموقف مع تقارير عن أبحاث ميدانيـة ازداد عددها • والمهمة التى أمامنا هى دفع هذا الاتجاه دون اهمال للعمل النظرى • والحق أن التطور المستمر للنظرية العلمية للـدين أصبح الآن ممكنا وضرورياً من أجل استخدام أكثر للبيانات الغنية •

وهدفنا هنا هو تحديد مجالات البحث الكبرى لعلم الاجتماع الدينى، ونشير الى بعض من الانجازات التى حدثت فى السنوات الحديثة ، ونشير أيضا الى بعض خطوط التطور التى تعرض مقدمات للابحاث المستقبلية • وليس هنـاك أى محاولة فى هذا التقدير التقييمـى لتحليل الاسـهامات الفردية لعلم الاجتماع الدينى الا فيما تقتضيه ضرورة توضيح الاتجاهات الكبـرى(١) •

---

(1) Yinger, J., Milton, *"Sociology Looks at Religion op. cit.*, PP. 134 - 135.

ولسوء الحظ ، فما زالت بعض الاختلافات حول تعريف علم الاجتماع الدينى • وهذا ربما يكون حتميا فى ميدان يجذب انتباه كثير من طـلاب العـلوم المختلفة ، ويتضـمن مداخل قيمة وهـامة • ولكن مثل هـذا الاختلاف يتصدى للاتصالات والتقدم فى هذا الميدان • ومع أدراكنا أن التعريفات ليست « صحيحة » وخاطئة الا أنه يحكم عليها من نفعها ، ومع أدراكنا كذلك أنه ليس لاحـد أن يستأثر بمصطلح ، فان الآخـرين ربما يعرفون عـلم الاجتماع الدينى بطريقة مختلفـة • وهذا يعنى أن عـلم الاجتماع الدينى فرع من علم الاجتماع العلمى وانه ليس مجالا وسـطا بين عـلم الاجتماع واللاهوت ، فالدين هـو المادة وعلم الاجتماع هـو المنهـج للمدخل • وعلم الاجتمـاع الدينى ليس تقييمى ، انه موضوعى ومجـرد • فهو يدرس ظواهـر أمبريقية لمحاولة عزل تعميمـات تتعلق بارتباطات السلوك الدينى مع السلوك الاجتماعى الآخر •

هذا التعريف ربما يكون واضحا لو أننا أشرنا الى واحد أو اثنين من الاشياء التى لا يتصف بها علم الاجتماع الدينى • فلو أن علم الاجتماع الدينى علم يهتم بمحاولة تطوير تعميمات تساعد على التنبؤ ، فان هـذا يعنى ببساطة أنه ليس « تاريخا اجتماعيـا » للدين ، أى ليس تاريخـا للجوانب العلمانية الخاصة للجماعات الدينية أو لاجزاء أخرى من البنـاء الاجتماعى • حقا ، أنه ليس تاريخا بالمرة • ولا يعنى هـذا أن نقول بأن مؤرخى الكنيسة والآخرين الذين يهتمون بوصف مكان الدين فى المجتمع لم يقدموا اسهامات قيمة لعلم الاجتماع الدينى ، فلقد أضافوا الى ما لدينا من معلومات متراكة مفاهيم لها قيمتها وقـدموا باستمرار وجهات نظـر وفروض لهـا أهميتها بما يجعلها تستحق الاختبـار وكذلك ، ليس عـلم الاجتماع الدينى قصة لتطور « الانجيل الاجتماعى The Social gospel » (٢)

---

(2) Yinger, J., M., Sociology Looks at Religion, *op. cit.*, PP. 120 - 121.

فبعض التراث فى علم « الاجتماع المسيحى Christian Sociology » يعطى أنطباعا ، نادرا ما يقال بصراحة ، أن مثل هذا التعريف قد أستخدم وكل من الدراسة الخاصة بالتاريخ الاجتماعى للجماعات الدينية ، ودراسة الانجيل الاجتماعى ، يعطى بيانات ربما يكون لها أهمية كبرى لعالم الاجتماع الدينى • ولكن هاتين الدراستين تثيران مشاكل من أنواع مختلفة • فربما يسأل الباحث فى « الانجيل الاجتماعى » ماذا فعلت الجماعات الدينية بشغل أنفسها بالصراع الدولى ، وظروف المناطق المتخلفة ، والعلاقات العرقية والعنصرية ، وأنشطة اتحادات النقابات ، وعمل الاطفال • • • الخ • وعالم الاجتماع الدينى يسأل عن : ماذا تفعل بعض أنواع الجماعات الدينية عندما ينتج التغير الاجتماعى تفسخات وتمزقات ، أو عندما تميل التعاليم الاخلاقية للدين الى أن تكون فى صراع مع بعض المصالح الخاصة بالطبقات المسيطرة فى المجتمع ؟ فربما يتناول هذين السؤالين البيانات نفسها • وطالب التاريخ الاجتماعى ربما يتساءل : ما هى العلاقة بين الكنيسة والقوى العلمانية ابان القرن الخامس عشر فى ايطاليا؟ وعالم الاجتماع الدينى يسأل : هل هذه البيانات تخبرنا عن أى شىء ، عن كيف أن أنواعا معينة من الجماعات الدينية تميل الى ربط نفسها بالبناءات السياسية والتغيرات الاجتماعية فى عصورهم ؟ •

ونحن لسنا فى حاجة الى القول بأن علم الاجتماع الدينى يعطى صورة غير كاملة للمعنى الكلى للدين فى حياة الانسان ، فالصورة الكاملة تتطلب ليس فقط اضافات من دراسات أخرى موضوعية أو خارجية كعلم النفس أو التاريخ على سبيل المثال ، ولكنها تتطلب أيضا أنواعا من الدراسات التقييمية التى تأتى من اللاهوت والجماليات ونحن لسنا فى حاجة الى الاختلاف مع هؤلاء الذين يعطون علم الاجتماع الدينى جانبا غير هام من النظرية الكلية • فالرغبة فى العلم ، قبل كل شىء ، هى قيمة قائمة بنفسها ، و لايمكن أن تعرف على أسس علمية فحسب •

٣ ـ المستلزمات المنهجية لعلم الاجتماع الدينى :

يتطلب علم الاجتماع الدينى مجمـوعة من الافتراضات المتـكاملة القابلة للاختبار والمتسقة مع المخططات النظرية الكبرى فى علم الاجتماع العام • وهذا يتطلب أن تصاغ الفروض وأن توضع بطريقة يمكن معهـا أختبارها بأدوات البحث الامبريقى • فبعض من التقويمات الخاصة بهذا النوع من الدراسة فى متناول أيدينا ، ولكن التداخل النظامى لكل الاجزاء المركبة واضح فى جزء بسيط فقط من هـذه الدراسات ففى تحليـل لعلم اجتماع المعرفة (فرع من العلم يتطابق فى قليل أو كثير ، معتمدا عـلى كيف تعرف المعرفة ، مع علم الاجتمـاع الدينى) وجه روبرت مـيرتون الانتباه الى التباين بين الدراسات الاوروبية والامريكية فى هذا الميدان وبالرغم ـ من أن التفرقة التىوضعها ميرتون بين الدراسات الامريكيـة والاوروبية تبدو اليوم أقل تناسبا عما كانت عليه فى الوقت الذى كتبت فيه ، فان التباين مازال يسـتحق الدراسة ، وذلك لانه يشير بوضوح الى الحاجة للجمع بين العمل النظرى والامبريقى معا • فكما يقول ميرتون ، ينتمى علم اجتماع المعرفة الاوروبى فى جزء كبير منه الى معسكر المنظرين الشـموليين ، وفيـه تبرز أهمية المشـكلة ما يتوصـل اليه العـالم من استنتاجات • ويعتبر علماء الاجتماع المعرفى من بين الذين رفعوا الراية التى تقول : « نحن لا نعرف ما اذا كان ما نقوله صادقا ولكنه على الاقل هام »[٣] • والباحثون الامريكيون كانوا أكثر اهتماما بفحص آراء العامة

---

(3) Yinger, J., M., *Sociology Looks at Religion op. cit.*, P. 137.

فهم يهتمون بالعينات الممثلة لرأى العامة مسجلا وفق مقاييس مقننة • وربما كان شعارهم : « نحن لا نعرف ما اذ كان ما نقوله هاما على وجه الخصوص ، ولكنه على الاقل صادق »(٤) •

هذا الاختلاف فى المدخل أثر على الاحكام المتعلقة بتشكيل الحقائق أو البيانات التى يمكن أن تستخدم للدراسة العلمية عند الباحث الاوروبى • ففى كثير من المجالات ، نجده مستعدا لقبول مجال أوسع من البيانات • فلو أن المؤلف لديه فطنة فكرية عالية ، فان أنطباعاته ، كما يشير ميرتون ، قد تؤخذ على أنها حقائق • فان كان هذا صادقا فى علم اجتماع المعرفة عند مانهايم ، فان هذا بالتأكيد ليس أقل صدقا فى علم الاجتماع الدينى عند جاكم فاخ Joachim Wach حيث نجد أن التعميمات قد دعمت باستمرار بالاشارة الى كتابات عالم فذ بالميدان • ويمكن أن نجد نفس التغاضى عن بعض الحقائق المشكوك فيها أيضا فى كتابات ماكس فيبر بالرغم من إمتلاكه الفذ لقواعد العلم المنطقية ، فقد بنى نظرياته على العلاقة بين الاخلاق الدينية والسلوك الاقتصادى ، على سبيل المثال ، وجزئيا على حكمه بأن العوامل غير الدينية فى الصين فى القرنين السادس عشر والسابع عشر كانت مشجعة على ظهور الرأسمالية كما كانت العوامل غير الدينية فى أوربا الغربية • هذا الحكم الذى يتعلق بمشكلة نظرية مركبة ضخمة قام على فحص عدد قليل من السجلات المكتوبة مع امكانية قليلة لفحصها من ناحية الصدق والكمال • ويعترف Yinger أنه بحث ليس كاف أمبريقيا للمذاق الامريكى وبالرغم مما يتمتع به من نفاذ البصيرة فان هذا النوع من علم الاجتماع الدينى فى محاولته حل مشاكل النظرية التى تضخمت الى حد كبير فى هذه المرحلة من

---

(4) Yinger, J., M., Sociology Looks at Religion, *op. cit.*, P. 138.

تطور العلم ، يكاد يكون مفتقدا تماما للافتراضات التى يضعها فى شـــكل فروض قابلة للاختبـــار •

وعلم اجتماع المعرفة الامريكى ، وعلم الاجتماع الدينى من ناحيـــة أخرى يتساءل عما اذا كانت ملاحظة ما صادقة أم لا ، وأخـــيرا لو كان له أن يقول بذلك ، نجده يسأل عن أهميتها النظرية • وهذا يؤدى فى توقيت غير ملائم الى مجموعة من الفروض الخيالية المعقدة(٥) • ولو أن هذا كان صادقا بالنسبة لدراسات الرأى العام فانه أقل صدقا على الجزء الكبير من الدراسات الخاصة بكنائس المدينةو الاعتقادات والممارسات الفرقيةوتاريخ الكنيسة التى تمثل المادة الخام لعلم الاجتماع الدينى فى الولايات المتحدة• وبطبيعة الحال فان هناك حاجـــة فى كلا الميدانين إلى اســـتمرار التأكد الامبريقى والنظرى فى تفاعل متصل ومفيد • وهذا أيضا ، قليلا ما حدث فى علم الاجتماع الدينى ، ومن المفيد أن نحاول اكتشاف الاسباب التى ترجع الى عاملين هما :

١ ـــ البحـــوث المكتملة فى علم الاجتمـــاع الدينى تتطلب اجتمـــاع لمهارات واهتمامات ليست شائعة • والحقيقة أن هناك بعض الطرق التى تكون العنـــاصر الرئيسية من خلالها متناقضـــة تبادليا • فالباحث يجب أن يكون لديه فى المحـــل الاول لمحة كافية عن النظرية السوسيولوجيـــة المعاصرة ومنـــاهج البحث • كذلك فانه يجب أن يكون موضوعيا تماما فى معالجة بيانات الدين ، ومع هذا فانه يجب أن يهتم أهتماما كبيرا بالبيانات ويكون متعمقا فيها • وبين علماء الاجتمـــاع أشخاص يعتبرون أنفســـهم متدينون وآخرون يقفون ضد الدين • وسيظل الاخرون وهم الكثرة ليس

(5) Yinger, J., M., *Sociology Looks at Religion op. cit.*, PP. 138 - 139.

لهم موقفا محددا من الدين • فهؤلاء الذين فى المجموعـة الاولى والثانية يفتقدون الموضوعية ، والطائفة الثالثة تفتقد الرغبة فى تطوير علم اجتماع دينى • اؤلئك هم الذين يقومون بدراسـات فى علم الدين دون التأكد من النظرية السوسيولوجية والمنهجية • ومن ناحيـة أخرى ، فربما يقومون بكثير من الملاحظات الجادة ولكنهم فى الغالبا سيفشلون فى أن يضيفوا الى علم الاجتماع الدينى لانهم شـيدوا مشاكلهم بطريقة مختلفة • هـذه الصعوبة ، أحيانا تشوه ، على سبيل المثال ، العمل الممتـاز الذى قام به فاخ عن علم الاجتماع الدينى •

٢ — بالرغم من المصادر الغنيـة بالبيانات عن الاديان البدائيـة والمتمدينة ، وتاريخ الكنيسة والحركات الفرقية ، وتوفر كثيرا من البيانات الحديثة فى شكلها المكتوب سواء لشعائر ، أو منشورات رسمية للهيئـات الكنائسية ، فهناك ندرة فى البيانات الامبريقية والتى من خلالها نصل الى تعميمات مناسبة • أنه من الصعوبة أن نحكم على ثبات (صدق) البيانات حيث كثيرا من الممارسات الدينية للشعوب البدائية تمثل ملاحظات قام بها باحث واحد بمفرده ، ولم تفحص من باحثين آخرين • والنظريات الممكنة فى علم الاجتماع الدينى التى بنيت على السجلات التاريخيـة من قرن أو قرنين أو عدة قرون مضت ، تغلبت عليها مشكلة فحص البيانات وخاصـة مشكلة مـدى كفايتها • وهذا لا يعنـى أن الفروض الهامة لا يمـكن أن تستخرج من فحص هذ البيانات ولكن كل ما فى الامر أن النتائج الحاسمة تكون غير معترف بها • وقد تكون النتائج المعتمدة على الاعتقادات الدينية فى فترة معينة والتى قد تأخذ شكل الاعتقادات المكتوبة أمرا غير مقبـول أيضا • فالوثائق كتبت أثناء دراستها غالبا ما تحتوى كل الحقائق وتؤخذ على أنها صادقة على العكس من تلك الوثائق التى تكتب فيما بعد فانهـا غالبا ما تعكس منظورات الكاتب والعصر • والحق أن مشكلة معرفة سبب

كتابة بعض الاعتقادات وعدم كتابة بعضها الآخر تعد من أهم المشـــاكل فى علم الاجتماع الدينى كما قد يتساءل الباحث عن سبب استمرار بعض الاعتقادات المكتوبة دون غيرها ، فكثير من البيانات المتاحة لكى يستخدمها عالم الاجتماع الدينى ، غالبـــا ما لا تقبل المقارنة كما أن البيـــانات التى تجمع دون أن يكون هناك توجيها للمفاهيم العلمية المستخدمة غالبـــا ما تكون بدون فائدة علمية • فالبيانات الامبريقية يجب أن تجمع بالاشـــارة الى الفروض القابلة للاختبار ، وكما يعترف ، ينجر ، فان جـــزءا ضئيلا من البيانات التى يتعامل معها عـــالم الاجتماع الدينى تتوفر فيها هـــذه المتطلبـــــات[٦] •

---

(6) Yinger, J., M., *Sociology Looks at Religion. op. cit.*, PP. 140 - 141.

٤ ـ المداخل النظرية لدراسة الدين :

أ) المدخل الوظيفى The Functional Approach

يفترض المدخل الوظيفى للدين نظرية كلية للمجتمع ، فهو يعتبر الدين أحد أجزاء الكل الاجتماعى الذى يتميز بالتفاعل المتبادل بين أجـزائه. فالدين ، بهذا المعنى ، هو مجموعة من العقائد والممارسات يحاول الناس من خلالها التكيف مع بيئتهم ومن الملاحظ أن معظم الاديان تحتوى على وظائف عامة : مثل تفسير الشر ، الموت ، الظلم ، المعاناة ، تدعيم المعايير الاجتماعية ، تقديم اجابات روحية لاهتمامات الانسان المطلقة ، كـذلك تساعده على ربط الضغط الناتج عن فشـله فى ضبط بيئته ، مع قـدرته على توقع المستقبل وتخيل الحكومات الفاضلة . فالنظرية الوظيفية تهدف اذن ، الى تقديم الاساس المنطقى لكشف هذه الوظائف للدين داخـل الاطار العام لكل المجتمعات . وبالرغم من الانتقادات التى وجهت الى النظرية الوظيفية ، الا أن معظم الباحثين مازالوا يؤكدون أهميتها حيث أنها من ناحية هى الاساس للتحليل السوسيولوجى الذى يهتم أساسـا بالادوار التى تقوم بها الانظمة الاجتماعية والتداخـل فيما بينها ، ومن ناحية أخرى فانه الى الآن لم يعثر بعد على مدخـل بديل يتسـاوى فى العمومية مع الاهمية الوظيفية[1].

---

(1) Nottingham, E., *op. cit.*, P. 294.

أنظـر أيضـا :

Allardt,E.,"Approaches in the Sociology of Religion, *Temenos: Studies in Comparative Religion* Vol. 6. 1970, PP. 7 - 19. Schneider. L. "The Sociology of Religion : Some Areas of Theoretical potential; *Sociological Analysis*. Vol. 31 (Fall 1970) No. 3., PP. 31 - 144.

ب ـ النظريات التطورية Evolutionary Theories

يغلب على معظم التطوريين الاجتماعيين الاوائل الربط أو المساواة بين التطور evolution والتقدم progress • فأوجست كونت ، على سبيل المثـــال ، يرى أن التقدم يعني ظهـــور الدين الوضعي أو العلمي • أما بالنسبة للتطوريين الاخـــــرين من أمثال هربرت سبنسر فالانسان وأنظمته (بما في ذلك) الانظمة الدينية ، تتطور من الاشكال البسيطة الى الاشكال المعقدة والاكثر تقدمية •

ولقد اضمحـــل تأثير هـــــؤلاء التطوريين المبكرين على الدراســـة السوسيولوجية للدين لسببين ، أولا : أن النتائج التي توصـــل اليهـــا الانثروبولوجيون المتأخرون قد قوضت افتراضا هاما تستند عليه هذه النظريات ، أعني ، أن كل المجتمعات تنمو بالضرورة خلال مراحل تطورية متدرجة ومتصلة • ثانيا فانه مع اضمحـــلال التفكـــــير الوضعي أصبح واضحا لعلماء الاجتماع أن النظريات الخاصة بالدور المستقبـــلي للدين في المجتمعات الانسانية ، هي نظريات من التفكير الخيالي وهي مدعمة بمختارات مختبرة من البيانات التاريخية • ومن ناحية أخرى فان هـــذه النظريات من حيث الشكل الذي وضعت لا يمكن أن تكون موضـــــوعا للاختبـــــار الامبريقي • وما زال بعض المفكرين من أمثـــال شبنجـــلر Oswald Spengler وهبهوس L. T. Hobhouse وسوروكن P. R. Sorokin ينظرون حول تطور الدين والمجتمع بطريقة عامة، الا أن نظرياتهم يكتنفها الطابع الفلسفي أكثر من السوسيولوجي(٢)•

وهناك محاولات من بعض علماء الاجتماع لتعديل المدخل التطوري،

---

(2) Nottingham, E., *op. cit.*, P. 295.

ليس كتأمل فلسفي ولكن كفرض قابل للاختبار ، فلقد حـــاول روبرت ماكيفر Robert M. McIver على سبيل المثال ، التنظير عن الانظمة الدينية والاجتماعية فى ضوء التطور من البسيط والمتجانس homogenous الى المركب والاكثر تنوعا ، هذه النظرية كما يذهب ماكيفـــر يمكــن أن تختبر في مقابل البيانات السوسيولوجية الامبريقية • وحديثـــا نجـــد اهتماما آخر من جانب علماء الاجتماع بالمدخل التطورى ، فقد خصصت مجلة American Sociological Review عددها الصادر فى يونيو ١٩٦٤ لمناقشة التطورية • وقدم روبرت بللا R.Bellah مقالة حاول فيهـــا أن ينظر الى التاريخ الكلى للتطور الدينى للانسان من خـــــلال الاطـــار التطورى[٣] •

وقد ظل تأثير المدخـــــل التطورى مستمرا فى المدخـــــل التنموى developmental Approach ، فينظـــر بارسونز ، عـــلى سبيل المثـــال ، الى الحركات الدينية على أنها تمر بمراحل تطـــــورية معينة ، وفى كل مرحلة تظهر مجموعة من المشاكل التى يجب أن تحل حتى يتسنى للحركة أن تستمر • كذلك استخدمت النظريات التنموية بطريقة محـــدودة فى دراسة التغيرات فى أشكال التنظيم الـــدينى • ففى دراسة نيبوهـــر H. R. Niobuhr عن المصادر الاجتماعية للطائفية The Social Sources of Denominationalism (١٩٢٩) يقتـــرح نظـــرية عن تطـــور الفرق الدينية فى أمريكا الى طوائف ، وقد ظل تأثير هذا الكتاب على الابحاث الخاصة بالتغير فى التنظيم الدينى فى الولايات المتحدة الامريكية[٤] •

---

(3) Nottingham, E., *op. cit.*, P. 296.
(4) *Ibid*. P. 296.

جـ) المداخل النمطية والتاريخية :

Historical and Typological Approaches

أشرنا فيما سبق الى أن المنظرين التطوريين المبكرين قد استخدموا البيانات التاريخية بطريقة أختيارية لتدعيم نظرياتهم • ومع المدرسة الالمانية لعلماء الاجتماع والتى تضم فيبر وترولتش ، أستخدمت البيانات التاريخية ولكن بطريقة منظمة • فقد أهملت فكرة البحث عن نظريات عامة فى التطور المجتمعى ووجهت الجهود الى أختبار بعض الفروض الخاصة بدور الدين فى فترات تاريخية معينة ، أو الفروض التى تهتم بتطور أشكال خاصة للتنظيم الدينى وكما أشرنا ، فان بحث فيبر الشهير عن أصول الرأسمالية الصناعية الغربية فى كتاب الاخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية يتضمن أختبار الفرض الاتى : أن الدين الكالفنى لعب دورا مستقلا وخلاقا فى ظهور النظام الرأسمالى الحديث فى أوروبا فى القرن السابع عشر •

وعلماء الاجتماع ، حسب طبيعة ابحاثهم ، يميلون الى استخدام البيانات التاريخية بطريقة قد تختلف عن المؤرخين • فيحاول علماء الاجتماع البحث عما اذا كان هناك أنواع معينة من المواقف التاريخية التى تتصل أو تتعلق ببعض المواقف التاريخية الاخرى • بمعنى آخر ، فان عالم الاجتماع لا يهتم بالمعرفة الايضاحية المطولة عن موقف معين فى حد ذاته ولهذا نجد أن كلا من فيبر وترولتش حاول أن يفهم أنماطا على أساس دراسته للتاريخ ، فالنماذج المثالية للرأسمالية والاخلاق البروتستانتية ، عند فيبر ، هى تركيبات عقلية قائمة على معرفة غنية بالوقائع التاريخية الحقيقية والتى تتصل فى جميع النواحى بواحد من هذه النماذج المثالية • كذلك فان ترولتش فى كتابه عن التعاليم الاجتماعية لكنائس المسيحية قام بالتفرقة بين أنماط الفرق وأنماط الكنائس باعتبارها

تمثل أنماطا متعارضة من التنظيم الدينى ، مثل هذه الانماط قد تساعد على تفسير البيانات الجديدة •

ويجب الاشارة الى أن استخدام عالم الاجتماع للتاريخ لاقامة الانماط يتضمن التزاما نحو البحث التاريخى • وهناك تأكيد شديد على أهمية مثل هذا النوع من الدراسات • وربما يرجع هذا الى أن كثيرا من علماء الاجتماع اليوم يفضلون العمل مع بيانات معاصرة جمعت لاهدافهم الخاصة ، ويمكن استخدام الطرق الحديثة لتحليلها • كل هذا قد أدى الى أهمال البحوث التاريخية التى لها الصبغة الاجتماعية فى السنوات القليلة الماضية • وبالرغم من أن هناك اهمالا للبيانات التاريخية من جانب علماء الاجتماع الا أن عملية اقامة الانماط ما زالت مستمرة • فالنمط والنموذج أمر مألوف الآن بين علماء الاجتماع وعلماء العلوم الاجتماعية الاخرى ، على الرغم من أن مثل هذه الانماط والنماذج تعتمد على البحوث المعاصرة وليست التاريخية(٥) •

د) المداخل المقارنة Comparative Approaches

تظهر الحاجة الى المداخل المقارنة من خطورة اقامة تعميمات سواء عن أنماط التنظيم الدينى أو عن النتائج التطورية ، وذلك على قاعدة ثقافية محدودة • مثل هذا النوع من التعميمات يعوق البحث ، خاصة لو أنها اعتمدت على بيانات غير قابلة للمقارنة ، وبذلك تفقدها معناها •

ومما لا شك فيه أن فيبر قد قام بالعديد من الدراسات المقارنة ، فكما ذكرنا حاول فيبر أن يبين الدور الخلاق للاخلاق البروتستانتية فى تكوين الرأسمالية الصناعية فى الغرب ، ولكى يتسنى له ذلك ، استخدم فيبر

---

(5) Nottingham, E., *op. cit.*, P. 298.

المنهــج المقــارن لاثبــات العكس negative case • بمعنى آخر ، أنه فى دراسته لاديان الهند والصين ، درس بطريقة مقارنة الاخلاق الدينيــة لهــاتين الديانتين لــيرى ما اذا كانتــا تحتــويان ممــاثلات للاخــلاق البروتستانتية • ولا شــك أن النتائج السلبية لدراسته لاديان الصــين والهند قــد دعمت منهجــه • وحديثــا قــام روبرت بللا R. Bellah — متأثرا بمنهج فيبر — بدراسة دين اليابان ليبين أن هناك أخلاقا دينيــة يابانية كانت قائمة فى الفترة السابقة على التصنيع(٦) •

ومن الملاحظ أن كلا من فيبر وبللا قد قام بدراسات مقارنة عن تأثير الدين فى الحياة الاقتصادية فى المجتمعات الشرقية فى مقابل المجتمعات الغربية • وتضمنت المقارنات مجتمعات بعيدة كل البعد عن الاخــرى فى الزمان والمكان • وقــد تهتم الدراســة المقارنة بدراســة عنصر الوقت time element وتقــوم بمقــارنة دور الــدين فى نفس المجتمعــات أو مثيلتها فى مختلف القرون • ونجد مثالا لهذا النوع من الدراسات فى دراسة لنسكى G. Lenski عن العامل الدينى ، حيث حاول أن يحدد اذا ما كان السكان البروتستانت فى مدينة ديترويت Detroit الامريكية فى منتصف القــرن العشرين لهم نفس الاتجــاهات الاقتصــادية بالمقــارنة مــع البروتستانتية فى أوروبا فى القرن السابع عشر وأثرها الاقتصادى كما بين فيبــــر(٧) •

وهناك الآن اهتمــام بالغ بما يسمى بالمقارنات فى ثقافات متقابلة ،

---

(٦) أنظــر :

Bellah, R., N., *Tokugawa Religion The Values of pre Industrial Japan*. Glencoe. III, : Free Press, 1957.

(٧) أنظــر :

Lenski, G., *The Religions Factors, op. cit.*,

ويرجع هذا الى انتشار علماء الاجتماع والانثروبولوجيا فى كل أرجـاء العـالم وحصـولهم على معلومات جـديدة عن دور الدين فى مختـلف المجتمعات • أكثر من هذا ، فان المنظمات الدولية لعلماء الاجتماع ، بما فى ذلك علماء الاجتماع المهتمين بالدين ، تعقد اجتماعات بصـفة مستمرة ومتـزايدة لتسهيل نقـل وتبادل المعـلومات عن الدين فى العـديد من المجتمعـات[٨] •

---

(8) Nottingham, E., *op. cit.*, PP. 298-299.

٥ ـ الطرق التى يستخدمها علماء الاجتماع في دراسة الدين :

تتطلب الدراســة السوسيولوجيــة للدين أن تفحص بدقة الطــرق القديمة والحديثة التى يحاول علماء الاجتماع من خلالها فهم الظاهــرة الدينية • والحقيقة ، أن هناك طريقتين رئيسيتين متداخلتين استخدمتا من قبل علماء الاجتماع • الاولى ، من خــلال تكوين مداخل نظــرية لتحليل البيانات السوسيودينية ، والثانية بواسطة الدراسة الامبريقية وجمــع بيانات مناسبة للتحليل • ولا شك أنه من المفروض أن هــاتين الطريقتين تعملان معا طالما أن الدراسات النظرية القيمة هى التى ترتبط بكم أساسى من البيانات المناسبة ، كذلك فان الدراسات الامبريقية ذات القيمة هــى التى ترتبط بمدخل نظرى هام • ولهذا فان التفرقة بين المداخل النظرية theoretical approaches والدراسات الامبريقية empirical studies يجب أن ينظر اليها من الناحية التاريخية فقط[1] •

أ) بالنسبة للمدخل النظرى ، يمــكن القول بأن غالبية رواد عــلم الاجتماع الدينــى فى القرن التاســع عشر كانوا من المنظــرين ، كذلك فالبيانات التى استخدموها لتعضيد نظرياتهم وفروضهم كانت مختــارة

أنظــر أيضــا :

(1) Nottingham, E., *op. cit.*, PP. 292 - 293.
Finner, S., L., "New Methods for the Sociology of Religion," *Sociological Analysis* Vol. 31, (winter 1970) No. 4., PP. 197 - 202.
Mecnr, R., L., Methodology for the Sociology of Religion: An Historical&Theoretical Overview, *Sociological Analysis*. vol.31. (winter 1970) No. 4. PP. 180 - 996

من التاريخ والانثروبولوجيا ومن الملاحظة العامة • فأعمال دور كيم وماكس فيبر على سبيل المثال ، لم يكن متاحا أمامها الطرق الحديثة لجمع وتحليل البيانات ، ولهذا فانهم اعتمدوا الى حد كبير على المصادر الانثروبولوجية والتاريخية المكتوبة ، وكذلك الاحصاءات الحكومية وبالرغم من استخداماتهم النقدية المعقدة فى تحليل البيانات ، الا أن تفسيراتهم ظلت محدودة نظرا لقصور مصادر بياناتهم •

ب) ومن ناحية ثانية ، فان البحث السوسيولوجى المعاصر للدين يعانى من افتقاده الى نظرية ، وكذلك من عدم وجود بيانات امبريقية لها قيمة وحقيقة ، أن البيانات المجمعة قد تستخدم كدليل لاثبات قيمة الفروض والتعميمات ، الا أن النتائج المستمدة غالبا ما تعانى من حدود تطبيقاتها • وأصبح التأكيد على استخدام بيانات حديثة أمر ممكن وحتمى بواسطة التقدم الكبير فى الطرق الاحصائية وفى المناهج المعقدة فى جمع البيانات وتحليلها ، وكذلك فى استخدامات الكومبيوتر • ويفسر هذا التقدم الفنى تراجع معظم علماء الاجتماع المعاصرين عن الانواع الغامضة من النظريات العامة • هذا التأكيد على البيانات المجمعة حديثا ، بلا شك ، هو رد فعل ضد المدخل « المكتبى » الذى غلب على معظم النظريات السوسيولوجية المبكرة الخاصة بالدين • فالدراسات الامبريقية الحديثة تهدف لاقامة تعميماتها على أساس من الادلة القوية التى جمعت عن طريق مناهج مقننة • وهناك حذر من كثرة التأكيد على الدراسات الامبريقية ، حتى لا نجمع بيانات سطحية تصف ما يفعله أو يقوله الناس غافلين بهذا التعميمات التى تساعد الباحثين ويحاول أن يصل اليها العلم •

٦ ـ مجالات البحث في ميدان علم الاجتماع الدينى :

تتميز مجالات البحث فى ميدان علم الاجتماع الدينى بطابعها الحيوى. ولا شك أن الفروض القابلة للتحقيق يمكن أن توجه كل من هذه المجالات، رغم أن العمل بها يعتمد على تراكم البيانات لفترات طويلة . ولا يمكننا فى الوقت الحاضر عقد مقارنات ، ذلك لان معلوماتنا عن الفترات المبكرة ضئيلة الى حد كبير وغالبا ما تكون فى شكل لا يسمح معه بالمقارنة . هذا ويقترح لنا ينجر المجالات الآتية كمجالات أساسية فى ميدان علم الاجتماع الدينى[1] .

المجال الاول : يعد مجال الدراسة المقارنة للتنوع الدينى فى المجتمعات المختلفة من أوسع مجالات البحث وفى هذا المجال تدور التساؤلات حول كيفية اختلاف الاعتقادات والممارسات الدينية طبقا لطبيعة الاقتصاد ودرجة التغير الاجتماعى ، ومستوى التعليم ، وطرق التنشئة الاجتماعية

---

(1) Yinger, J., M., *Sociology Looks at Religion, op. cit.* PP. 141 - 142.

وفى موضع آخر نجد أن ينجر يميز بين أربعة عشر مجالا من مجالات البحث فى علم الاجتماع الدينى وهى للتنوع الدينى ، الدين والبناء الاجتماعى ، الدين والتعليم ، الدين والمواطنة ، الصراع الدينى ، الدين والاهتمامات الاقتصادية ، الدين والتمايز الاجتماعى ، الدين والسحر ، الدين وأبحاث الجماعات الصغيرة ، القيادة الدينية ، الدين والابحاث السوسيوسيكولوجية ، الدين والتغير الاجتماعى ، انبعاث الاهتمام الدينى ووسائل الاتصال الجمعى . انظر :

Yinger, J., M., "Areas for Research in the Sociology of Religion," *Sociology and Social Research*. Vol. 42 (July - April 1958) No. 6. PP. 466 - 472.

وأنواع أنساق التمايز الاجتماعي وهكذا ، كذلك قد تكون هناك تساؤلات عما يحدث للدين عندما تهاجر جماعة من الدين يعتنقون دينا معينا الى مجتمع آخر له دين مخالف ، وقد تعقد المقارنات بين مجتمعات مختلفة أو بين فترات زمنية مختلفة فى نفس المجتمع • وعلى الرغم من أن دراسات ماكس فيبر عن العلاقة بين الدين والانشطة الاقتصادية قد استخدمت المدخل المقارن غير أن هذا المدخل لم يستخدم استخداما على نطاق واسع الا حديثا(٢) •

المجال الثانى : تشكل العلاقة بين الدين والجوانب الاخرى من البناء الاجتماعى المجال الثانى للدراسة فى علم الاجتماع الدينى(٣) ويمكننا هنا الاشارة ، فقط ، الى بعض المجالات الرئيسية التى أثارتها قضايا البحث ، ومن ذلك على سبيل المثال :

١ — الدين والاسرة ، ويدور البحث فى هذا المجال حول كيفية ارتباط أنماط الاسرة المختلفة بالدين ؟ وهل يؤثر تضاؤل درجة التضامن داخل الاسرة على الممارسات الدينية ، وعلى استمرارية التقاليد والاتجاهات الدينية للفرد ؟ وكيفية تأثر الادوار المختلفة للرجال والنساء بانتماءاتهم الدينية • وقد تناول البعض بالدراسة علاقة الاعتقادات والممارسات الدينية بالاخلاق الجنسية فى المجتمعات المختلفة ، وماهية

---

(٢) لمزيد من المعلومات عن استخدام المنهج المقارن ، انظر :

A) Bellah, R., N., *Tokigava Religion, op· cit.,*

B) Nadel, S., F., Two Nuba Religion : An Essay in Comparison, *American Anthropologist.* Vol· 57, No. 41 (1655)

C) Wallce, F·, C·, Revitalization Movements *American Anthropologist·* Vol· 58, No. 2. (1956) PP. 264 - 284·

(3) Etoops, J·, D., "Religion & Social Institutions" *A·J.S.*, Vol. Xviii (May 1913) No. 6, PP. 796 - 805.

العوامل التى تعوق أو تشجع الزواج من أديان أخرى • النتائج المترتبة على ذلك ، الظروف التى تصبح فيها اعتقادات الاسرة وعبادة الاسلاف جزءا من النسق الدينى العام(٤) •

٢ ـــ الدين والتعليم ، ويتضمن البحث فى العلاقة بين الدين والتعليم مشكلة الدين والعلم عامة ، وكيف أن الاديان تختلف فى ادراكها واعترافها بتطور المعرفة والعلم • كذلك قد يحاول الباحث معرفة الآثار المترتبة على مواصلة المعرفة عندما يكون التعليم تحت وطأة المراقبة الدينية أو التميز والتأثر بالقيم العلمانية • فعلى سبيل المثال ، قد يتناول الباحث موضوع كيفية تأثير التعليم بالمدارس الدينية فى طموحات وقيم واتجاهات الافراد الخاضعين لمثل هذا النظام التعليمى ومقارنة ذلك بالمدارس العلمانية الاخرى التى يتلقى فيها طلاب العلم تأثيرات مختلفة(٥) •

٣ ـــ الدين والولاء السياسى ، والحق أنه فى كثير من المجتمعات غالبا ما يتداخل الولاء السياسى مع المنظور الدينى • فالحدود مشتركة بين

---

(4) Yinger, J., M., *Sociology Looks at Religion op cit.* P. 142.

أنظر أيضا :

A) Peabody, F., G., "The Socialization of Religion' '*A. J. S.* Vol. Xviii (March 1913) No. 5, PP. 694 - 705.

B) Seppanen, P., "Religions Solidarity as a function of Social Structure and Socialization". *Temenos* Vol. 1966, PP. 112-137.

C) Wallin, P., "Religiosity, Sexual Gratification and Martital Satisfaction", *A. J. S.* Vol. 22 (June 1957) No. 33 PP. 300-310.

(٥) أنظر :

Peter and Alice Rasse, "Parochial school Education in America" *Daedalus* (Spring 1916) PP. 300 - 328.

التجمعات الدينية والسياسية ، وتشير الدراسات الى أن هذا لم يعد بعد الحال فى المجتمعات الحديثـــة(٦) • وعلى أية حال ، هناك عدد هـــام من المسائل وموضوعات البحث فى علم الاجتماع الدينى نبعت من الفصل بين الدين والمواطنة • ولهذا فان الباحث قد يهتم بمعرفة الظروف التى نجد فيها الدين يساعد أو يحد من المشـــاعر القومية • وكيف أن العـــديد من الحركات الدينية يرتبط بظهور القومية فى البـــلاد المستعمرة ، ولهذا فقد يتساءل عما اذا كانت الحركات الدينية والحركات السياسية تعـــد بدائل وظيفية أم أنها تظهـــر معا • وتشير الابحـــاث عامة الى أن المنظـــورات السياسية تتأثر بالدين داخل المجتمعات أو بالمقارنة مع مجتمعات أخرى حتى لو تم التحكم فى متغيرات أخرى مثل التعليم والطبقة • وقـــد أشرنا فيما سبق أن لنسكى قد وجد أن الكاثوليك من الطبقة الوسطى يشاركون الطبقة العاملة اتجاهاتهم بسبب انشغالهم بالاحياء المتخلفة فى المجتمـــع الحضرى والتى تعد محلا لاقامة تلك الطبقـــة(٧) •

المجال الثالث : ويمثل فى علم الاجتماع الدينى العلاقة بين الانظمة الدينية والدولة فهناك كم هـــائل من التراث ذو الصبغة التاريخية حـــول

---

(٦) أنظـــر :
Cohuman, W., "Religion and Nationality", *A. J. S.* Vol. XLIX (May 1944) No. 6. PP. 524 - 529.
Putney, S., and Middleton. R., "Rebeltion, Conformity and Parental Religious Ideologies" *Sociometry* Vol. 24 (June 1916) No. 2. PP. 125 - 135.

(٧) أنظـــر :
Ebersols, L., "Religion and Politics" : *Annals of American Academy,* No. 1960, Vol. 332, PP. 101 - 111.
Fuchs, L., *The Political Behavior of American Jews* New York: The Free Press, 1956.

مسألة العلاقة بين الدولة والكنيسة . والباحث فى هذا المجال يمنح اهتماما كافيا للانواع العديدة والمختلفة من الجماعات الدينية وأنواع الحكومات المختلفة حتى يمكنه التحدث عن العلاقة بين الكنيسة والدولة . وقد يثار فرضا مؤداه ، أنه فى المجتمع الذى يتميز بمركزية القوة فى يد الدولة تميل الجماعات الدينية الى أن تكون تابعة للدولة سواء كان هناك اتصال نظامى رسمى بينهما أم لا . وفى اوقات معينة عندما تكون الدولة مركزا للقـــوة (مثل حالات الحروب) يكون هناك ارتباط قوى بين الدين والدولة . وفى المجتمعات التى تتميز باتجاه ديموقراطى تكون هناك رغبة فى فصل الدين عن الدولة ، الا أن هذا غير ممكن التنفيذ . فالعـــلاقة بين الدين والدولة ليست علاقة رســـمية فقط ولكنها عـــلاقة بنائية نظاميـــة ، وتفاعل غـــير رســـــمى(٨) .

المجـــال الرابع : وفيـــه حظيت العـــلاقة بين الدين والاهتمـــامات الاقتصادية باهتمام الباحثين أكثر من أى جانب آخر من جوانب عـــلم الاجتماع الدينى . والسؤال الرئيسى الذى قد يثار فى هذا المجال : هـــل الدين ــ بتأثيره فى الطريق المنشود الخلاص ، وتفسيره للعمل ، وتضمنه للقيم ــ يساعد على خلق الموقف الذى تعمل فيه الانشطة الاقتصادية ؟ وهل يعكس الدين القوى الاقتصادية فقط ؟ وتحت أى ظـــروف والى أى درجة تتضح هذه العـــلاقات ؟ وكيف يكون الدين متضـــمنا فى الانتـــاج والتوزيع واستهلاك الثروة ؟ . . . وهكذا(٩) .

المجال الخامس : وهو مجال شديد الصلة بالاتجـــاه السابق ، ويهتم

---

(8) Yinger, J., M., *Sociology Looks at Religion. op. cit.*, P. 144.

(9) Yinger, J., M., *Sociology Looks at Religion. op. cit.*, PP. 144-145.

بكشف العلاقة بين الاختلاف الدينى والتمايز الاجتماعى • فمن المعروف أن فى المجتمعات المتمايزة اجتماعيا ، تميل الجماعات العلمية المتنوعة الى اظهار اختلافات فى المبادىء والعبادة وبناء الجماعة الدينى • فالتنـــوع الدينى راجع الى الاختلاف فى أسلوب الحياة بين قطاعات عديدة بسبب تنوع مستوى الطموح والقيم والانماط الجماعية والحاجات الانفعـــالية التى تؤثر على الانتماءات الدينية رغم تنوعها بدرجة كبيرة حسب الطبقة الاجتماعية • وتقوم التفرقة التى قدمها ترولتش وفيبـــر بين الكنيســـة والفرقة على ملاحظة العلاقة بين تنوع الجماعة الدينية حسب وضـــعها الاقتصادى • وهنا يجب الاشارة الى أنه تحت ظروف معينة قد لا تكون هناك ثمة علاقة بين الوضع الطبقى ، على سبيل المثال ، والمشاركة الدينية الجبرية • فهناك بعض القوى التى تعمل على تفتيت الناس دينيا حسب الطبقة ، ولكن هناك قوى أخرى تميل الى تقسيمهم وفق معايير مختلفة ، وهناك قوى ثالثة تميل الى توحيد الاختـــلافات القائمة بين الجمـــاعات الدينية وضمهم جميعا فى مجتمع دينى واحد • ولا شك أن هـــذا القوى يعيق بعضها الآخر • فالنســـاء فى كل الطبقات ربمـــا يشتركن فى المكانة تعطيهن اتجاها دينيا عاما لا يمنح اعتبارا للاتجاهات الدينية المكتسبة من أوضاعهن الطبقية المختلفة • كذلك لو أخذنا فى الاعتبار ، مثلا ، الاقـــامة الريفية والحضرية ودرجة التعليم • • • الخ • فاننا قد نرى أن محاولة تصنيف الجماعات الدينية على أساس الطبقة أمر غير كاف وغير مقبول • ومن ناحية أخرى يمكن القول بأن الاختلاف الاجتماعى يجـــد مقابلا فى الاختـــلاف الدينى • فكثير من الدراسات تشـــير الى أن الفرق الدينيـــة والتجمعات الدينية للاقليات يمكن أن تفسر باعتبارها تصورات دينية عن الصراع العلمانى والتمـــايزات الاجتماعية • وعلى الرغـــم من أن تلك التفسيرات قد ترد جزئيا الى تباين حاجات الشخصية واتجاهاتها الا أنها

بشكل آخر تعكس الطريقة التى من خلالها تنفذ الاختلافات العلمانية الى المجال الدينى لتحصل على تعضيد فى المعارك العلمانية(١٠) •

المجال السادس : وفيه يهتم عالم الاجتماع الدينى بالتحديات الدينية للقيم والقوى العلمانية • ويدور الاهتمام فى هذا المجال حول تحـــديد الظروف التى تتقبل فيها الجماعات الدينية النظام العلمانى أو تنسحب من المجتمع أو تتحدى وتقوم بالهجوم على بناء القوة العلمانية كما يهتم عالم الاجتماع الدينى أيضا بعديد من المتغيرات فى هذا المجال • من ذلك مثلا ، اهتمامه بطبيعة التراث الدينى الذى تصدر عنه هذه الحركات أو الفرق ، وفرص النجـــاح أو الاخفاق فى مواجهة هذه الفرق للعالم العلمـــانى ، ووجود أو غياب انظمة علمانية تحاول تغيير الوضع الراهن ، واتجـــاهات القيـــادة ، وامكانيـــة وجـــود قنوات حكوميـــة لامتصـــاص حـــركات الاعتراض • • • الـــخ(١١) •

---

(10) Yinger, J., M., *Sociology Looks at Religion. op. cit.*, PP. 145-148.

(١١) أنظـــر :

A) Berger P., L., "A Sociological View of The Secularization of Theology," Vol. (1966) *Journal for Scientific Study of Religion*. PP. 3 - 16.

B) Carlton, F., "Technological Advance, Government, and Religion", *Sociology and Social Research* Vol. 41, (Nov.-Dece. 1956) No. 2 PP. 115 - 120.

C) Coleman, J., A., "Civil Religion", *Sociological Analysis*... Vol. 3, (Summer 1970) No. 2. PP. 67 - 77.

D) Fallding, H.,"Secularization and The Sacred and Profane" *The Sociological Ouarterly* Vol. 8. (1967) No. 3, PP. 349-364.

E) Yinger, J., M., "Pluralism, Religion, and Secularism", *Journal for The scientific Study of Religion*. Vol. 6, (April 1967) No. 1, PP. 17-30.

المجال السابع : يشكل تساؤل عالم الأجتماع الدينى عن كيفيـــة تأثير الاختلاف الدينى على وجود الاختلافات الاجتماعية مجالا جديدا للبحث • وهنا قد يتساءل عما اذا كان الاختلاف الدينى يسمح بوجود تقســيمات اجتماعية ، أم أن الاختلاف الدينى يعكس هذه التقسيمات ؟ فمن المعروف أنه عندما تختفى بعض العوامل الاجتماعية للتقسيم الدينى ، ينشأ اتجاه نحو التماسك مرة أخرى • ولكن ما هى النتائج المترتبة على ذلك ، وهــل تعنى بالضرورة أن الفرد المنتمى الى كنيسة الطبقة الدنيا يكتسب قيــم واتجاهات ومستوى طموح أفراد تلك الطبقة ؟ وعلى أية حال ، فالمجــال الاساسى هنا هو تحديد أثر الاختـــلاف الدينى على الاختلاف العــلمانى (مثل دراسة دور كيم وفاخ) وهذا ليس بمنأى عن البحث العلمى ، ولكنه يتطلب دراسة مركزة لجيل أو أكثــر والتى ما زال العلم الاجتماعى غــير معــد لهــا[١٢] •

المجال الثامن : لعل من أهم المجالات حيوية ، ذلك الذى يهتم بدراسة وتحليل علاقة الدين بالتغير الاجتماعى • ومن بعض الفروض الاساسية فى هذا المجال ، أفتراض أساسى هــو أنه عندما تهاجر جماعة دينيـــة من مجتمع يتميز بالاستقرار والعزلة الى مجتمع يتسم بالحــركة ، نجد أن هناك أتجاها نحو خلق جماعات دينية تساعد على تقوية المشاعر الجمعية وتحدد معايير للسلوك ، يدعمها التصديق بالامور غير الدنيوية • ويعــد ماكس فيبــر أبــرز من عالجوا هــذا الفرض فى دراســته عن الزهــد البروتستانتى وأثره فى ظهوور الرأسمالية الحديثة • فقد كان أهتمام فيبر يتركز أساسا على علاقة الافكار والقيم بالظروف المادية • وعلى الرغم من الصعوبات التى تكتنف الفرض الذى قدمه فيبر ألا أنه يرجع له الفضل

---

(12) Yinger, J., M., *Sociology Looks at Religion. op. cit.*, PP. 148-149.

انظــر أيضـــا :

Small, A., W., "The Church and Class Conflict" *A. J. S.* Vol. LX (May 1955) No. 6, PP. 54-74.

فى تقديم فرض علمى لا زال يشـــكل المحور الرئيسى فى كل الدراســـات السوسيولوجية عن دور الدين والقيم فى التغير الاجتمــاعى • والباحث مطالب هنا ، بادراك أنه من العسير دراسة تأثير الدين فقط على التغـــير الاجتماعى ، وذلك لان الانظمة والحركات الدينية تحتوى هى نفسها على عناصر دينية ، وأن الانظمة والحركات العلمانية تعادى من أشخاص لديهم وازع دينى ، وتدعم من أشخاص متأثرين بالقيم الدينية(١٣) •

المجال التاسع : هناك مجال آخــر من مجالات البحث يدور حـــول العلاقة بين الدين والاخلاق ورغم أهمية المجال ، الا أن هناك صعوبة فى وضع فروض قابلة للاختبار ، ومع ذلك فالجهود مستمرة نحو تقنين تلك الفروض وقد ظهر الاهتمــام بهذا المجال فى البداية عنــدما كان البحث مركزا حول أصل الدين • فهناك البعض الذى يرى أنه فى الاصول الاولى للدين ، ليس هناك علاقة بين الاخلاق والدين • وطبقا لهذا الاتجاه فان الدين قد نبع أصلا من عدم الطمأنينة والخوف ، وترى هذه النظريات أن الاخلاق تلازمت مع الدين فى مرحلة متأخرة • وهناك نظريات أخرى ترى أن الدين والاخلاق قد ظهرا معا ، وأن الدين والاخلاق ما هما الا تعبير عن تضامن المجتمع والوحدة الاخلاقية • وأيا كانت النظــرية التى تفسر العلاقة بين الدين والاخلاق فان التأثير المتبادل بينهما يستحق الدراســـة الواعية•وقد نجد افتراضات متناقضة فى هذا المجال كالقول بأن الاخلاق فى المجتمع الدينامى تمثل النمط المقنن من السلوك ، ويعتقد الانسان بأنها

(13) Yinger, J., M., *Sociology Looks at Religion. op. cit.*, PP. 149-152.

انظـــر أيضـــا :

Maddox, G., L., and Fichter, J.,H., Religion and Social Change in the South, *The Journal of Social Issues,* Vol. 17, (Jan. 1966) No. 1, PP. 44-58.

جانب من دينه ومن ثم فهي ـ الاخلاق ـ تابعة للدين • أو كالقـول بأن المبـادىء الاخلاقية التي لا تدعـم من الدين ليس من اليسير تقبلهـا وتأكيدها • والحق أنه بالنسبة لكل من هذه الافتراضات لا تزال الحاجة ماسة لمزيد من البيانات والدراسات الامبريقية • فنحن مطالبـون أولا بتعريف أجرائي لما نعنيه بالاخـلاق ، وكيفية قياس السلوك الاخـلاقي بمتغيرات مثل السن والتعليم والدخل • • • الخ • كذلك يجب أن نبحث عن ، كيف أن الاخلاق في الاديان السماوية تعتبر جزءا من هذه الاديان ومن ناحية أخرى فالمقاييس الاخلاقية تساعد على التكييف في التعـامل المباشر في العلاقات الجمعية • على أية حال ، فان مهمة علم الاجتمـاع الديني هي وصف الظروف التي من خلالها يرتبط الدين بالاخلاق وكيفية أختلاف هذه الظروف في الحياة الحضرية وفي مواجهة العلمانية(١٤) •

المجال العاشر : تتطلب دراسة الظاهرة الدينية أن يفرد الباحث مجالا لنبحث في الجـوانب الفردية في الدين • فقـد يتسـاءل عن الوظـائف الشخصـية للدين وعن الكيفيـة التي يصبح بها الدين متصلا بالتعبـير والاضطراب والخوف والقلق وبأمل وطموح الفرد • وعلى الرغـم من أن هذا المجال متعلق بميدان علم النفس الاجتماعي ، الا أن له أهمية أكبر ، فقد حدث في السنوات الاخيرة أن تحـول الاهتمام من دراسة البنـاء والعمليات الخاصة بالجماعة الى الاهتمام باتجاهات وميول الشخصية في مواقف ثابتة ومحددة • والواقع أن هذا المجال يضم عديدا من نتـائج

---

(14) Yinger, J., M., *Sociology Looks at Religion. op. cit.,* PP. 152-158.

أنظـر أيضـا :
Sumner, W., G., "Religion and The Mores", *A. J. S.* Vol. LX (May 1955) No. 6. PP. 19-33.

البحوث فى مجالات مختلفة ، مثل الانثروبولوجيا الثقافية وعلم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعى والدراسات الدينية • فالاهتمام فى هذه المجالات ينحصر فى فهـم السلوك كنتيجة للتفاعل بين الافـراد الذين يتميـزون باتجاهات مختلفة وليست محـددة ، وبين الانواع المختلفة من المواقف الفيزيقية والسوسيوثقافية • مثل هذا المدخل قد يؤدى الى نسق نظرى من خـلاله يمكن التعرف على الوظـائف الشخصية للدين • ولعل أهـم الدراسات التى حاولت البحث فى هذا المجـال ، دراسة كل من لنسـكى وماكليلاند عن دور الدافعية الدينية فى الانجاز[١٥] •

---

(١٥) أنظـر :

A) Bouma, G., D.,-"Assessing The Impact of Religion, A Critical View", *Sociological Analysis*. Vol. 31. (Winter 1970) No. 4. PP. 172-179.

B) Guttman, L., "A Structural Theory For Intergroup Beliefs and Action", *A. S. R.* Vol. 24, (June 1959) No. 3, PP. 319-327.

C) Kolb, W., Images of man and Sociology of Religion", *Journal for The Scientific Study of Religion*. Vol 1. (October 1961) No. 1. PP. 5-29.

D) Lenski, G., *op. cit.,*

E) Luckmann, T., "On Religion in Modern Society : Individual Consciousness, World View, Institution', *Journal for The Scientific Study of Religion*. Vol. 11 (Spring 1963)No. 2. PP. 147-162.

F) Mayer, A., J., and Sharp, H., Religions Perference and Wordly, Succes", *A. S. R.* April 1962. Vol. 27. PP. 218-227.

G) Mc Clelland, D., C., *The Achieving Society. op. cit.,*

H) Veroff, J., et. al., "Achievement Motivation and Religions Background" *A. S. R.* April, 1962. Vol. 27, PP. 205-217.

المجال الحادى عشر : هناك كذلك ، موضوعات أخرى ، على جـانب كبير من الاهميـة فى ميدان علم الاجتمـاع الدينى ، فقد يهتم ، عـالم الاجتماع بالبحث فى أشكال التنظيمات الدينية وتأثرها بالنظام الداخلى للسلطة فيها ، وبما يعنيه قولنا أن هذا الشخص ينتمى الى دين معـين ، وكيف يتحول هذا الولاء أو الانتماء الى سلوك يوصف بأنه « دينـى » ، وكيف أن هذا الولاء يختلف حسب الطبقة وحاجات الشخصية ، ومن دين الى آخر ، كذلك فان موضوع القيادة والمهن الدينية والادوار التى يلعبها القادة أو رجـال الدين فى المجتمعات المختلفة قد تشـكل مجالا حيويا فى دراسة علم الاجتماع الدينى ، فضلا عن أهمية دراسـة كيف يساعد أو يعوق هؤلاء القادة ورجال الدين التغير فى الاعتقاد أو الممارسة الدينيةهذا وهناك بعض الابحاث فى علم الاجتماع الدينى يمـكن أن تبحث فى مكانة الدين بالمجتمعـات الحضرية ، خاصة علاقـة الدين بالتنقل الاجتمـاعى ووسائل الاتصال الجمعى والانحراف والجريمة(١٦) والقوة السياسية ، والجماعات الفرعية وغير ذلك من المتغيرات الاجتماعية التى تؤثر بشـكل أو بآخر فى شكل ووظيفة الدين فى الحياة الحضرية(١٧) .

على أية حال يميز ويلخص لنا روبرت بللا R. Bellah ثلاثمجالات رئيسية فى دراسة الدين : الاول ، هو ذلك النوع من الدراسات التى تهتم بالدين كمشكلة رئيسية فى فهم الفعل الاجتماعى ، ويهتم المجـال الثانى بدراسة العلاقة بين الدين والمجالات الاخرى للحياة الاجتمـاعية

---

(16) Wassef, W., Y., "The Influence of Religion, Socieconomic Status, and Education, on Anomie", *The Sociological Quarterly*, Vol. 8, (Spring 1967) No. 2, PP. 233-238.

(17) Yinger, J., M., *Sociology Looks at Religion. op. cit.* PP. 163-164.

مثل الاقتصاد والسياسة . ويدور المجال الثالث والاخير حول دراسة الادوار والتنظيمات والحركات الدينية.ويرى بللا أن المطلع على البحوث الحديثة فى مجال علم الاجتماع الدينى يرى بوضوح أن معظمها يدور حول مفهوم أن الدين «نسق يربط بين المعنى والدافعية» ويقترح بلـــلا ثلاث مجالات بحثية كأمثلة توضيحية لمثل هذا النوع من الفهم الوظيفى للدين . وعلى الرغم من اعتماد هذه الدراسات على المعنومات النفسية والاجتماعية والثقافية ، الا أنها تحاول التغاضى عن الحدود المصطنعـــة بين العلوم الاجتماعية ، وذلك من أجل فهم أشمل للظاهرة الدينيـــة . ويختص المجال الاول من تلك المجـــالات بتحليل الشخصيات التاريخيـــة الهامة فى التاريخ الدينى . أما المجال الثانى فهو خاص بدراسةالجماعات الدينية الصغيرة التى توفر مجالا خصبا لنمو الرموز المتضمنة فى عمليات تشكيل الجماعة وشعور وأمال وطموح أعضائها . ولا شك أن هذا المجال يتضمن تحليل اللغة كرموز تعبر عن المشاعر الانسانية . وأخيرا يدور المجال الثالث حول الدين والمجتمع مثل تحليل علاقة الدين بالانشـــطة السياسية أو الاقتصادية أو التربوية أو الاخلاقية أو القيم . ويرى بللا أن علم الاجتماع الدينى مازال فى بداياته الاولى ولهذا فان البـــاحثين مازالوا فى حاجة الى اطار نظرى واضـــح والى مجالات بحثية متجـــددة أيضـــا[١٨] .

---

(18) Bellah, R., "The Sociology of Religion", *International Encych. of social science*. PP. 406-413.

٧ ـ الدرسات الامبريقية في مجـال علم الاجتماع الدينى :

أ ــ تمهيـــــد :

تشير لفظة الدراسات الامبريقية empirical studies الى ذلك النوع من البحوث • الذى جمعت فيه البيانات بطريقة نظامية لاستخدامهـا كدليل لفرض معين•[1] ويمكن القول أن المناهج التى تستخدم فى اجراء مثل هذا النوع من الدراسات هى نفس المنـاهج المسـتخدمة فى عـلم الاجتماع • وهذه المناهج تشمل ، دراسة المجتمع المحلى ، الملاحظـة بالمشاركة ، استخدام الاحصاءات الرسمية ، دراسة الحالة ، المقابلات، تحليل المضمون ، الجداول والاستبيانات ، مسح العينة ••• الخ• ولهذا فليس مستغربا أن المناهج البحثية المستخدمة فى علم الاجتمـاع الدينى كانت هى نفسها المناهج المستخدمة فى ميدان علم الاجتماع • وفى خـلال السنوات الحديثة الماضية كان استخدام مسح العينة (فى شكل جداول أو استبيان) هو المنهج الشائع لجميع البيانات بين علماء الاجتماع الدينى

ويغلب على الدراسات الموضوعية للدين بجوانبه المجتمعية أنهـا لم تحاول دراسة الدين أو التجربة الدينية فى هـــذا حد ذاتها ولكن كما أشارت ألن أستر Allen Eister «أن الاهتمـــام يجب أن يكــون بالجوانب الثقافية والاجتماعية أو بمظاهر الدين ، أعنى : نتائج التجربة

---

(1)Hadden, J., K., and Heenan, T. Empirical Studies in Sociology of Religion : An Assessment of the past Ten Years" *Sociological Analysis* Vol. 31. (Fall 1976) No. 3. PP. 153-171.

الدينية»[٢] بكلمات أخرى ، فان السلوك الظاهر أو على الاقل الاتجاهات أو الاراء التى يمكن أن توصف موضوعيا ــ وليست التجربة الدينية للاشخاص فى حد ذاتها ــ هى الاهتمام الرئيسى لعالم الاجتماع الدينى. هذا النتاج للسلوك الدينى أو مايسميه شارلز جلوك Charles Glock الجانب التتابعى Consequential dimention للدين مع الجوانب النظامية والتنظيمية ، قد نظر اليها باعتبارها البؤرة الرئيسية للبحث الامبريقى[٣] والتأكيد الرئيسى فى الدراسات الامبريقية كذلك ، كان على اتجاهات وسلوك الناس الذين يعتبرون أنفسهم،ويعتبرهم الاخرون، «متدينين». والمشكلة الرئيسية التى تواجه الدراسات السوسيولوجية الامبريقية للدين هى أن علم الاجتماع الدينى لايعتمد على تمويل الحكومة ولا الهيئات الكبرى لاجراء بحوث أو مشروعات فى هذا المجال، فالكثير من البحوث الامبريقية تمول بواسطة التنظيمات الدينية نفسها، وقد ساعدت طوائف دينية كثيرة فى الولايات المتحدة فى انشاء مراكز بحوث جامعية فى جامعات كولومبيا وشيكاغو وبيركلى[٤] ونظرا لان هذه البحوث ممولة من هيئات دينية معينة ، فان نتائجها تظل محدودة الاستخدام . وأخيرا فان هناك كثيرا من البحوث الامبريقية فى ميدان علم الاجتماع الدينى تجرى بواسطة طلاب الدكتوراه والاساتذة فى هذا الميدان . ويعاب على هذا النوع من البحوث أنها محددة بحدود البيئة

---

(٢) انظر :

Eistar, A., W., "Research Method in Sociology of Religion", *Review of Religions Research,* Vol. 6. (Spring 1965) No. 3. PP. 125-130.

(3) Glock, G., Y., and R. Stark, *Religion and Society in Tension,* Chicago : Rand McNally, 1965. PP. 21-23,

(4) Nottingham, E., *op. cit.*, P. 300.

والموقع . ويمكن التغـلب على هذا النقص باستخــــدام فريق البحث الجماعى[٥].

ب ـ أنواع الدراسات الامبريقية

يمكننا أن نصنف هذا العدد الهائل من البحوث الامبريقية الى أربعة أنواع رئيسية :

هناك مجموعة كبيرة من الابحاث تهتم بالسمات السلوكية الخاصة ، والاتجاهات التى لها اتصال ببعض سمات دينية معنية خاصة بالمجتمـع ككل . والسمات الثقافية التى تدرس هى : الاندماج الجماعى الـدينى، الانتظام فى الصلاة ، الذهاب الى المسجد أو الكنيسة ، درجة الايمان أو قبول المبادىء الدينية أو أى عدد من الخصائص الاخرى التى يمكن أن تقاس أو تحسب بطريقة أو بأخرى.والهدف من هذا النوع من الدراسات هو قياس أدعاءات فرضية مثل أن السمات (أو المتغيرات) الدينية تتصل ايجابيا أو سلبيا ببعض سمات السلوك العام كمتغيرات تابعة مثل الاداء المهنى ، الحاجة الى الانجاز ، الزواج من نفس الدين أو خارجه ، الاداء السياسى ، الانجاز التعليمى ، معدلات الخصوبة ، واستخدام وسـائل لتحديد النسل .

وتهتم المجموعة الثانية من الدراسات بالجماعات الدينية وتطورهـا ، خاصة بالاشارة الى البناء التنظيمى لهذه الجماعات ، وهذا النـوع من البحوث يشتمل على ظهور وتطور المجتمعات الدينية ، وأنواع الفـرق والطوائف الدينية . وهناك العديد من الدراسات السوسيولوجية فى هذا المجـــال[٦] .

---

(5) Nottingham, E., *op. cit.*, P. 301.

(٦) راجـع =

والنوع الثالث من الدراسات يتميز بمجاله الضيق ، ويهتم بدراسة الشخصيات الدينية ، خاصة رجال الدين فى أى دين من الاديان •

وأخيرا فان المجموعة الرابعة من الدراسات الامبريقية تهتم بمحتوى الاعتقادات الحديثة للافراد واختلافها عن الاعتقادات الرسمية للهيئات الدينية(٧)•

وسوف نتناول هذه الانواع الاربعة من الدراسات الامبريقية بنوع من التفصيل •

(١) الدراسات الخاصة بالعلاقات الاحصائية

تغطى المجموعة الاولى من الدراسات مجالا واسعا ، حيث تحاول ايجاد علاقة بين بعض السمات الدينية الخاصة وبعض اتجاهات أو مظاهر معينة للسلوك وسرد بعض العناوين لهذه الدراسات يشير الى تنوع واتساع هذا المجال : « الاندماج الدينى والانشطة الاقتصادية السياسية» ، «العامل الدينى فى اختيار شريك الزواج» : «اتجاهات وانشغال الكنيسة بالعنصر» ، «معدلات الانجاب وتنظيمه وعلاقته بالاهتمام الدينى والطائفى» ، «التعليم الكاثوليكى»،«القيم الاقتصادية والانجاز» ، «تأثير العامل الدينى على اختيار المهنة لخريجى الجامعة» كذلك يمكن الاشارة الى عمل كل من لفسكى عن العامل الدينى وجلوك

Wilson, B., R., "An Analysis of Sect Development", *A. S. R.* Vol. 24 (Feb. 1959) PP. 3-15.

.... (ed.) *Patterns of Sectarianism : Organization and Ideology in Sociology of Religious Movements,* London : Heinmann, 1967.

(7) Nottingham, E., *op. cit.*, PP. 402-303.

وستارك عن «الاعتقادات المسيحية والاتجاهات ضد السامية» ودراسة ديمراس Demerath عـــن «الطبقة الاجتمـــاعية فى البروتستانتية الامريكيـــة » •

ويتطلب مثل هذا النوع من البحوث مهارة فائقة لعدة أسباب :

أولا : بعض العوامل الحـــديثة يجب أن تميز وتعـــرف اجـــرائيا Oberationally بطريقة تتيح قياسها وحساب درجة التحقق منها • وهذا التمييز والتعـــريف القابل للقياس يساعد الباحثين الاخـــرين على عمـــل دراسات مقارنة والتوصل الى نفس النتائج •

ثانيا : فى مثل هذا النـــوع من الارتباطات الاحصائية الاساسية هناك دائما حذر بشأن السلوك الذى قد يجده الباحث فى علاقة مع عامل أو جانب دينى معين يمكن أن يكون فى الواقـــع مرتبط بعـــامل خفى hidden factor آخر لم يتوصل اليه الباحث •

ثالثا : طالما أن معظم هذه الدراسات تعتمد أساسا على أداة (وغالبا ما تكون الجداول أو الاستتبيان) كوسيلة أساسية لجمع المعلومات ، فانه من الاهمية بمكان الا تكون هذه الاداة قد صممت بطريقة تقيس البيانات المطلوبة على نحو يكتنفه الغموض أو تعانى من مشكلة الصياغة •

واخيرا ، يجب الاشارة الى أن هذه الدراسات تعتمـــد فى معظم حالاتها على العينة المنتقاه من السكان ، ولا شك أن قيمة وأهمية النتائج التى يتوصل اليها الباحث مرهونة بكفاءة العينة وأساليبها وتمثيلها لمجتمع البحث •

وقد ازدادت درجة تعقيد هذه الدراسات فى السنين القليلة الماضية ،

ففى البحوث المبكرة ، كانت المحاولة مقتصرة على ربط الاندمـــاج الدينى بأنواع معينة من السلوك تحت التصنيف المعروف بالكاثوليك أو اليهود أو البروتستانت وهكذا •• ومعظم الاتجاهات الحديثة الان تعى أنه حتى الانتماء الدينى الاسمى له تأثير فى بعض أنواع السلوك ولقد أدى هذا الى اعداد نوع من المقاييس لقياس درجة الانتماء الدينى للفرد ودرجة مشاركته لمبادىء الجماعة الدينية • ويعد جوزيف فيشتر Joseph Fichter أول من صمم معايير تقيس قوة أو ضعف الانتماء الدينى مثـــل جوهرى nuclear ، شكلى model وهامشى marginal (٨) •

وقد أدرك كثير من الباحثين — من أمثال لنسكى Lenski وجلوك Glok وستارك Stark — أن هناك عديدا من الطرق المختلفة التى يمكن أن يكون بها الفرد متدينا • ويطلق جلوك وستارك على هذه الطرق جوانب التدين • dimensions of retigiosily فالفرد قد يكون متدينا ، على سبيل المثال ، بمعنى ذهابه بانتظام الى الكنيسة أو المعبــد ، وقــد يفضل شخص آخر البقاءفى المنزل أيام الصلاة ويقوم هو بنفسه بالصلاة الفردية ويحس أن الدين تجربة حقيقية مع المقدس • وهناك شخص آخر يمكن أن يقال عنه أنه متدين بمعنى اشتراكه الكلى بكل الانشطة الرسمية للكنيسة أو الطائفة التى ينتمى اليها ، بينما نجد شخصا آخر لايعبأ بهذه الانشطة ولكنه ماديا يساعد الكنيسة التى ينتمى اليها • هذه هى الطـرق التى يمكن أن تستخدم لقياس درجة انغماس وانتماء الفرد فى دين معين وهناك بعض المشاكل التى قد تواجه مثل هذا النوع من المقاييس منهـــا

---

(٨) أنظـــر :
Fichter, J., H., *Social Relations in Urban Parish,* Chicago : University of Chicago Press, 1954. PP. 9-18.

كيفية قياس تطور الاختلاف بين الطرق المختلفة للتدين • وهذا يعد أمرا هاما حيث أن كثيرا من هذه الجوانب غالبا ماترتبط بأنواع مختلفة من السلوك •[٩] فلنسكى — مثلا وجد أن هؤلاء الذين يسجلون درجة عالية فى تمسكهم بالتقاليد الدينية سطحيون ومحدودون فى اتجاهاتهم ، بينما الذين سجلوا درجة عالية للجانب التعبدى — يميلون لان يكونوا محبين للخير والاصلاح العام •[١٠]

(٢) الدرسات الخاصة بالحركات والهيئات الدينية

أ) الدراسات الخاصة بالحركات الدينية :

يتركز الاهتمام الاساسى للبحث فى هذا النوع من الدراسات حول الحركات الاجتماعية من حيث الشكل والدينامية • ويتساءل الباحثون حول الاسباب التى تؤدى الى ظهور المنظمات الدينية ويحاولون الكشف عن الظروف المجتمعية التى تساعد على نمو وتطور مثل هذه الحركات • وتعد دراسة توماس أودى Thomas O'dea عن Mormons خير مثل على هذا النوع من الدراسات[١١] • فقد استمد أودى مادته من البيانات التاريخية ، ولم يكتف أودى بتتبع الوضع الدينى الاجتماعى فى ولاية نيويورك عام ١٨٥٠ حيث كانت دعوة جوزيف سميث Joseph smith مؤسس الحركة — الروحى ، ولكن أودى حاول البحث فى الخلفية التاريخية للمجتمع الامريكى ككل • وحاول أودى أيضا أن يقيم السجلات المحفوظة بواسطة الكنيسة الخاصة بطائفة المورمون Mormons والخاصة

---

(9) Nottingham, E., *op. cit.* PP. 302-305.

(10) Lenski, G., *The Religions Factor, op. cit.*, PP. 18-26.

(11) O'dea, T., *The Mormons*, Chicago : University of Chicago Press, 1957.

بتاريخها وتنظيمها • وجاءت الدراسة التاريخية ــ الاجتماعية لاودى لتطور Mormons على نحوين مختلفين ، فبينما اعتمدت الدراسة الاولى على الملاحظة لتطور Mormons فى مدينة Salt Lake City ، نجد الاخرى فى مجال البحث عن المراحل التكوينية لكنيسة Mormons كحركة دينية •

كذلك تعد دراسة ارك لنكولن Eric Lincoln عن المسلمين السود فى أمريكا كحركةدينية من أهم الدراسات السوسيولوجية فى هذا المجال•(١٢) واعتمدت دراسة لنكوان على البيانات المجمعة عن طريق الملاحظة • وكان اهتمامه منصبا على الظروف الاجتماعية والدينية التى يعيش فيها السود فى أمريكا فدار البحث بوجه خاص حول العلاقات الاقتصادية والاجتماعية بين مجتمعات السود والبيض ، وكيف أدى ذلك الى ظهور حركة المسلمين السود •ولهذا أعطى لنكوان اهتماما كبيرا لظهور القيادات فى هذه الحركة وبين الوسائل التى استخدمها القائد لتحديد أهداف وغايات لا تتناسب مع الرغبات الثابتة للاعضاء • واهتم لنكوان فى دراسته ببيان الاهمية الوظيفية لحركة المسلمين السود بالنسبة لمجتمع السود ككل والمجتمع الامريكى فى عمومه(١٣) •

(ب) الدراسات التثاقفية Acculturation Studies

اذا كانت الدراسات السابقة تدور حول التنظيمات الدينية داخل مجتمعات بعينها ، فان هناك العديد من الدراسات حول تبنى المجتمع الامريكى للتنظيمات الدينية المستوردة • بمعنى آخر • أن هدف هذه

(12) Lincoln, C., E., *The Black Muslems*. Boston: Beacon Press 1963.

(13) Nottingham, E., *op. cit*. PP. 305-306.

الدراسات يدور حول الظروف المتغيرة لاعضاء تنظيم دينى معين ، عندما كيفوا أنفسهم بطرق مختلفة لظروف الحياة الامريكية وتعـــد دراسة يونجر P. V. Yonger عن Pilgrims of Russian Town (١٩٣٢) من الدراسات المبكرة فى هذا المجال . فقد حاول Yonger أن يبيـــن العملية التثاقفية التى مرت بها فرقه Molokans التى هاجـــرت من روسيا الى مدينـــة لوس انجلوس الامريكية بحثـــا عن الدين ولممارســـة الشعائر الدينية . واعتمد يونجر فى دراسته هذه على الملاحظة بالمشاركة، والمقابلات غير الرسمية لبيان كيف حدث الصدام بين الجيل الثانى الذى اكتسب الثقافة الامريكية ، مع الاوامر الدينية الصارمة للاباء الاوربيين. كذلك قامت اليزابيث نوتنجهام E. K. Nottingham بدراسة عن فـــرقة Methodism ، وحاولت أن تبين كيف انتقلت تلك الفرقة من انجلترا الى أمريكا وكيف أصبحت حركة دينية . فقد ساعد الوضع الجديد على طبع هذه الحركة بالطابع الامريكى على مستوى الشعـــــائر والتنظيم والاعتقـــاد[14] .

وهناك دراســـات أخرى حديثـــة حاولت أن تسجل هـــذه العمليـــة التثاقفية وقت حدوثها وتعد دراسة مارشال اسكلار Marshall Sklare عن اليهـــودية المحـــافظة Conservative Judaism من الدراســـات الامبريقية فى هذا المجال[15] .حاول اسكلار أن يبين أن اليهودية المحافظة حركة دينية أسست من اليهود المولودين فى أمريكا . كذلك فهى استجابة اجتماعية لتنقلهم الاجتماعى وتغير أوضاعهم المعيشية فى الهيئة الامريكية.

---

(14) Nottingham, E., *op. cit.*, P. 306.

(15) Sklare, Marshall, *Conservative Judaism: An American Religious Movement*. Glencoe, III : Free Press, 1955.

بمعنى آخر فان اهتمام اسكلار كان مركزا أساسا حول الطريقة التى تم بها تعديل الممارسات والمعتقدات اليهودية المتبعة وهذه الطـريقة المعدلة بالنسبة لاسكلار ماهى الا نتيجة للاحتكاك بين أطفال المهاجرين اليهود مع الدين الامريكى والطريقة الامريكية للحياة • فاليهودية المحافظة ماهى اذن الا حركة توفيقية بين كل من البروتستانتية الامريكية واليهـــودية التقليدية واليهودية الجديدة • فقد لاحظ اسكلار أن اليهودية المحافظة لها قيمة احيائية Survival value أدت الى اســتمرار اليهــودية بين الاجيال اللاحقة وساعدتهم على التوافق مع الحياة الامريكية دون أن يفقدوا يهوديتهم فى هــذه العملية • وقد ساعد اسكلار على اتمام هــذه الدراسةأنه كانينتمى الىهذه الفرقة قبلالدراسة ولاشك أن هذا قدأعطاه تسهيلات عديدة للحصول على المصادر الوثائقية الخارجية ، واعتمـــد اسكلار كذلك على الملاحظة بالمشاركة والمقابلة غير الرسمية مع العــامة ورجال الدين والاساتذة المتخصصين فى اليهوديات ، كل هذا كان بعيـــدا عن أى تأثير تطبيعى من الفرقة محل الدراسة ، بل كان الاساس هـــو الدراسة الموضوعية فقــط •

(جـ) الدراسات الخاصة بالجماعات المنعزلة والمقاومة للتغير : (١٦)

بينما اهتم كثير من علماء الاجتماع بالتوافق والتغييرات التى تحدث لاى فرقة دينية فى أوضاع اجتماعية جديدة ، هناك علماء اجتماع آخرون اهتموا بدراسة الجماعات الدينية التى تتميز بالمقاومة الشديدة بالنسبة للتغير فى الشعائر أو المعتقدات • وقد تساعد العزلة الجغرافية فى بعض الاحيان على تمسك الجماعة الدينية المحافظة بمقـــاومة التتغيرات التى

---

(16) Nottingham, E., *op. cit.*, PP. 306-307.

قد تؤدى الى اهتزاز العادات الدينيـــة التقليدية • ولعل منـــزل الامش Amish ووقوعـــه فى ريف لانكستر بولاية بنسلفانيا ، لعل هـــذا أعطى استقلالا اقتصاديا وقاعدة اقليمية لمقاومة أثر الثقافة الدينية الامريكيـــة على مجتمع الامش (١٧) •

كذلك تعد دراســـة سلمن بول Solomon poll عن اليهود الحسديين Hasidic Jews احدى الدراسات الهامة فى هذا المجال(١٨) • فقـــد حافظت هذه الفرقة الدينية على الابتعاد النفسى والدينى عن التأثيرات الثقافية الامريكية • وقد أظهرت هذه الدراسة أن هؤلاء اليهود حاولوا أن يوجهوا ويطوعوا نشاطهم الاقتصادى لتغذية الشعائر والممارسات الدينية التقليدية (١٩) •

د) **الدراسة فى الضواحى** Suburbia

تعددراسة الدين فى الضواحى شكل آخر لدراسة التأثير الثقافى على الدين وتنظيمه فى ضواحى المدن فقد لوحظ أن عملية المعيشةفى الضواحى للامريكيين قد تبعها عملية انتعاش حضرى للمعـــابد والكنائس ، وكذلك اخفاق نسبى للكنائس فى المدن الصغيرة وفى المدينة المركزية • ولوحـــظ أيضا أن المشاكل الخاصة بالتنظيم الدينى والمصاحب لهـــذا التحـــول السكانى هى تماما المشاكل نفسها فى كل الاديان • فد ثبت أن التنظيـــم الدينى فى الضواحى عمل على أنيكون مؤثرا فى الامور المتعلقة بالاسرة

---

(17) Nottingham, E., *op. cit.*, PP. 307-308.

(18) Poll, Solomon, *The Hasidic Community of Willamsburg* Glencoe, III. : Free Press, 1962.

(19) Nottingham, E., *op. cit.*, P. 308.

أو المجتمع المحلى • فالدين فى الضواحى يعطى تركيزا حول ذاتية الجماعة ويساعد على خلق العديد من الانشطة الترفيهية(٢٠) •

٣ ـ الدراسات ذات المجال المحدود Parochial Studies

أ) الدراسات التى تقوم بها الهيئات الدينية :

هناك اسهامات أخرى من الابحاث السوسيولوجية التى تقوم بهـا الهيئات الدينية ذاتها عن طريق اتباعها • ولعل هذا الاتجاه الحديث قد ساعد على التقارب النامى بين رجال الكنيسة وعلماء الاجتماع فقد أدرك الكثير من رجـال الدين ، ومنهم كثيرون متخصصـون كعلماء اجتماع ، أهمية المعرفة السوسيولوجية لجعل الكنائس كتنظيمات انسانية ، أكثـر فاعلية فى خدمة روادها • وتعد الدراسات التى قام بها جوزيف فيشتر Joseph Fichter من الدراسـات الرائدة والتى أثرت على الكثـير من البحوث فى هذا المجال (٢١) •

---

(٢٠) انظـر دراسات كل من :

A) Winter, Gibson, "*The Suburban Captivty of the Churches*. Garden City, N. Y. : Doubleday & Company, Inc., 1961.

B) Berger, Peter, "The Noise of Solemn Assemblies. Garden City; N. Y, : Doubleday & Company, Inc., 1961.

C) Greely, Andrew, "*The Chruch and Suburbs*", (1959).

D) Gordon, Albert, J., "*Jews in Suburbia*", (1959).

(٢١) انظـر :

Fichter, J., *Dynamics of A city Church Chicago* : Chicago University Press, 1951.

.................., *Social Relation in an Urban Parish* Chicago : Chicago University Press, 1954.

.................., *Parochial school: A sociological study*. Noter Dam, Ind. : University of Noter Dam Press, 1958.

كذلك حاول ولتر كلوتزلى Walter Kloetzli فى دراسته عن الكنيسة الحضرية أن يبين نجـاح أو أخفاق ثمان من الكنائس اللوثرية فى التكيف مع عديد من التغيرات التى تحدث فىالبيئة المحيطة بها وقد أشار كلونزلى الى أن دراسته تعتبر دراسة مقارنة وصفية • حاول فيها أن يستخـدم الدراسات الذاتية لهذه الكنائس ، كذلك فقد استخدم المقابلات المتعمقة واستمارة العضوية وبيانات كمية وكيفيةجمعها بنفسه عن طريق الملاحظة•

وتشير اليزابث نوتنجهام الى أن هذا النوع من الدراسات غـير مقصور فقط على تحديد الهدف العلمى وغايات تلك الجماعات أو الطوائف قبل الدراسة،ولا يعنى هذا عدم قيام نظرة أوسع — من خلال الدراسات السوسيولوجية البحته — التى قد تنظر الى جماعة دينية معينة من منظور يختلف عن ذلك الذى يعطيه رجل الدين المنتمى لهذه الجماعة ، حتى ولو كان مدربا وله خبرة بالعلوم الاجتماعية(٢٢) •

ب) الدراسات الخاصة بالبيروقراطية الاكليريكية :

Ecclesiastical Bureaucracy

وتنحو مجموعة أخـرى من الدراسـات نحو الجـوانب الطائفيـة للتنظيـم الدينى ، وتعـد دراسـة بول هاريسون Paul Harrison عـن Authority and Power in the Free Church Tradition (1959) من الدراسـات التى اهتمت بنمو الشكل البيروقـراطى للتنظيم • هـذا الاتجاه البيروقراطى موجود حتى فى الكنائس الحرة مثل كنائس Boptists وقد حلل هاريسـون العوامل الاجتماعيـة — مثل متطلبـات التدريس الرسمى لرجال الدين والتخصص فى التعليم الدينى وهكذا — التى جعلت

(22) Nottingham, E., *op. cit.*, P. 309.

نمو التنظيم البيروقراطى المركزى أمرا حتميا حتى فى الكنائس التى قامت تقاليدها تعارض السلطة المركزية أو سلطة الاوامر (٢٣) •

جـ) الدراسات الخاصة بالادوار الدينية :

تشير الدراسات الى أن الادوار الدينية الخاصة برجال الـــدين فى مختلف الاديان أصبحت أكثر تخصصية • بمعنى أن القرار قد يتخذه أى انسان ليكون قائدا أو رجل دين • هذا القرار ينظر اليه الان ليس على أنه دعـــوة Calling ولكن ما هـــو الا قرار انسانى لاتخـــاذ الدين مهنة له ، وكثير من الاديان الآن تعد اعضاءها لان ينالوا قسطا من التـــدريب لمقابلة متطلبات الدور الجديد • وبالرغم مما تعانيه هذه الدراســـات من نقص فى دور رجـــل الدين ، الا أن هناك العـــديد من الدراســـات التى حاولت تحليل تنظيم الهيئات الدينية مثل دراسات جلوك Glock اسكلار Sklare وكلوتزلى Kloetzli • هذه الدراسات وغيرها أشارت الى نقطة خطيرة وهى الضغوط المتصارعة والغموض الذى يكتنف الادوار الدينية ، والحاجة الى تغيرات فى هذه الادوار •

على أية حال ، هناك دراسات هامة تعتبر بدايات حقيقية فى هذا المجال مثل دراســـة فيشتر عن الدين كمهنة Religions as an occupation A study of the Sociology of Religious Professions (1961) كذلك دراسات فيليب هومند Philip E. Hammond عن The Campus Clergyman (1966) كذلك دراسات الاخت Marie Augusta Neal عن المجتمعات الدينية للمرأة الكاثوليكية • وأيضـــا الدراسة المسحيـــة

---

(23) Nottingham, E., *op. cit.*, P. 310.

لصموئيل بليزارد S. Blizzard عن القس البروتستانتى[٢٤]. ودراسة كل من Jerome F. Carlin وسول موندلفتس Saul R. Mendlovitz عن الحاخام اليهودى الامريكى[٢٥] . كل هذه الدراسات تكشف ليس فقط حيث يتاح لمن تجرى عليهم المقـابلة التعبير عن أفكارهم عن الدين وكيف تكشف عن أنه كما هو فى المهن الاخرى ، فان نفس الشخص قد يقوم بالعديد من الادوار المختلفة والتى قد تختلف فى شكلها ومحتواها حسب الموقف[٢٦].

د) **الدراسة الخاصة بالدين الشعبى** Popular Religion

كما يشير تشارلز جلوك Charles Y. Glock الى أن معظم الدراسات عن الدين لاتخبرنا كثيرا عن الدين بالنسبة للرجل العادى[٢٧]. ولهـذا اهتمت معظم الدراسات الحديثة فى الاديان بمحتوى الاعتقاد الدينى الشعبى طالما أنهم يعلمون عنه القليل . ولقد ظهر من دراسات كثـيرة أن ما يعتقده الكثير من عامة الشعب يختلف الى حد كبير عما تتمسك به الهيئات الدينيـــة .

ولقد ظهرت مشكلة كيفية الوصول الى مستوى الاعتقاد الشعبى .

---

(24) Blizzard, Samuel,"The Minister Dilemma", *Christian Century* 73 (April 25, 1956), PP. 508-510.

(25) Carlin, J., P., and Mendlovitz S. R., "The American Rabbi : A Religions Specialist Responds to loss of Authority", in M. sklare (ed.) *The Jews : social Patterns of cn American Group*. Glencoe, III. : Free Press, 1958, PP. 310-311.

(26) Nottingham, E., *op. cit*. PP. 310-311.

(27) Glock, C., Y., "The sociology of Religion", in Robert K. Merton and others (eds.) *Sociology Today* New York: Basic Books, 1959, Vol. I. P. 164.

ويمكن من ناحية أخرى التوصل ، الى ذلك عن طـريق مسح للاعتقـاد الدينى على مستوى المجتمع ككل على غرار مسوح الرأى العـام • وقد يعاب على استمارة البحث أو الجداول أنها لا تعطى معلومات كافية عن الجديد وغير المتوقع من المعلومات • وقد يقترح القيام بالمقابلة المتعمقة حيث يتاح لمن تجرى عليهم المقابلة التعبير عن أفكارهم عن الدين وكيف تطورت وتغيرت • ولاشك أن كل من الاستمارة والمقابلة يعاب عليهمـا الاعتماد على الاراء الشفهية التى قد تكون مناسبة فى موقف معين•

وقد حاول كل من لويس شنيدر Louis Schneider وسانفورد دوربنش Sanford M. Dornbusch فى كتابهما عن الدين الشعبى Popular Religion (1958) (٢٨) • استخدام طريقة تحليل المضمون Content analysis لاحسن الكتب الحديثـة المبـاعة • واعتبـر الباحثان دراستهما واحدة من الدراسات الخاصة بالثقافة الجمعية الدينية بمعنى أنها الثقافة الدينية للطبقة المتوسطة التى يدفع أفرادها من وقت لاخر مابين الثلاث والخمس دولارات لشراء كتاب دينى • وقـد اختير ستة وأربعين كتابا لهذا التحليل ، ومعظمها منشـور فى الفترة ما بين ١٩٤٠ ـــ ١٩٥٠ • وقد وجد الباحثان أن محتوى هـذا الدين الشعبى مؤسس على الطائفية ، ويعطى انتباها ضئيـلا للمبادىء اللاهوتية أو لصدق أو لكذب الاعتقادات الدينية الخاصة • فالدين هنا ينظر الى الاله على أنه اله الخير وليس بالاله الذى يجازى الانسان على أفعاله • أنـه الدين الذى يعطى العلاج لكل مشاكل ، وقلق ، وتفاؤل ، وفردية الطبقة الوسطى • وقـد تحول التأكيد الدينـى من الاعتقـاد وليس الصـدق الى النفع Useful (٢٩)•

---

(28) Schneider,Louis, and Sanford M.Dornbusch, *Popular Religion*. Inspirational Books in Amirca, Chicago : University of Chicago Press, 1958.

(29) Nottingham, E., *op. cit.*, PP. 312-313.

٨ ـ خـــاتمة :

ان مجالات البحث التى أشرنا اليها ، لا تشكل فى الحقيقة برنامج بحث منظم ، لان قائمة المشاكل يمكن أن تشتمل على المزيد ، ولان العديد من المشاكل التى أثرناها مرتبط بشدة مع مشاكل أخرى لم نشر اليها . وقبل كل شىء فان هناك حاجة لتطوير فروض قابلة للاختبـــار فى كل من تلك المجالات ولعل المشـــاكل التى أشرنا الى بعضها تعبر بوضـــوح عن الامكانيات والاهمية الخاصة للدراسات السوسيولوجية عن الدين ، كما أنها تشير الى الخطوات الضرورية لتحسين فهمنا للظواهر الدينية،بمعنى أن نكون أكثر وعيا بالمشاكل المنهجية والتعاون مع العلماء الاخرين الذين يهتمون بالصيغ النظرية وبجمع المادة العـــــلمية والاستخدام الواسع لادوات البحث ومفاهيمه من مجالات أخرى مثل نظرية الشخصية ، علم اجتماع المعرفة ، نظريات الثقافة والتغير الثقافى ، دراسات البيروقراطية علم اجتماع الصراع ... الخ[1].

ولو أردنا ابراز المصادر الرئيسية لعلم الاجتماع الدينى المعـــاصر فاننا يمكن وضعها كما يلى :

أ) بعض الافتراضات النظرية ذات مجال واسع وتتميز بالطمـــوح، وربما تتميز هذه الفروض الاكثر طموحا بأنها قائمة ومستمدة من معلومات قليلة ولهذا فمن الافضل التعامل مع نظريات من نوع (المجال المتوسط).

---

(1) Yinger, J., M., *Sociology Looks at Religion op. cit.* PP. 164-165.

ب) يحتوى تاريخ الكنيسة وتاريخ الاديان الاخرى على بيـــانات تفسيرية لو أعيد صياغتها وتنظيمها فانه يمكننا استخدامها كفروض ،وقد أشرنا فيما سبق الى الصعوبات المتضمنة فى اقامة علم أمبريقى عــلى بيانات تاريخية .

جـ) هناك تراكمات هائلة من الحقائق بالاضافة الى تاريخ الكنيسة مثل البيانات الخاصة بالعضوية فى الكنيسة ، الطبقات التى ينتمى اليها الاعضاء ، الاختلافات الطائفية ، الحركات الاجتماعية الحديثة . وطالما أن كثيرا من هذه البيانات قد جمع دون الاشارة الى مشاكل نظرية محددة فهى تعد أقل نفعا بالنسبة للاستخدام السوسيولوجي .

د) توجد بيانات أنثروبولوجيـــة مكثفة غالبـــا ما ترتبط بنظــريات وتفسيرات عامة . وهى نادرا ما تحتوى على فروض قابلة للاختبـــــار ولكنها غنية بلمحاتها الموجهة .

هـ) هناك قليل من المفاهيم السوسيولوجية المحددة والتصنيفات التى ثبت فائدتها فى تفسير مجالات ضيقة من البيانات .

و) ان ظهور نظرية عامة للشخصية والمجتمع والثقافة وتطبيقها فى مجال علم الاجتماع الدينى ، سوف يساعد ، بلا شك ، عــلى تهــذيب الفروض المستخدمة وتصنيف البيانات المتاحة من خلال اطار مرجعى جـــــديد .

ز) وأخـــيرا يجب أن يكون لدينا بعض الدراســـات التى تحـــاول استخدام المصادر السابقة والمصادر الاخرى لنشير بوضوح الى امكانية وأهمية علم اجتماع دينى مناسب .

الفصل السادس

المدخل البنائى الوظيفى في دراسة الدين

المدخل البنائى الوظيفى في دراسة الدين

١ ـــ تمهيــــــد •

٢ ـــ المدخل البنائى الوظيفى فى دراسة الدين •

٣ ـــ استخدامات التحليل البنائى الوظيفى فى دراسة الدين •

أ) دور كيم : الدين ومشكلة التكامل الاجتماعى •

ب) ماركس : الدين كباعث للوعى الطبقى •

جـ) فرويد : الدين كبديل للاحباطات النفسية •

د) ينجر : الدين والحاجة الى القيم المطلقة •

هـ) برجرولكمان : الدين ومشكلة المعنى •

و) أودى : الدين ومشكلة التسامى بالتجربة اليومية •

٤ ـــ خاتمة : تعديلات على المدخل البنائى الوظيفى •

أ) الوظائف البديلة •

ب) الوظائف الظاهرة والكامنة •

جـ) الوظائف الايجابية والسلبية •

١ ـ تمهيـــد :

سبق أن أشرنا ، أن اهتمام عالم الاجتمـاع بالدين ، هو اهتمـام « بالوظائف » التى يقوم بها الدين فى المجتمعـات الانسانية • ويشـير مصطلح « وظيفة » Function الى الاسهامات التى يقوم بها الدين ــ مثله فى ذلك مثل أى نظام اجتماعى آخر ــ فى الحفاظ على اسـتمرارية المجتمعات الانسانية • وانطلاقا من هذا الفهم لوظيفة الدين ، فان اهتمام علماء الاجتماع بالدين يتركز بشكل أساسى فى تحليل الانواع المختلفـة من التنظيم الدينى بما يحتويه من أنماط متنوعة من القيـادة والتبعية • كذلك فان دراسة التداخـل بين الانظمة الدينية والانظمة الاجتماعيـة الاخرى فى المجتمعات الانسانية ــ هـو أحد المجالات الرئيسـية التى يهتم بها عالم الاجتماع فى تحليله للظاهرة الدينية •

وأخـيرا فان علمـاء الاجتماع يعطون أهميـة خاصة لتحليل بعض السمات الرئيسية فى تنظيم دينى معين وذلك من أجل فهم وتحليل الاتفاق والاختلاف بين الثقافة الدينية وما هو متفق عليه على أنه الثقافة العـامة فى مثل هذا النوع من المجتمعات وقبـل أن نعرض بشىء من التحليل كيف ترتبط شكل ووظائف الدين بأشكال المجتمعات ، فانه من الضرورى التقديم بتحليل نقدى للمدخل البنائى الوظيفى فى دراسة الدين •

٢ ـ المدخل البنائى الوظيفى في الدين Structural Functionalism

يميل معظم علماء الاجتمــاع الى تبنى المدخل البنــائى الوظيفى فى تحليلهم للدين ، ولعل ذلك راجعا الى أن هذا المدخل فضــلا عن كونه من أوائل المداخــل النظرية المستخدمة فى دراسة الظاهرة الدينيــة ، الا أنه يتميز أيضا بالوضــوح والشمول ، ولعل الاختــلاف الرئيسى بين هــذا المدخل والمداخل الاخرى ، كما يشير ولاس Anthony F. C. Wallace بحق ، يرجع الى أن هذا المدخل يتميز بالشمول فى دراسة التداخــل بين الدين والمجتمــع[(١)] •

وانطلاقا من هذا الفهم ، فان المدخل البنائى الوظيفى ليس بأى حال نظرية خاصة داخل علم الاجتماع ، ولكنه ببساطة توجيه نظرى خــاص كاتجــاه معارض ضــد الاحــكام الذاتيــة لبعض علمــاء الاجتمــاع والانثروبولوجيا ، كذلك يمثل هذا المدخل تحولا عن الاهتمام الوصــفى بالظواهــر الثقافية والاجتماعيــة • وبالرغم مما يثيره المدخــل البنائى الوظيفى من صعوبات فى التطبيق الا أن ديفيــز Kingsley Davis يشير الى أنه بالرغم من مثل هــذه الصعوبات ، الا أن علماء الاجتمــاع يمكنهم تبنى مثل هذا المدخل مع اسقاط بعض المصطلحات المتصلة به[(٢)] •

---

(1) Wallace, Anthony, F., *Religion : An Anthropological View* (New York : Random House, 1966). PP. 3-5.

انظـــر :

O'dea T., *The Sociology of Religion, op. cit.*, PP. 1-81.

(٢) أنظـــر :

Davis, Kingsley., "Myth of Functional Analysis as a Special Method in Sociology and Anthrodology," *A.S.R.* 24 (December 1954.), PP. 757-772.

وينظر المدخل البنائى الوظيفى الى المجموعات الانسانية علــى أنها أنساق مكتفية بذاتها وتحافظ على وجــودها من منطلق الحاجة • هــذا الافتــراض يقتضى أن الانساق الاجتماعيــة ينبغى أن تتضــمن بعض العناصر الرئيسية من أجل استمرارها • وقد ينظر عموما الى الدين على أنه أحد هذه المتطلبات الرئيسية لاستمرارية النسق الاجتماعى فالحاجات الرئيسية للنسق الاجتماعى مثل الطعام ، الانتاج ، الامن ، ••• الــخ • هذه الحاجات تشبع من خلال تداخــل البناءات النظامية للمجتمــع ، من خلال الاسرة ، الحكومة والدين والانظمة الاجتماعية الاخرى • بكلمات أخرى ، فان هذه النظريات ــ خاصة نظريات مالينوفسكى Malinowski ورادكليف براون Radcliffe-Brown [٣] وبندكت Benedict وبارسونز Parsons ــ ترى أن حاجات النسق الاجتماعى تنبثق من ظروف الوجود الاجتماعى للانسان ، ومن ثم تتبــع هذه الحاجات هــو

---

(٣) لعل رادكليف براون من أهم من أكدوا على الاهتمــام بالوظيفــة الاجتماعية للدين ففى كتابه **البناء والوظيفة فى المجتمع البدائى** يشير بوضوح الى أن (هناك طريقة أخرى لدراسة الدين ، وهى النظر الى أى دين على انــه جزء هام وأساسى فى العملية الاجتماعية ، وبمعنى آخر الدين جزء من نســق مركب من خلاله يستطيع الناس العيش معا وبنظام ثابت للعلاقات الاجتماعيــة. ومن خلال وجهة النظر هذه ، فاننا لا ننظر الى أصول Origins الاديان ولكن نهتم بالوظائف الاجتماعية social functions لها ، أى اســهامات الاديان فى تشكيل واستمرار النظام الاجتماعى • وهناك من يذهبــون الى أن الدين الصادق true فقط هو الذى يساعد عى تشكيل الحياة الاجتماعيــة المنظمة • ولكن الغرض الذى نتبناه هنا هو أن الوظيفة الاجتماعية للدين مستقلة عن صدق أو كذب الدين • فالدين يمكن أن يكون خطأ بالنسبة لنا ، مثل أديان القبائل الهمجية ، ويكون عنصرا هاما للعملية الاجتماعية فى تلك المجتمعات ، وبدون هذه الاديان (الكاذبة) فان التغير الاجتماعى للحضارة الحديثة يعد امرا مستحيلا) •

Radcliffe-Brown, A. R., *op. cit.*, P. 154.

الذى يوصلنا الى فكرة الوظيفة التى يجب أن تؤدى من أجل استمرار النظام • والدين مثل أى نظام اجتماعى آخر يؤدى وظائف ضرورية فى الحفاظ على بقاء المجتمع[٤] •

على أية حال ، من أجل فهم أفضل للمدخل الوظيفى يجب أن نوضح بشىء من التفصيل بعض المتطلبات التى ينظـر اليها على أنها العنـاصر الرئيسية فى المجتمعات الانسانية ، كذلك يجب أن نوضح طبيعة اسهامات الدين فى الحفـاظ عليها • فان معظـم المجتمعـات تعتمـد فى بقائهـا على التوقع المستمر لاعضائها بأنهم سوف يتحررون من بعض الالتزامات المعترف بها والمعروفة ، أكثر من هـذا فان عدم وجود اتفاق عام حـول طبيعة ومحتوى هذه الالتزامات الاجتماعية ، وفى وجود نظـام للثواب والعقاب لتدعيم قيامهم بهذا ، فان المجتمعات الانسانية تصبح عرضـة للتفتيت ، ومن ثم تكون هناك ضرورة ملحة لوجود درجة معينة من الاتفاق العام أو الاجماع Consensus حول طبيعة هذه الالتزامات الحاسمة ، وكذلك وجود سلطة قوية تلزم الافراد والجماعات بالقيـام بها • ولكن كيف يحصل هذا الاتفـاق ؟ أو بمعنى أصح ، كيف يتنازل الافـراد عن مصالحهم ذات الطبيعة المحدودة من أجل المجتمع ككل ؟

وهناك اعتقاد سائد بأن الدين له دور أساسى فى تعزيز الاتفاق حول

---

(٤) تحدد الن استر Allen W. Eister أهداف النسـق على أنهـا :
١ ـ البقاء Survival ـ الحفاظ على التجانس maintenance of homeostasis
أو التوازن الدينامى dynamic equilibrium داخل النسق • أنظر :
Eister, Allen, W., "Religions Institutions in Complex Societies : Difficulties in the Theoratic Specification of Functions", *A.S.R.* 22 (August 1975) No. 4 PP. 307-391.

طبيعة ومحتوى الالتزامات الاجتماعية ، وذلك عن طريق تزويد المجتمــع بالقيم التى تشكل اتجاهات أعضاء المجتمــع وتحدد لهم محتوى هــذه الالتزامات • فالدين فى هذا ينظر اليه على أنه مساعد لخلق أنساق مــن القيم الاجتماعية ، والتى لها صفة التكامل والتماســك • وفى مثل هــذا النوع من الهرم القيمى نجد أن الدين يحدد ما هى القيم المطلقة ويضــع فى نسق متكامل القيم السلبية التى تبدو وكأن ليس لها معنى أو أهمية • واتجاهات الافراد نحو القيم هى اتجاههم نحو موضوعات قد تتدرج من أشياء مادية بحته مثل النقود أو الارض الى أشياء مجردة مثل الاله أو طريقة تلبية الالتزامات الاجتماعية مثل احتــرام الوالدين أو الصــدقة والاحســان • • • الــخ •

ثانيا : يعتقد الكثير من علماء الاجتماع فى أن الدين يلعب دورا هاما فى خلق القوة الملزمة التى تضمن وتعضد العادات ، فالمقاييس المثــالية للسلوك أو مايسمى بما ينبغى أن يكون Ought to be والتى غالبا ماتكون متضمنة فى القيم الاجتماعيــة ، وهى غــالبا مايشير اليه علمــاء الاجتماع على أنها المعايير norms ويعمل وجود هذه المعايير عــلى توجيه السلوك نحو تصديقها ، ولهذا نجد أن الناس عندما يسلكون طبقا لهذه المعايير يشعرون دائما أنهم يفعلون ماهو طبيعى • وقبول هــــذه المعايير يقتضى وجود نظام للثواب والعقاب وذلك للطبيعة النفسيةللانسان الذى يرغب فى المكافأة عندما يقوم بأعمال تتفق مع هذه المعايير ويتوقع العقاب عندما يخرج عنها • ولا شك أنه عندما تكون هذه المعايير مستمدة من اطار الدين فانها أيضا تكون مدعمة بنظام جزائى يتصف بأن له قوة أخرى مستمدة من عالم الاخرة حيث الثواب أو العقاب الاخروى •

نخلص مما سبق ، أن أى مجتمع لا يمكن أن يبقى ويستمر الا اذا كان

هناك درجة أدنى من الاتفاق أو الاجماع بين أعضائه ، وأن الدين بقيامه بدوره كمسئول عن التكامل القيمي والضبط الاجتماعي ، لا شـك هـو مساعد رئيسى فى ضمان مثل هذا الاجماع(٥).

(5) Nottingham E., K., *op. cit.*, PP. 55-60.

٣ ـ استخدامات التحليل البنائى الوظيفى في دراسة الدين :

أ) دوركيم : الدين ومشكلة التكامل الاجتماعى

يدين المدخل الوظيفي بالكثير الى أعمال عديد من علماء الاجتماع خاصة ماكس فيبر M. Weber واميل دوركيم E. Durkheim خاصة فى التأكيد على الوظائف الاجتماعية الضبطية والتكاملية للدين • ولعل اسهامات فيبر تكمن فى تحليله الوظيفى للدين وذلك بتأكيده على قدرة الدين الخلاقة والبناءة فى تزكية كل من التغير والصراع الاجتماعى • ولاشك أن تحليل دوركيم كان مركزا حول الوظائف الجمعية التى يقوم بها الدين • ففى الاشكال الاولية للحياة الدينية حاول دوركيم أن يبين بوضوح التفاعل بين القيم الاجتماعية والمعايير والقيم الاعتيادى بالالتزامات الاجتماعية والاخلاقية لمعظم أعضاء المجتمعات الانسانية[1] • وكما أشرنا فان دور كيم اعتقد أن أهم وظيفة للمقدس هو قدرته على استحضار الخشوع أو الخضوع الذى بدوره يتضمن قوة ملزمة فوق سلوك الفرد ولها فاعلية فى تعضيد القيم الاخلاقية لاعضاء هذا المجتمع • وبالرغم من الانتقادات التى وجهت الى ماذهب اليه دوركيم من أن كل الموضوعات أو الوحدات التى ينسبها الناس للمقدس هى فى حقيقتها رموز Symbols للجماعة الانسانية نفسها ، الا أنه يمكن القول أن الجانب الوظيفى لفرضه مازال قائما ، وهو الطبيعة الاخلاقية التى يمارسها المجتمع على سلوك أعضائه[2] •

---

(1) Durkheim, E., *The Elementary Forms of Religious Life, op. cit.*, PP. 236-245.

(2) *Ibid.*, P. 237

والحق أن هناك كثير من العلماء الذين حاولوا اعادة تأكيد وجهة نظر دور كيم حول الوظيفة الاجتماعية للدين فى حفظ واستمرار المجتمع • فالدين ، كما يزعمون ، يعمل وظيفيا من أجل التماسك والتضامن الاجتماعى • وعلى الطرف الاخر ، هناك أيضا من انتقدوا وجهة نظر دوركيم على أساس أنها لاتصلح للمجتمعات الحديثة والمعقدة • وسوف نحاول هنا فحص بعض هذه النظريات خاصة فى أعمال العلماء الامريكان من أمثال ينجر Yinger وأودى O'dea وبرجر Berger ولكمان Luckmann بالمقارنة مع وجهة نظر كل من ماكس Marx ، وفرويد Freud • فجميع هؤلاء يؤكدون بطريقة أو بأخرى على ضرورة وظيفة الدين فى المجتمعات الانسانية • فاذا كان دوركيم قد أكد الوظيفة التكاملية والتضامنية للدين ، وكيف أن المجتمع يؤكد ذاته بطريقة رمزية من خلال الاتجاهات والشعائر الجمعية فان هناك العديد من العلماء الذين حاولوا تحديد وظائف مختلفة للدين فى النسق الاجتماعى • رادكليف براون ، مثلا ، أكد على أن الشعائر عندما ترتبط بالعقيدة تكون هى المؤثرة على السلوك الانسانى كذلك ماكس فيبر حاول أيضا ايجاد «علاقة علية» بين الدين والانساق الاجتماعية الاخرى ، خاصة النسق الاقتصادى • فالدين بالنسبة لفيبر ، يعنى اجابة مطلقة لمشاكل المعنى المتعلقة بالمصير الانسانى مثل مسائل الخير والشر والاخلاق والخوف والمعاناة ••• الخ وبهذا فان الدين ، كما يذهب فيبر يدخل من خلال تنظيماته فى علاقة علية لتحديد أشكال واتجاهات الفعل الاجتماعى فى الكثير من الانشطة الانسانية •

ب) ماركس : الدين كباعث للوعى الطبقى

لقد حاول كل من كارل ماركس وسجمند فرويد الكشف عن مصدر

الالتزام بالقوى المقدسة الكامنة فى جوهر الدين • وعامة فقــد وجــده ماركس فى عدم المساواة الاجتماعية ، أما فرويد فقد نسبه الى ماأسماه النمط الاجتماعى البيولوجى للاسرة الانسانية •

والحق أن ماركس لم يكن مهتما أصلا بالدين ، ونجد فقط اشــارة عامة فى أعماله للدين[٣]• ولكن ماركس قد وضع اطارا فكريا استخدمه انجلز Engels فيما بعد ، فى تحليله لجــوانب معينة من التــاريخ الدينى • فقد كتب انجلز عن المسيحية المبكرة[٤] والبناء الاجتماعى الذى تمت فيه ، كذلك كتب عن الجوانب الدينية لحرب الفــلاحين الالمان فى القرن السادس عشر[٥] كذلك عن اللاتدين بين طبقة العمال البريطانيين فى القرن التاسع عشر[٦]•

وكما ترى اسكارف B. R. Scharf فان نظرية ماركس عن الدين هى جزء من نظريته العامة عن الاغتراب alienation [٧] فكما يدعى ماركس فان الناس فى حياتهم معا يخلقون منتجات اجتماعية ، والتى قد تكون موضوعات مادية مثل الطعام والمساكن ، وقد تكون منتجات لامادية مثل بناء القواعد الاجتماعية والعلم والدين • وطالما أن هــؤلاء النــاس مقسمين الى طبقات متصارعة ، مثلما كانوا فى الشيوعية البدائية ، فان هذه المنتجات الاجتماعية يعترف بها بينهم وينجذبون نحوها ولها القدرة

---

(3) Marx-Engels, *Anthology on Religion,* 1958.

(4) Engels, F., ,"On the History of Early Christianity" Die Neue Zeit, Vol. 1. 1894.

(5) Engels, F., *The peasant war in Germany*, 1927.

(6) Engels, F., *State of the Working Class in England* 1844, 1958.

(7) Scharf, B., R., *op. cit.*, P. 83.

على اعادة جذبهم نحوها • ولكن بمجرد ظهور التقسيم الطبقى ، والذى أخذ أول شكل له فى مجتمع السادة والعبيد ، فاننا نجد ظهور الاغتراب أى أن الانسان بدأ ينظر الى المنتجات الخاصة بمجتمعه كجزء من واقع خارج عنه ، ولا يمكنه التحكم فيه ولا يملك الا الاستسلام له • وفى استسلامه هذا ، سواء كان لفقدانه التحكم والضبط على البضائع المادية التي ساعد على خلقها هو نفسه ، أو للنظام السياسى أو للاوامر الدينية، تقول بأن الانسان بهذا يفقـد انسانيته الحقيقية ، كذلك يفقد الاتصـال بالعالم الحقيقى لانه يمكنه فقط فهم العالم بالامساك به ومحاولة ضبطه والاعتقاد الدينى كما يرى ماركس ، هو تقبل اعتقاد خاص ونظام خاص للسلوك كأشياء صادقة مطلقة ونهائية ، هذا الاعتقاد الدينى غالبا مايكون مماثلا مع الطبقة المستغلة أكثر من مستغليهم وهـذا راجع الى عـدم استحواذهم على الملكية ومن ثم عدم التحكم فى ظروف حياتهم وهـذا ينعكس في استسلامهم الدينى ، فاعتقادهم يشرع ويبرر لهـم النظام الاقتصادى والسياسى الذى يجعلهم دائما فى حالة خضـوع ويقدم لهم التعـويض السيكولوجى لحرمانهم من الخياليات الخـاصة بالحيـاة الاخـــرة(٨).

ولم يبين لنا ماركس وانجلز لماذا يكون اغتراب الطبقة الحاكمة فى فترة معينة له طابع دينى ؟ ولماذا يعتقدون مثل محكوميهم بأن النظـام الاجتماعى الذى يفرضوه من صنع الاله وليس من صنع الانسان ؟ وقد تكون الاجابة رفض القول بأن الطبقة الحاكمة متدينة حقا ، فهى ترى فى الدين الذى تمارسه ما يحقق الاحتفاظ بالعقيـدة حية فى الانظمة أو

---

(8) Scharf, B., R., *op. cit.*, PP. 83-84.

الطبقات السفلى • ولعل التاريخ يعطينا المثل ليبين أن الحكام قد اعترفوا بعقيدتهم لتكون وسيلة لحفظ نظام اجتماعى غير متوازن ، ومن خداعهم للاخرين فهم بمنأى عن الخداع • ومع هذا فانه فى بعض الاوقات نجد أن الطبقات الحاكمة قد تكون هى نفسها مغتربة،ففى محاولتهم الاحتفاظ بوضع متميز قد يكونوا متأثرين بتصوراتهم الخاطئة عن قدرات الانسان ويعتقدوا أن النظام الاجتماعى يعتمد على سلطة مقدسة غير قابلة للمناقشة • وأخيرا يذهب ماركس الى أن المجتمعات البدائية والمجتمعات الطبقية كانت متدينة ، ويفسر ماركس مصدر هذه الاديان البدائية بجهل البدائيين بالعمليات الطبيعية والمشاعر الناتجة عن التبعية والخوف من القوى الطبيعية • وبينما سوف يستمر هذا الجهل بأى درجة ، فهناك مناسبات تكون فيها الحاجة الى تأليه واسترضاء القوى الطبيعية غالبة ، وهذا يؤدى الى احياء وجهة النظر الدينية بين كل الطبقات • والحق أن ماركس لم يعط اهتماما للاعتقاد الدينى الناجم عن التبعية أو عدم التحكم فى القوى الطبيعية ، طالما أن التقدم العلمى سوف يقضى على مصدر هذا الاعتقاد(٩)•

والاعتقاد فى الدين المؤازر لمجتمع طبقى كان واضحا فى الدليل على التكيف فى وجه الظلم • وعندما يتحول هذا التكيف الى شعور طبقى ويتخذ النضال ضد الطبقة الظالمة شكلا جديدا لا يرفض الدين كلية ولكن يحاول بناء نسقا جديدا حيث تنقلب القيم القديمة رأسا على عقب • ويذهب انجلز الى البروليتاريا الحضرية فى الامبراطورية الرومانية قد تبنت دين المسيحية الجديد كدين معارض لملاك العبيد وأتباعهم

(9) Scharf, B., R., *op. cit.*, P. 48.

السياسيين ، الامبراطور وادارته • وفى حرب الفلاحين ، فاننـا نجـد الفلاحين الالمان حاولوا تحويل الاعتراض الذى قاده لوثر ضد البابوية وفسادها الدنيوى الى هجوم يسانده الدين ضد النبلاء الاقطاعيين الذين يستغلونهم ولا يعنى هذا ان الاغتراب قد يختفى كلية بعد ظهور أديان الاعتراض ، ذلك لان الذين ينضمون اليهم مازالوا يعتقدون فى نظـام الهى للمجتمع ليس من صنع الانسان • ولكن هـؤلاء يصرون على أن مايطلق عليه الحكام نظاما الهيا ليس فى الحقيقة الا عملا من أعمـال الشيطان أو الرجال الاشرار الذين يحرفون كلمات الله من أجل اشبـاع رغباتهم فى الثروة والقوة • هؤلاء الان يؤكدون حقهم فى تفسير كلمات الله ، وهذا اعادة توكيد لقدرة القوى الانسانية على اعادة خلق المجتمع وقد يرى الماركسىبصيصا لمثل هذا التأكيد فى قدرة الانسان ، حتى فى الفرق التى تمارس انسحابا من المجتمع أو التى تعتقد فى وسائل روحية أو فوق عضوية للتغير ، فالتغير الدينى للثورة قد ينظر اليه على أنـه النذير بوجود حركة سياسية لا دينية • وفى حالة المجتمع الرأسمـالى فان بعض كتاب الماركسية يحاولون تفسير أى حركة دينية يوتبيـة بين الطبقات العاملة على أنها انبهار بالدين التقليدى ومن ثم فهى علامة على أن الشعور الطبقى قد أوقظ • ولا يعنى فشل هذه الحركات اليوتبيـة انهاء المشكلة ، فسوف يتبع ذلك محاولات أخرى للهجوم عـلى هـذه الانساق التقليدية ، ومن خـلال المحاولة والخطأ ، فان التحليل الصحيح لوضعهم سوف يتحقق فى النهاية[١٠] وقد يعترض على هذا ، بأن اتبـاع

---

(١٠) يجدر الاشارة هنا الىأن الماركسيين المشتركين فىالحوار الكاثوليكى الماركسى فى فرنسا ، يرحبون ويؤكدون المبادىء الكاثوليكية التى تركز عـلى المسئولية والخلق الانسانى ، فهم غير مهتمين بالمبدأ الاجتماعى الكاثوليكى =

ماركس المعاصرين قد ذهبوا الى أبعد مما نادى به ماركس فى تصورهم لوجهة النظر الخاصة بأن اليوتبية الدينية تمثل بداية رفض الاغتراب ، والحق أن نقد ماركس المرير للاشتراكية اليوتبية ، وكذلك نقد فولش للفرق الدينية ونقد الماركسيين الفرنسيين للجناح اليسارى فى الكاثوليكية — كل هذا يرفض التفسير الجديد لدور الحركات الدينية اليوتوبية كبديل ثورى للاغتراب[11].

وماهو معروف أن ماركس وانجلز لم يخبرا الا المجتمع الانجليزى فى القرن التاسع عشر والذى تميز بوجود منظم للبروليتاريا ، فقد رأيا أن هذه البروليتاريا غير مكترثة بالدين المنظم سواء كان متخذا شكل الفرقة أم الكنيسة . وفى هذا الصدد يكتب انجلز : «بالرغم من أن العمال الانجليز رفضوا الدين فى الممارسة بدون فكر واع ، الا أنهم يتراجعون عن الاعتراف المباشر بفقدانهم للعقيدة . ولعل الحاجة الضرورية هى التى سوف تجبرهم على التخلى عن اعتقاداتهم الدينية. فسوف يدركون شيئا فشيئا أن هذه الاعتقادات تعمل فقط على اضعاف البروليتاريا وتحافظ على جعلهم مطيعين ومخلصين لمصاصى الدماء الرأسماليين »[12] .

= لتقييد القوى الرأسمالية التى تعد ضرورية اذا ما أرادوا ايجاد نظام اجتماعى مسيحى .

أنظر :

Garoudg, R., *From Anathema to Dialogue-the Challenge of Marxist-Christian Co-operation*, 1967.

(11) Scharf, B., R., *op. cit.*, P. 85.

(12) Engels, F., *State of the Working Class, op. cit.*, P. 270.

ويتفق كثير من الملاحظين على ماذهب اليه انجلز ، خاصة وأن الكثير منهم من البلاد الصناعية التى شهدت اضمحـــــلال الاعتقاد المسيحى التقليدى دون ظهور أى أشكال فرقية لتحل محله • وهذا ما حـــدث على سبيل المثال فى البلاد البروتستانتية مثل السويد والنرويج والمانيا، وفى البلاد الكاثوليكية مثل فرنسا وايطاليا • وبالنسبة للتحليل الماركسى فان هذا التراجع عن الدين هو علاقة لنمو الوعى الطبقى الثورى • ولــكن الحقيقة أن النتائج المصاحبة له على الجهة الصناعية والسياسية قـــد تنوعت بشكل ملحوظ،ففى فرنسا وايطاليا كان عدد كبير من أفراد الطبقة العاملة أعضاء فى الحزب الشيوعى وهذا ما أدى الى الاتحادات التجارية ولكن فى البلاد الاسكندنافية وفى انجلترا فان حركة العمال قد تطورت بقوة ولكن ليس فى شكل ثورى ، ففى كل من المجتمعات البروتستانتية والكاثوليكية نجد أن الانسحاب من الدين التقليدى أمتد أبعد من جماعة المنتمين الى الاشتراكية أو الشيوعية • أكثر من هذا فان بعض البــلاد الصناعية مثل أمريكا وهولندا وبلجيكا قد أظهرت استمرارا على مستوى عال من الممارسات الدينية مع اختلافات ضئيلة بين الطبقة الوسطى فى هذه الممارســــات •

وهـــذا يعنى أنه ليس بالضرورة أن يكون الاعتقـــاد الدينى عـــلامة للقبول الكلى أو للعصيان ضد النظام الاجتماعى • وهذا التعقيد يمكن توقعه لو أخذنا فى الحسبان العلاقات المتنوعة بين كل من النظام الدينى والسياسى والاقتصادى فى الاجزاء المختلفة من العالم الرأسمالى فقــد يلعب الدين دورا مختلفا حسب طبيعة المجتمع ، كذلك قد يستخـــدمونه البرجوازيون فى مجتمع والعمال أو الفلاحون فى مجتمع أخر • والحق أن استمرار الممارسات الدينية فى الولايات المتحـــدة الامريكية وانجلترا

وهولندا يشكل صعوبة للتفسير الماركسى الخاص بأن تقدم العلم وانتشار التفكير العلمي سوف يؤدي الى ابعاد تأثير الدين خاصة فيما يتعلق بالخوف من القوى الطبيعية غير المفهومة وهذا يخالف ما توقعه ماركس وأنجلز ، ففى هذه المجتمعات مازالت الممارسات الدينية التقليدية مستمرة(١٣).

ويمكننا الان أن نلخص النظرية الماركسية لوظائف اندين بقولنا أن الدين شيء ضرورى لكل المجتمعات المقسمة الى طبقات،أى كل المجتمعات التى وجدت بعد انهاء حالة الشيوعية البدائية . فوظيفة الدين الرئيسية فى هذه المجتمعات ، كما تعتقد النظرة الماركسية ، هى تقوية البناءات الاجتماعية لهذه الطبقات ، أما وظيفته الثانوية فهى فى التغيير وبعث أول منشط للنقد وعدم الرضا بين المظلومين . ولكن جميع الاديان ، حسب نظرة الماركسية ، تمثيلات زائفة للحقيقة ، لانها لاتقدر القوى الانسانية فى الخلق ، فالاديان لا يمكن أن تعمل كموصلات للثورات الاجتماعية فى المجتمع اللاطبقى ، كما تقترح الماركسية تطوير بعض الشعائر الدينية(١٤) ولكن هذا لا يعنى بدايات دين جديد لانها لا تمثل

(13) Scharf, B., R., *op. cit.*, P. 87.

(١٤) لعل الاختلاف الدينى بين نظرة ماركس وكونت للشعائر فى مجتمع المستقبل تكمن فى أن ماركس يرى أن الكل يشارك فى الخلق الجديد ، وكلهم احرار فى التغير واعادة الخلق ، فان الشعيرة لا يمكن أن تكون اكثر من احتفال بهذه الحرية والتغير ، ولا يمكن أن تكون الشعيرة اداة لاى شيء آخر . بينما يرى كونت انه طالما ان عالم الاجتماع يستطيع أن يحفظ المجتمع الجديد على أساس متوازن ، فان الشعيرة تصبح أداة رئيسية من خلالها يحقق المجتمع الاجماع والاتفاق .

Ibid.

استسلاما لاى نوع من السلطة غير القابلة للمناقشة • واكنها تعبر عن الانجاز الانسانى والمسئولية الانسانية • وهكذا فان التحليل الــوظيفى للدين ينظر الى الشعارات الشيوعية كبدائل وظيفية للدين ، بينمـا ترى الماركسية أن المجتمع الشيوعى بتعريفه ، ليس لديه بدائل وظيفية ، لان الاغتراب قد زال •

جـ) فرويد : الدين كبديل للاحباطات النفسية •

ويمكن مقارنة فكرة ماركس التفـــاؤلية للمستقبل بنظرية فرويـــد التشاؤمية بالنسبة للدين • ولقد كتب فرويد العديد من المؤلفات التى احتوت نظريته فى الدين(١٥) ولقد حاول الكثير من الكتاب تفسير الاديان خاصة المسيحية من خلال المنظور الفرويدى(١٦)•

بالرغم من أن نظرية فرويد قـــائمة على تعميمات أنثروبولوجيـــة مستمدة من فريزر Totemism and Exogamy ، وكذلك من تأمـــلات

(١٥) أنظـــر :

Freud, S., *Totem and Taboo,* Trans. by A.A. Brill, N. Y : Moffat, Yard & Co. 1918.

.................., *Future of an Illusion*. Trans, by W. D. Robson Scott, N. Y., : Horace Liveright and the Institute of Psycho-Analysis, 1928.

.................., *Moses and Monotheism*. Trans. by Katherine Jones. New York : Vintage Books, 1955.

(١٦) أنظـــر أعمال :

Pfister, O., *Christianity and Fear,* 1948.

Lee, R., E., *Freud and Christianty,* 1948.

Fromm, E., *Psycho-Analysis and Religion*: New Haven Conn: Yale University Press, 1950.

.................., *The Dogma of Christ,* 1963.

خاصة عن الاشكال الاولى للمجتمع الانساني ، بالاضافة الى الدعـوى التى ترفضها البيولوجيا الان بأن هناك ذاكـــرة عنصرية متوارثة فى الانسان ، فان ما هو جدير بالفحص هنا هو أن فرويد قد طور نظرية من أفكار استمدت أصلا من ملاحظاته فى عيادته النفسية والخاصة بشأن، كيف ينمو الطفل ويصير عضوا فى مجتمعه لقد بات فرويد مقتنعـا من الحالات الاكلينيكية التى كان يعالجها بأن كل طفل ذكر يطور حتما شعورا قويا متكافئا نحو والده ، أى أنه يشعر بالحب والكراهية ، بالاعجـاب والخوف يؤمن به كمصدر للحماية وكمصدر للتدمير فى الوقت نفســه• والشيء نفسه يحدث بالنسبة للطفل الانثى نحو أمها ، الا أن فرويد لم يعط اهتمـاما للاثار الاجتماعيـة لعقـدة الكتـرا Electra Complex على أية حال ، فان فرويد يعتقد أن حب الطفل الذكر لامه منذ البداية، حب استئثاري ومرتبط جنسيا ، ولهذا فهو يكره ويخاف والده كمنافس له فى حب أمه • ويتصور الطفل فى خيالاته أنه قتل والده من أجـــل الاستحواذ بمفرده على حب وانتباه أمه • الا أن هذا الخيال يسبب له الشعور بالذنب لانه أيضا يحب والده الذى يمثل الحمـاية والاشبـاع بالنسبة له • ونتيجة لذلك فان شعوره بالذنب يأخذ شكل التعبير عـن نفسه فى خيالات تمثل رغبة الاب فى الانتقام لنفسه ، ومن ثم يتصور الطفل أن الاب سوف يقتله أو يؤذيه • وعليه ، يقابل الطفل هذا العداء الابوى بالطاعة الاستسلامية طـالما أن الطفل يتميز عن والده ويتخـذه أيضا نموذجا ، فيظل هذا الشعور الدرامى بالذنب مسيطرا عـلى عقل الطفل • فصورة الاب تكبت وتصبح أساس الانا الاعلى ، والذى يعمل مثل الاب الخيالى فيعاقب الاعمال العدوانية وغير المطيعة ، وحتى رغبات الطفل يقابلها الاب بصرامة شديدة •

وفى الوقت نفســه تتطور فيـــه عقدة أوديب Oedipal Complex

يتلقى ويتعلم الطفل شيئا فشيئا عن العالم الحقيقى الخارجى • فهو يتعلم مبكرا كيف يميز نفسه عن بيئته ويجد تميزا ذاتيا عن الاشخاص الذين يتفاعل معهم ، هذه العملية التعليمية تتضمن عملية احباطية بمعنى أن الطفل يتعلم أن ليس كل رغباته مطلقة وأن الخوف قد لايكون واقعيا ويتعلم كذلك ، أن والديه ليس لهما سلطة مطلقة عليه، وأن عقابهما أو ثوابهما له ، ليس كما تصوره مسبقا • ويتعلم أيضا ، وبوجه خاص أن اسقاطاته عن والدته لرغبتها الغامرة فى عقابه لعداوته وغيرته ليست واقعية(17) •

هذا التعلم ، كما يذهب فرويد ، لا يكتمل ، ولايمس الشعور الاوديبى وتستمر الخيالات فى العقل الباطن • هذه الخيالات حول العدوان ، والذنب والعقاب أو الحب السعيد أو الاتحاد مع الام لاتتضح تدريجيا حتى بعد خبرة العلاقات الانسانية خارج نطاق الاسرة • هذه الخيالات كما يؤكد فرويد ، تبقى وفى مواقف خاصة بالتوتر أو استرجاع الذكريات القديمة ، فان هذه الخيالات تبرز من اللاشعور وتؤثر على شعوره نحو والده أو الاشخاص المماثلين للاب • والطريقة الوحيدة لمنع هذه الخيالات اللاشعورية هى التحليل الذى يتحكم فى تسرب محتويات اللاشعور ويساعد المريض ليدرك أن هذه الخيالات غير حقيقية • وبدون التحليل فان الشخص العصابى والشخص العادى فى أوقات الضغوط تكون لديهم صورة للحقيقة خاصة السلطة الحقيقية ، تشوه بالخيالات الاوديبية فالخيال الاوديبى بالنسبة للاب هو بالنسبة لفرويد أساس الاعتقاد فى الاله الذى يفرض العبادة والطاعة ويعاقب على الخطأ(18) •

---

(17) Scharf, B., K., *op. cit.*, PP. 87-89.
(18) *Ibid.*, P. 89.

تعمل المناسبات الخاصة بالخوف والضغوط على اعادة العقل الى حالة ما كان عليه فى مرحلة الطفولة ، ولهذا فان تنشيط المشاعر الاوديبية بالنسبة لفرويد تأخذ شكلين ، الخوف من القوى الطبيعية والتى يعتمد عليها الناس للبقاء ولكن لا يمكنهم التحكم فيها ، وهناك أيضا استياء الاحباطات المستمرة للدوافع التى تفرضها الحياة الاجتماعية على الفرد. فالمناسبات الخاصة بالخوف والاحباط ليست شيئا عرضيا فى تاريخ حياة الفرد ولكن تؤثر فى العديد من الناس فى نفس الوقت . ولهذا تحدث استجابة جمعية لها ، ويحدث أن الخيالات الفردية والسلوك العصابى يمتزجان فى خيال جمعى وشعيرة دينية . وبينما نجد أن المناسبات الخاصة بالسلوك الطفولى الناجم عن علاقة الانسان بالطبيعة قد يتلاشى أثرها ، نجد أن المناسبات الناجمة عن احباطات المجتمع للفرد لا يمكن أن تتناقص كثيرا ، فالناس لديها دوافع قوية للحب والعدوان والتى غالبا ما تحبط من مصالح النظام الاجتماعى . فالتوجيه الاول فى حياة الطفل للحب نحو أمه يكبت ، فيما بعد ، بواسطة تابو زواج المحارم الذى هو قاعدة فى كل مجتمع ، ولعل أول موضوع للعدوان هو الاب، الا أن هذا الشعور يكبت من أجل مصالح نظام الاسرة ولسطوة الاب العقلية على الطفل . فالناس دائما فى نزاع مع مجتمعهم فهم يدركون، فوائد التعاون ولكنهم يستاءون من الاحباط الغرائزى .

ويمكن ملاحظة أنه بالرغم من أن نظرة فرويد للانسانية تختلف كثيرا عن نظرية ماركس ، الا أن بتطبيق نظريته على الدين نجد هناك بعض التشابهات . فيتفق فرويد مع ماركس على أن الطبقات الدنيا لديها حاجة شديدة للدين ، لانها تعانى من الاحباط الغرائزى أكثر من الطبقةالحاكمة فالدين بالنسبة للعامة ، يستخدم لمنع العصيان وتحقيق مطالبهم بفرصة

متساوية لاشباع رغباتهم • وبينما تتمتع الطبقة الحاكمة ليس فقط بمستوى مرتفع من الارضاء الحقيقى ومن الارضاء البديل من خلال الادب والفن ، تفتقد العامة كلاهما ، مما يتطلب تعويض خيالى لهم من خلال دينهم • ويتفق فرويد مع ماركس أيضا ، فى أن المجتمع الاقل دينا هو الذى تكون فيه الخبرة الاجتماعية ممكنة ، فيعتقد فرويد أنه من خلال خيالات الانا الاعلى على المعذب أو الاخلاق المصدقة من الدين ، غالبا ما تفرض تشديدات على الغرائز الانسانية وتبدو على أنها ضرورية من أجل مجتمع منظم ومسالم • ولاشك أن فرض مثل هذه التشديدات يزيد من ظروف الاحباط ، والظروف التى تجلب مشاعر الذنب الطفولية ، هذه المشاعر لو ظهرت لاتشبع الا بمزيد من القيود وهكذا تكون فى دائرة خبيثة ، والتى يمكن كسرها من خلال التقدم العلمى • فالعلم يعطى تحكما وأمانا ضد تهديدات الكوارث الطبيعية ، وبهذا يخفف من حالات الالم والقلق للمشاعر الاوديبية وبذلك يصبح الاعتقاد الدينى أقل حدة ، كما أنه يتيح نظاما أخلاقيا يعتمد أساسا على المدخل النفسى •

هكذا يتفق فرويد مع ماركس على أن هناك نموا قويا للعلوم الطبيعية فالخلق الانسانى يستطيع أن يحدد البناء الاجتماعى ، مفترضين أنه ليس هناك ما يمنع من الاعتقاد الدينى ، ويتشكك فرويد فى «الخلق الانسانى» بواسطة الفرق الدينية التى تتطلب بداية جديدة وتتطلع الى يتوبيا سواء فى هذا العالم أو فى العالم الاخر • هذه الفرق بالنسبة لفرويد تخدع أصولها اللاشعورية ومن ثم آمالها غير الواقعية • فالبناء الواقعى للمجتمع يجب أن يكون دائما على وعى بحدود التوافق الممكن فى المجتمع ، والعقلانية من أعضائه • وبسبب هذه الحدود فان الدين بالرغم من أنه يغير شكله ومحتواه ، الا أن أولئك الاعضاء يظلوا يقاومون ويسخرون •

فالناس لديهم حاجة مستمرة للدين لانه يعبر عن عصابتهم ويحولهـا ، حتى أنها لا تظهر على أنها تدخل شاذ فى حياتهم اليومية • هكـذا فان فرويد يرى أن الانواع المختلفة للحماس الاجتماعى والسياسى للعـامة تصنف على أنها أديان أو بدائل وظيفية للدين وسبب الدبن يكـمن فى صعوبات خاصة بعمليات التنشئة الاجتمـاعية فى الاسرة الانسانية والعلاقات الحتمية للفـرد والمصـلحة الجمعية فى المجتمع الانسانى • فوظيفته هى أن يعضد نظاما اجتماعيا معينا بالرغم من أنه قد يكون هناك تعبيرات دينية للخروج عليه(١٩) •

ويعترض كثير من النقاد على نظرية فرويد ، فيذهبون الى أنها ليست بذات فائدة فى مجال علم الاجتماع الدينى طالما أن لها الطابع النفسى• فهى تصف بعض الخصائص العامة لكل الاديان وتهمل ما يحاول عـالم الاجتماع أن يجعله مفهوما ، فعلى سبيل المثال لو سلمنا بأن كل الالهة، بطريقة ما ، على غرار أشخاص الوالدين فلم نجد نوعا من التوازن بين صفات الذكر والانثى من بنى الانسان ؟ ولماذا نجد أن هناك بعض الالهة مشخصة بينما نجد آلهة أخرى مطلقة ؟ لماذا تكون التضحية ، بما فى ذلك التضحية الانسانية ، هامة فى بعض الاديان ولا تعتبر كذلك فى أديان أخرى ؟ وبالرغم من أن هذا النقد له وجاهته الا أن هـذا التفسـير السوسيولوجى لهذا النوع لا يمكن التوصل اليه دون علم بالاسـاس النفسى الذى قدمه فرويد للطريقة الانسانية ، والحق أن نظرية فرويـد لها بعض القضايا القابلة للاختبار مثل العلاقة التداخلية بين تقدم العلم الطبيعى والتسـامح الاخلاقى ، والنفعية فى الاخـلاق ، وفقدان القوة

---

(19) Scharf, B., R., *op. cit.*, PP. 90-91.

الدينية. وعلى أية حال ، فان المشكلة الرئيسية فى نظرية فرويد هى أن تعميماته مستمدة أصلا من عدد محدود من الشخصيات فى مجتمع واحد وحاول فرويد أن يصل منها الى أحكام على تطور الشخصيـــة الانسانية عـــامة[٢٠].

د) ينجر : الدين والحاجة الى القيم المطلقة :

هناك اجماع بين مجموعة من الباحثين الامريكيين حول أن الاعتقـــاد والشعائر الدينية،طالما أنها عامة فانها تفسر فقط من خلال الصفات العامة للحياة الانسانية وذلك على المستوى الفردى والمجتمعى ، وهناك رفض لاعتقاد الوضعية القديمة حول اعتبار الدين كمجرد صور من ظـــروف خاصة للجهل والقصـــور الفكرى الذى يستمر طويلا ، ويحـــاول هؤلاء العلماء تبين كيف أن هناك مجموعة من الصفات الاساسية للانسانية،معبر عنها فى الظاهرة الدينية ، وتقترح محاولتهم هذه أن يعمل الدين من أجل تعضيد القيم والقواعد الاجتماعية .

والنقطة الاساسية التى يحاول ينجر Yinger اثباتها هى أن الناس تحتاج الى بعض القيم المطلقة لتعيش بها ، وأن هذه القيم المطلقة تعطينا اجابة للمشاكل المطلقة للحيـــاة والموت . فالدين يلبى هـــذه الحـــاجة ، ولا يمكن أن يقوم بذلك أى نوع من المعرفة الامبريقية أو تطور العلم، والحقيقة أن التطور العلمى يحتوى الان على فحص للمناهج ولمجال العلم الذى يحدد لنا بوضوح حدود العلم فى الاجـــــابة على توترات وقلق الانسان . وقد اعترف ينجر بأنه فى المجتمعات الحديثة هناك أناس غير متدينين ولا يعترفون بأى دين ولا يشاركون فى أى شعائر دينية، ولكن

---

(20) Scharf, B., R., op. cit., PP. 90-91.

رغم هـــــذا فانهم ما زالوا يتمسكون ببعض القيم المطلقة (مثل الايمان المطلق بالعلم والولاء الكامل لحـــــزب أو جماعة) التى تساعـــدهم على الاستمرار فى الحياة • ولكن هذه القيم المطلقة ليست متعادلة وظيفيا مع الدين ببساطة ، لانها لاتعطى اجابة على مشكلة المعنى والهدف كما تظهر من أزمات الحياة • فطالما أن الجميع سوف يواجهـــون الموت وســـوف يواجهون أشكالا أخرى من التوترات ، فالدين بكل معانيه أمر ضرورى لهم جميعا • فالذين لديهم ايمانا بالعلم ، والذى قد يقودهم الى رفض الحاجة الى الدين أو قبول اجاباته ، لا يحتاجون — كما يؤكد ينجر — الى قيمة وراء الحقيقة العلمية ، وهم بذلك يعطون ايمانا غير قابل للتحقيق فى قوة العلم للاجابة على مسائل القيم • وبتعريف ينجر لهم فان هؤلاء متدينون رغم أنفهم(٢١) •

وكما هو ملاحظ فان ينجر يعتمد هنا على الطبيعة الانسانية فى تأكيده لوظيفة الدين دون أى اشارة الى أى نوع من البناءات الاجتماعية • الا أن ينجـــر فى كتـــابه Sociology Looks at Religion (٢٢) حـــــاول أن يعتمد على حجة أخرى مستمدة من فكر دوركيم ، وهى متعلقة بالصفات الخاصة بجماعات معينة • فقد لاحظ ينجر بالولايات المتحدة الامريكية أن هناك جماعات دينيـــة مهيمنة يجـــد أعضاؤها ذاتيـــة مستقرة لهم فى مجموعة من العلاقات الشخصية • هذا النوع من العلاقات الارضـــائية لايوجد فى أى مكان آخر من الحياة الامريكية حيث تسيطر العـــلاقات

---

(21) Yinger J. M., *Religion, Society and Individual : An Introduction to the Sociology of Religion*. New York : The Macmillan Co. 1957. P. 9. 69.

(22) Yinger J. M. *Sociology Looks at Religion, op. cit.*,

الذاتية المكثفة.حقيقة لم يذهب ينجر أبعد من القول بأن نوعا من الايمان بالله ينمو من المشاركة الارضائية فى مثل هذا النوع من الجماعات ،الا أنه أن ـ ينجر ـ يؤكد أن الاجابة الدينية على المشاكل المطلقة المتعلقة بالقيمة والهدف يكون لها وزنها بالنسبة للفرد بسبب مثل هذا النوع من المشاركة . ويرى ينجر أن هناك أنواعا من الاديان ممزوجة بالولاءات الخاصة بالجماعات ، والمعبر عنها رمزيا فى الاجابات الاخلاقية والميتافيزيقية التى يعتنقها الافراد . هذا الولاء من جانب الجماعةيساعد الاجابة الدينية لهذه المشاكل فى نشر الاعتقادات . ولكن تظل المشكلة قائمة وهى : لو أن المشاركة فى الجماعات الشخصية الصغيرة هى أفضل الحصون للاعتقاد الدينى فان الوظيفة الخاصة ، باعادة الطمأنينة الشخصية ، والوظيفة المساهمة فى التضامن الاجتماعى ربما يكونا فى صراع . فليس من الواضح ، لماذا بالرغم من أن الدين يلبى الحاجة الشخصية للمعنى المطلق فى مواجهة الموت والتوتر ، فانه يمثل أيضا رفض لاى محاولة بالعدوان لتفتيت التجمعات الانسانية . فالدين المتمثل فى حياة الجماعة الصغيرة قد يتعارض مع الدولة ككل . فكثير من الفرق المسيحية رغم أنها تلهب ايمان وحماس أعضائها الا أنها قد تتطلب منهم الانسحاب من المجتمع الذى تنمو فيه ومعاداته . كذلك يمكن توضيح النقطة بالاشارة الى مؤسسى الاديان ففى كل حالة نجد أن كل نبى أو زعيم يحاول أن يكون مصدرا للالهام والتكامل كشخص،ولكنه يكون فى حالة عداء شديد مع هؤلاء الذين لا ينتمون الى نسق الاعتقاد. وقد ينشأ الصراع داخل جماعة المؤمنين أنفسهم ، وهذا أمرا متوقعا مثله فى ذلك مثل أى ولاء جماعى لاى نوع من الجماعات .

ومن الملاحظ أن ينجر لا يريد أن يتبنى كلية الموقف الدوركيمى

ويساوى بين الاعتقادات الدينيـــة والاعتقاد فى الرموز الخاصـــة بالولاء الاجتماعى • فنجده يركز على جانب آخر للاعتقاد الدينى وهـــو توفير الاجابات على المسائل المقلقة التى تتسامى بالحياة وأهداف الجماعات • وقد بين ينجر بتأكيده هذا كيف أن الوظيفة الاجتماعية للدين كأســـاس للتدين قد لا تتحقق • ويفحص ينجر هنا مصادر قوة وضعف الوظائف التكاملية للدين فى أنواع مختلفة من البناءات الاجتماعية ، وينتهى الى أن المجتمع يميل دائما الى اكتشاف هدف دينى موحد وهذا هو مايكسب أعضاءه حصانة ضد اليأس والاحباط • وباختصار ، يقرر ينجر الحاجة الفردية والاجتماعية للدين ولكنه لم يبين بطريقـــة نظامية كيف يرتبط كل منهما بالاخر[٢٣] •

هـ) برجر ولكمان : الدين ومشكلة المعنى

يتفق كل من برجر Berger ولكمان Luckmann على أن الناس لكونهم أذكياء واجتماعيين وقادرين على استخدام اللغة لا يرتضون الاكتفاء بالتجربة الخام Raw Experience ولكنهم يحاولون الاستفادة منها فى تشييد «نسق للمعانى» System of Meanings ، فالتجربة قد تقوم على اساس العلاقة بين الاهداف والرغبات والذكريات ويرتبط فيها كل جزء مع الاجـــزاء الاخرى فى نمط تطابقى • هذا النسق من المعانى محصلة اجتماعية وليس فردية ، فهو نتـــاج لكل الناس الذين يعيشـون فى علاقـــات مع بعضـــهم البعض ومع أسلافهم أيضا ، ولهذا يبدو هذا النسق من المعـــانى للفرد وكأن له وجود موضوعى خارج عنه • حقيقة يشارك كل فرد بالمساهمة فى هذا ولكن الكل خارج الفرد وقد تواضع عليه اجتماعيا • وقد يستمر

(23) Scharf. B., R., *op. cit.*, PP. 73-75.

هذا النسق الخاص بالمعانى فى حالة ما اذا تم تعضيده بصفة مستمرة من جانب التجربة ، وفسرت الموضوعات الجديدة فى ضوء النمط العام. وهنا يقدم لنا برجر فكرته عن أن كل «نسق من المعانى» يعتمد على بناء ظاهرى plausibility structure • ويحذر ينجر من أن هذا لا يعنى أن الدين ظاهرة مصاحبة epiphenomenon للبناء الاجتماعى أو أنه ترشيد rationalization أو أنه قوالب dramatisation لكل الانشطة العلمانية اليومية • وعلى النقيض ، كما يؤكد ينجر ، فان الخسوف البنائى بسبب الدين فى الوضع الراهن راجع الى درجة كبيرة الى المسيحية، بمعنى أن المسيحية هى التى حددت علاقة الناس بكنائسهم،وكان المجتمع أحد الحقائق الهامة فى العملية البنائية الوضعية والعلمانية الذاتية فى المجتمعات المسيحية ، فهناك تأثير تبادلى بين أنساق المعنى والتى تحتوى الانساق الدينية والتجربة الشخصية الاجتماعية التى يحاول الناس تفسيرها فى ضوء هذه الانساق(٢٤).

يشير برجر الى الرعب الانسانى من الكون والخوف من التحدى

---

(24) Berger, P., *The Social Reality of Religion. op. cit.*, P. 87.

أنظر أيضا أعماله الاخرى

.................., *The Sacred Canopy ... op. cit.*,

.................., *A Remor of Angels - Modern Society and the Rediscovery of the Supernatural*, (N. Y. : Doubleday, 1969).

.................., Luckmann, T., *The Social Construction of Reality A Treatise in the Sociology of Knowledge.* New York : Doubleday, 1966).

Berger, P., & Luckmann, T., "The Sociology of Religion and the Sociology of Knowledge", *Sociology and Social Research,* Vol. 47 No. 4. PP. 487-487.

دون أن يكون هناك اطار شامل للتفسير تدفعه التجربة الدينية ، ويعتقد برجر أن هناك اشمئزازا نظريا شديدا ضد اللا معنى • ولهـذا يلتصق الناس بأنساق متواضع عليها اجتماعيا للمعنى • وبالرغم من أن هـذه الدعائم الاساسية للحياة الانسانية اجتماعية ، الا أن درجة تقبلها لدى عدد من الناس تعتمد أساسا على درجة التماثل والاختلاف فى تجربتهم• وبرجر هنا يفسر لنا التعدد الدينى فى الحياة الامريكية المعاصرة ، ليس فقط من خلال الاتجـاهات العلمانية للمسيحيين المتمثلة فى استعدادها للانسحاب من السيطرة على الحياة الاقتصادية ، وتقبلها لوجـود مجال مستقل للعلم ، بل أيضـا فى تنوع الادوار الاجتمـاعية فى المجتمع الصناعى فى المجال الواسع ، هذا التنوع يؤدى الى تنوع فى أنواع البناء الظاهرى ، ولهذا فهناك العديد من الميـول الدينية التى يجب أن تتحقق • وبسبب درجة التنوع الدينى فى الولايات المتحـدة الامريكية فى الوقت الحاضر فان رجال الدين بدأوا يفقدون دورهم القديم وماكان لهم من سلطة ، كما بدت أهمية نقد الانساق التقليدية للمعنى • ويشبه برجر أولئك الرجـال بالبائعين المتنافسـين فى السوق لمقابلة الحـاجات أو المطالب المتنوعة • فالحاجة ، أو المطلب ، موجودة دائما لان الاعتقاد الدينى ضرورى للافراد من الناحية الوظيفية • ولا يعنى هذا التحـول كلية الى الفردية ، طالما أن كل نسق دينى يصدر عن استمرارية الهدف الاجتماعى واعادة تفسير التجربة • ولكن فى المجتمعات المتباينة ، هناك عديد من التفسـيرات المتنافسة ــ والتى ليست متناقضة بالضرورة ــ يحاول كل منها أن يتناسب مع جماعة صغيرة نسبيا من « المستهلكين » • وينافس المنتجون كل منهم الاخر فى موقف شبيه بالسوق[٢٥]•

---

(25) Scharf, B., R., *op. cit.*, PP. 76-77.

ولو سلمنا بتفسير برجر فمعنى هـذا أن وظيفة الدين فى احداث تقوية التضامن الاجتماعى قد أصبحت ضعيفـة فى المجتمع الامريكى المعاصر • وعبارته التى يقول فيها أن «الدين قد أصبح أكثر الحصـون فعالية ضد اللامعيارية anomi خلال التاريخ الانسانى» ، هـذه العبارة فى نظر اسكارف B. R. Scharf صحيحة فقط بالنسبة للافراد القادرين على التمسك بالقواعد والقيم الخاصة بالجمـاعة الدينية التى ينتمون اليها • فالاعتقاد الدينى لا ينظر الى حالة اللامعيارية فى علاقتها بالقيم والقواعد فى الوحدات الاجتماعية الكبرى مثل الامة أو الطبقـة ولكنه يهتم بها فى حالة الجماعات الدينية المتنوعـة التى تكون عضوية الطبقة أو الامة فيها مرتبطة بنفس مجموعة القيم[٢٦] • وهذا ما يذهب اليه هربرج Herberg [٢٧] ولسون Wilson [٢٨] اللذان قاما بوصف كل الجماعات الـدينية الامريكية المعـاصرة والتى لديها نفس القيم الاخلاقية وتقدس الطريقة الامريكية للحياة ويستثنيان من هذه الملاحظة الطوائف الدينية التى تتميز بالغموض والذاتية • ولكن برجر يؤكد أن التعدد الدينى سوف يستمر بسبب التنوع فى التجربة • ولعل ملاحظة هربرج عن المحتوى لكل الجماعات الدينية الامريكية سوف تتفق مع رأى برجر اذا ما عدنا الى استخدام قياس السوق • وقد يوافـق على أن تجديد المحتوى الدينى يختلف من طائفة الى أخرى استجابة للاختـلاف الطفيف فى تفضيل المستهلك الناجم عن التنوع فى التجـربة بين كل

---

(26) Scharf, B., R., *op. cit.*, P. 77.

(27) Herberg, *Protestant, Catholic and Jew : An Essay in American Religious Sociology*, (N. Y. : Doubleday Inc., 1955).

(28) Wilson, B., *Religion in Secular Society*, (London : C. A. Watts and Co., 1966).

المستهلكين الدينيين فى الولايات المتحدة الامريكية • ويتشكك برجر ولكمان فى وجود أى شكل من أشكال الدوائر الدينية الزائفة• ويذهبان الى أن عدم الرضا الواسع الانتشار والمتعلق بالطريقة الامريكية للحياة لن يؤدى الى خلق بناء ظاهرى فعال لمثل هذا الدين • ويعتقد برجر عموما فى العلاقة الديالكتيكية dialectical بين البناء الاجتماعى والدين • وبمعنى أكثر دقة ، انه يذهب الى أن البناء الاجتماعى المتغير والمعقد للمجتمع الامريكى يولد عدم الرضا بالعقائد التقليدية ، والبديل هو وجود العديد من الجماعات الدينية الصغيرة والتى تدعو الى انساق للمعنى تختلف عن الانساق التقليدية ، بل وتختلف فيما بينها من نسق الى آخر • واذا ما ثبت أن استمرارية المجتمع الامريكى تكشف عن نوع من التضامن بين أعضائه ، فان ذلك عند برجر يمكن أن يحدث دون أى مساعدة من الدين(٢٩) •

ولقد أثار تحليل برجر مسألة «الصفة الدينية» لحركات مثل القومية nationalism والشيوعية Communism •وهنا فهو يهتم بكيفية نمو أنساق المعنى وما تتميز به من أهداف دينية ومن هذا المنطلق يرى برجر أن هذه الحركات عندما تنادى بقيم مطلقة وعمليات تاريخية حتمية تعتبر ذات صفة دينية • الا أن حدوثها فى المجتمعات المركبة ذات المجال الواسع يتنافى مع ما ذهب اليه من أن تنوع التجربة فى هذه المجتمعات يؤدى الى التعدد الدينى • هذا ، ويتمثل تأثير هذه الحركات فى انكار صدق أنساق المعانى الاخرى • وينظر برجر الى هذه الحركات على أنها ارتدادية وسريعة الزوال ، كما ينظر الى المسيحية التقليدية فى قبولها للطريقة الامريكية فى الحياة باعتبارها تمثل الضعف والتخلف • ويعتبران

---

(29) Scharf, B., R., *op. cit.*, PP. 77-78.

المستقبل كامن فى الاديان البديلة ، الراديكالية أو الجديدة • ولكن بعض الاديان السياسية قد استمرت طويلا أكثر من فرق جديدة أو طوائف فى الولايات المتحدة الامريكية • فالشيوعية السوفيتية والصينية يبدو أن لها حيوية تعتد بها وأن القومية الالمانية كنوع من الشعائرية المتطرفة قد انتهت بالهزيمة على أيدى الجيوش الاجنبية • ومن مقتضيات نظرية برجر أن هذه الحركات قد تكون سريعة الزوال وغير ناجحة ، ولكن أسكارف Scharf ترى أن هذا غير واضح بالنسبة لتلك الحركات(٣٠) •

لقد حاول لكمان فى كتابه الحديث The Invisible Religion أن يفسر ضعف الدين النظامى فى مجتمعات العالم الغربى(٣١) كما حاول أن يؤكد أن طبيعة انسان هى التى تجعله دينيا فى الاساس ، وهذا هو مايفسر عنوان الكتاب•وقد وصف لكمان الانساق والافكار والنظرة العالمية بأنها تمثل شيئا واحد وفى الوقت نفسه تمثل نتاجات اجتماعية خارجة عن الفرد ، الا أنها دائما موضوع للنقد أو التصديق بواسطة تجربة الفرد وهنا يتفق لكمان مع برجر على هذا الوصف • وهكذا ينتهى لكمان الى أننا بتمسكنا بالمعنى الاولى لمفهوم الدين يمكننا أن نطلق على التسامى بالطبيعة البيولوجية للكائن الانسانى ظاهرة دينية وهذه الظاهرة تستند الى العلاقة الوظيفية بين الذات والمجتمع — ولهذا يمكن اعتبار العمليات الاجتماعية التى تؤدى الى تكوين الذات عمليات دينية فى الاساس • وباظهار الصفة الدينية للعمليات الاجتماعية التى تشخص أو تميز الشعور والضمير فاننا نكون قد ميزنا المظهر الانثروبولوجى العام

---

(30) Scharf, B., *op. cit.*, P. 78.

(31) Luckmann, T.,*The Invisible Religion. The Problem of Religion in Modern Societies* (New York : The Macmillan Company. 1967) P. 49.

والخاص للدين • ويحـــاول لكمان أن يعزل الظروف التى تحـــدد الدين بالمعنى الضـــيق للاعتقاد فى النظـــام الكامل ، ذلك النظام الذى يتميـــز بعموميـــة مفاهيمـــه وغموضه المســـتمد من تساميـــه فوق المحســـوس ولاستخدامه الرموز فى الشعائر • والجزء المتبقى من نسق الافكار يشكل ما يسمى بالدنس أو العلمانى • والدين يعد أمر عام ، والجوانب التى لا تتصف بالعمومية منه هى التى تدخل ضمن أنظمة معينة • وعملية التنظيم فى رأى لكمان تعتمد على ثلاثة شروط ، الاول ، يجب أن يوجـــد فائض اقتصادى يسمح بمساعدة المتخصصين من رجال الدين ، والثانى حدوث الاحتكاك مع المجتمعات الاخـــرى والذى قد يؤدى الى الوعى بنظـــامها الكامل وأستعدادها الشديد للتضحية والدفاع عنها ، والثالث ، أن يبدى المتخصصون من رجال الدين أهتماما واسعا بتوضيح نسقهم الاعتقادى الخاص والدفاع عنه • على أية حال ، فان التخصص النظامى للدين يحمل معه مهمة جعـــل الافكار المكونة للنظـــام الكامل أقل حساسية للتجـــربة المستمرة للعامة وغير المتخصصـــين • وهكذا قد يصبح الدين محـــدودا بالصلاة الاسبوعية للجماعة فقط وهذا فى نظر لكمان حال ووضع الاديان التقليدية التى قل الاهتمام بها فى العالم الغربى(٣٢) • ولكن النـــاس فى رأى لكمان يظلوا متدينين ولكن بطريقة ضمنية ، ذلك لانهم يناضلون من أجل تفسير تجربتهم ويحاولون الاجابة على الاسئلة المتعلقة بالاهـــداف المطلقة • وطالما أن الدين قد أتخذ نظاما تخصصيا فان الانظمة الاجتماعية الاخرى تحاول أن تتمايز وتستقل بنفســـها وتطور مجموعة خاصـــة من المعايير العلمانية • كما يرى لكمان أن رجـــال الدين يفشلون فى أضـــفاء مسحه أخلاقية على هذه المعايير العلمانية وذلك بادماجها فى النظام الدينى

---

(32) Luckmann, T., *The Invisible Religion op. cit.*,

القائم • وهذا الفشل هو أحـد الاسباب المفسرة للضعف الحـالى الذى تشهده الاديان فى العالم المعـاصر ولكن الاديان الجديدة التى لا تهتـم بالشكل النظامى سوف تواجه نفس المهمة ، ولو نجح أحدهما فانه سوف يواجه مرة أخرى المشاكل المترتبة على عملية التنظيم التى واجهت الاديان التقليدية •

هكذا فان لكمان يحدد لنا رؤيته للعلاقة التبادلية بين الدين والبنـاء الاجتماعى ويقترح الاسباب التى قد تجعل الدين فى بعض الحـالات له وظائف ايجابية فى مجتمع معين وفى حالات أخرى وظائف سلبية ومعوقة • والنتيجة التى توصل اليها لكمان هى أن الدين النظامى أو المرئى سـوف يستمر فى المجتمع الثابت ليكون له وظيفة فى التماسك الاجتماعى • ولكنه بمجرد تغير المجتمع فان هذا يؤدى الى تغير وظيفة الدين النظامى ويؤدى هذا الى وجود أنواع جديدة من الاعتقاد لم تأخذ بعد شكلا نظاميا(٣٣) •

و) أودى O'dea : الدين ومشكلة التسامى بالتجربة اليومية :

يذهب أودى O'dea الى أن تفسـيرات الدين لا يمـكن أن تكون متكاملة اذا لم تأخذ الجوانب السوسيولوجية فى الاعتبار • فالدين أحـد البناءات النظامية الهامة فى أى مجتمع • الا أن الدين ليس مثل الحكومة التى تهتم بالقوة ، وليس مثل الانظمة الاقتصـادية التى تهتم بالعمـل والانتاج والتسـويق ، وليس كنظام الاسرة الذى ينظم العـلاقات بين الجنسين وبين الاجيال • فالاهتمام الرئيسى بالدين يبدو وكأنه أهتمـام بشىء غامض ليس من اليسير ادراك حقيقته الامبريقية • ان الدين يهتـم أصلا ، باتجاهات الانسان نحو ما هو فوقى beyond ، والتنظيمات العملية لما هو فوقى فى الحياة الانسانية•فالدين قد حدد على أنه المجسد

---

(33) Scharf, B., *op. cit.*, PP. 78-80.

لكل الالهامات الرفيعة ، كذلك ، فهو حصن الاخـلاق ، ومصدر النظـام العام والسلام الداخلى للفرد[٣٤] .

وتنظر النظرية الوظيفية الى الثقافات ، كما يذهب أودى ، على أنهـا جسم من المعرفة وشبه المعرفة والاعتقادات والقيم ، وهى التى تحـدد الموقف الانسانى وشرط الفعل بالنسبة للاعتقاد فى المجتمع . بمعنى آخر أن الثقافة هى بمثابة نسق رمزى للمعانى ، جزء من هـذه المعانى يفسر الواقع كما يعتقد فيه ، وجزء آخر يحدد التوقعات المعيارية الالزامية على أعضاء المجتمع . وقد تكون العناصر المكونة للمعانى امـا واضحـة أو ضمنية . ولكن من المؤكد أن النسق الثقافى يهدف الى درجة معينة مـن التكامل المعقول ، ويشير دائما الى التماسك . وتتكامل الثقافة مع النسق الاجتماعى ، وبهذا تحدد الوسائل والغايات ، المقبول والمسموح ، وبذلك يتم تحديد الادوار التى يواجـه بها أفراد المجتمع التوقعات القائمـة فى موقعهم الاجتماعى . والدين كاطار متسام لما هو فوقى ، يمثل جانبا هاما من هذه الظاهرة الثقافية . فالثقافة هى خلق الانسان لعالم من التكيفات والمعانى ، فى المحتوى الذى يمكن للحياة الانسانية أن تستمر . وهـكذا تتكامل الثقافة بعمق فى تفكير ومشاعر الناس وبصفة رئيسية فى الاشكال الاجتماعية الناجمة عن أفعالهم[٣٥] .

ويتساءل أودى ، ما هى اسهامات الدين فى الثقافة كنسق ؟ ولقـد أدرك علماء الاجتماع المعاصرين أنه على الرغم من أن الناس تشارك فى القيم والافكار والتوجيهات النمطية التى تؤثر فى سلوكهم . وعلى الرغم

---

(34) O'dea, T.,F., *The Sociology of Religion*, (Englewood cliffs, N. J. : prentice Hall, inc. 1966) P. 1.

(35) *Ibid.*, PP. 2-4.

من أنهم يسلكون محتوى انتظامى أى فى المواقف التى تكون فيها توقعات الدور مفروضة بتصديقات ايجابية أو سلبية وتشكل أداءهم الفعلى ، الا أن الفرد الانسان ، على الرغم من كل ذلك هو الذى يفعل ويفكر ويشعر، وهنا يقدر علم الاجتماع اسهامات علم النفس فى دراسة الشخصية ، ويهتم بالشخصية الانسانية كمركب منظم للدوافع والحاجات والقيم•• الخ • فالشخصية من منظور علم الاجتماع ، هى نسق منمط على أساس التعلم ، وله استقلال خاص بنفسه ، كما أنهاتوجد فى مواقف بنائية اجتماعية • وهكذا نجد أن الثقافة والنسق الاجتماعى والشخصيةيمثلون ثلاثة جوانب من مركب واحد ، تتكامل جميعا فى الظواهر الاجتماعية •

وتنظر النظرية الوظيفية الى اسهامات الدين للمجتمعات الانسانية وللثقافات على أساس خاصية الدين الاساسية وهى : التسامى بالتجربة اليومية فى البيئة الطبيعية • ولكن لماذا يحتاج الناس الى ذلك الشىء الذى يتسامى بتجربتهم اليومية ؟ أو كما يشير بارسونز ، الحاجة الى «الاطار المتسامى» transcondental reference شىء فوق أو وراء ماهو واقعى : كذلك،لماذا يحتاج الناس لمثل هذا الاعتقاد والممارسات والانظمة التى تحتويهم ؟ • وترى النظرية الوظيفية كما يعرضها أودى ، أن هذه الحاجة راجعة الى ثلاثة خصائص رئيسية فى الوجود الانسانى • أولا: يعيش الانسان فى ظروف عدم الاطمئنان Uncerainty ، فالحوادث الهامة ، والتى لها تأثير على أمنه ورفاهيته خارج نطاق تحكمه،وباختصار فان الوجود الانسانى يتميز باللاواقع Contingency • ثانيا : أن قدرة الانسان على التحكم والتأثير فى ظروف حياته على الرغم من تزايدها الا أنها أصلا محدودة • ففى حالات معينة نجد أن الانسان فى وضع الصراع بين حاجاته وبيئته يتسم بالعجز Powerlessness • ثالثا: طالما

أن الناس يجب أن يعيشوا فى مجتمع ، وأن هذا المجتمع هو مجموعـــة من الوظائف والامكانيات والجزاءات ، ويتضمن تقسيما للعمل وتقسيما للانتاج ، فان هذا يتضمن بدوره تنظيما حتميا للعلاقات بين الافـــراد • أكثر من هذا ، فان المجتمعات تعيش وسط ظروف الندرة Scarcity وهى الخاصية الثالثة للوجود الانسانى • وهذه الندرة تتطلب توزيعا متنوعا للسع والقيمة • وتتضمن كذلك الحرمان النسبى لبعض الاعضاء•

وهكذا ترى النظرية الوظيفية أن دور الدين فى المجتمع هو مساعدة الناس على التكيف مع الحقائق الثلاثة وهى اللاتوقع ، العجز ، الندرة، وما تتضمنه من احباط وحرمان ووجود من يملكون ومن لا يملكون،وتمثل هذه الحقائق الثلاث خصائص أساسية للوجود الانسانى وتوجد بدرجة متفاوتة فى كل المجتمعات الانسانية • فالدين ينظر له على أنـــه أكـــثر الميكانيزمات الاساسية للتكيف مع العناصر الاحباطية والمخاطرة ، وهـــو الذى يعطى اجابة لمشكلة المعنى ويجيب على السؤال النهائى «لمـــاذا» وبهذا يعطى للوجود الانسانى معنى ويكون للانسان اجابات على المشاكل التى لا يستطيع العلم الاجابة عليها[٣٦] •

وتحاول النظرية الوظيفية كذلك ، تقديم فهم عن ظاهرة عامة أخرى شديدة الصلة بالدين ، أعنى السحر Magic • والسحر كمجمـــوعة من الاعتقادات والممارسات يوجد بشكل أو بآخر فى كل المجتمعات الانسانية ويناقش هذا النسق ، السحر ، مع الدين فكرة ما هو فوقى أو الماورائى، أى الجوانب الخاصة بما هو فوق امبريقى • ويشارك السحر الدين فكرة قدرة الناس على اقامة نوع من الاتصـــال مع هذا العـــــالم الفوقى أو

(36) O'dea, T., F., *op. cit.*, PP. 4-5.

الماورائى • الا انه اذا كان الدين يدعى أنه يضع الناس فى علاقة مع تلك القوى ليعبروا عن استجاباتهم الانسانية لها من خلال شعائره فقط، فان الشعائر السحرية تدعى أنها تعطى الطرق لاستغلال هذه القـــوى، وتحدث تغييرات ونتـــائج مؤثرة فى العالم الامبريقى نفســـه • والسحر مثله فى ذلك مثل الدين يقدم طرقا للتكيف مع تلك الجوانب من الوضع الانسانى التى يتعذر تحكم وتأثير الانسان فيها • فالدين كما تنظر اليه النظرية الوظيفية وكما يقدمها أودى ، هو استخـــــدام الوسائل غـــير الامبريقية أو ما هو فوق عضوى لتحقيق غايات غـــير امبريقية أو روحية والسحر • من ناحية أخرى هـــو استخدام الوسائل غير الامبريقية ، أو ما هو فوق عضوى لتحقيق غايات امبريقية • والدين يهيىء طريقا لقيام علاقة مع الجوانب الروحية للحقيقة ، سواء أدركت على أنها الله أو الاله أو أى شىء آخر • كما يؤثر الدين فى الجوهر نفسه • هذا ، وغالبـــا ما يتم التأثير السحرى فى جو من الخوف والاحترام والدهشة شبيـــه بما يحدث فى العلاقة الدينية(٣٧)•

---

(37) O'dea, T., F., *The Sociology of Religion, op. cit.*, PP. 6-7.

يفرق مالينوفسكى Malinowski بين الدين والسحر ، يقول أن هناك تشابها فى أن كل منهما يظهر ويعمل فى مواقف الضغوط النفسية ، وكلاهمـــا يتيح الطريق أمام مخارج من هذه المواقف وذلك عن طريق الشعائر والاعتقادات فيما هو روحى والاعتقاد فيما هو أسطورى أو معجز • وكلاهما أيضا ، محـــاط بمجموعة من التابو والتقديس والتى تميزها عن العالم المدنس ، الا أن كلا منهما يختلف عن الآخر فى أن السحر يهدف الى غايات عملية ، بينما يهدف الدين الى أداء مجموعة من الافعال لتحقيق هدف معين • وكذلك فان الاعتقادات الســـحرية بسيطة ، بينما الاعتقاد الدينى أكثر تركيبا أو تعقيدا لارتباطه بالمجال الروحى • كما أن الدين شىء خلاق بينما السحر محدود بظروف أداء الساحر • وباختصار، فان السحر يعطى الانسان ثقة فى نفسه، وهدفه الاساسى هو بعث الاعتقادفى=

نخلص مما سبق الى أن النظرية الوظيفية ، كما يذهب أودى ، تهتم بالدين من خلال التركيز على الجوانب الخـــاصة بالتسامى بالتجـربة اليومية الى شىء ما ورائى فالدين له أهمية خاصة فيما يتصل بالتجربة الانسانية التى تتميز باللاواقع ، والعجز والقدرة • فوظيفة الدين الاولى هى تقديم نظرة واسعة لما هو «فوقى» فى المحتوى الذى يبـدو فيـه الاحباط والحرمان على أن لهما معنى • والوظيفة الاخرى ، عمله كوسيلة شعائرية تسهل العلاقة مع ماهو فوقى والذى يعطى طمأنينة وأمـــان للكائنات الانسانية ويدعم أخلاقهم •

ويرى أودى أنه يمكن تمييز ست وظائف رئيسية للدين وذلك عــلى النحـــو التالى :

١ ــ الدين بتوسله ونفاذه الى ما هو فوقى واتصاله بمصدر رفاهية الانسان الذى يستجيب له الناس ، يقدم الثقة Support المواســاة Consolation ، والتوافق reconciliation • فالناس يحتــاجون الى

= الانسان بانتصار الامل فوق الخوف • وعلى العكس من ذلك يهدف الدين الى دعم أخلاقيات الانسان وبث الاتجاهات العقلية القيمية مثل الامتثال للتقاليد مع البيئة ، وللشجاعة والثقة فى التعامل مع المشاكل وفى مواجهة الموت فالدين ، اذن ، استجابة انسانية ، ويؤدى وظائف خاصة فى مواقف الاحباط والحرمان الناجمة عن اللاتوقع والعجز والندرة المميزة للوجود الانسانى • انظر :
Malinowski, B., *Magic, Science. and Religion, op. cit.*, PP. 28-31, 37-38, 87, 90.

أنظر أيضا آراء مشابهة لمالينوفسكى عن الدين فى كل من :

(A) Sumner. W. G. and Keller A. G. *The Sience of Society* (New Haven : Yale University Press. 1927) Xol. II.

(B) Radcliffe-Brown, A., R., *Taboo,* (Cambridge : Cambridge University Press. 1938).

سند عاطفى فى مواجهة عدم الطمأنينة والمواساة عندما يواجهون الاخفاق والتوافق مع المجتمع عندما يغترب عن أهدافه ومعاييره • فالدين يكون بمثابة مساعد عاطفى ضد الاخفاق والقلق والهزيمة التى تميز الحالة الانسانية • وبالقيام بهذه المهمة ، يعضد الدين القيم والاهداف القائمة ويدعم الاخلاق ، ويساعد على التقليل من السخط والاستياء •

٢ — يساعد الدين فى تقديم العلاقة المتسامية من خلال الشعائر الخاصة بالعبادة وبهذا يعطى الاساس الانفعالى للامن المستقر والذاتية الراسخة وسط عدم الطمأنينة والصعوبات الخاصة بالحالة الانسانية ومجرى التغير فى التاريخ ، من خلال تعاليمه التسلطية المتعلقة بالاعتقاد والقيم ، فالدين مراكز مرجعية وسط الصراع والغموض الذى يكتنف الاراء ووجهات النظر الانسانية • ان هذه الوظيفة للدين تساعد على الاستقرار وغالبا ما يحافظ الدين على الوضع الراهن •

٣ — يؤدى الدين الى تقديس المعايير والقيم القائمة فى المجتمع، ويؤدى هذا الى استمرار سيطرة الاهداف الجمعية على رغبات الفرد والانظمة الجمعية فوق دوافعه • وبهذا يدعم الدين تشريع تقسيم الوظائف والتسهيلات والجزاءات المميزة للمجتمع • وطالما أن الافراد فى المجتمع لا يمتثلون مطلقا للتوقعات ، ويحدث نوع من الانحراف أو الاغتراب ، فان المجتمع يطور دائما طرقا معينة لمعالجة الافراد المنحرفين أو المغتربين • والحق أن الدين يؤدى هذه الوظيفة بعدة طرق أغلبها شعائرى ، ومن خلالها يتخلص الفرد من شعوره بالذنب ويعود مرة أخرى لتكامله مع الجماعة الاجتماعية • وهكذا • فان الدين بتقديسه للمعايير والقيم يساعد فى الضبط الاجتماعى ، فباضفاء الشرعية على

الانماط الخاصة بالمجتمع كان الدين يعضد النظام والاستقرار ويساعد على استيعاب الاستياء والانحراف .

٤ — ويقوم الدين بوظيفة أخرى قد تكون متعارضة : فقد يقدم الدين مقاييس للقيمة يمكن من خلالها الفحص النقدى للمعايير النظامية، وغالبا ما تبتعد هذه المعايير عن المستوى المطلوب . وينطبق هذا على الاديان التى تؤكد تسامى الاله وهيمنته على السلطة القائمة فى المجتمع فهذه الوظيفة دائما ما تكون مصدرا هاما للاعتراض الاجتماعى على الظروف والاشكال القائمة .

٥ — يؤدى الدين كذلك ، وظائف خاصة بالذاتية ، فالافراد بقبولهم القيم المتضمنة فى الدين والاعتقادات الخاصة بالطبيعة والمصير الانسانى المرتبط بهم يطورون جوانب هامة لفهمهم الذاتى ولتحديد ذاتيتهم. هذا فضلا عن أنهم من خلال مشاركتهم فى الشعائر الدينية والعبادات يضيفون عناصر هامة لذاتيتهم . ومن خلال هذا يؤثر الدين على فهم الافراد لكثير من التساؤلات التى يسألونها لانفسهم ومنها : من نحن ؟، وماذا نكون ؟ وفى فترات التغير السريع والتفكك الاجتماعى تتزايد اسهامات الدين فى تحديد الذاتية .

٦ — وللدين علاقة أيضا بنمو ونضج الفرد خلال المراحل العمرية المختلفة التى يتواضع عليها المجتمع من الطفولة الى الممات ، فالدين طالما قدس المعايير والقيم وعضد النظام فى المجتمع وكان عونا فى أوقات الازمات وساعد على تكوين الذاتية الخاصة بالفرد فالدين فى هذه الطرق يتدخل فى العملية التعليمية . ولكن هل يساعد الدين على النضج ويطور الشعور بالاستقلال ، والتوجيه الذاتى ، أم أنه يخلق أوضاعا تسلطية

تجعل الفرد معتمدا وتابعا للانظمة الدينية؟ الحق أن علاقة الدين بالنضج الفردى يجب أن تدرس بالنسبة لكل دين على حدة مع مراعاة اختلاف ظروف الزمان والمكان •

على أية حال ، فان الدين كما ترى النظرية الوظيفية يربط الفرد بجماعته ويساعده فى الازمات ويدعم الاخلاق ويمده بمكونات ذاتيته، كما أنه — الدين — يساعد على الوحدة والاستقرار فى المجتمع ويعضد الضبط الاجتماعى ويؤكد القيم والاهداف ويقدم الوسائل للتغلب على الانحراف أو الاغتراب • ويعترف أودى بأنه ليس شرطا أن يكون الدين ذا وظائف ايجابية فقط ، فهناك وظائف سلبية قد تكون ظاهرة أو كامنة فى المجتمع • ويؤكد أودى أن النظرية الوظيفية للدين تعد أحدى النظريات التى تمدنا بفهم للدين كظاهرة اجتماعية عامة ، كما أنها تبين الجانب الاستراتيجى فى كل الاديان وهو الاطار المتسامى وأهميته الوظيفية بالنسبة للثقافة والمجتمع والشخصية الانسانية فبالنسبةللثقافة يعطيهاالدين نسق المعانى المطلقة الذى تصدر عنه كل الاهدافوالالهامات ويؤكد على الشعور بالخشوع الذى بدوره يؤكد استمرارية وتأثير قيم وأهداف الثقافة نفسها • أما بالنسبة للنسق الاجتماعى ، فالدين يعطى اجابات عن مشاكل المعنى ويحدد الوسائل التىتستخدم لاعادة التكيف ضد الاحباط والانزعاجالناجمين اما عن الوضع الانسانىأو عنالترتيبات النظامية فى المجتمع ووظيفة الدين بالنسبة للشخصيات الانسانية تكمن فى أنه يعطى معنى للحياة الانسانية والجهد الانسانى ، كما يتدخل الدين فى عملية تنشئة الفرد ويعمل على الاستقرار الاجتماعى • وعلى الرغم من الانتقادات التى أخذت على النظرية الوظيفية[٣٨] الا أن

---

(٣٨) يتلخص نقد أودى لعيوب النظرية الوظيفية للدين فى أنها تنظر الى الدين باعتباره وظائف محافظة فحسب وتهمل بذلك امكانية الطابع الثورى والخلاق فى الدين ، كما تهمل النظرية الوظيفية عملية تلقائية الثقافة وتأثيرها على تقديم بدائل علمانية للدين •

اسهامات تلك النظرية تكمن فى أنها جذبت الانتباه الى خصائص الدين التى قدمت لنا نقطة انطلاق نحو الدراسة السوسيولوجية للدين كمدخل متكامل للظاهرة الدينية[٣٩].

---

(39) O'dea, T., *op. cit.*, PP. 13-18.

٤ ـ خاتمة : تعديلات على المـدخل البنائى الوظيفى :

نظرا للصعوبات الناتجة عن تطبيق المدخل البنـــائى الوظيفى فى المجتمعات المعقدة ، والتى تتميز بدرجة عالية من النمو والتقدم ، فقـد حاول بعض علماء الاجتماع والانثروبولوجيا تقديم تعديلات على الصيغ الاولى والبسيطة لهذا المدخل.

أ) الوظائف البديلة Alternative Functions

لقد أصبح واضحا أن الحاجة الخاصة لنسق اجتمـاعى معين ليس ثابتا ، لا نقابل كلية من نفس البناء النظامى للمجتمع . ولهذا ظهر مفهوم الوظائف البديلة ، والذى يسمح بالانتقال من وظيفة فى بناء نظامى معين الى آخر . فالدين على سبيل المثال ، كان ينظر اليه دائما على أنه العامل الاساسى فى الضبط الاجتماعى ، الا أنه أصبح واضحـا أن بناءات نظامية أخرى مثل الحكومة والقانون غالبا ما تقوم بهذه الوظيفة وتحل محل أو ربما تبطل دور الدين بالنسبة لها . من ناحية أخرى فقـد كانت الوظائف التعليمية دائما من اختصاص الانظمة الدينية أما الان فتقـوم الحكومة فى المجتمعات الحديثة بالاشراف عليها بالرغم من قيـام الدين ببعض هذه الوظائف . فمفهوم الوظائف اذن ، يعطى مرونة للمدخـل البنائى الوظيفى فى ميدان التطبيق[1].

---

(1) Nottingham E., K., *op. cit.*, P. 62.

ب) الوظائف الظاهرة والكامنة

Manifest and latent Functions

غالبا ما يشار الى البنائية الوظيفية Structural Functionolism على أنها «نظرية الفعل» action theory • فعندما يسلك الانسان بطريقة تتفق مع معايير الانظمة الدينية أو الانظمة الاخرى ، فـانه من المفترض أن ذلك الانسان كانت له غايات end معينة وأن مسـلكه كان له بعض النتائج ، وغالبا ما تكون النتائج الناجمـة عن الافعـال الانسانية للمجتمع هى دائما ما قصد الاعضاء شعوريا القيام به • ولهذا فمن الاهمية بمكان عند محاولة تحليل الـوظائف الاجتماعية للسـلوك الدينى ، أن نميز بين ما قصد intend الناس القيام به فى سـلوكهم والاثار غير المقصودة لمثل هذا النوع من السلوك على الحياة الاجتماعية فلو سألنا أحد العباد لدين من الاديان عن سلوك معين ، فربما قد تكون اجابته غير متوقعة لنا ، فقد يذهب الى أنه لم يكن فى نيته أو قصـده أى اعتبار للمجتمع ، ولكنه فعل ذلك من أجل أن يكون من الذين سـوف يحظون بالخلاص أو طمعا فى رضى الله وغفران ذنوبه أو الاتحـاد مع الله[٢] •

ولذلك فقد حاول روبرت ميرتون Robert Merton — مستخدما فى ذلك المفاهيم المستخدمة فى العلوم الاخرى — التمييز بين النتـائج المقصودة للسلوك أو ما يسميه الوظائف الظاهرة ، والنتائج غير المقصودة

---

(2) Nottingham, E, K., *op. cit.*, PP. 62-63.

أو الوظائف الكامنة[٣] وتكمن أهمية هذه التفرقة فى أن النتائج الخاصة بالمجتمع من وراء السلوك الدينى النظامى ، غالبا ماتكون غير مخططة من الافراد الفاعلين • أكثر من هذا فان النتائج المقصودة للافعال الدينية والتى غالبا ما توجه الى الكائنات فوق العضوية أو القوى غير المرئية من الصعوبة بمكان ملاحظتها أو تعيينها • ولكن طالما أن النشاط الدينى يمارس فى جماعة ، فان نتائجه غير المقصودة لتنظيم الجماعة ، تمثل الجوانب الملاحظة من السلوك الانسانى • ولهذا فان هذه النتائج غير المقصودة ، أو بكلمات ميرتون ، الوظائف الكامنة التى اعتبرت المحور الرئيسى للتحليل السوسيولوجى لها أهمية فى الحفاظ على بناء المجتمع، أكثر من تلك الاهداف المقصودة ولا يعنى هذا اهدار المقاصد الشعورية، فبدونها يصبح من المتعذر أن يؤدى السلوك الدينى،وبهذا تختفىوظيفته الظاهرة الكامنة[٤]•

جـ) الوظائف الايجابية والسلبية :

Positive and Negative Functions

وقد ظهرت مشكلة أخرى للمدخل البنائى الوظيفى خاصة فيما يتعلق بتقييم evaluation الوظائف • فقد مال بعض الانثروبولوجيين خاصة رادكليف براون A. R. Radcliffe - Brown الى الاعتقاد بأن الوظائف الكامنة للانظمة الدينية لها نتائج ايجابية لهذه المجتمعات ، أى أنهاتساعد على استمرار هذه المجتمعات[٥] على أية حال فان أى مجتمع،

---

(3) Merton, R., K., *Social Theory and Social Structure*. (Glencoe, III. : Free Press, 1957) PP. 61-64.

(4) Nottingham, E., K., *op. cit.*, P. 64.

(5) Radciffe-Brown. A., K., *Structure and Function in Primitive Society* (Cleucoe. III.: Free Press 1952) PP. 153-177.

دفاعا عن وجوده ، قد واجه اختيار بقائه . ولهذا فلو أن البقاء المجـــرد هو المعيار الرئيسى ، فان معنى هذا أن كل النتائج المترتبة على السلوك الانسانى ، سواء المقصود ، يجب أن تقيم جميعا على أنها ايجابية ، أما عن الجوانب السلبية أو الوظائف السلبية لمثل هذا النوع من النتائج غير المقصودة ــ غالبا ما لا يلتفت اليها. فلو أن مصطلح البقاء Survival قد استخدم بطريقة أكثر اتساعا ، بمعنى البقاء والاستمرار فى حـــالة مقبولة للازدهار المجتمعى ، فاننا بذلك نكون قد قدمنا عنصرا غير قابل للتحديد . ولكن يظل السؤال قائما : من الذى يحكم بطريقة موضـــوعية بحتة على الكيفية التى تكون عليها حالة الازدهار المجتمعى ؟ والحق أنه ليست هناك طريقة سهلة لاقتلاع التعميمات الذاتية . وقد أشار وليـــم جـــــودى William J. Goode الى أن كثير من أصحاب المدخل البنائى الوظيفى مالوا الى اعتبار الوظائف الكامنة وظائف ايجابية وبذلك أغفلوا الجوانب السلبية لمثل هذه الوظائف ، بالاضافة الى أن هناك الكثير من النتائج غير المقصودة للافعال الدينيـــة ، والافعال الاخرى ، والتى لهـــا تأثير حيادى على المجتمع[٦].

(6) Goode William. J. *Religion Among the Primitives.* Glencoe III. : Free Press. 1951, P. 33.

الفصل السابع

الدين وأشكال المجتمعات

الدين وأشكال المجتمعات

١ــ تمهيد : الجوانب البنائية والوظيفية للدين •

٢ ــ الدين وأشكال المجتمعات •

أ) النموذج الاول : المجتمعات البدائية وسيادة القيم الدينية •

١ ــ نسق الاعتقاد •

٢ ــ أنساق الفعل الدينى •

٣ ــ التنظيم الدينى •

٤ ــ وظائف الدين •

٥ ــ تعقيب على استخدام المدخل البنائى الوظيفى •

ب) النموذج الثانى : المجتمعات قبل الصناعية المتغيرة وسيادة القيم التقليدية •

١ ــ أنساق الاعتقاد •

٢ ــ نسق الفعل الدينى •

٣ ــ التنظيم الدينى •

٤ ــ وظائف الدين •

٥ ــ تعقيب على استخدام المدخل البنائى الوظيفى •

جـ) النموذج الثالث : المجتمعات الصناعية الحديثة والقيم العلمانية

١ ــ نسق الرموز الدينية •

٢ ــ أنساق الفعل الدينى •

٣ ــ التنظيم الدينى •

٤ — وظائف الدين .

٥ — تعقيب على استخدام المدخل البنائى الوظيفى .

٣ — خاتمة : التداخل القائم بين هذه النماذج فى مجتمعات العالم الحديث

١ ـ تمهيـــد :

الجونب البنائية والوظيفية للدين •

ينظر علماء الاجتماع الى الدين من خلال اتجاهين أساسيين يكمـل كلاهما الآخـر ، الاتجــاه الاول ، ويهتم فيه العلمــاء بفحص البنــاء Structure والتركيز على الاجـزاء المكونة وارتباطها • وكمـا سبق الاشارة ، فأن العلماء الذين يهتمون بدراســة بناء الدين تفقوا عـلى أن هناك ثلاثة أنساق متداخلة ، هى التى تشكل هذا البناء وهى :

أ) النسق الفكرى أو الاعتقادى
Intellectual system or system of beliefs

ب) نسق الفعل أو الشعائر والطقوس
Action system or system of rites and ceremonies

جـ) النسق المجتمعى أو نسق التفاعل الاجتماعى
Communal or Social interaction system

وهناك ملاحظةجديرة بالاعتبار وهى أن النسقين الاول والثانى لهمـا بالضرورة طبيعة رمزية ، كما أن محتوى هذا الانساق الثلاثة يتنوع داخل حدود واســعة •

أما الاتجاه الثانى ، يهتم فيه الباحثون بوظائف Functions الدين ، أعنى ، ماذا يفعل الدين لاستمرار وبناء المجتمعات والجمــاعات الانسانية ، ويطـلق على الذين يتبنون هـذا الاتجاه سواء من علمــاء الاجتماع أو الانثروبولوجيا اسم الوظيفيـون Functionalist ، ولا

يمكن تصور هذا المدخل الذى يساعد على فهم الدين كظاهرة اجتماعية دون ارتباطه بمفهوم « البناء » • وهذا ما جعل بارسونز T. Parsons يذهب الى أن أفضل اسم يطلق على هـذا المدخل هو البنائية الوظيفية Structural Functinalist [(١)] •

ولقد تعرضت البنائية الوظيفية الى كثير من الانتقادات ، وذلك كما سوف نشير فيما بعد ، راجع الى اما عدم فهم النقاد لكل متضمنات البنائية أو الوظيفية أو بسبب الادعاءات المبالغ فيها من المعضدين لها[(٢)] • ويمكن القول هنا ، أن المناقشات التى دارت حول الوظائف الاجتماعية للدين ليست لها أهمية كبرى ، وذلك من منطلق أن الوظائف الاجتماعية للدين يجب ألا تناقش فى فـراغ تاريخى ، بمعنى أن الشكل والوظيفة الاجتماعية للدين مرتبطان بفهم شكل هذا المجتمع وتطوره التاريخى فدراسة الدين من خلال المحتوى التاريخى يساعدنا اذن على رؤية وظائف الدين اما على أنها عوامل مساعدة لتماسك المجتمع أو عوامل مثيرة للصراع وذلك تحت تأثير الدين كاتجاه محافظ أو اتجاه ثورى وهكذا •

وطالما أن نموذج المجتمع يؤثر على تفسير الوظائف الدينية فسوف نحاول فى هذا الفصل أن نقدم ثلاثة نماذج رئيسية لانواع المجتمعات ودور الدين والانظمة الدينية فى كل منها • وبطبيعة الحال فان الجوانب البنائية والوظيفية للدين ــ مثل خصائص نسق الرموز الدينية ، ونوع الفعل الشعائرى ، وشكل التنظيم الدينى ــ كل هذا لابد وأن يتكيف

---

(١) أنظر :
Parsons, T., *The Social System*. Glencoe, III. : Free Press, 1951, PP. 19-22.

(2) Nottingham, E., K., *op. cit.*, PP. 30-31.

ويتعدل مع التغيرات التى تحدث فى المجتمـــع ككل • كذلك يجب أن يكون واضحا أن الدين بالرغم من أنه يغـــير المجتمع الا أنه هو نفســـه يتغير ويتشكل بشكل المجتمع أو بعبارة أخرى ، فان الدين والمجتمع يدخلان فى علاقة تفاعل مستمرة ويغير كل منهما الآخر •

ونحن فى محاولتنا لاستخدام « النماذج » لتصنيف المجتمعات ، نقرر بادىء ذى بدء أنه من الصعوبة بمكان أن نصف كل مجتمع انسانى عـــلى حدة • كذلك لا يمـــكن أن نبين الاختـــلافات الدقيقة بين هذه النمـــاذج المقترحة ، ولهذا فان استخدام النماذج المجتمعية Societal models يفيد فى المســـاعدة على مقارنة الخصـــائص الرئيسية للمجتمعـــات محل الدراسة • وجدير بالذكر هنا ، أنه فى كل نموذج نجد بعض الســـمات الخاصة قد تم التأكيد عليها وذلك من أجل ابراز ملامح هذا النموذج •

على أية حال ، هناك ثلاثة نمـــاذج رئيسية المجتمـــع والتى تختلف وظائف الدين باختلافها • النموذج الاول من المجتمع ، هو الذى تكـــون فيه القيم الدينية هى السائدة أو المسيطرة ، والنموذج الثانى من المجتمع، هو الذى يحتوى القيم الدينية والقيم العلمانية ، وأخيرا فان النمـــوذج الثالث من المجتمع ، هو الذى تسيطر عليه القيم العلمانيـــة • وبالرغم من أن هذه النماذج الثلاثة لا تمثل مراحل حتمية فى التطـــور التاريخى لاى مجتمع ، الا أنه يمـــكن القول بأن المجتمعات الانسانية قد مرت بطريقـــة أو بأخرى بهذه المراحل أو بمراحل شبيهة بها • والحقيقة فقد وجـــدت هذه النماذج أو نظائرها فى الماضى وربما توجد الآن فى عالمنا المتغـــير • ومناقشتنا لهذه النماذج ســـوف تنحصر فى ابراز كيفية ارتباط الســـمات النظامية لهذه المجتمعات مع بناء ووظائف النســـق الدينى الموجود فى كل منهـــا •

٢ ـ الدين وأشكال المجيمعات :

أ) النموذج الاول : المجتمعات البدائية وسيادة القيم الدينية :

يمثل هذا النموذج المجتمعات الصغيرة المنعزلة والبدائيـــة ، والتى تتميز بقدر بسيط من التطور التكنولوجى وتقسيم العمل ، وتقسيم واضح للطبقات الاجتماعية • وتعتبر الاسرة فى هذه المجتمعات من أهم الانظمة ، وكذلك فان التنظيمات المتخصصة للحكومة والحياة الاقتصادية ، تعتبـــر غير متطورة ، هذا فضلا عن سير معدل التغير الاجتماعى بطريقة بطيئة •

١ ـــ نســق الاعتقـــاد :

فى هـــذه المجتمعات لا يمكن التمييـــز فى نسق الاعتقـــاد بين الافكار والاعتقادات والاساطير فهى مندمجة بعضها فى البعض الآخر • بمعنى أن الناس فى هذه المجتمعـــات لا يستطيعون تمييز موضوعات التقـــديس الدينى منفصلة أو بعيدة عن أنفسهم • فالرموز الدينية هى بوجه عـــام مجموعة من الاشكال الاسطورية مثل أسلاف القبائل أو الابطـــال الذين يرمز اليهم برموز مختلفة • كذلك نجد أن الفرد والمجتمع يرتبطان فى علاقة كونية الهية ـــ طبيعيـــة •

٢ ـــ أنساق الفعل الدينى :

وهى موجه عام لتحقيق التماثل بين جماعة المؤمنين Worshiping group وبين الشىء المعبود • ففى حالة الاحتفال بالطوطم Totem والـــذى غالبا ما يكون حيوان يرمز به للقبيلة يتم قتل الطوطم والمشاركة فى أكله نجد فى هذا الاحتفال مثالا واضحا فى المشاركة الاسطورية ، التى هـــى

الهدف العام من السلوك الدينى لتحقيق وحدة القبيلة وتماثلها مع صفات الطوطم •

٣ — التنظيم الدينى :

وهو غير موجود ، أو بمعنى أصح ، ليس له وجودا مستقلا عن التنظيم الكلى للمجتمع • فكل عنصر فى المجتمع هو عضو فى المجتمع هو عضو فى دين الجماعة • فالتنظيم الدينى لا يتميز بكونه نظام مستقل ولكنه يمثل جانبا من الانشطة الكلية للجماعة • فالدين متغلغل فى الانشطة الاخرى للجماعة مثل الاقتصاد والسياسة والاسرة والترفيه • وقد لاحظ مالينوفسكى ، على سبيل المثال ، أن سكان جزر تروبرياند Trobriand فى بنائهم لاكواخهم وفلاحة الارض انما يقومون بجزء من شعائرهم الدينية والاسطورية التى ارتبطت بهذه الاعمال[1] •

٤ — وظائف الدين :

فى مثل هذا النوع من المجتمعات نجد أن وظائف الدين ودوره فى الجماعة يتميزون بالوضوح • وطالما أن هذا المجتمع يتميز بصغره وأن كل العادات المتوارثة معروفة لكل اعضائه ، فمن الطبيعى أن يكون الدين أثرا واضحا على نسق القيمة فى هذا المجتمع • ويعمل الدين أيضا ، وهو فى كثير من الاحيان يمتزج بالسحر ، كوسيلة هامة فى معالجة مواقف الضغوط • أكثر من هذا فى مثل هذا المجتمع ، وحيث تكون الانظمة الاخرى فى حالة تخلف أو عدم وجود يكون الدين بمثابة الاساس لتكامل وتماسك المجتمع ككل • وغالبا ما تتميز القيم الدينية فى هذا النموذج

---

(1) Malinowski, B., *Magic, Science and Religion. op. cit.*, PP. 27-28.

بالاتجاه المحافظ وتمنـع أى نوع من التغـير الاجتماعى ، ولهذا تمثـل التقاليد قوة كبرى فى السيطرة على الفرد والمجتمع • كما أن عدم وجود تيار معارض ، بسبب انتشار الدين فى كل جوانب الحياة الاجتماعيـة ، يجعل الدين عاملا مؤثرا فى ثبات وتماسك هذه المجتمعات • ونتيجة لذلك فان الحياة فى هذه المجتمعات البدائية تعنى قلة فاعلية الدين فى أحـداث التغير الاجتماعى •

وبالنسبة للفـرد ، فالدين له تأثيره الواضـح فى عملية التنشـئة الاجتماعية برمتها والتى تتميز بارتباطها بالشعائر الدينية عنـد الولادة والبلوغ والزواج وكل المناسبات المرتبطة بدورة الحياة • ويرتبط تنظيم الشخصـية بالقيم الدينيـة ، بمعنى أن النمو الفردى متـروك للاسرة والمجتمع • وفى غياب امكانية نماذج شخصية منافسة ، خاصة النمـاذج العلمانية ، فان الدين بدون منازع يكون تكامليا لانماط الشخصية فى هذا النوع من المجتمعـات[٢] •

٥ ـ تعقيب على استخدام المدخل البنائى الوظيفى :

تظهـر فـائدة التحليل البنائى الوظيفـى فى حالة النمـوذج الاول للمجتمعات • فنحن هنا أمـام مجتمعات تتميز بالعزلة وهى بطريقـة أو بأخرى تمثل كليات مكتفية بذاتها أو أنساق مغلقة • وطالما أن الاعضـاء فى مثل هذا النوع من المجتمعات يعيشون على مستوى الضروريات فـان معظم الانظمة القائمة قد تطورت لتقابل مثل هذا النوع من الحاجات • ولا

---

(٢) أنظـر :

(A) Riesman, D., *et. al. The Lonely Crowd.* New Haven : Yale University Press, 1950.

(B) Nottingham, *op. cit.*, PP. 33-35.

شك أن الضرورة الوظيفية للدين أقـل وضوحا من الحاجة الى الانظمـة الاسرية والاقتصـادية • ولكن معظم أصحاب المدخـل البنائى الوظيفى غالبا ما يؤكدون أن الدين وأنظمته فى مجتمعات النموذج الاول أسـاس للضبط الاجتماعى ، وما يدعم هذا الاعتقاد أن فى مثـل هذا النوع مـن المجتمعات غالبا ما نجد شكلا واضحا لبعض الهيئات القائمة على الضبط الاجتماعى مثل الحكومة أو القانون،ومن ثم فان وظيفة الضبط الاجتماعى للدين يمكن قبولها على أنها ايجابية وضرورية •

وليس من المفترض ، على أية حـال ، أن كل الذين اهتموا بدراسـة النموذج الاول من المجتمعات كانوا على اتفاق مع ما ذهب اليه دور كيم فى تأكيده على وظائف الدين • فمالينوفسكى ، على سبيل المثال ، عـلى الرغم من أنه يتفق مع دور كيم فى تأكيده على الاسهام الايجابى للدين فى المجتمعات البسيطة ، الا أنه أخذ على دور كيم عدم بيانه امكانية حدوث تجديد دينى فى مثل هذا النوع من المجتمعات ، والدور الذى يلعبه رجل الدين المتخصص فى احـداث التغير الدينى • وقد أكد مالينوفسكى أكثر من دور كيم ، على وظائف الدين فى تخفيف التوترات والضغوط التى تقع على أفراد المجتمع كأفراد أو كجماعة وفى توجيه الانتباه لوظائفه المؤيدة والمتوازنة حتى التى لها طابع المحافظة والتكامل(٣) • أكثر من هذا فـان كثيرا من الذين درسوا المجتمعـات البسيطة يميلون الى تأكيد التنـوع الهائل بين هذه المجتمعات فى الوظائف التى تقوم بها الاديان ، ومـن ثم فان كل التعميمات التى ذهب اليها كل من دور كيـم ومالينوفسكى تعـد بالنسبة لهؤلاء الباحثين أكثر عموميـة(٤) •

---

(3) Malinowski, B., *op. cit.*, PP. 29-37.

(4) Nottingham, E., K., *op. cit.*, PP. 65-66.

ب) النموذج الثانى : المجتمعات قبل الصناعية المتغيرة وسيادة القيـم التقليـدية :

يستخدم هذا النموذج للاشارة الى المجتمعات الاقل انعزالية ، ويسير التغـير فيها بمعـدلات سريعـة خاصة فى مجـالات السكان والتقـدم التكنولوجى • كذلك تتميز هذه المجتمعات بتقسيم واضح للعمل وفـروق واضحة للطبقات الاجتماعية ودرجات متفاوتة من التعلم • وتعد الزراعة والصناعات اليدوية بمثابة الاساس الاول للاقتصاد القروى مع وجـود بعض المراكز التجارية الحضرية • وتتميز النظم الخاصة بالحكومة والحياة الاقتصادية بالتخصص والتميز • وبالرغم من وجود تداخل بين الانشطة الحكومية والاقتصادية والدينية والعائلية والترفيهيـة ، الا أنه يمـكن التمييز بوضوح بين ذهاب الناس فى هـذا النموذج من المجتمعـات الى العمل أو الى اللعب أ والذهـاب الى دور العبـادة عن سلوك الافـراد وواجباتهم فى النموذج الاول والذى يصعب التمييز فيه بين ما هو دينى عن غيره من الانشطة • ونجد أمثلة للنموذج الثانى من المجتمعـات ، فى المجتمعـات التى توجد بها الاديان التاريخيـة الكبرى مثل البـوذية ، اليهودية ، المسيحية والاسـلام(٥) •

١ ـ نسـق الاعتقـاد :

تتميز الانساق الفكرية والرمزية فى هذه الاديان التاريخية بالاختلاف الكبير فيما بينهـا ، الا أنها تشـارك جميعا فى التأكيـد على التسـامى Transcendentalism • وهذا ما يميزها عن أديان النمـوذج الاول من المجتمعات • والانساق الرمزية فى هذا النموذج تتميز « بالثنائية » حيث نجد التأكيد على المفارقة بين الحياة فى هذا العـالم والحياة فى العـالم

---

(5) Nottingham, E., K., *op. cit.*, PP. 66-67.

الآخر والذى يفسر بأنه الحياة الحقيقية ونهاية الانسان وخلاصه ، ولهذا فدخول هذا العالم — سواء كان السماء أو التنوير أو الراحة — هو المسعى الاساسى للدين •

٢ — نسق الفعل الدينى :

فى هذه المجتمعات يدور حول الفعل الضرورى للتوصل الى الخلاص • ولهذا فان السلوك الدينى الذى قد يؤدى الى الخلاص هو السلوك المتطلب من كل كائن انسانى ، فلم يعد الانسان نفسه فى هذا النموذج فرد فى قبيلة معينة أو المتعصب لاله معين ، ولكنه أصبح فردا بالمعنى العام ، أى كائن انسانى قادر على الخلاص • وينظر الى الانسان فى هذه الاديان على أنه كائن يحتوى الكثير من النقائص فى طبيعته • ولهذا فالتوصل الى الخلاص يعد أمرا صعبا يتطلب نظاما تهذيبيا معينا وأنكارا للذات • ومن ثم فالانسان مطالب بانكار ذاته والتخلى عن ماديات هذا العالم التى قد تقف حاجزا أمام وصوله الى هدفه النهائى وهو الخلاص الاخروى • وباختصار فانه من الواضح أن الاديان التاريخية تميل الى تقليل أهمية عالمنا المادى ، ويعتبر الزهد asceticism والانسحاب Withdrawal من شئون الحياة من أهم الافعال الدينية وأكثرها تأثيرا • وكما يشير فيبر فان رفض هذا العالم والتقليل من قيمته قد يتخذ أشكالا مختلفة ويتنوع فى درجته فى أديان مثل المسيحية والبوذية واليهودية والاسلام فهذه الاديان اما أنها نصت منذ البداية على رفض العالم الدنيوى أو مرت بشكل أو بآخر بهذا الاتجاه الرافض لعالمنا الدنيوى خلال فترات تاريخية • ولعل البوذية والمسيحية من أكثر الاديان قبولا لهذا الاتجاه ، بينما تتخذ اليهودية والاسلام اتجاها مغايرا •

٣ — التنظيم الدينى :

يتمثل فى نوعين عامين : الاول تنظيم للصفوة الدينية يحتوى المثال

الدينى ، والآخر تنظيم أقل فى الدرجة والشمول من النوع الاول وهـو خاص بالشعب الذى عن طـريق الضرورة أو الاختيار يظل منغمسـا فى الشئون الدنيوية وبالرغم من أن التنظيم الدينى ككل يحتوى طبقة رجال الدين والعامة ، الا أن هناك تنظيما هرميا ، له الطابع الرسمى الخـاص بالاشخاص المتخصصين فى الدين[٦] •

٤ ــ وظائف الدين :

تعد فى النموذج الثانى لانواع المجتمعات أكثـر تعقيدا وتناقضـا بالمقارنة بالنموذج الاول • فعلى الرغم من أن الدين فى النموذج الثـانى ما زال يعطى معنى وتماسكا لنسق القيم فى المجتمع ، الا أن الدين يقـوم أيضا بوظائف هامة أخرى ، وهـى اثارة الصراع المجتمعى داخل هـذه المجتمعات أو بينها • ففى هذا النموذج وبالرغـم من التطابق فى بعض الحالات بين الاشكال الدينيـة والاشكال العلمانية ، الا أنهما يختلفـان بوضوح كلاهما عن الآخر • أكثر من هذا ، فان ظهور النظـام الحكومى وتطوره بانتظـام ، أصبح البديل النشط للتنظيـم الدينى (الكنيسـة) وأساسا للتماسـك والتكامل والثبات فى المجتمع • ومن ثم فان امكانيـة التصادم الداخلى للتنظيم (خاصة النظام الدينى مع الانظمة الاخرى) أمر محتمل الوقوع • فصراع المصـالح بين التنظيم الدينى والسـياسى يكون واقعيا خاصة فى المراحل المتأخرة من التطور عندما ينمى كل تنظيم بنـاءه الهرمى وفلسفته التى تتطلب الولاء من الافراد الاعضاء • وممـا

---

(٦) انظـر :

Weber, M., "Religious Rejections of the World and their Directions", in *From Max Weber : Essays in Sociology*. Trans. and ed. by H. H. Gerth and C. Wright Mills. New York : Oxford University Press, 1958. PP. 323-359.

يزيد من تعقيد صراع المصالح أن التنظيمات الدينية قد تهتم بأمور دنيوية بحته مثل اقامة المبانى والاراضى والمال والمشـاركة فى الادوار السياسية ولا شك أن هذا الصراع قد يؤدى الى صراع دينى – سياسى •

ويبين تاريخ مجتمعات النموذج الثانى كيف أن هذه المجتمعات بأكملها قد وقعت فى صراع بسبب المنافسـات الدينيـة • فمجتمعات النمـوذج الثالث من النوع التوسعى ، ومن ثم فان ارتباط التنظيم الدينى مع بناء القوة السياسى يعطينا موقفا يبين كيف أن محاولة نشر الدين مندمجة مع جهود نشر السيطرة السياسية • ففى العصور الوسطى على سبيل المثال نجد أن الدافع التبشيرى لكل من الاسلام والمسيحية كانت له جوانب من النضال السياسى من أجـل امبراطورية بين حضـارتين كبيرتين • هـذه التصادمات السياسية – الدينية يمكن النظر اليها على أنها عاملا تكامليـا طالما أنها تسـاعد المجتمعات المعنية فى اتحادهـا • فالحروب الصـليبية Crusodes قد ينظر من هذا المنطلق على أنها ساعدت على تكامل العالم المسيحى ، ولكن بالنسـبة للصراع الدموى الذى حـدث بين الاسـلام والمسيحية فان الحروب الصليبية تعد مثالا لكيفية استخدام الدين كعامل مدمر (٧) •

على أية حال ، فان الدين فى النموذج الثانى ، ليس فقط عامل مـن عوامل الفرقة ولكنه أيضا له دورا خلاقا وتجديديا اذا ما قورن بالنموذج الاول ، فالدين هنا ليس مجرد شعائر أو عادات ضمنية ؛ ولكنه يشكل الى حد كبير نسقا حيـويا للسلوك المقبول ، فالدين فى هذه المجتمعـات ليس

---

(٧) انظـــر :
Toynbee, A., *The World and the west*. New York : Oxford University Press, 1958. PP. 323-359.

تطبيقا محليا ولكنه يميل الى أن يكون عالميا ، فضلا عن أن الدين يتضمن قيما أخلاقية تعد فى مكانة أسمى من المقاييس اليومية للحياة الاجتماعيــة العـــادية •

وعندما تصبح هذه المجتمعات أكثر تعقيدا ، فان الطبقات التى كانت فى الفترة السابقة مسيطرة تخضع الآن لتحدى الطبقات الصاعدة والتى تمثل نظاما اقتصاديا وسياسيا جديدا ، ويحدث مع هذا فى الوقت نفسه تغيرا أساسيا فى شكل الاخلاق الدينية ، وتعـد التجديدات الاخلاقيــة بمثابة عوامل هامة فى أحداث التحول الاجتماعى والاقتصادى كما أوضح ماكس فيبر Weber • وهذه التجديدات قد تكون على المدى القصير عوامل مــؤدية الى التفكك ، ولكنها عــلى المدى البعيــد تساعد عــلى تكامل هذه الانواع المختلفة من المجتمعات وبالرغم من التركيز هنــا على دور الدين كعامل يساعد على التجديدات أو الاثارة ، فان هنــاك وظيفة أساسية للدين ، لا زال يقوم بها فى النموذج الثانى من المجتمعات ، وهى حماية وحفظ القيــم التقليدية من النســيان ، فامتــزاج الدين بالتراث الاجتماعى تجاه ما زال قائما فى هذه المجتمعات •

أما بالنسبة للفرد ، فالقيم الدينية فى هذه المجتمعات تظل الاســاس أو المركز الذى ينبع منه تكامل سلوك الشخص وتصوره لذاته • والحقيقة أن معظم أعضاء المجتمع فى هذا النموذج هم أيضــا أعضاء فى التنظيــم الدينــى المسيطر ، والذى يتحــكم بطريقة أو بأخرى فى نظام التعليــم والتربية ويقلل من حدة الصراعات الداخلية أو على الاقل من احتمال قيام صراعات على أسس دينية • وبالاضافة الى ذلك فان الجزاء المقدس الذى يعطيه الدين لنسق المراكز والاعمال فى المجتمع ، يساعد الفــرد على أن يقبل مكانته ووضعه الاجتماعى دون أن يصاب بصراع داخلى مع نفسه ؛ وبمرور الوقت ومع تقــدم التخصص فى هذه المجتمعــات وزيادة نسبة

التعليم والاحتكاك مع الثقافات فان هذا ربما قد يشجع ظهور جماعات الالحاد heresy والشك الدينى Skepticism •

وفى مناقشتنا للنموذج الثانى من المجتمعات ، فاننا يجب أن ننظر اليه فى ديناميته ، بمعنى أن عملية التغير المميزة لهذا النموذج تصبح واضحة من خلال تطوره • هذا ويلاحظ أن التطورات الاقتصادية ليست هى وحدها التى تلعب دورا فى كسر قاعدة العادات القديمة ، ولكن التطورات الداخلية فى الدين نفسه أيضا ، وفى نسق اعتقاداته وممارساته ، وتنظيمه الاجتماعى ، تساعد فى الوصول الى هذا التغير(٨) •

٥ ــ تعقيب على استخدام المدخل البنائى الوظيفى :

ويمثل النموذج الثانى من المجتمعات موقفا أكثر صعوبة للتحليل البنائى الوظيفى • فهذه المجتمعات ، كما أشرنا ، تتميز بالاتساع والتعقيد ، ومفتوحة للتأثيرات الخارجية ، ومن ثم فهى موضوع للتغير المستمر أكثر من أنماط المجتمعات من النموذج الاول • والبناء النظامى لمثل هذه المجتمعات يتميز بالاحكام والتخصص وبالرغم من أن الدين له بناء نظامى متخصص ، الا أن الانظمة الخاصة بالحكومة والقانون لها كيان مستقل وواضح وهام فى عذه المجتمعات • أكثر من هذا فان هذه الانظمة الخاصة بالحكومة والقانون قد تقوم ببعض الوظائف التى كانت منوطة بالدين فى النموذج الاول للمجتمعات • وتبدو هنا أهمية مفهوم الوظائف البديلة فى التحليل البنائى الوظيفى فى النموذج الثانى للمجتمعات • ولهذا فمن الصعوبة بمكان أن نحدد الاهمية النسبية للادوار التى يلعبها كل من الدين والحكومة فى اضفاء الشرعية على الاعراف أو

---

(8) Nottingham, E., K., *op. cit.*, PP 35-40.

القيم طالما أن الحكومة نفسها تعتمد فى شرعيتها على الدين فى مثل هـــذه المجتمعات • وبنفس المنطق ، فانه من الصعوبة أن نقيم الفاعلية النسبية للجزاءات الدينية والاحكام الشرعية فى تأمين الاتفـــاق الادنى الضرورى حول المعايير المجتمعيـــة •

أكثر من هذا فانه لا يمكن الادعـــاء بأن الدين فى النموذج الثـــانى للمجتمعات يؤثر على جميع أعضاء المجتمع بطريقة متساوية ففى النموذج الاول للمجتمعات هناك اختلافات فردية ، بطبيعة الحـــال ، بالنسبة لتأثير الدين • ولكن فى النموذج الثانى للمجتمعات يؤكد البناء الهرمى للنظـــام الدينى ، والتمييز بين رجل الدين والرجل العادى ، الاختلافات فى درجة الاهتمام والاشتغال بالدين بين أعضاء المجتمع[٩] •

ونظرا لغياب الطرق العلمية المتطورة فى النموذج الثانى للمجتمعات ، كما هو الحال فى النموذج الاول للمجتمعـــات فان هذا يعطى وظيفة كبرى للدين فى المساعدة على التخفيف من مواقف الضغط خاصة ما يتعلق منهـــا بالصحة والحصول على الطعام والانواع المختلفة من الضغوط الناجمة عن حالات التغير التى يتميز بها هذا النموذج من المجتمعات • ولهذا غالبا ما يحدث الكثير من الصراعات الضخمة لتى يكون لها علاقة بالدين ، ويميـــل معظم علماء الاجتماع الى تأكيد الوظيفـــة السلبية للدين بالنسبة لهـــذه الصراعـــات •

وقد يلعب الدين فى المجتمعات المركبة دورا مجددا فى أحـــد جوانب البناء الاجتماعى ودورا محافظا فى جانب آخر • هذه الادوار المتعارضـــة التى يلعبها الدين ، قد تؤثر على المدى البعيد فى احداث نتائج ايجابية ،

---

(9) Nottingham, E., K., *op. cit.*, PP. 66-67.

اذ لاحظ ماكس فيبر أنه فى الوقت الذى لعبت فيه الفرق البروتستانتية الكالفنية دورا تجديديا فى ظهور الرأسمالية الحديثة فان بعض فروع من الكنيسة الكاثوليكية الرومانية كانت تمر برد فعل محافظ . والخلاف ما زال قائما بين الباحثين حول ما اذ كانت الاديان المحافظة أو المجددة قد أدت وظائف ايجابية أو سلبية للمجتمع الاوروبى الغربى ، أو أن كلاهما قد لعب دورا ايجابيا . وباختصار يمكن القول أن الدين قد ينظر اليه تارة على أنه يؤدى وظائف تجديدية . وتشير اليزابيث نوتنجهام E. Nottingham الى أنه من الصعوبة لعالم الاجتماع أو المؤرخ أن يمحو الذاتية المتضمنة فى التقييمات للنتائج السلبية أو الايجابية لوظائف الدين فى المجتمع[10] .

وتظهر الحاجة أكثر الحاحا فى النموذج الاول للمجتمعات الى الوظائف التفسيرية للدين فبينما نجد أن الاعضاء فى النموذج الاول للمجتمعات غالبا ما يستطيعون وصف وتبرير الظلم الواقع فى التنظيم الاجتماعى على أساس العادة أى « أنهم وجدوا هذا الظلم قائما منذ فترة طويلة هكذا » الا أن فى المجتمعات المركبة نجد أن هناك أنساقا مقيدة للتفسير ، ويرجع ذلك أن تغير البناء الطبقى ، وظهور الحاجة الى تفسيرات جديدة للوجود الاجتماعى والمعنى الاخلاقى.وباختصار فانه فى النموذج الثانى للمجتمعات نجد أن التحليل الوظيفى لدور الدين قد حدد فى التركيز على تأثير الدين على بعض الانظمة فى هذه المجتمعات . ولعل دراسات ماكس فيبر Weber عن تأثير الدين على التطور الاقتصادى من أهم الامثلة فى هذا الاتجاه .

والملاحظ أن معظم الدراسات الكلاسيكية الخاصة بوظائف الدين

---

(10) Nottingham, E., K., *op. cit.*, P. 68.

فى النموذج الثـانى المجتمعات تهتـم أساسا بالمجتمعـات التاريخيـة مستخدمة البيانات التاريخية أو البيـانات المقارنة • الا أن الدراسـات الحديثة لم تظهر ميلا واضحا نحو تبنى طريقة فيبر ، فيما عدا روبرت بللا R. Bellah الذى حـاول أن يقيـم ممثـالة بين الدين التكيجـاوى Tokugawa Religion فى فترة ما قبل التصـنيع فى اليابان والاخـلاق البروتستانتية فى خلق اتجاه نحو التصنيع والرأسمالية(١١) •

وتؤكد اليزابث نونتجهام على الحاجة الى الدراسـة السوسيولوجية لوظائف الدين فى مجتمعات النموذج الثانى • فهذه المجتمعـات ما زالت قائمة فى الحاضر ، ومعظمها ان لم يكن كلها بلاد نامية فى أفريقيا وآسيا ومتعطشة الى التحول من النموذج الثانى الى النموذج الثالث للمجتمعات، وتحاول أن تلحق هذه المجتمعات بالعصرية ، ولكى يتم ذلك يجب أن يتـم تصنيعها ، ولهـذا فالحاجة قائمة أمـام علماء الاجتماع لدراسـة تأثير الاعتقادات الدينيـة التقليدية لهذه المجتمعات وتأثيراتها المختلفة عـلى التنمية السياسية والاقتصادية(١٢) •

جـ) النموذج الثالث : المجتمعات الصناعية الحـديثة وسيادة القيـم العلمـانية •

وعلى خـلاف النموذجين السابقين والتى تعتمد معرفتنا بهما عـلى البيانات الانثروبولوجية والتاريخية عن كل أجزاء العالم ، فان النمـوذج

---

(١١) انظـر :

(A) **Bellah, R., N.,** ***Tokugawa Religion*** : *The Values of Pre-Industrial Japan,* Glencoe, III. : Free Press 1957.

(B) ...., ***Religion and progress in Modern Asia.*** New York : Free Press, 1965.

(12) Nottingham, E., K., *op. cit.,* P. 69.

الثالث قـــائم بصفة عامة على أســـاس الوضع الاجتماعى والثقـــاف فى المجتمعات الغربية الحديثة[١٣] • وتتميز هذه المجتمعات بدرجة عالية من الدينامية • فتأثير التكنولوجيا متزايد فى كل جوانب الحياة ، ولها تأثير فى التكيفات مع العالم الطبيعى،مثل ما لها من التأثير فى العلاقات الانسانية• فتأثير العلم والتكنولوجيا له نتائج هامة على الدين نفسه ، وهـــذا التأثير هو أحد الاسباب التى تفسر تعود أعضاء هذه المجتمعات عـــلى استخدام النظرة العامة التجريبية والعلمية فى مجال المسائل الانسانية ، فهكذايتزايد مجال العلمانية باستمرار على حساب ما هو مقدس • وهذا الاتجاه العلمى يعلل وجوده على أساس أن الاعتقادات الدينية والممارسات محـــدودة فى قطاعات صغيرة ومتنوعة من قطاعات الحياة فى المجتمع وأعضائه •

ومما هو جدير بالذكر ، أنه من أجل مجاراة هذا الاتجاه العلمانى ومن أجل الاحتفاظ بتأثيره ، شغلت الكنائس فى تلك المجتمعات نفسها بالعـــديد من الانشطة العلمانية • وعلى الرغم من جهود بعض الكنائس المنافســـة للانظمة العلمانية ، فان هذا الاتجـــاه العلمانى استمر فى احالة الدين الى أوقات وأزمنة محـــددة •

١ ـــ نسق الرموز الدينيـــة :

فى هذا النمـــوذج ، وبسبب هذه الاتجاهات العلمانيـــة من ناحيـــة والطبيعـــة التعددية فى التنظيـــم الدينى من ناحية أخـــرى ، أصبح من الصعب تحديده الى حد كبير • الحقيقة ، ليس هناك وجود لنسق عـــام مقبول للرؤية الدينية الى الدرجـــة التى تكون فيها التنظيمات الدينيـــة

---

(١٣) نظرا لغلبة العلمانية على المجتمع الامريكى فاننا يمكن اعتبـــار ذلك المجتمع اقرب المجتمعات تمثيلا لهذا النموذج •

المتنوعة قادرة على فرض أنساقها الرمزية الرسمية والمصدق عليها دن أعضائها ، مما يمكن معه القول بوجود تعدد فى الانساق الرمزية المصاحبة. أكثر من هذا ، فان كثيرا من الافراد ، حتى الذين ينتمون الى تنظيمات دينية يشعرون بحرية تفسير الانساق الرمزية التقليدية المتوارثة من السلطة الدينية أو حتى رفضها •

وعلى الرغم من تنوع هذه الحرية فى التفسير بين أعضاء الهيئات الدينية المختلفة ، فهناك وجود لوعى متزايد بين المنتسبين وغير المنتسبين لتنظيم دينى ، بأن الرموز ما هى الا رموز ، وأن الانساق فى آخر الامر هو المسئول عن اختبار رمزيته • فدراسات هربرج Herberg وجلوك Glock تشير الى أن ٩٥٪ من الامريكيين الذين يعتقدون فى الله يفسرون الرموز الدينية بطريقة جديدة قد تذهل رجال الدين أنفسهم • فوجهة النظر العلمانية النابعة من التقدم الفكرى جعلت نسق الرموز الدينية يتسم بعدم الثبات(١٤) وأصبحت دعوى التفرقة بين العالم الدينى المتسامى والعالم الارضى المنبوذ أمرا لا يحظى بقبول أعضاء النموذج الثالث من المجتمعات • وعلى الرغم من أن بعض رجال الدين المحافظين قد يظلوا متمسكين بوجهة النظر الثنائية القديمة ، الا أن الرغبة الرئيسية للفكر الدينى الحديث هى الاتجاه نحو اعادة تفسير الاعتقاد الدينى ونسقه لكى يتناسب مع الظروف العلمية والسياسية والاقتصادية للقرن العشرين(١٥) •

---

(١٤) انظر :

(A) Herberg, W., *op. cit.*, P. 72.

(B) Glock, C., Y., and Stark, R., *op. cit.*, P. 25.

(١٥) انظر :

(A) Bellah, R.,N., "Religions Evolution", *op. cit.*, PP. 370-373

(B) The Second Vatican Council.

(C) Mc Narpy, C., J., "The Quest for Community" ***American*** August, Vol. 19 (1967) PP. 174-175.

٢ ـ أنسـاق الفعل الدينى :

تتركز أساســا على الفعل داخل هــذا العالم ، وحتى فى الانظمــة الديرية والتى كانت تتميز أصلا بانعزالها عن العالم هناك اهتمام متزايد بالعلم والطب وأشكال أخرى من الخدمة الاجتماعية ، فكثير من القسس والراهبات فى الكنائس المسيحية يسعون لاكتساب تدريب فنى ومهنى فى الجامعات العلمانية كجزء من تأديتهم لواجبهم الدينى فى هذا العالم[١٦] •

كذلك فان المؤتمر الثــانى للفاتيكان قد أكد على الحاجــة الى الامور الاجتماعية كجزء من الانشطة المعاصرة للكنيسة وهناك كثير من أعضــاء الكنائس فى أمريكا الذين يلعبــون دورا هاما فى مشكلة نضــال الزنوج السود من أجل الحصول على حقوقهم الانسانية • وهناك أيضا كثير مــن رجــال الدين الذين لا تفوتهم فرصـــة للسير فى مظاهــرات الحقــوق المدنية جنبا الى جنب مع العامة وممثلى الاديان الاخرى • وهناك أديان أخرى ، مثل اليهودية والاسلام والبروتستانتية لها أهتمام بهذا العــالم الدنيوى وتؤكد على الاهمية الدينية للفعل داخل الوظيفة أو المهنــة التى يقوم بها الفرد • والعديد من الهيئات الدينية الآن تنشىء داخل تنظيماتها الدينية أقساما خاصة للعمل الاجتماعى والعدالة الاجتماعية والانشــطة

انظــر :

(A) Borromeo, M., C., (ed.) *The New Nuns*. New York: New American library, 1967.

(B) Vernon, G. M., "The Religious Nones : A Neglcted category," "*Journal for the Sientific Study of Religion* -- Vol. 7 (Fall 1968), PP. 219-229. —

(C) Cox, Harvey, "The New Breeds", *Daedolus* (Winter 1967) PP. 135-150.

(D) *Year Book of the American Churches*. New York: National Council of the churches ot christ in the U.S.A. 1964.

الخيرية . وهناك هيئات دينية أخرى يتركز اهتمام أنشطتها على الحياة الداخلية للمدينة ، فتقدم الخدمات الخاصة للمهاجرين وللذين يجدون صعوبة بالغة فى التكيف مع ظروف المعيشة فى هذه المناطق .

ونجد فى أمريكا أفراد الطبقة الوسطى فى كل الاديان يركزون اهتمامهم على المشاكل الاخلاقية المتضمنة فى أنشطتهم المهنية والتجارية والسياسية والاسرية ، ولهذا تنظم الكنائس محاضرات ومناقشات يصبح من خلالها الاعضاء على وعى بهذه المسائل الاخلاقية ، والطرق الممكنة لحل هذه المشاكل .

وما سبق لا يعنى بأى حال ، أن الدين فى النموذج الثالث للمجتمعات قد تغلغل فى كل جوانب الحياة ؛ فعلى الرغم من أن الدين لا زال يشكل لكثير من الافراد نسقا مزدوجا الا أنه بالنسبة للآخرين لا يعنى شيئا ، حيث أنهم نظموا حياتهم على أساس من المحتوى العلمانى . وأيا كان الامر ، فان ما سبق مناقشته يؤكد الشعور المتزايد الآن بأن الدين لو أريد أن يكون له مكانا ، فعليه أن يثبت وجوده ، فى نوع من أنواع الفعل الخاص بهذا العالم . والمقاييس الخاصة بهذا الفعل الدينى لهذا العالم صعبة التكوين فى مجتمع يتغير بسرعة ، ومن ثم أصبحت المعايير القديمة غير كافية لتحديده وبينما ينظر الفرد للدين لمساعدته فى بحثه عن توازنه الاجتماعى ، نجد أن أولئك المسئولين عن رفاهية الامم قد يبحثون فى كل مكان عن أنماط الفعل التى قد تساعد على تأمين سلام العالم والبقاء الانسانى ، فالتعميمات الدينية فى النموذج الثالث للمجتمعات تهتم بالبحث عن السلام . ولكن فى المجتمع العالمى الذى يمتلك وسائل تدميره الذاتى ، فان الفعل الدينى فى عمومه لو أردنا أن يكون مناسبا اجتماعيا لهذا العالم فانه لا يجب تحديده فى التنظيمات الدينية بذاتها ، بل ينبغى أن يمارس الفعل الدينى من خلال التنظيمات العلمانية حتى يتسنى له تحقيق أهداف دينية .

٣ ـ التنظيـم الدينـى :

فى هذا النمـوذج من المجتمعات الصناعية نجد أن التنظيـم الدينى متعدد ومنقسم • فالعضوية اختيارية ، على الاقـل ، من حيث المبـدأ ، فليس هناك ادعاء من أى كنيسـة بأن لها السيطرة ، وأن الولاء يجب أن يكون لها من كل أفراد المجتمع وباستثناء بعض الحالات فانه ليست هناك أية علاقة رسمية بين التنظيمات الدينيـة والحكومة العلمانية • ويوجـد بوجه عام عدد هائل من التنظيمات الدينيـة المتنافسة فى تلك المجتمعات • كما يوجد أيضا عـدد كبير من الاعضـاء غير منتمـون ، أو مسجاون فى السجلات الخاصة بالكنائس فقط • ففى عام ١٩٦٤ وجـد أن بالولايات المتحدة الامريكية ما يقرب من ٢٥٨ هيئة دينية تضم ٦٣٫٤٪ من السكان، وهذا يعنى أن هناك ٣٦٪ من عدد السكان تقريبا لا ينتمون لاى تنظيم دينـى(١٧) •

ويذهب لكمان الى أن هناك اتجاها عاما لعزل الدين ، يسـود بين كل من الذين ينتمون الى تنظيمات أو الذين لا ينتمون(١٨) • والمطلع على ما يكتب الآن ، يجد هناك صـورا جديدة للتنظيـم الدينى فى المسـتقبل القريب(١٩) • وكما تعتقد اليزابيث نوتنجهام فان التنظيم الدينى سـوف

---

(17) Vernon, G., M., *op. cit.*, PP. 219-229.

(18) Luckmann, Thomas, "On Religion in Modern Society" *Journal for the Scientific Study of Religion*. Vol. 2. (Spring 1963) No. 7. PP. 159-161.

(١٩) يذهب توماس جيفرسون Thomas Jefferson الى انه هـو نفسه يشكل فرقة دينية I am sect myself ، كذلك يدعى توماس بينى *Thomas Pain* ان عقله هو الكنيسة الخاصة به *my mind is may chuch* انظـر :

Bellah, R., N., "Religions Evolution" *op. cit.*, P. 373.

يختفى بسرعة رغم أن الوظيفة التى يؤديها تتضاءل أهميتها الدينية[٢٠] •

٤ ـ وظـائف الـدين :

تتأثر هذه الوظـائف فى النموذج الثالث بشكل واضـح بالخصائص المتغيرة للدين فالانقسامات الدينية بالاضافة الى النمو المتزايد للعلمانية ـ كل هذا أدى الى تغير الوظيفة التكاملية للدين • والتسامح ازاء وجـود اختلافات دينية فى هذا النموذج هـو نتيجة اللامبالاة أمام نسق القيـم العلمانى المسيطر • كما أن التنظيمات الحديثة نفسها ليست بمنأى عن هذا التأثير العلمانى وكما أشرنا فان حوالى ٣٦٪ من سكان الولايات المتحـدة الامريكية استطاعوا أن يعيشوا ويستمروا دون أن يربطوا أنفسـهم بأى نوع من التنظيمـات الدينية • وهذه الحقيقـة أثارت بدورها الكثير من التساؤلات حول وظيفة الدين •

فقد يؤدى الدين وظيفة تكاملية داخل التنظيمات المتنوعة نفسـها ، خاصة فى التنظيمات التى تكون العضوية فيها قائمة على أساس الاقليات الطبقية أو العضوية داخـل المجتمع الكبير • فالدين هنا يقوم بوظيفـة كمحاور الانتماء Belongingness داخل الجماعات التى تشعر بالظلم أو الاحباط أو الاقلية بالنسبة للمجتمع الكبير •

وعلى الرغم من التأثير الضعيف للتنظيمات الدينية فان القيم الدينية تظل تشكل جزءا من التراث الاساسى للمجتمع ، فتسهم القيم الدينية فى تماسك المجتمع ، خاصة فى أوقات الازمات حيث الاتجاه نحو الرجـوع الى التقاليد الدينيـة الموروثة ونجد هـذا واضحا عندما يبدأ الرؤسـاء

---

(20) Nottingham, E., *op. cit.*, P. 44.

أحاديثهم بالصلاة ، أو بعض الشعائر الدينية ، وفى أوقات الحـــروب أو الخطر القومى فان العون الالهى شىء يتوخاه ويتمناه الجميع .

والسؤال الذى يطرح نفسه فى النموذج الثالث هو ، هـــل تستطيع القيم العلمانية أن تحقق تكامل المجتمع دون الاعتماد على بعض القيـــم الدينية ؟ لقد حاول هربرج الاجابة على هذا السؤال بقوله أن أديان أمريكا (سواء الكاثوليكيـــة أو البروتستانتيـــة أو اليهودية) تقدم الروحانيـــة للطريقة الامريكية فى الحياة ، فالطريقة الاخلاقية والديموقراطية للحياة أصبحت ممتزجة بالقيم المقدسة ، فالاديان تصبح أداة لحفظ القيم الوطنية التى يتزايد الاعتقاد فيها تلقائيا وكأنها قيما مطلقة عليا[٢١] .

وفى حالات أخرى من مجتمعات النموذج الثالث ، نجـــد أن الحكومات حاولت أن تمـــزج نفسها بالشعور المقـــدس . فالحكومات الشيوعيـــة والفاشية Fascist أحاطت نفســـها بدعوة وشـــعائر شـــبه مقدســـة quasisacred فالاعتقاد بالولاء الكامل من جانب أعضاء المجتمع لا يقوم على اعتقاد علمانى عام ولكنه يقوم على أساس شبه دينى quasireligion فالفاشية تؤكد فى كل فرصة أن الحكومة شىء مقدس فى ذاته .

أما بالنسبة لعلاقة الدين بالفرد ، يمكن القول ، بأن عددا قليلا جدا من الشخصيات فى نموذج هذا المجتمع هـــى التى قد تشكل طبقا للقيـــم الدينية . فضعف القيم الدينيـــة كمركز تكاملى راجع جزئيا الى تنـــوع أنساق قيم التنظيمات الدينية المختلفة والتى تتنافس من أجل ولاء الفرد لها . ولكن المنافس الرئيسى لكل أنساق القيم الدينيـــة هو نسق القيـــم

(21) Herberg, W., *op. cit.*, PP. 74-90.

العلمانى المتزايد السيطرة ، فهذا النسق من القيم العلمانية غالبا ما يرتبط بدعوى القومية والعلم والمسائل المهنية الاقتصادية ومستوى المعيشة ، ولهذا فان تحقيق تكامل الشخصية فى هذا النموذج أمر صعب ويعتبـــر عملا ذاتيـــــا •

وفى عملية تربية الاطفال فى المجتمع الامريكى ، نجد أن معظم الاسر يستمر فيها الوالدان فى تربية أولادهما على ما هو معروف بالقيم الدينية التقليدية،أو ما هو معدل منها أو ما هو ضرورى لخلق الشخصية المقبولة• وكما تشير الدراسات فان الوالدين اللذين كانا يداومان على الحضور الى دور العبادة غالبا ما يشعران أن أولادهما يجب أن يتعلموا اعتقاداتهـــم الدينية فى المدارس الدينية • وهناك شعور بالخوف عند الكبار بأنه ان لم يوفروا لاطفالهم حدا أدنى من التوجيـــه الدينى فأن الجيل الصـــاعد لن يكون عنده الاستعداد الاخـــلاقى لتقبل القيم التى يتمسك بها الكبـــار ، والضرورية لرفاهية المجتمع ، ولهذا نجد كثيرا من الآباء ـــ دون اعتبـــار لكونهم متدينـــون أم لا ـــ يصرون على ارســـال أبنـــائهم الى المدارس الدينية[٢٢] • ففى الولايات المتحدة تقوم المدارس العامة بعملية التنشئة الاجتماعية التى كانت من وظائف الاسرة والتى انفصلت عن الدين المنظم ولهذا فان هناك العديد من الناس الذين قد لا يكونوا أعضاء فى أى كنيسة الا أنهم يشعرون أنه من الخطـــر ومن غير المناسب أن يرسلوا أبنـــائهم ليتعلموا فى مكان لا يذكر فيه اسم الله ولا تقام فيه أية صـــلاة ولا يقرأ فيه أى كتاب مقدس • وهكذا فان الممارسة عند الكثير هى قاعدة أخلاقية، ورغم أنها قد لا تبدو واضحة فى سلوك الكبار الا أنهم يلزمون الصـــغار باتباعها • هذه الممارسات لا توسع فقط الثغرة الاتصالية بين الاجيـــال ولكنها أيضا تساعد على نمو الصراعات الشخصية بين أعضـــاء المدارس

---

(22) Nottingham, E., K., *op. cit.*, P. 47.

الثانوية وأجيال الجامعات ، هذه الاجيال التى غالبا ما تنتقد أجيال الآباء لفشلهم فى ممارسة ما كانوا يدعون اليـه • ولهذا نجد ميلا شـديدا لدى شباب أمريكا نحو أديان الشرق والاتجاهات الصوفيـة كاليوجا ، وعـلى الرغم من عدم تفهـم الشباب لهذه الاديان ، الا أنهـم يعتنقونها كشىء مخالف لنسق الدين الاعتقادى الخاص بآبائهم (٢٣) •

وهناك أنواع مختلفة من التكيفات، لحل مشـكلة تكامل الشخصية فى المجتمعات الصناعية الحديثة •

أولا : قد تتكامل شخصية الفرد عـامة على أساس القيم الخاصـة بالتنظيم الدينى الذى ينتمى اليـه • ولكن هذا النـوع من التكامل نادرا هذه الايام •

ثانيا : قد يتوصل الفرد الى نوع من التكامل من خلال عملية التقسيم المستقل Compartmentalization • فقد يحاول الفرد أن يحتوى الاعتقاد بقبول الاديان المتوارثة مع توجيه يؤكد على القيم العلمانية • ولهذا نجد أن امكانية الصراعات بين القواعد الاخلاقية لا تأخذ شكل الصراع العلنى، ولكن تحت ضغوط معينة قد ينهار ذلك النسق التقسيمى ، مثلما يحـدث فى كثير من حالات الاضطراب النفسى والعقـلى •

والنوع الثالث من التكيف يكون عن طريق تبنى بعض الافراد تكاملا لشخصيتهم من خلال القيم العلمانية وحدها • وهذا النموذج من التكيف ليس شائعا أيضا • ولكنه قد ينهار كذلك فى مواقف الضغوط مثل حـالات الحروب ، والصراعات • وأخيرا فان هنـاك أناس آخرون ، بالرغـم من

---

(23) Nottingham, E., K., *op. cit.*, PP. 120-121.

قلة عددهم ، الا أنهم يحاولون تحقيق نوعا من التكامل من خلال القيم الدينية المطلقة والتى يفسرونها ويعيدون تقييمها من خلال العلم والفلسفة المعاصرة • وباعادة هذا التفسير قد يضعون القيم الدينية فى علاقة ذات معنى مع القيم العلمانية للمجتمعات الصناعية الحديثة[٢٤] •

٥ ــ تعقيب على استخدام المدخل البنائى الوظيفى :

الحقيقة أن النموذج الثالث من المجتمعات يشكل صعوبة بالغة فى التحليل البنائى الوظيفى لدرجة أن كثيرا من العلماء يتجنبون استخدامه فى أبحاثهم عن دور الدين فى المجتمعات الصناعية[٢٥] • ودعواهم فى هذا ، أن المدخل البنائى الوظيفى عندما يطبق على النموذج الثالث من المجتمعات يمثل أكثر من كونه أداة مساعدة لتكوين الفروض القابلة للاختبار[٢٦] ، كذلك ، ينظر الآن الى الادعاء ــ بأن المجتمعات الصناعية الحديثة هى أنساق متكاملة تعمل من منطلق تلبية الحاجات ــ على أنه ادعاء لا تؤيده الحقائق ، وهذا يلغى أحد الدعائم الرئيسية التى تقوم عليها الوظيفية • فقد ظهر واضحا أن المجتمعات الصناعية تستطيع البقاء والاستمرار رغم فقدانها النسبى للتكامل والتزايد المستمر للصراع والتوتر الداخلى بها وهذا يعنى أن « الحاجة الوظيفية » للدين ، كمساعد للضبط الاجتماعى أو لاضفاء الشرعية على المعايير والجزاءات أصبحت تتطلب اعادة نظر ، وبات الامر واضحا أن طبيعة اسهامات الدين فى المجتمع أصبحت أمرا ينظر اليه من منظور آخر •

---

(24) Nottingham, E., K., *op. cit.*, PP. 48-39.

(٢٥) أنظر :
Eister, A., "Rligious Instutions in Complex Societies", *op. cit.*, PP. 390-391.

(26) Nottingham, E., K., *op. cit.*, P. 70.

ففى هذا النوع من المجتمعات التى تتميز بدرجة عالية من العلمانية نجد أن الدين قد أتخذ مظاهر أخرى مثل الهيئات الدينية المنظمـــة والتى غالبا ما تكون موضع منافسة مع بعضها البعض ، فالدين فى هذا النـــوع من المجتمعات يعنى أشياء مختلفة ويغطى احتيـــاجات متنوعـــة لمختلف الطبقات والجماعات • فالدين لم يعد بعد هو الذى يلبى الوظائف المنوطة به لكل أفراد المجتمع • فالدين قـــد يكون شيئا مطلوبا ومرغـــوبا لبعض الافراد والجماعات وقـــد لا يكون كذلك بالنسبة للبعض الآخر • ويذهب كلا من هربرج Will Herberg وبلا R. N. Bellah الى أنـــه حتى فى مثل هذا النموذج من المجتمعات نجد أن هناك ما يســـمى بالدين القومى National Religion والذى تكون له الهيمنة فوق كل التعدد القـــائم فى التنظيمات الدينيـــة(٢٧) •

كذلك لم تعد للاعتقادات الدينيـــة والقيم الدور الرئيسى فى التأثير على السلوك الظاهر للافراد فى هذا النـــوع من المجتمعات فليس هنـــاك حاجة الى التوافق والتصديق التام لكل الاعضاء مع المبادىء والتعـــاليم التى تقدمها الهيئات الدينية • ويثير كثير من العلماء تساؤلا عما اذا كان الذين يمارسون الشعائر الدينية سواء فى أماكن العبادة أو فى المنـــازل ، يدركون الوظائف الاجتماعية الايجابية التى يتمنون تحقيقها ؟ فقد يكون الهدف هو تحقيق أهداف اجتماعية ، وهنا تتحول الوظائف من كونها كامنة الى وظائف ظاهرة • بمعنى آخر ، أن النتائج الاجتماعية المرغوبة والتى

---

(٢٧) أنظـــر :

(A) Hefberg, Will, *Protestant, Catholic, Jew*. Gardencity, N· Y· : Doubleday, Anchor Book, 1960·

(B) Bellah, R., N., Civil Religion in America, *Daedalus* Winter 1965) PP. 1-19.

كانت قبل ذلك نتيجة أفعال دينيـــة غير مقصودة قد تحولت الى أهــداف اجتماعية • وهذا قد يثير تساؤلا آخر عما اذا كان كل فعل دينى موجـــه الى أهداف اجتماعية يمكن اعتباره فعلا دينيا ؟ الحق أنه ليس هناك اجابة محددة على هذا التساؤل ، خاصة وأن معظم الهيئات الدينية فى النموذج الثالث من المجتمعات تقوم بوظائف متعددة الكثير منها لا يمكن وصـــفه بأنه « دينى » • ومن ثم أصبح تحليل علمـــاء الاجتماع للدين فى هــذا النموذج من المجتمعات غـــير قاصر على الدين بمعناه الروحى أو الفـــوق عضوى ، ولكن الجوانب الثقافية والاجتماعية هى التى تعد محورا لعديد من الدراســـات[٢٨] •

كل هـــذا كما سبق أن ذكرنا ، أدى بالكثير من علماء الاجتمـــاع الى التشكك فى استخدام المدخل البنائى الوظيفى ، خاصـــة فى تطبيقه عـــلى تحليل دور الدين فى النموذج الثالث من المجتمعـــات ، وتطبيق النظريات عامـــة ، واختبار موضـــوعات محددة للدراســـة واستخدام البيـــانات الاحصـــائية والفروض القـــابلة للاختبـــار هو أهـــم ما يميـــز التحليل السوسيولوجى للدين ، ولا يعنى هذا رفض المدخل البنائى الوظيفى ، فما زالت أبحاث كثير من العلماء من أمثال بارسونز وهربرج وبللا تدور حول فائدة المدخل البنائى الوظيفى فى القاء الضـــوء على التفاعل الكلى للدين مع الانظمة الاخرى فى المجتمعات الصناعية الحديثة[٢٩] •

---

(28) Nottingham, E., K., *op. cit.*, PP. 70-74.

(٢٩) أنظـــر :

(A) Bellah, R., N., "Civil Religion in America" *op. cit.*,

(B) Herberg, W., *op. cit.*,

(C) Parsons, T., "Christianity in Modern Industerial Society" in E. Tiryakian (ed.) *Sociological Theory, Values, and... Sociocultural Change* Glencoe III. : Free Press, 1953.

٧ ـ خاتمـــة :

التدخل القائم بين نماذج المجتمعات الثلاثة فى العالم الحديث :

قد تواجه محاولة استخدام هذه النماذج الثلاثة السابقة فى معرفة وظائف الدين فى المجتمعات ببعض الصعوبات • فالحقيقة أن أيا من هذه النماذج لا يوجد بمفرده فى مجتمعات العالم الحديث ، فعلى سبيل المثال، نجد فى النموذج الثالث من المجتمعات والذى يتميز بالدينامية نجـد — انبثاقا مستمرا للعلم والتكنولوجيا والقيم العلمانية تقوم على أسس من التوجيه الدينى المستمد من النموذج الثانى وبقايا النموذج الاول[1] •

وكذلك فان المجتمعات الزراعية الكبرى فى العالم والتى تمثل النموذج الثالث ، تتصل رغبت أو لم ترغب ، بالاتصالات السريعة للعالم الحديث، حتى أن اقتصادها الزراعى قد أصبح يعتمد الى حـد كبير على الظروف العالمية للتجارة أكثر من هذا ، فان نوع الحيـاة الاجتماعية قـد تطور فى المـوانىء والمراكز الحضرية بطريقة الاتصـال المبـاشر مع المجتمعـات الصناعية الغربية ولا تختلف هذه المراكز الحضرية كثيرا عن المجتمعـات العلمانية الممثلة للنمـوذج الثالث من المجتمعات • ومن ثم فان وظـائف الدين فى مدن كلكتا أو بومباى أو هونج كونج أو سنغافورة على سـبيل المثال ، تعتبر مماثلة لتلك التى تمارس فى لندن وباريس أو نيويورك • هذا فى الوقت الذى نجد فيه آلاف من القرى الزراعية ، والتى تتألف منهـا معظم هذه المجتمعات ، تخضع لسيطرة القيم التقليدية • وعلى هذا فان

---

(1) Nottongham, E., K., *op. cit.*, P. 49.

الراديو ووسائل الاتصالات الاخرى قد تغلغت فى معظم هذه القرى ، كما أن الوسائل التكنولوجية الحديثة قد استخدمت كبدائل للوسائل الزراعية القديمة • ونجد فى النمـــوذج الثانى من المجتمعات تداخـــلا بين القيـــم الدينية مع الطرق الزراعية التقليدية والكل يرتبط مـــع الانماط القائمـــة والمتوازنة للالتزمـــات ولعلاقات الاجتماعيـــة ، ولهذا فان التجـــديدات التكنولوجيـــة فى الزراعة لا تفشـــل مطلقا فى التأثير على القيم الدينيـــة نفسها • وعندما يحدث هـــذا فان الوظائف الاجتماعيـــة للدين فى هـــذه المجتمعات لابد أن تمر بمجموعة من التعديلات •

وحتى فى الولايات المتحدة المتميزة بالصناعة ، فما زال هنـــاك بعض المناطق الريفية داخل المجتمع الكبير يلعب فيها الدين دورا شـــبيها بدورة فى النموذج الثانى من المجتمعات ، فلا زال الدين فى هذه المناطق له دورا فى المحافظة على المرتبـــة والاوضاع الاجتماعيـــة فى المجتمعات المحليـــة والحفاظ على القيم التقليدية ولكن حتى فى هذه المنـــاطق الفقيرة ، فـــان القيم الدينية غالبـــا ما تواجه التحـــدى من وسائل الاتصـــال الجمعـــى والتأثيرات المختلفة للاعلانات التجارية • فالانسان الفقير قد لا يستطيع شراء المنتجات التجارية المعلن عنها ، ولكنه يعلم على أية حـــال بوجودها ولهذا فقد يدفعه الحرمان المادى الى اللجوء للدين كبديل يلتمس فيـــه أشباعا لحاجته • أما اذا ما تم التعبير عن ذلك الحرمان فى شكل مظاهرة سياسية فان هذا يعنى تحول الفعل الدينى الى فعل علمانى[٢] •

وعلى الرغم من هذه التغيرات فان الدين ما زال يلعب أدوارا مختلفة فى المناطق الريفية عنها فى المناطق الحضرية فاننا نجد أفرادا من المهاجـــرين من المناطق الريفية أو الوافدين من خارج المجتمع ، يتمسك أولئك الافراد

---

(2) Nottingham, E., K., *op. cit.*, PP. 50-51.

بالقيم الدينية الشبيهة بتلك السائدة فى النموذج الثانى للمجتمعات • وهؤلاء المهاجرون غالبا ما يختارون من القيم السائدة فى المجتمعات الحضرية ما يتناسب وثقافتهم الفرعية ، فالتوقعات التى ينشدونها والخاصة بالدور الذى يجب أن يلعبه الدين فى الحياة الاجتماعية تختلف عن تلك التوقعات التى ينشدها جيرانهم الحضريين • ولا شك أن وجود مثل هذه الجماعات الفرعية بمفاهيمها المختلفة عن دور الدين داخل المجتمع الكبير يؤدى الى وجود الصراعات والتناقضات على المستويين الفردى والمجتمعى • ويساعد ادراكنا لهذه التناقضات الناجمة عن الاحتكاك بين النماذج الثلاثة من المجتمعات على فهم دور الدين فى عالم اليوم[٣] •

---

(3) Nottingham, E., K., *op. cit.*, P. 51.

الفصل الثامن

التنظيم والسلطة الدينيــة

التنظيم والسلطة الدينيــة

١ ــ تمهيـــــد •

٢ ــ المشكلات الاجتماعية للتنظيم الدينى •

٣ ــ الحركة الدينية والاشكال المتغيرة للتنظيم الدينى •

٤ ــ أنماط التنظيم الدينى وأنماط المجتمعات •

٥ ــ العلاقة بين أنواع التنظيم الدينى وأنواع المجتمعات •

٦ ــ تأثير التنظيم الدينى فى المجتمع المعاصر •

٧ ــ السلطة الدينيــة •

٨ ــ الكارزما والسلطة الدينيــة •

٩ ــ خاتمـــة •

١ ـ تمهيـــد :

سوف نناقش فى هذا الفصل الدين كتنظيم اجتماعى • بكلمات أكثـــر تحديدا سوف نبين كيف أن الافكار الدينية قد تترجم الى تنظيم اجتماعى، وكيف أن هـــذه الجماعات بدورها تقوم بوظائفها تجاه أعضائها وتجـــاه الجماعات الاخرى ، وكيف تتميز هذه الجماعات الحديثة عن بعضها وعن الجماعات الاخرى فى المجتمـــع • والحق أن الدين تنظيم اجتمـــاعى • فالجماعات الدينية تهتم بالمشاكل الخاصة بأهداف الحياة المشتركة بالنسبة لاعضائها ، كذلك هناك اتفاق حول مجموعة من المعايير التى يرجى منها أن تحقق الاهداف العامة • ومن ناحية أخرى تتميز الجماعات الدينية مثـــل أى تنظيم آخر ، بتحديد واضـــح للادوار وتوقعاتها للاشخاص داخـــل الجماعة وخارجها • فمعظم الجماعات الدينية تتفق حول « قائد » معـــين وتحدد واجباته فضلا عما تحدده الجماعة من أدوار أخرى لاشـــخاص آخرين مثل الادوار الخاصة باداء الشـــعائر أو الدفاع عن العقـــائد أو القيادة السياسية • وأخيرا فان الجماعة الدينية تتطلب تحديدا واضحـــا لدرجة الانتماء الدينى للجماعة وما يتضمنه هذا من واجبات وحقـــوق •

ان ما نحاول أن نؤكده هنا هو أنه على الرغم من أن موضـــوع الدين يعد أمرا مميزا ، وعلى الرغم من أن مصدر المعايير قد يكون فوق طبيعى ، الا أن الجماعات الدينية تنظم نفسها طبقا لما تريده ، وفى هذا فهى تشترك فى الخصائص العامة لكل الخدمات الاخرى • وقد تكون الاهداف مختلفة، وقد تكون مجموعة المعايير المنظمة أيضا مختلفة ، ولكن الجماعة الدينيـــة كأى جماعة أخرى ، ســـوف تحاول حل الاختـــلافات الخاصة بتفســـير

وتطبيق أهدافها ومعاييرها وأدوارها ، فقد تميل الى تكييف أو تعديل هذه الاختـلافات والمعايير والادوار حتى تتناسب مع الجماعات الاخـرى • وجدير بالاشارة هنا ، أنه عندما يزداد حجم الجماعة أو التنظيم الدينى ، فان درجة الاتفاق بين الاعضاء ، حول الاهداف والمعايير ، تقل الى درجة كبيرة • وقد يرجع هذا الى عدم استمرار التفاعل والاتصال بين الاعضاء ، فاتساع الجماعة يعنى عـدم التحكم فى مستوى الفهم والانتمـاء بين كل الاعضاء ولهذا نجـد اختلافا بين الاعضـاء فى فهم الاسس العقـائدية العامة • وقد تلجأ الجماعات الدينية الى التضحية بالاتساع فى الحجم من أجل الحفاظ على النوعية الخاصة والاشتراك العام لاعضائها •

وتتضـمن عملية التحـول البيروقراطى للدين Bureaucratization مشكلة السلطة فى الجماعة الدينية • بمعنى آخر ، أنه على الرغـم من أن البيروقراطية تظهر على أنها اتجاه حتمى فى الجماعة عندما تنمو وتطـور تقسيما واضحا للعمل الا أن هذا يتطلب تنظيما واعيا وقد يتضمن نتائج غير متوقعة • وقد تتخذ السلطة الدينية أشـكالا هرمية تتطلب تدريبـا متخصصا وخبرة لاولئك الذين يمارسون هذه الادوار • وتتوقف درجـة نجاح السلطة الدينية على درجة العلاقة بين القادة والاعضاء من ناحيـة ودرجة تمتع القيادة بسلطة كرزماتية من ناحية أخرى على أية حال،سوف نناقش هنا المشكلات الاجتماعية للتنظيم الدينـى والاشكال والانمـاط المتغيرة التى يتخذها ، مثل مفهوم الحركة والفرقة والطائفة واختلاف كل منها حسب طبيعة المجتمـع ثم نعرض لكيفية تأثير التنظيـم الدينى فى المجتمع المعاصر وفى نهاية الفصل نتناول مشكلة السلطـة الدينية ودور الكرزما فى التنظيمات الدينيـة •

٢ ـ المشكلات الاجتماعية للتنظيم الدينى :

تتعرض جميع التنظيمات الدينية لاختبار صعب لا يمكن تجنبه وهى فى سبيلها لتشكيل السلوك الانسانى على نمط محدد سواء كان هذا النمط قد حددته العقيدة الدينية أو المبادىء الاخلاقية أو الفلسفة السياسية . فلكى يمكن للتنظيمات أن تواصل نجاحها فى التأثير على المجتمعات الانسانية طبقا لاهدافها ، عليها أن تكون مؤثرة فى أتجاهين : من ناحية عليها أن تقوم بتنظيم عادات أعضائها بحيث تتوافق مع مثلهم الخاصة . ومن ناحية أخرى ، فلكى تؤثر هذه التنظيمات على المجتمع الكبير ، عليها أن تمتد وتتسع فى تنظيماتها وتزيد من طاقة تأثيرها من خلال جذب بعض الاشخاص ذوى المكانة والقوة فى المجتمع الاكبر . والحق أن هذين هما جانبى الاختبار ، فالنجاح فى أحدهما يعنى دائما قبول المهارة مع الآخر . بمعنى آخر أن التنظيم يواجه بمشكلة الاختيار ما بين المحافظة على النقاء الخلقى والروحى على حساب تحديد نطاق التأثير الاجتماعى ، أو تحقيق السيطرة على المجتمع ككل على حساب التضحية بالمثل المميزة لهذا التنظيم[1] .

ويتضمن هذا الاختيار فرضين أساسيين : الاول يشير الى المحافظة على النظام فى الجماعة يتضمن أفتراضا مؤداه أن الضبط الدينى والاخلاقى قد يتعارض مع سلوك معظم أعضاء الجماعة . فالافراد يختلفون من حيث طاقاتهم الدينية وأهتماماتهم ، فقليل منهم يتميزون باستعدادات دينية ، وعلى ذلك فهم يتقبلون كل ما يختص بالاخلاق

---

(1) Nottingham, E., K., *op. cit.*, P. 218.

والمبادىء الدينية دون مناقشة.أكثر من هذا فان المتطلبات المطلقة للمعايير الدينيةتؤثر على الشخص بأكمله،فقد يطلب من العضو الذي ينتمى الى تنظيم دينى أن يضحى ويتنازل عن حريته الشخصية فيما يتعلق بممتلكاته المادية أو مشاعره أو حياته الاسرية أو الاستمرار فى عمل مستقر أو الامتناع عن بعض المتع الحسية المتمثلة فى الطعام والشراب أو العلاقات الجنسية. أكثر من هذا فقد يطلب الى الشخص أن يعيد تهيئة عالمه النفسى ، أى أفكاره وتصوراته ورغباته وما الى ذلك . فالعضو مطالب بأن يلتزم بهذا النظام طوال الاربع وعشرين ساعة كل يوم . ولا نجد أى من التنظيمات الاخرى يطالب بمثل هذه المطالب فيما عدا بعض التنظيمات السياسية التى نجدها قد أتخذت طابعا شبه دينى . والحق أن قلة من الاديان هى التى تتطلب مثل هذا الالتزام بين أعضائها . ففى نماذج معينة يعد التصديق السطحى كافيا . ولكن فى الحالات التى تبلغ الاوامر والضوابط الدينية والاخلاقية مداها،يواجه التنظيم الدينى بعض المشاكل المتمثلة فى الردة والانسحاب والعصيان والتى قد تؤدى الى قلقة التنظيم الدينى لو أن قيادته حاولت أن تتشدد فى تطبيق الاوامر الدينية(٢) .

ويتعلق الافتراض الثانى بمشكلة التأثير على السلوك الانسانى من حيث أن الاهداف الاخلاقية للتنظيمات الدينية عادة ما تكون غير متلازمة مع الاهداف المتفق عليها للمجتمع وأنظمته المختلفة . وبمعنى آخر هناك صراع أساسى قائم بين الاهتمامات الدينية والمجتمع الدنيوى. وتستطيع الجماعات الدينية أن تواجه هذا الموقف بأحد طريقين : فهى تستطيع أن تحاول تخليص أعضائها من العالم الملىء بالشرور عن طريق الانسحاب

---

(2) Nottingham, E., K., *op. cit.*, P. 219.

عنه بقدر الامكان ، والبديل الآخر هو الانشغال فى معركة حقيقية مع الدنيا محاولين تغييرها • وقد يؤدى انسحاب هذه الجماعات الدينية من معركة الحياة الى تناقص عدد أعضائها ، كذلك ضعف التأثير الذى تباشره على المجتمع الكبير • ومن ناحية أخرى فان الجماعات العسكرية يمكن أن تؤثر بشكل مباشر على العالم الخارجى لو أنها وسعت من مجالاتها • ولو أريد لهذا التوسع تحقيق أهداف الجماعات الدينية فان ذلك يتطلب أن تضم هذه الجماعات العسكرية بعض الاعضاء ذوى القوة والنفوذ فى المجتمع • وهكذا أصبحت المسيحية — والتى كانت فى البداية قاصرة على بعض الاعضاء المنعزلين — الدين المسيطر للامبراطورية الرومانية نفسها ، وما نتج عن ذلك من تأثير على جميع الانظمة، وبوجه خاص عندما اعتنقتها بعض الشخصيات الهامة وعلى رأسهم الامبراطور قسطنطين(٣) •

وتكمن المشكلة فى حقيقة أن تحقيق التوسع وتزايد قدرة التنظيم الدينى على التأثير فى المجتمع يكون على حساب التخفيف من شدة الاعتقادات الدينية • ففى مجرى تزايد أعضاء التنظيم الدينى فى العدد والقوة يشتمل على بعض العناصر التى كانت محل صراع • فالعالم الذى كان ينظر اليه على أنه عالم الشرور قد لا ينظر اليه هكذا ، بل قد يتكامل مع التنظيم الدينى • وهكذا فان الصراع الدينى مع العالم الخارجى لا يتم تقييمه على أساس الصراع الخارجى ولكن على أساس الصراع الاجتماعى داخل التنظيم نفسه • وعندما تنمو مسئوليات التنظيم الدينى وتأثيره الاجتماعى نجده يشتمل على العديد من المشاكل

---

(3) Nottingham, E., K., *op. cit.*, P. 220.

الدنيوية لمشاكل السياسة والحكومة ، والقيادة والطموح ، وتنمية الثروة واستخداماتها وتوزيعها وضبطها • ومن ثم فان الدين وجوانبه التنظيمية — ولا يعنيناهنا جوانبه الروحيــة — يتميز بنفس المشكلات الانســانية الموجودة فى الحياة الاجتماعية بوجه عام[٤] •

ويرى ينجر J. M. Yinger أن التنظيمــات الحديثــة قد تبلغ ذروة تأثيرها على الافرادو المجتمع فى الـــوقت نفسه تحتفظ بمثلها الدينيــة والاخلاقية وذلك عن طريقين أولهما ، أن يسمح هذا التنظيم الدينى الذى له تأثير واسع فى المجتمع بوجود جماعات صغيرة متنوعة تتميز بالطابع الدينى الروحى • وثانيهما ، هو أن التنظيم الدينى يكون صغير نســبيا ولكنه يتميز باحتفاظه بالتطهر الاخلاقى بشدة ، ولكنه مع ذلك يستنبـط طرقا معينة لنشر تأثيره فى العالم[٥] •

والحق أن كثــيرا من الناس ، حتى أولئك ذو الاتجــاهات الدينيــة القوية ، لا يشعرون بأى حرج من مناقشة الجوانب التنظيمية للــدين ، فيمكننا أن نفــرق بين الدين كمــا يدرك على أنه عــلاقة الفرد بالاله ، والموضوعات المطلقة المتعلقة بالعقيدة من ناحية ، وبين الدين كنظـــام انسانى من ناحية أخرى • وطالما أن النظام الدينى هو نظام انسانى ، ومن ثم فهو موضوع لكل الظـــروف التى تحيط بذلك التنظيم الانسانى فى

---

(٤) أنظــر :

Parsons T., *Religions Perspectives of college Teaching in* ***Social Psychology,*** **New Haven: Edward W. Hezen Foundation** 1951 P. 27.

(٥) أنظــر :

Yinger, J., M., ***Religion in the Struggle for Power.*** **Durham :** N. C. Duke University Press 1946. P. 23.

عمومه . فالدين اذن ، يعد موضوعا للنقص والتغـير . فلا المـاضى ولا الحاضر يشيران الى وجود تنظيم دينى كامل لم يتبدل ولم يتغير،ويشير التطور التاريخى الدينى وتطور المذاهب الدينية فى الشرق والغرب الى ما يؤيد قولنا هذا . فالتنظيم الدينى الذى يعد بمثابة القوى المستقـرة فى المجتمع ومصدر الامن لاعضائه ، يتميز هذا التنظيم بالثبات النسبى، فمعظم التنظيمات الدينية التى تميزت باستقرار ملاحظ مرت فى مجرى التاريخ بتغيرات وتحولات واسعة . ولا يعنى ابراز التغير الذى يصيب التنظيمات الدينية أنها غير كاملة أو ليست دائمة ولكن ما نقصده هو أن التنظيم الدينى مرتبط بالنشاط الانسانى ، ومن ثم فهو يتغير . ويـدرك عالم الاجتماع من ناحيةأخرى ، أن أى تنظيم سواء كان دينيا أم غـير ذلك لايعمل بمفرده فى المجتمع ، فالتغير فى الانظمة الاخرى لابد وأن ينعكس على باقى الانظمة ومنها التنظيم الدينى[٦].

وقد نجد اتجاها معاديا للجوانب التنظيمية ، داخل التنظيم الدينى نفسه ، ويرجع ذلك الى أن الظروف المجتمعية المحيطة بالدين قد يكـون لها اتصال بأهداف وغايات دنيوية وروحية ، وقد برز اتجاه عام بين معظم مؤسسى الاديان لنقد التنظيم الدينى ، خاصة اذا كان يتميز بالشكلية أو له غايات سياسية أو مادية . كما أن معظم الذين لهم تجربة صوفيـة خاصة أو روحية يعارضون الامتثال للتنظيم الدينى السائد فى عصورهم وعلى الرغم من رفضهم هذا ، الا أنهم أنفسهم قد يكونون مصـدرا لتنظيمات دينية جديدة . كل هذا يعنى أن من أحد السمات المميزة للتنظيم الدينى هو تجديد نفسه من الداخل، فالاتجاه المحافظ والاتجاه الراديكالى والاتجاه الدنيوى والروحى كلها اتجاهات تعبر عن الحيوية التى يتميـز بها التنظيـم الدينى[٧] .

---

(6) Nottingham, E., K., *op. cit.*, PP. 221-223.

(7) *Ibid.*, PP. 223-224.

٣ ـ الحركة الدينيـة والاشكال المتغـيرة للتنظيم الدينى :

تظهر المحنة الاساسية التى يعانيها التنظيم الدينى بشكل ملمـوس عندما نضع فى اعتبارنا أحد مظاهرها وهو الحركة الدينية Religious movement وتشير الحركة الدينية هنا الى محاولة منظمة تستهـدف نشر دين جديد أو تفسير جديد لاحد الاديان القائمة ويمكن النظـر الى الاديان الكبرى فى العالم كالبوذية ، والمسيحية والاسلام باعتبارهـا نتاجا لحركات دينية ، وبالمثل ، تنمو الحركات الدينية فى اطـار الاديان القائمة مثل حركات الفرنسيسكان Franciscan البروتستانتية داخـل اطار الديانة المسيحية الكاثوليكية • ومثل هذه الحركات وغيرها لابد وأن تمر بمراحل محددة حتى تصبح مستقرة وثابتة بالنسبة للاديان الاخرى ، وربما قد يؤدى الشكل الثابت لهذه الحركات الدينية نفسها الى تشكيـل القاعدة لظهور الحركات الدينية فيما بعد(١)•

وتعتمد الحركة الدينية على شخصية مؤسسها وما يتمتع به منجاذبية وقدرة على التعبير والاقناع التى تجعل الناس يلتفون حوله • ويطـلق على هذه الصفات اسم الـكرزما Charisma أو الطـاقة الملهمة أو الروحية غير العادية • وبالرغم من أن مؤسسى هـذه الحركات الدينيـة غالبا ما يكونوا ناقدين للتنظيم الدينى القائم الا أن رسالاتهم الدينيـة، على ما قد تحتويه من جـوانب جديدة ، تدين بالكثير من جوانبها الى التراث الدينى الذى تنبعث منه الحركة • وعلى سبيل المثال نجد أن بوذا كان ثائرا ضد الهندوسية التقليدية ، ومع ذلك تأثر بها تأثرا كبيرا•

---

(1) Nottingham, E., K., *op. cit.*, PP. 224-225.

وخلال سنوات التكوين الاولى ، تتخذ معظم الحركات الدينية شكل الجماعات الاولية غير الرسمية • وتبدأ العملية أساسا بأن يؤثر مؤسس الحركة فى مجموعة من الافراد الذين يتبعونه ،ويتأثر كلا منهم به من خلال الاتصال المباشر باعتباره قائدهم الملهم ، ومثل هذا الاتصاليمدهم بالتماسك والدينامية وفى البداية لانجد أية رغبة لدى هذه الجماعةالاولى فى تكوين تنظيم دينى ، فهذه الجماعة فى وضع لايتعـدى الاستمـاع والامتثال للتعاليم الدينية الجديدة التى يلقنها لهم قائدهم الملهم • وبنمو الجماعة نجد هناك اتجاها من المؤسس نحو وضع قواعد تنظيم الحيـاة والسلوك مثل تعاليم المسيح للحواريين وتعاليم بوذا للذين يريدون طريق الخلاص وهكذا • والحق أن مسائل التعاليم لا تمثل مشاكل حـادة فى هذه المرحلة من تطور الحركة الدينية • كما أن قليلا من الاجابات الفكرية قد تعطى للاسئلة الخاصة بطبيعة المؤسس وسلطة رسالته ، ورغم ظهور هذه المسائل فى وقت مبكر من تطور الحركة • وطالما كان المؤسس على قيد الحياة فان وجـوده يسيطر على أتبـاعه ، ولكن هناك مسائل مثيرة للخلاف متمثلة فى تعويض ونقل السلطة الى آخر أو آخرين ، كـذلك البناء الهرمى للافراد داخل الحركة(٢) •

وفى المرحلة الثانية للحركة يواجه خلفاء Successors مؤسس الحركة مشكلة اعطاء تفسيرات واضحة للامور الاساسية المتصـلة بالتنظيم أو المعتقدات والشعائر ، والتى لم يقدر لها أن تتضح أثناء حياة المـؤسس وفى هذه المرحلة تتحول الحركة الى ما يسمى بالتنظيم الرسمى لجماعة من المؤمنين الذين يلتفون حول عقائد محددة وعامة تتعلق بالموضوعـات

---

(2) Nottingham, E., K., *op. cit.*, PP. 225-226.

المقدسة وما يتصل بها ، وفى هذه المرحـــلة الثانية ، والتي يتحمـــل مسئوليتها عادة الجيل الثاني من الاتباع ، توضـــع بوضوح الصفات المتطلبة للعضوية ، كذلك فان حـدود الســـلطة بالنسبة للتنظيم تزداد وضوحا كذلك نجـد أن الاعتقادات الخاصة بالشخص المقدس ورســالة المؤسس تأخذ شكل العقيدة الرسمية ، والتى يعد الخروج عنها خروجـا عن الدين نفسه ، كذلك تتخذ بعض المناسبات الخـــاصة مثل العشــاء الربانى عند المسيحيين أو يوم الغفران عند اليهود أو عيد الفطر أو عيد الاضحى عند المسلمين شكل الشعائر الرسمية ويتلازم مع هذه المرحلة نوع من الصراع على القيادة ، مثلما حدث فى الاسلام بعد وفاةالرسول وأدى الى ظهور الشيعة • أو الصراع الخاص بتكون المعتقدات الــذى هز المسيحية فى القرن الثانى والثالث الميلادى ، ولكى يمكن التغلب على هذه الصراعات يستلزم الامر فى بعض الاحيان ظهــور «مؤسس ثانى» يدعم الحــركة •

واذا ما نجحت الحركة فى البقاء عبر المرحــلة الثانية ، فان المرحــلة الثالثة تتميز بالتوسع والتنوع ، وبهذا تصبح الحركة أكثر تماسكا وتتخذ أشكالا متعددة من التنظيم • وتختلف الحركات الدينية فيما بينها بالنسبة لدرجة التوسع ، فمنها ما يقبع تحت تأثير حـدود العنصر أو الطبقــة أو الثقافة•ومنها ما تخطى هذه الحدود كالبوذية والمسيحية والاسلام ، فقد حولت هذه الحركات الى صفها عديدا من الاشخاص ذوى المكانة السياسية والوضع الاقتصادى المرموق • وفى هذه المرحلة نجد أن الحركة الدينيـــة تواجه الخطر الناجم عن نجاحها وتصبح ضحية الاختيار ما بين التوسع أو التركيز على التنظيم والمبادىء الاخلاقية والدينية للافراد •

وتواجه الحركة فى مثل هذه المرحلة صعوبات أخرى متعلقة بتقـــديم

تفسيرات عن سبب عدم تحول الاهـداف الاصلية للحركة الى حقـائق ملموسة رغم نجـاح الحركة فى كسب المزيد من الاتبـاع • ونجد هـذه المشكلة بصفة خاصة فى الحركات ذات الصيغة التنبؤية التى بشر بها القادة مثل : التنبؤات بعودة المسيح مرة ثانية ، ونهاية العالم وقيـام مملكة الله على الارض ••• وهكذا • وقد واجه الجيل الثالث من المسيحيين مثلا ، مشكلة عودة المسيح مرة ثانية ، وكان من الضرورى تقديم تفسيرا اضافيا لهذا ، يؤكد على عودته فى شكل الطقوس وحضوره غير المنظور فى قلوب المؤمنين به ، واعطاء تفسيرا مستقبليا أو أخـرويا لقيام مملكة الله عـلى الارض(٣) •

هذا ، وهناك تأكيد فى العصور الحديثـة على الجوانب الاجتماعيـة للدين ، من ذلك ، ظهور حركة الانجيل الاجتماعى Social Gospel فى المسيحية(٤) وقد ترك لعديد من الحركات الدينية ــ السياسية مثـل الفاشية والماركسية والشيوعية وضع تجسيد اجتماعى لملكة السـماء عن الارض • ويواجه قادة هذه الحركات الدينية ــ السياسية فى هذه المرحلة الثالثة ، مشكلة اعـادة تفسير الاهـداف التى طـال تحقيقها • وبهـذه التفسيرات الجديدة يبرر القادة سيطرتهم واستمرار حركاتهم ، والهدف الاساسى من هذه المرحلة الثالثة لتطور الحركات الدينية والسياسية هـو الاستمرارية وهو يشكل الهـدف الاساسى لتنظيماتهم • ومن خلال هذه المرحلة نجد أن العملية الروتينية routinization أخذت ترحف عـلى الحركة وتنظيماتها(٥) •

---

(3) Nottingham, E., K., *op. cit.*, P. 227.

(4) *Ibid.*,

(5) *Ibid.*, P. 228.

انظـر أيضـا :

Weber, M., *The Sociology of Religion*. trans. E. Fischoff, Boston : Beacon Press, 1963. PP. 60-61.

Hammond, P., E., *Religion in Social Context. Tradition and Transition*. New York : Random House, 1969. PP. 59-69.

٤ ـ أنماط التنظيم الدينى وانماط المجتمعـات :

تدين معظم الدراسات الخاصة بالتنظيم الدينى الى اسهامات عـالم الاجتماع الالمانى أرنست ترولتش Ernst Troeltsch ، ففى كتابه التعاليم الاجتماعية لكنائس المسيحية[١] حـاول أن يميز بين نمطين مـن الجماعات الدينية الكنيسة Church[٢] والفرقة Sect . فالكنيسة عند ترولتش ، هـى نوع من التنظيم الدينى المتميز عن الحركة الدينيـة فى شكلها الاكثر اكتمالا واستقرارا . ومن ناحية أخرى فالفرقـة Sect تشير الى المراحل الدينامية المبكرة لاية حركة دينية ، وعلى الرغم من أن هذه التفرقة كانت أساسـا لاستخدامها فى الدراسـات المسيحية الا أن دراسات فيبر عن اليهودية القديمة وأديان الهند والصين قد بينت للباحثين أن نموذج ترولتش للتفرقة بين الكنيسة والفرقة يمـكن أن يستخدم فى أديان أخرى كذلك[٣] .

وقد أدخل حديثا على نموذج التفرقة بين الكنيسة ـــ الفرقـة ، كثيرا

---

(١) أنظـــر :

Troeltsch, E., The Social Teaching of Christian Church, *op. cit.*, (2 Vols).

(٢) نظرا لان معظم الموجهات النظرية والامبريقية لعلم الاجتماع الدينـى مستمدة فى الاصل من الديانة المسيحية فاننا نستخدم لفظه (كنيسة) هنـــا بمعناها العام لتعنى كل أشكال الحياة الدينية لاى جماعة . ويميل بعض العلماء الى استخدام المصطلح اللاتينى Ecclesia كبـــديل لمصطلح الكنيســة Church عندما يستخدم فى المحتوى المسيحى .

(3) Nottingham, E., K., *op. cit.*, PP. 228-229.

من التعديلات ووجهت اليه عديدا من أوجه النقد • فكثير من الباحثين ، من أمثال نييوهر H. R. Niebuhr ، حاولوا متأثرين بالتراث الامريكى ، تعديل نموذج ترولتش بادخال مفهوم جديد هو الملة denomination كمصطلح وسيط بين الكنيسة القائمة والمحافظة والتى ينتمى اليها الاعضاء بالمولد ، وبين الفرقة التطوعية ذات النزعـة الثورية والتى يلتحق بهـا الاعضاء أما عن طريق التحول Conversion أو الانتقاع coviction [٤] ويضيف هيوارد بيكر مفهوما جديدا وهو الطائفة cult [٥] ويرى بيكر، مثله فى ذلك مثل Niebuhr وكثير من علماء الاجتماع أن الملة هى الشـكل الظاهر للتنظيم الدينى الامريكى ، وقد لاحظ هـؤلاء العلماء أن هنـاك اتجاها يميز الفرق الدينية بتطوير بعض السمات الكنائسية وبهذا تتحول الى مـلل[٦] وقد أشار ولسـون Breyan wilson الى أن الاتجـاه الدينامى للفرق الناجحة نحو التحول الى ملل يعد ميزة بالنسبة للمجتمعات المتطورة اقتصاديا والتى تتميز بوجود الفرق ذات الطبيعة التحويلية أكثر من تميزها بالفرق ذات الطبيعة الانعزالية •

من ناحية أخرى نجد أن جونسون Benton Johnson يرى أن المفاهيم الخاصة بالكنيسة والفرقة والملة والطائفة تؤدى الى الغموض فى البحث السوسيولوجى لانها تحتوى على عـديد من المتغيرات المختلفـة

---

(٤) أنظـر :

Niebuhr, H., R., *The Social Sources of Demonistrationalism*. New York : Meridian, 1957. PP. 17-25.

(٥) أنظـر :

Lepold Von Wiese and T. B., Becker, *Systematic Sociology*. N. Y. : Wiley, 1932. PP. 624-628.

(6) Nottingham, E., K., *op. cit.*, P. 229.

وليست متماسكة دائما فى أية حالة معينة(٧) • وأخـــيرا نجد أن علمـــاء الاجتماع الذين درسوا التنظيم الدينى فى مجتمعات أفريقيا وآسيا قـــد اكتشفوا أشكالا تنظيمية جديدة ومختلفة ولا يمكن أن تندرج تحت أى من هذه المقولات السوسيولوجية(٨) • على أية حال ، يمكن التفرقة بين هذه المفاهيم على النحو التالى :

تؤكد الكنيسة عموميتها داخل حدود معينة ، سواء كانت قوميـــة أم عالمية ، وجميع الاعضاء الموجودين والمولودين فى هذه المنطقة يعتبـــرون أعضـــاء فى هذه الكنيسة ، وتعتبـــر أنماط السلطة الخاصة بها رســـمية وتقليدية ، وهى تسير بطريقة مركزية وهرمية من أعلى الى أسفل التنظيم، من خـــلال سلسلة من الاوامر وهناك عـــدد من القادة فى هذا التنظيـــم المتنوع ، ولعل أهمهم هو القس priest الذى حل محل الرســـول أو النبى prophet ويســـتمد القس سلطته من البنـــاء الهرمى للكنائس وتتمثل وظيفته الرسمية فى ادارة الشعائر مع الاعضاء • وتتميز الكنيسة عن الفرقة بأن ليس لها اتجاهات انعزالية معادية لهذا العالم ، على العكس فان هدفها هو ضبطه من أجل أهـــداف التنظيم الدينى ، ومن ثم فهنـــاك تبادل مباشر بين سلطة الكنيسة والانظمة العلمانية للمجتمـــع بما فى ذلك الحكومة المدنية • ولهـــذا السبب ، فان الكنيسة ، كمـــا يذهب ترولتش ،

---

(7) Wilson, B., An Analysis of Sect Development, *A.S.R.* Vol. 24. (Feb. 1959) PP. 3-15.

(٨) أنظـــر :

Johnson, B., "A Critical Apprasial of chruch-sect Typology", *A.S.R.* Vol. 22 (Feb. 1957) PP. 88-92.

.................., "On Church and Sect" *A. S. R.* Vol. 28 (August 1963) PP. 539-549.

تتحكم فى العالم كما أنها خاضـــعة لتحكم العالم فيها(٩) • والفـــرقة فى مقابل هذا ، تتميز بأنها جماعة صغيرة حيث يرتبط أفرادها طواعية ، وغالبا ما يكونوا فى سن الرشد • وتمارس السلطة عادة من خلال القيادة الملهمة بدلا من التنظيـــم الهرمى ، وعلى الرغـــم من ذلك فان الضبط والنظـــام الدينى يفرض عامة بواســـطة الالتزام المتبادل بين أعضاء الجمـــاعة • وتتميز الفرق عـــامة بالحماس الدينى والاخـــلاقى ، ولكل فرقة شـــعار أخلاقى أو دينى معين ، واعتقادات وممارسات الفرقة تساعد على وضـــع حد فاصل بين أعضاء هذه الفرقة الصغيرة وبين العالم الخارجى • كذلك يتميز أعضاء الفرقة بأنهم عادة فى عداء مع أعضاء كل الكنائس الاخرى ، ومن ثم فان الفرق تميل لان يكون لها اتجاه راديكالى فى رفضها للحكومة العلمانية ، كما نجد أن أعضـــاء الفرقة قد يرفضون الوظائف الحكوميـــة أو الخدمة العسكرية أو قد يرفضون دفـــع الضرائب • وهكذا • هـــذا ، ويوجد نوعـــان متميزان من الفرق ، الفـــرق الانعزالية ، والفـــرق ذات الطبيعة النضـــالية(١٠) •

والملة هى جماعة مســـتقرة نسبيا ذات حجم معقول وعـــلى شىء من التعقيد وتضم عديدا من أعضائها بحق المولد • والملة واحدة ضمن عدد من الكنائس الموجودة داخل حدود أقليم معين أو عدد من المقاطعات • وأحيانا ما تكون السلطة فى الملة هرمية وأحيـــانا أخرى تنبع من الافعال الممثـــلة للجماعات المحلية لرجال الدين والملة عكس الفرقة من حيث أنها ــ الملة ــ تتميز بالرسمية من ناحية وبالتقليدية والابتعاد عن الحماس والتشدد من ناحية أخرى • ويعتبر رجال الدين فى الملة مسئولين عن رعاية تجمعاتهم•

---

(9) Nottingham, E., K., *op. cit.*, P. 231.

(10) *Ibid.*, P. 231.

كذلك فان الملة لا تمانع من الاشتراك فى الحروب ، ولا تحـــاول السيطرة على العالم ولكنها فى أغلب الاحـــوال تكون فى علاقة تعاون مع المنظمـــات والسلطات الدنيوية والمؤسسات الدينية الاخرى • ويمكن أن نميز نوعين أساسيين من الملل فقد تكون الملل أصـــلا فرقا كونت اتجاها سلميا مـــع العالم وقد تكون الملل من ناحية أخرى كنائس سابقة ولكنها تحت ظروف الاستمرارية أخذت شكل الملل ، كما هـــو الحال فى أمريكا ، ولعل كنائس Boptist و Methodist خير أمثلة للملل التى نبعت أصلا من كنائس سابقة ، بينما تعد كنائس Lutherian Epicopal والتى أسست عـــلى المستوى القومى فى انجلتـــرا بمثابة مـــلل فى الولايات المتحـــدة الامريكيـــــــة[11] •

والطائفة Cult من ناحية أخرى تتميز بأنها جماعة دينية صـــغيرة وتتشـــابه فى بعض جوانبها مـــع الفرقة ؛ وان كانت تختلف عنهـــا فى أن العضوية قاصرة على المناطق الحضرية • وغالبا ما يلجأ أعضاء الطائفـــة للانضمام اليها عندما يواجهون بالوحدة والتوتر فى زحام المدينة وعنـــدما يكونوا فى سن متأخرة من حياتهم • وتعد العضوية فى الطائفة تطوعية ، ولا يعنى الانضمام الى الطائفـــة الالتزام بقواعدها النظامية • وتعتبـــر السلطة فى الطائفة ضعيفة وليس لها أثر واضح • والاعضاء ينتمـــون الى الطائفة ليس بسبب قبـــول اعتقاداتها وممارساتها ولكن لتوافق معظمهم مع الآخرين • ولا تقتضى عضوية الطائفة عدم الانتماء الى كنائس تقليدية فالعضوية والانتماء هنا ، غير واضحين المعالم وغالبـــا ما لا يكونا منظمين والقيادة فى الطائفة كرزماتية وغـــير رسمية • وغالبا ما تركز معتقـــدات الطائفة على أحد الجوانب الخاصة بالتعاليم الدينية وقد تســـتعير بعض السمات من ثقافات أخـــرى •

---

(11) Nottingham, E., K., *op. cit.*, P. 233.

ولا ينسحب أعضاء الطائفة من الامور الدنيوية ولا يعارضونها • حقيقة أن أعضاء الطوائف ليسوا مهتمين بالمشاكل السياسية والاجتماعية بشكل نشط ، ولكن وظيفة الطائفة هى مساعدة الاعضاء على التوافق بقدر الامكان مع العالم الدنيوى ونظمه المختلفة • وقد يساوى بعض علماء الاجتماع الطائفة بالمراحل الاولى لتطور الفرقة • ولكن الفارق الاساس الذى نؤكده هنا هو الطبيعة الاختيارية والتسامحية للطائفة فى مقابل التشدد الاخلاقى والنظامى للفرقة ولعل من أهم الامثلة فى العالم الغربى على مثل هذا النوع من الطوائف هو حركة Father Divine's peac Movement وحركة IAM Movement وبعض حركات الشباب كحركة Krishna واتباع Meher Baba (١٢) •

---

(12) Nottingham, E., K., *op. cit.*, P. 233.

٥ ـ العلاقة بين أنواع التنظيم الدينى وأنواع المجتمعات :

على الرغم من أن بعض أنواع التنظيم الدينى تتناسب وأنواع معينة من المجتمعات أكثر من غيرها ، الا أن هناك امكانية تواجد عديد من أنماط التنظيم الدينى فى نفس المجتمع • ففى المجتمعات البدائية لاتجد تمييزا بين التنظيم الدينى والتنظيم العام للمجتمع فكلاهما متضمن فى الاخر• أما فى المجتمعات التقليدية أو ما قبل الصناعية نجد أن هنـاك وضعـا اجتماعيا يسـمح بوجود الكنائس الكبرى مثـل الكاثوليكية الرومـانية والكنيسة الارثوذكسية الشرقية • ويرجع اختفـاء الكنيسة العالمية فى العالم الغربى الى ظهور عديـد من الكنائس القومية فى العـديد من المجتمعات•وقبل ظهور الدول القومية الكبرى كان المجتمع يتميز بالاقطاع الزراعى ومع بداية التحول السياسى نجد أن التنظيم الدينى يؤكـد على الوحدة وبالرغم من أن ظهور الحكومات القومية قد حطم هذه الوحـدة الا أنها دعمت نفسها بشكل معدل من التنظيم الدينى والـذى أكـدت ودعمت فيه الوحدة الدينية والوحدة القومية[1] •

وبتحلل النموذج الثانى من المجتمعات ظهر لنـا نوع من التحـدى للسلطة الدينية ، وقد أدى هذا الى ظهور الفرق كمنظمات دينية تضـم كلا من الاغراض الدينية والسياسية • ومن خلال الصراع بـين الفـرق والكنائس المسيطرة وبين الفرق وبعضها بعضـا برزت مرحلة جديدة للتسامح الدينى والحرية الدينية الى الوجود •

---

(1) Nottingham, E., E., *op. cit.*, P. 235.

وفى النموذج الثالث للمجتمعات ــ المجتمعــات الصناعية ــ والتى تتميز بالحرية المدنية التى حققتها الفرق • نلاحظ أن هــذه المجتمعــات الحضرية اللامتجانسة والمتميزة بالفردية لا تجد امكانية لكنائس جديدة ، أكثر من هذا فان الاتجاه العام السائد فى هذه المجتمعات ككل يعتبر معاديا الكنائس القائمــة ، فتلك الكنائس سواء كانت عالميــة أو قومية ، تأخــذ شكل ومكانة الملل أرادت أو لم ترد •

فالملة اذن هى النوع المميز للتنظيم الدينى للنموذج الثـــالث من المجتمعات•كما أشرنا فان بعض الكنائس السابقة قد تحللت من ادعاءاتها العالمية حيث يميل معظم أعضاء الفرق الى تحسين أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية وذلك باستغلال الفرص المتاحة فى المجتمع الصناعى•وتعتبر الملة مناسبة لمثل هذا النوع من الناس فهى خير تمثيل لمستوى الطبقـــة المتوسطة ، فالعضوية فيها اختيارية ويحقق هذا الاختيار للانتمــاء الملى حاجة الفرد للشعور بالتميز الذاتى ويخفف من معاناته الاقتصادية(٢)•

وعلى الرغم من أن الملة هى النموذج المميز للتنظيم الدينى بالمجتمعات الحديثة الا أن هناك عديدا من الفرق والطوائف الجديدة • فليس لــكل الاعضاء مقدرة على التوافق مع حركة التنقل الاجتماعى ، فهؤلاء الــذين يفشلوا فى تحقيق هذا التكيف غالبا ما ينســبون ويكونون فرقا جديدة ، فعندما يهاجر الافراد من المناطق الريفية الى المدن الكبرى غالبا مايجدون أنفسهم فى حالة من الضياع وعدم الاستقرار فى كنيسة المدينــة حتى لو كانت لا تخرج عن كونها ممثلة للمتهم وذلك لانها لاتحقق أو تشبع نفس الحاجات التى كانت تشبعها الكنيسة فى موطنهم الاصلى • وعلى ذلــك

---

(2) Nottingham, E., K., *op. cit.*, P. 235.

نجدأن مهاجرى الريف ، خاصة الذين يعملون بأجور منخفضة فى المدينة يشكلون فرقا جديدة حتى يحصـــــلوا على نوع من المكانة الاجتماعية ويواصلوا آداء الطقوس الدينيـــــة التى اعتـــــادوا عليها فى موطنهم الاصــــلى(٣).

وغالبا ما تعد الطائفة ظاهرة متروبوليتية ، فالضــــواحى الحضرية تتميز باللامعيارية anomie والتى تتضمن غياب الاتفاق العام حـــول المعايير التى تحدد الطرق المقبولة للسلوك ، ففى المراكز الريفية الصغيرة نجد أن الفرد غالبـــا ما يعتاد تنظيم سلوكه وفقا لهذه المعـــايير ، ومن ثم فانه يصاب بالغموض الاخلاقى عندما ينتقل الى المراكز الحضرية نظـــرا لوجود التنوع الهائل فى المقاييس الاخلاقية المتنافسة والمتصارعة.وهذه اللامعيارية فى الحياة الحضرية غالبا ما تؤدى الى أن يكون الفرد منطويا على ذاته متغاضيا عن أهمية وســـائل الضبط الجمعى . وفى هـــذه المراكز الحضرية نجد أن التمسك بالمعايير الدينية التقليدية قد قل لدرجة كبيرة ، ففى الحياة الحضرية نجد الكثير من الافراد يعانون من التفكك والتخبط. أكثر من هذا فاننا نجد فى المراكز الحضرية عديدا من الاعتقادات الدينية والاخلاقية والافكار الفلسفية من كل أنحاء العالم ، وتشكل هذه الافكار قاعدة للاعتقاد الطائفى ينجذب اليها الافراد الحضريين ، سواء المتعـــلم أو الجاهل منهم . والوظيفة الاساسية لهذه الطوائف هى اعطاء شـــعور بالارتباط دون وضع مطالب أو قيود أخـــــلاقية . ونظرا لان النموذج الثالث للمجتمعات ـــ المجتمعات الصناعية ـــ يحتوى على عديد منالافراد المغتربين ، فليس من المستغرب أن تكون الطـــــائفة هى التنظيم الدينى المميز لهذا النوع من المجتمعات .

---

(3) Nottingham, E., K., *op. cit.,* P. 235.

ولعل المجتمع الحديث بما يحتويه من وسائل اتصـــال واستخـــدام للكمبيوتر قد أحدث ثورة فى شكل المجتمع ، تشابه تلك التى حـــــدثت عندماتحول المجتمع من مجتمع زراعى الى مجتمع صناعى • ففى هـــــذه المرحلة الثالثة قد يتبادر الى الذهن السؤال التالى : هل سيكــون هناك استمراريةللتنظيمات الدينية لتقابلالحاجات النفسيةوالدينية والاجتماعية لاعضاء هذا المجتمع الجديد ؟ • الحق ان الانسان الحديث يبــدو وكأنه يشكل حياته وفقا للسياق البيروقراطى فهو يجد أن ذاتيته قــد تعــرف أو تحدد فى شكل أرقام ، سواء ذهب الى البنــــك أو فى وظيفة أو فى مكتب التأمينات الاجتماعية • وفى هذه الحالة نجد ان الانسان يحــاول أن يسعى لاكتشاف ذاته من خلال صفات كيفية ، ويؤكد هذا من خـــلال طرق مميزة • فقد يلجأ الى الدين والتنظيم الدينى على أنه الملاذ الاخير الذى قد يحقق فيه اكتشاف الذات والتعبير عنها • أكثر من هذا ، فــان وسائل الاتصال الحديثة قد ساعدت الافراد المهتمين بالامور الدينيـــة أن يكونوا على اتصال بالعالم كله ، ومن ثم بكل الاشكال المختلفة من الاديان والتنظيمات الدينيـــة • وهناك مظاهــر واضحة تشـــير الى أن كثير من التنظيمات الدينية القائمة فقط هى التى تحاول التداخـــل والتعايش مع الاشكال التنظيمية الجديدة ، ولكن هناك تنظيمات جديدة كلية فى سبيلها الى الظهور(٤)•

(4) Nottingham, E., K., *op. cit.*, PP. 237-238.

٦ ـ تأثير التنظيم الدينى في المجتمع المعاصر :

يتفق العلماء الاجتماعيون فيما بينهم على أن الاختلافات الطبقية والعمرية ترتبط بالطرق المختلفة التى ينظر بها الى العالم ، فكبار السن غالبا ما يكونون فى حالة من الرضا بالنسبة لكل ما يجرى فى العالم ، وعلى العكس فان الشباب غالبا ما ينظرون نظرة مختلفة للامور وذلك باعتبارهم أكثر تقبلا للتغيرات الجديدة . أكثر من هذا ، فان أفرادالطبقة الوسطى ليس لديهم اهتمام كبير بالتفكك الاجتماعى وانحراف الاحداث، ولذا نجدهم غير مكترثين بالقوى الاجتماعية وراء ذلك السلوك . كذلك ، ليس لديهم فكرة واضحة عن الكيفية التى يمكن أن تسهم بها التنظيمات الدينية فى معالجة مثل هذا النوع من السلوك ، ورجال الدين الذين يهتمون بجعل تنظيماتهم «مناسبة» للعصر الحديث وذلك من خلال اشتراكهم فى حل المشاكل الملحة فى مجتمعاتهم وهذا يتطلب ديموقراطية كاملة فى الهيئات الدينية ، كذلك لا نتوقع من التنظيمات الدينية ذات المصادر المحدودة أن تقوم بما فشل المجتمع الكبير فى القيام به . وفى أحيان أخرى نجد أن التنظيمات الدينية أقل تقدمية من المجتمع العلمانى[1] .

وهناك محاولات رائدة لخلق تنظيمات دينية أكثر توافقا مع الحاجات الملحة الناس فى المجتمعات الحديثة وتتميز هذه التنظيمات الجديدة بأن لها اتجاها معاديا للبيروقراطية وتوجه دعوتها مباشرة الى الشباب الذين

(1) Nottingham, E., K., *op. cit.*, P. 247.

يعتبرون مغتربين من وجهة نظر التنظيمات الدينية والسياسية القائمة • وتحاول هذه التنظيمات الجديدة أن تغالى فى الارضاء الشخصى والتعبير الذاتى ومشاركة الافراد فى جماعتهم الاولية وتهتم هذه التنظيمات بالمناطق المتخلفة وتوجه أنشطتها الى حركات الهيبيز ومدمنى المخدرات والساخطين على النظام وغيرهم ، وهذه التنظيمات لا تهتم بأخطاء الناس ولكنها تحاول فهم سلوكهم،فالشعائر الحديثة ليست هى الوسيلةالوحيدة للمشاركة مع الجماعات الدينية • فالموسيقى ، خاصة موسيقى الجاز ، والرقص ، والرحلات ، والحفلات كلها أشكال جديدة للتعبير الدينى فى المجتمع الغربى[٢]•

على أية حال ، فان هذه التنظيمات الجديدة تعكس المحيط الاجتماعى بدلا من ادماجه • ولا يعنى هذا ان التنظيمات الدينية لاتبذل من جانبها أى محاولات للتأثير فى المجتمعات المحلية والقومية لتسير بها نحو الكمال الدينى ، بل على العكس من ذلك ، فاننا نجد أن محور الوعظ الدينى والانشطة الاجتماعية التى تقوم بها هذه المنظمات الدينية تمثل كثيرا من الجهد الذى يبذل فى هذا المجال • ولكن رغم هذا يبقى أمامنا سؤال عن مدى تأثير هذه الجهود فى تعديل الوضع الاجتماعى • ويشير لنسكى الى أنه على الرغم من أن هذه التنظيمات غير ناضجة ، الا أن الافعال اليومية للعديد من أعضاء الجماعات الدينية تعكس تأثرا بالغا بهذه التنظيمات • ولكى نفهم طبيعة الجهد المبذول من التنظيمات الدينية فى المجتمعات الحديثة فمن المفيد أن نختبر بعض الوسائل التى تعمل على

---

(٢) انظـــر :
Broden, C., *These Also Behene: A Study of Modern American Cullts and Minority Religious Movement*. New York: Macmillan 1949.

خلق الضغوط الاجتماعية داخل التنظيمات الفردية . وتشير البحوث التى تمت فى هذا المجال الى أن هناك اتفاقا فى الاراء حول ارتباط التغيرات المتوقعة مع القيم الدينية ، بينما نجـــد أن هناك نسبة كبيرة من الاراء الخاصـــة بالافراد المســئولين عن الشئون الملية لوضـــع السياسات فى التنظيمات الدينية ممن يعارضون أى تغــــيرات اجتماعية فى المجتمـــع المحيط بها(٣).

---

(3) Nottingham, E., K., *op. cit.*, PP. 249-252.

٧ ـ السلطة الدينية :

بغض النظر عن أصل الدين فى المجتمع ، غالبا ما يتخذ الدين شكلا بيروقراطيا ولا شك ان البيروقراطية الدينية تختلف من مجتمع الى آخر، ففى المجتمعات الغربية غالباما ينظم الدين حول شكل هيراركى hierarchy وهرمى • فلا يمكن مثلا أن نتصور وجود استمرار الكاثوايكية الرومانية دون هذه الهيراركية • وفى المجتمعات غير الغربية لانجد تنظيمات هيراركية رسمية على غرار النموذج الكاثوليكى ، ولعل غياب هذه التنظيمات هو الذى منع الاديان من التطور من عصر الى آخر • ففى الهندوسية على سبيل المثال ، لا نجد أى مقارنة بما هو موجود فى الكنيسة أو الملة • فالبيروقراطية بهذه الديانة ليست معقدة ولها الطابع المحلى ، ومن ثم لم يتطور نسق رسمى للاتصال بين الوحدات المحلية لاقامة سياسة عامة تحاول القضاء على الصراعات الخاصة بالعقيدة وتوحد ممارسة الشعائر • هذه الاختلافات ، بطبيعة الحال ، تعكس الطرق المختلفة التى من خلالها يتكامل الدين مع المجتمع وكذلك التنوع فى بناء البيروقراطية فى كل أنظمة المجتمع(١) •

ويلاحظ جلوك Glock أن علماء الاجتماع لم يعطوا اهتماما كافيا للتنظيمات الدينية على أساس من الدراسات المقارنة فى الثقافات المختلفة ويلاحظ أن هناك الكثير من الدراسات حول التنظيم الدينى فى المسيحية

---

(1) Glock, C., "The Sociology of Religion" in Merton R. K. *et. al.* (eds.) Sociology Today, *op. cit.*, Vol. 1, P. 157,

بصفة خاصة . ولعل الكثير من الدراسات قد دار حول تفرقة ترولتش Troeltsch بين الفرقة والكنيسة .

على أية حـال ، هناك حاجة للعديد من الدراسـات حول التطـور البيروقراطى فى مختلف الاديان . فالشكل البيروقراطى للنظم الدينية له علاقة ، بلا شك ، باللاهوت وشكل السلطة الممارسة على الاعضاء ومقدار التأثير الذى يمارس على السياسة العـامة . وكما يعلق جلوك ، هنـاك القليل من الدراسـات السوسيولوجية التى تركز حـول البيروقراطيـة الدينية . وليس هناك نظرية لتنظيم هذا التنوع الخاص بهذه الاشـكال البيروقراطية فى التنظيمات الدينية(٢) .

ولعل من أهم المسائل الخاصة بدراسة البيروقراطية الدينيـة هـى العملية الخاصة بصناعة القـرار ، أى الطرق التى من خـلالها تستطيع التنظيمات تكوين سياسة معينة وتحاول الاختيار من بين البدائل المتاحة . ولا شك أن هذا يقود الى عديد من الاسئلة الاخرى حـول كيفية تناسب هذه القرارات بالنسبة للاعضاء ، وكيف تتعامل البيروقراطية الدينيـة مع الضغوط الخاصة بتبنى تفسيرات للكتب المقدسة تتناسب مع التغـيرات السريعة فى العالم الاجتماعى . ولا شك أن الاجابات المقارنة والمنظمة لمثل هذه الاسئلة سـوف توضح التفاعل بين اللاهـوت وبناء البيروقراطيـة الدينيـة .

ولا شك أن مناقشـة التنظيم الدينى تقودنا بالضرورة الى مناقشـة مشكلة القيادة والسلطة الدينية . وهنا نواجه مرة أخرى مسائل هامة مثل،

---

(2) Glock, C., "The Sociology of Religion" in Merton R. K. *at. el.* (eds.) *Sociology Today, op. cit.*, Vol. 1, P. 160

ما هى الظروف التى تبرز فيها القيادة الدينية الملهمة (الكرزماتيـــة) ؟ ، وكيف تزدهر هذه القيادة ؟ وكيف تضمحل ؟ وما هـــى العملية الخاصـــة بتخصص الادوار الدينية ؟ وما هـــى السلطة الدينية التى تمـــارس فى مختلف المجتمعات فى مجالات معينة للحياة ، وما هـــو نوع الناس الذى يمتثل لمثل هذه الســـلطة ؟ .

وبالرغم من أن هانك عـــديدا من البيانات التاريخية حـــول القيادات الدينية فى شكل سير ذاتية وفى تاريخ الكنائس وغـــير ذلك ، الا أن القليل من هذه البيانات ذو نفع لعالم الاجتماع أو للمعالجة المنظمة لهذه المسائل.

٨ ـ الكارزما Charisma والسلطة الدينية :

لقد خصص فيبر جزءا كبيرا من أعماله لتوضيح دور «الكارزما» كقوة أساسية ودافعة للتغير الاجتماعي(١). وكنقطة بداية، نقول أن فيبر ميز بين ثلاثة أنساق قيمية أو اعتقادات والتى تحدد بدورها سمات السلطـــة Authority وشرعية القوة التى تسمح بالتغير .

وأول هذه الانساق أو الاعتقادات ــ كما يذهب فيبر ــ هو السلطة التقليدية Traditional authority والتى تأخذ شرعيتها من قدسية التقاليد Sanctity of tradition ونسق القيم القائم تحت هذه السلطة

---

(١) لم يعرف فيبر مفهوم الكارزما Charisma فى كتابه علم الاجتماع الدينى *Sociology of Religion,* trans. by E. Fishchoff, Introduction by T. Parsons : Beacon Press, 1963.

فاهتمام فيبر كان موجها لبحث النماذج المختلفة للنبوؤة الكرزمية ودورها كمصدر تشريعى للقانون . وفى مكان آخر شرح لنا فيبر الكرزما كمفهوم ونظام . ولمزيد من المعلومات حول مناقشة فيبر يرجع الى :

Weber, M., *The Theory of Social and Economic Organization, op. cit.,* PP. 324-423; *Law in Economy and Society* (Cambridge Mass. : Harvard University Press 1954). Gerth, H. H., and Mills, Wright, C., (Eds.) *From Max Weber*: Essay in Sociology *op. cit.,* 245-264, 295; Eisenstadt, S. N., (ed.) *Max Weber on Charisma and Institution Building*: *Selected Papers.* (Chicago: University of Chicago Press, 1968), PP. 40-65, Friedalnd, W. H., "For a Sociological Concept of Charisma", *Social Forces,* Vol. 43 (October 1964) No. 1, PP. 18-26; Shils, E., "Charisma, Order and Status", *A. S. R.,* Vol. 30 (April 1965) No. 2, PP. 199-213.

التقليديةيمكن أن ينظر اليه على أنه مقدس ودائم ومفهوم ، ولهذا فـــان قوة الحاكم محكومة بالتقاليد Traditions التى تعطيها شرعيتها ، ومن ثم فانه بالرغم من أن التغير الاجتماعى يفرض أسس هـــذا النظام ، الا أنه ليس هناك مكان للاختيار الاجتماعى أو التغير الاجتماعى .

أما عن القيم التى تشرع السلطة الكرزميـــة Charismatic authority النموذج الثانى ـــ تقوم ، كما يذكر فيبر ، على «صفة خاصة لشخصيـــة الفرد ، وبفضلها يتميز عن أقرانه العاديين ولهذا يعامل على أنه يمـــلك قوى فوق طبيعية Supernatural أو فوق انسانية Superhuman أو على الاقل قوى خاصة محددة أو صفات معينة . مثل هذه القوى أو الصفات ليست فى متناول الشخص العادى ، ولكن ينظر اليها على أنها مقـــدسة أو قـــدوة ، Divine وعلى أســـاس هذه الصـــفات أو القـــوى ، فـــان الشخص المتمتع بها يعامل أو ينظر اليه على أنه قائد Leader »(2).

والقيادة الكرمزية أو الملهمة ، كما يذكر فيبر ، لها سمتين أساسيتين، أولا : فهى دعوة الى العنصر غير العقلى Non-rational فى الطبيعة الانسانية ، وبمعنى آخر فان طاعة اتباع القائد الملهم أو تلاميذه نابعة من الحماس ، وقائمة على أساس الكرامات Sign التى تثبت الموهبـــة الالهية لديه . ولهذا فان القائد الكرزمى يتطلب ولاء غـــير مشروط من أتباعه . ثانيا : تتسم الكرزما بكونها خارجة على الطبيعة العادية، ولهذا فهى تعارض بشدة كلا من السلطتين البيروقراطية والتقليدية ويمكـــن أن تعرف الكرزما على أنها تتسامى بالروتين Rouitne العادى وتضـــيف

---

(2) Weber, M., *Theory of Social and Economic Organization, op. cit.*, PP. 358-359.

قيما « راديكالية » للحياة اليومية[٣] هاتان السمتان تجعـــلان من الكرزما كما يقول فيبر «القوة (الثورية) المتميزة فى التاريخ»[٤].

وتسنح الفرصة دائما لظهور الكرزما فى حالات الضرورة والظروف القاهرة ولهذا فان القائد الكرزمى «راديكالى» بطبيعته فهو يحاول دائما تحدى نسق القيم الثابت وذلك بمعالجة جوهر المشكلة • فالقائد الكرزمى فى تأثيره يقود حركة اجتماعية أو دينية جديدة ، وغالبا مايقنع أتبـــاعه بهـــدف جـــديد ، ومن ثم فانه عنـــدما تدرك كرزمتـــه his Charismatic فى البناء الاجتماعى وفلسفة القيمة ، فانه من المتوقع أن بتصفابالثورية ويؤكد فيبر أنه من أجل تفتيت الوضع الراهن وخلق نسق قيمى جـــديد لاحداث التغير المجتمعى ، فان المصلحة المادية لاتكفى لخلق أو تفســـير ذلك•ما يحتاج اليه ، كما يرى ، فيبر ، هو قوة روحية Spiritual Force أو كرزمية دينية Religions Chrisma ، وعند بروز الكرزما يكــــون هناك دائما دعوة Call لنشر قيم جديدة واحساس برفض الماضى ووعد وأمل فى المستقبل[٥].

وقد يظهر الكرزما فى كل ميادين الحياة الاجتمــــاعية ، الدينية ، الاخلاقية ، الفنية ، العلمية ، السياسية ، الادبية ، العسكرية••الخ[٦].

---

(3) Weber, M., *Theory of Social and Economi Organization· op· cit.*, PP· 358-362.

(4) *Ibid.*, P. 362.

(5) *Ibid.*, P· 89.

بالنسبة لفيبر ، فان من أهم سمات الكرزما هى أنها (تظل بعيدة عن الانجازات الاقتصادية) •

(6) Weber, M., *Theory of Social and Economic Organization· op. cit.*, P· 237·

ورسالة الكرزما ، على أية حال ، دائما قوة ثورية Revolutionary Force ذلك نظرا لانشغالها برفض القيم التقليدية والثـــــورة على الروتين الثابت • وبهذا فان الكرزما تحدث ثورة داخلية internal revolution ، وذلك باثارة الناس من الداخل وتشكيل الاشياء طبقـــا للادارة الثورية الكرزمية •(٧) وطالما أن الكرزما بطبيعتها صفة استثنائية حيث لا يمكن تعليمها أو نقلها فان سلطتها تصبح مصدرا لصعوبات • أعنى — كيف يمكن لمثل هذه السلطة أن تستمر اذا ما حدث وأن اختفى قائدها الكرزماتى ؟ يذهب فيبر الى أن هـــذه السلطة يعين لها فرد آخر ، وذلك بوسائل متنوعة ، مثل التمتع بصفات معينة ، الثورية ، فالقـــائد الجديد يعين كخليفة من القائد الاصلى ، ويعين من التلاميذ أوالورثة(٨) • وهذا ما يسميه فيبر «بتعاقب الكرزما» charismatic succession

ولما كانت الكرزما تقف فى معارضة للنظام التقليدى والبيروقراطى ، فان الترشيد Rationalization (٩) ، النموذج الثالث للسلطة،ليس أقل من كونه قوة ثورية من الكرزما • وبالرغم من أن هذه القوة العقلية تشارك الى حد كبير مفهوم الكرزما فى خصائصه ، الا أن هـــذا لا يعنى

---

(٧) يوضح فيبر المقصود بهذه الثورة الداخلية بقوله : (الكرزما ربما قـــد تتضمن اعادة تنظيم داخلى أو ذاتى ناتج عن المعاناة أو الصراع أو الحماس ، ربما يؤدى ذلك الى تغير راديكالى فى النسق المركزى للاتجاهات وموجهـــات الفعل ، حيث تعطى وجهة جديدة كلية لكل الاتجاهات نحو مشاكل مختلفة) •

Ibid., P. 68.

(8) *Ibid.*, P. 77.

(٩) هذه القوه العاقلة Rationality ناتجـــة عن كونها قائمـــة بطريقـــة يعترف بها على أنها شرعية Legal

Weber, M., *The Theory of Social and Economic Organization* *op. cit.*, P. 235.

أن العقلانية ، ببساطة ، استمرار للكرزما . وفى الحقيقة ينظر فيبر الى العقلانية فى عدة أشكال مختلفة ، ووجد أنها ليست غائبة بصـــورة كلية عن أى نموذج من السلطة . «أن حقيقة الكرزما أنها عندما تأتى ، تحتك بالنظم الثابتة للمجتمع وتعطى قوة للتقاليد أو التنشئة الاجتماعية[١٠] . وعندما تفشل الكرزما فى تقديم اعادة ترتيب أو تعريف للقيم الاجتماعية والتقليدية وعندما تخفق فى مسايرة التغير أو تفتيت النظام القـــائم، عندئذ تفقد الكرزما «سمتها الطارئة» emergency charcter أو تكـــون قد فقدت عصبها Nerve الثورى . ولهذا يبرز الترشيد كاستجـــابة للمشاكل داخل النظام الكرزماتى القائم ويتحد مع النسق القيمى المؤسس عليه . هـــذا « الادمـــاج » هو ما يســـميه فيبر (تحـــول الـــكرزما) Transformation of Charisma [١١] .

وما يجب التركيز عليه هنا هو أنه عن طـــريق اعادة توجيـــه كل الاتجاهات بصورة شاملة ، وكذلك كل جوانب الحياة ، يغير القائد الملهـــم المجتمع من الداخل ، ويحقق نفاذه الى النظام القائم ، بعد أن يكون قـــد تعرف تماما على كل الامكانيات أو الاحتمالات المتاحة فى النسق الاجتماعى هذا النوع من التغير الاجتماعى ـــ كما يذهب فيبر متصل بالقائد الملهم والتزامه الذى له مفهوما أخلاقيا ، ويقول فيبر «أن هذه القاعدة كامنة أكثر ، فى مفهوم أن واجب هؤلاء الذين يدعون الى رسالة كرزمية ، أدرك صفتها (الاخلاقية) والعمل طبقا لذلك »[١٢] والكرزما فى أجـــل صورها

---

(10) Gerth and Mills, (eds) *op. cit.*, P. 235.

(11) Weber, M., *The Theory of Social and Economic Organization op. cit.*, PP. 363-393.

(12) *Ibid.*, P. 359.

ـ كما يرى فيبر ـ عندما تكون دعوة الى الالتزام بقيم جديدة وتحديث النسق الاجتماعى من خلال القيم Modernization • وهذا ما يفسر لنا لماذا أعطى فيبر أهمية كبرى للواجبات الاخلاقية عند النبى Prophet كداعية لتفسير جديد للحياة من خلال القيم[١٣] •

---

(١٣) انظـــر :
Weber, M., *Sociology of Religion, op. cit.*, PP. 32-59. XXXIII.

٩ ـ خاتمة

حاولنا أن نبين فى هذا الفصل كيف أن التنظيمات الدينية تظهر كنتيجة مصاحبة للتمايز الاجتماعى وتقسيم العمل فى المجتمع • وهناك تنظيمات دينية معينة تنبع من الطريقة الدينية الخاصة بالقائد الدينى وأتباعه • ولكن هذه التنظيمات تواجه عديدا من المشاكل خاصة بعد وفاة القائد الكرزماتى نفسه أو محاولة تغلب الروتين اليومى على الطابع الكرزماتى • ولقد حدد لنا O'dea عددا من المشاكل التى تواجه التنظيم الدينى وهى ما يطلق عليها المشاكل الخاصة بعملية التنظيم للدين ، فعملية تنظيم الدين تحتوى على عملية أخرى هى تحديد الادوار والمكانات ونسق الخبرات الدنيوية والاخروية • كذلك فان الدافع الخالص الذى يصاحب الحركة قد يصيبه الفتور بعد وفاة القائد الدينى نفسه • ومن بين المشاكل التى تواجهها التنظيمات كذلك ، غلبة الاهتمام بالامور الدنيوية على حساب الجوانب الروحية • وهنا يمكن أن نتحدث عن الصعوبات التى تعترض التنظيمات الدينية فى المجتمعات العلمانية الحديثة • فمعظم الاديان قد طورت بناءات بيروقراطية منذ الفترات الاولى لهذه الاديان وقد أصابت التأثيرات العلمانية الجوانب الثقافية فى المجتمع بما فى ذلك الثقافة الدينية نفسها ، وأصبحت بطريقة أو بأخرى تحت تأثير الدعاوى العلمانية والمنظمات العقلانية الحديثة • وفى مواجهة هذا قد تلجأ التنظيمات الدينية الى التوصل لحماية أوضاعها وعقائدها •

وان كان فيبر لم يعط التنظيمات الدينية القدر الكافى من التحليل الا أن الفضل يرجع اليه فى أنه كان أول من وضع التفرقة بين «الفرقة»

ـ الكنيسة • واستطاع ترولتش أن ينمى بالتفصيل هذه التفرقة• كذلك هناك علاقة بين التفرقـــة وبين التمييز الذى يتـــم بين صاحب الرســـالة والنبى المثالى • فكل هذا ، بلا شك ، ألقى الضوء على دور القيادةالدينية فى التغير الاجتماعى فى الفترات التاريخية الماضية ، وما صاحب ذلـــك من تكوين تنظيمات دينية تحمل تلك الصفـــــات الكرزماتية • وتغيير التنظيمات الدينية من الموضوعات التى تركزت عليها الدراسات الدينيـــة وخاصة فيما يتصل بمسائل معينة كالقيادة وأشكال السلطة فيها •وتكشف هذه الدراسات عن أن القيادة الدينية لم يعد لها هذه الاهمية فى المجتمعات الحديثة وذلك لتفتيت وظيفة القيادة الى عديـــــد من الوظائف والادوار الفرعية داخل التنظيم الدينى نفسه • وقد يفسر هذا أيضا ، كما بينـــا ، بسيطرة السلطة التنظيمية العقلانية على السلطة الكرزماتية فى المجتمع الحديث • على أية حال ، فقد كان لهذا الفصل هدفا محددا هـــو تحديد الخصائص البنائية للتنظيمات الدينية والمشكلات التى تواجهها ، وأنماطها ودور القيادة الدينية بها •

الفصل التاسع

التحليل السيوسيولوجى للتجربة الدينية

التحليل السيوسيولوجى للتجربة الدينية

١ ــ تمهيــــــد .

٢ ــ طبيعة التجربة الدينية .

٣ ــ عناصر التجربة الدينية .

أ) المقدس .

ب) المعتقدات والممارسات .

جـ) الرمزية .

د) مجتمع المؤمنين .

هـ) القيم الاخلاقية .

٤ ــ أشكال ومظاهر التعبير عن التجربة الدينية .

أ) التعبير عن التجربة الدينية فى الفكر .

ب) التعبير عن التجربة الدينية فى الفعل .

جـ) التعبير عن التجربة الدينية فى العضوية الجماعية .

٥ ــ التجربة الدينية والفرد : مشكلة الانتماء .

أ) دور الدين فى مواقف الازمات .

ب) الدين كوسيلة للتكيف .

جـ) الدين والعلم كأساليب بديلة للتكيف .

د) السحر والعلم والدين فى نماذج المجتمعات المختلفة .

٦ ــ الدين والمجتمع : مشكلة المعنى .

أ) مشكلة المعنى بالنسبة للتجربة الفردية .

ب) مشكلة المعنى بالنسبة للمجتمع .

جـ) التفسيرات الدينية للنظام الاجتماعى .

٧ ــ خاتمـــــة .

١ ـ تمهيـــد :

يتفق العماء على أن هناك عنصر أساسيا فى حياة الانسان يوجـــه أفكاره ومشاعره وأفعاله ، ويدرك الانسان أن هذا العنصر وراء التجربة اليومية ــ هذا هو ما يشكل جوهـــر التجـــربة الدينية • فالدين اذن «تجـــربة» experience مع العالم الماورائي أو الدينى • وقـــد تختلف هذه التجربة من حيث شدتها وكليتها بالنسبة للفرد أو الجمـاعة، كذلك فان محتوى وطبيعة التجربة الخاصة بالمجال الدينى قد تتنوع حسب تنوع الاديان نفسها •

ويجمع معظم الباحثين على أن هذا المجال الدينى لابد وأن يحتـوى على ما يسمى بالمقدس أو الاله أو الكائنات الروحية الاخرى ، وبـدون المقدس لا يعتبر المجال فوق الطبيعى دينا • فالدين هو ما يفعلونه الناس ويقولونه ويفكرون فيه ويتعلق بما هو فـوق عضوى • من هـذا يمـكن القول أن التجربة الدينية هى علاقة الانسان باهتماماته العليا أو المطلقة، ونحن هنا وفى بحثنا للتجربة الدينية لا نناقش صدق أو كذب فـــكرة المجتمع عن المقدس ، ولكن ينصب اهتمامنا الاساسى على التحليـــل السوسيولوجى للسلوك الدينى كانعكاس للتجربة الدينية . أعنى أننـــا لا نهتم بوجود المقدس أو عدمه • فعلم الاجتماع الدينى يهتم بالوظيفة والفائدة الاجتماعية لمحتويات التجربة الدينية فى نسق الفعل الاجتماعى وكما سوف نرى ، فانه اذا كان وجود المقدس هو العنصر الرئيسى فى التجربة الدينية،فانه لابد وأن ترتبط به اتجاهات الافراد وعملية تكوين أنساق فكرية ورمزية للتعبير عن التجـربة الدينية • كما يحتـوى المجال

الدينى أيضا على نسق للمارسات والشعائر التى يشارك فيهـا الاعضاء من خلال القيم الجمعية التى تتطلبها التجربة الدينية •

ولعل مناقشة اهمية وجود المقــدس فى التجربة الدينية يؤدى بنـا هنا الى الاشارة الى أن الباحثين يحاولون النظر الى الحركات السياسية الكبرى فى العالم «مثل الشيوعية ، الفاشية ، القومية ••» على أنها رغم عدم اهتمامها بما هو فوق طبيعى الا ان لها معظم خصـائص التجـربة الدينية • فهذه الحركات ، كما يذهب هؤلاء الباحثين تحتوى على نسـق من الاعتقاد والرمزية والشـعائر ولها قيـم مشتركة وتنظيم سياسى أو اجتماعى • «والمقدس» ـــ اذا جاز لنا أن نستخدم المصطلح هنـا ـــ بالنسبة لهذه الحركات ، هو الاهتمام بالحياة الانسانية فى هـذا العالم، أو الاهتمام بمصير مجتمع من المجتمعات الانسانية • والسؤال الـذى يثار هنا ، هل يمكن اعتبار هذه الحركات أديان رغم عدم احتوائها عـلى فكرة واضحة عن ما يطلق عليه المقدس أو ما هو فوق طبيعى ؟ • الحـق أن عددا من علماء الاجتماع ينظر الى هذه الحركات باعتبارهـا «أديانا» علمانية ولا يمكن أن تصف على أنها «أديان» بالمعنى الشائع لكلمة الدين فالتجربة الدينية أولا وأخيرا ، هى الشعور بالخشوع والرهبة أمام قوة عليا يطلق عليها المقدس ، وهذا ما لا نجد له مثيلا فى هذه الحركات •

وسوف نناقش فى هـذا الفصـل طبيعة التجـربة الدينية والمعايير المستخدمة للتمييز بين ما هو صادق أو كاذب منها وسوف نبين كـذلك المقومات الرئيسية فى التجربة الدينية ، أعنى المقدس ونسق الافكـار والرموز والمارسات والشعائر ومجتمع المؤمنين والقيم الاخلاقية المشتركة• وتتطلب مناقشة التجربة الدينية ، مناقشة أشكال التعبير عنها ، سواء فى الفكر أو الفعل أو فى العضوية الجمعية • ونناقش من ناحيـة أخـرى

بالتفصيل ، علاقة التجربة الدينية بالفرد ، أعنى كيف يمكن أن يكـــون الدين بمثابة أداة لتكيف الانسان فى مواجهة مواقف الازمات ، وهـــل يمكن للعلم أن يقــوم بنفس الوظيفة أم لا ؟ • وأخيرا ســوف نبين دور الدين فى اعطاء تفسيرات وتبريرات أخلاقية لمشكلة المعنى فى المجتمـع واضفاء الشرعية على الانظمة الاجتماعية الاخرى ، ومناقشة التــداخل القائم بين النظام الدينى والانظمة الســياسية والاقتصادية ســواء فى المجتمعات التقليدية أو المجتمعات الحديثة •

٢ ـ طبيعة التجربة الدينية :

لو أردنا تحديد طبيعة التجربة الدينية فمن أين نبدأ ؟ ففى مقابل الاهتمام الشائع بالبحث عن وظيفة الدين ، من الاهمية أن نؤكد البحث عن طبيعة الدين . وهناك اتجاه ثالث ، حيث ذهب Wilfred C. Smith الى أن « تقدم الدراسة العلمية للاديان يمكن تحقيقها اذا أمكننا التعود على أن ننسى ما يسمى بطبيعة الدين ونهتم بدلا من ذلك بعملية تطوره المعاصر » . أما المدرسة الوظيفية المتمثلة فى آراء مالينوفسكى ، ورادكليف ـ براون ، وايفانز بريتشارد ، فانها تذهب الى أنه « طالما لا يمكن التعرف على أى نظام أو مذهب دينى عن طريق موضوعاته الاساسية ، فانه ربما من الممكن أن ندرك وظائفه » . وفى مكان آخر يقول مالينوفسكى : « ان الدين لا يمكن أن يلاحظ بطريقة بسيطة . ولكن كل ما يمكن أن ندرسه هو وظائفه التى يقوم بها » كذلك رادكليف ـ براون ، بالرغم من أنه يتحدث عن فهم حقيقى لطبيعة الدين Real understanding nature of religion الا أنه أمتدح Fustel de Coulanges وأميل دور كيم E. Durkheim وآخرون فى دراستهم لمعرفة آثار اديان معينة(١)

والحقيقة أنه يبدو أن هناك طريقتان لفهم طبيعة التجربة الدينية ، الطريقة الاولى ، وهى التى تخص بالوصف التاريخى لدين معين أو فرقة أو مدرسة دينية . والطريقة الثانية وهى التى تبدأ من التساؤل بأين أنا؟ "Where Iam" بمعنى ، المدى أو المجال الكامن للتجربة الشخصية . « وأنا » هنا يمكن أن تكون فرد أو جماعة .

---

(1) Wach, J., *op. cit.*, PP. 27-28.

ولعل المدخل الذى يبدأ بالمجـال الكامن للتجربة ، كمـا يذهب وب Webb عرضة لاعتراضين ، الاول أن كلمة تجربة experience تبدو وكأنها تشير الى تجربة انسانيـة human بدلا من تجـربة مقدسـة divine • بمعنى أنها تركز على التجربة بدلا من المجرب • وعلى أية حـال ، فعلى الرغم من أنها تفترض الاسـتقلال التصورى للموضـوع المجرب الا أنها تتلاقى الذاتية Subjectivism • وهذا فضلا عن أن استخدام لفظة « تجريبى أو تجاربنا » يمنع امكانية وجود الوحى المقدس والـذى يشكل عنصرا أساسيا لهذه التجربة • والاعتراض الثانى على هذا المدخل هو أنه يبدأ بتجربة الفرد ومن العسير أن لم يكن من المستحيل أن يقـوم التجربة الجمعية للدين •

ولا شك أن هناك فائدة واضحـة من التأكيد على المدخل التجـريبى وأدوات الملاحظة المستخدمة والتى تميز الدراسات المعاصرة للدين ، ولا يمكن أن ترفض الحقائق المستخرجة من تحليل هذه التجارب الدينية وكما هو الحال مع أى عمل فان القصد أو النية intentien هـى التى تميز الفعل الدينى ، ويؤكد الفينومينولوجيون أن هذه النية أو القصد ينبغى أن تمنـح اهتماما ولا يمكن اهمالها من أجـل تحليل الظروف النفسـية أو خصائص الفعـل • ولا شك أن المدخـل التجريبى يقدم بأمانة العـلاقة المألوفة بين التجربة الدينية والانواع الاخرى من التجارب الانسانية، وفى الوقت نفسه ، يحتفظ بالطبيعة الحقيقية للتجربة الدينية • وهنا يمـكن أن نقتبس قول بول تلك Paul Tillich بأن « التجـارب الدينيـة متضمنة فى التجارب العامة ، ورغم أن الاولى تتميز عن الثانية الا أنهمـا لا ينفصـلان »(٢) •

---

(2) Quated in wach, J. *op. cit.*, P. 30.

ويبدو أن هناك أربع وجهات نظر بالنسبة لطبيعة التجربة الدينية :

الاتجاه الاول : ويتمثل فى الادعاء بأنه ليس هناك شىء اسمه « تجربة دينية » وان هى الا « وهم » . وهذا الرأى كثير ما أتفق عليه العديد من علماء النفس والاجتماع والفلاسفة .

الاتجاه الثانى : يسمح بوجود تجربة دينية « أصيلة » ولكنه يذهب الى أنه لا يمكن عزلها لتداخلها مع « التجربة العامة » . وقد عبر عن ذلك الرأى Dewey Ames Wiemen وبعض المفكرين الاوربيين والامريكيين .

الاتجاه الثالث : وهو يميز شكل وتاريخ أحد الأديان على أنه التجربة الدينية ، وهذا الاجراء يتميز بأنه تعبير عن أتجاه محافظ فى كثير من المجتمعات الدينية .

الاتجاه الرابع : ويرى أن هناك تجربة دينية أصيلة يمكن تمييزها بالمعايير المحددة التى تستخدم مع أى تعبيرات أو تجارب أخرى.وتساعد هذه المعايير فى الكشف عن التجربة الدينية المقننة البعيدة عن التغيرات المناقضة للمشاعر . وهذه المعايير هى :(3) .

المعيار الاول : من أول المعايير التى تميز التجربة الدينية هو أستجابتها لما يجرب على أنه الحقيقة العليا Ultimate Reality . ونعنى « بالحقيقة العليا » تلك الحقيقة التى تؤثر فى الانسان وتتحداه ، وبهذا فانه يمكن القول بأن تجربة أى شىء محدد لا يمكن أعتبارها «دين»

---

(3) Wach, J., *op. cit.*, PP. 30-37.

ولكنها تكون تجربة شبه دينية • ويمكن تعريف التجربة الدينيـــة على أنها « أستجابة » ولهـذا فانها ليست « ذاتيـــة » فقط ، فنحـــن نستجيب « لشيء ما » ، فديكارت بدأ مع الذات فقط ، « أنا أفكر » — بمعنى لا هذا ولا ذاك ما يعنيني — ولكن فقط « أنا أفكر » ، ومن ثم أنتهى ديكارت الى « موضوع » • ومع هذا فان تجربتنا الدينية تعطينا الذات والموضوع — الاثنين معا ، أو عدم وجودهما • ولقد ذهب Von Hugel الى القول بأن كل معارفنا هى عملية أكتشاف على أرض التجربة ، كما هو الحـال بالنسبة لمعرفتنا الروحية فهى عملية أكتشاف تقوم على كونيـــة Isness الحقيقة العليا لله وتعريفنا للتجربة الدينية بأنها أستجابة لما يجرب عـلى أنه « الحقيقة العليا » يعنى أن هذه التجربة تشتمل أربعة أشياء :

أ) أفتراض أن هناك درجات الوعى awareneas مثل الادراك ، المفهوم •• الخ • وهكذا فالشعور يستلزم التجربة •

ب) أن الاستجابة تعتبر جزء من المواجهة encounter •

جـ) تتضمن التجربة مع الحقيقة العليا علاقة دينامية بين المجرب ومن تقوم معه التجربة • فالتجربة الدينية الحقـــة لا يمكن أن تفهم فى الفـــاظ أستاتيكية ، فهى استمرار بدون توقف ومشاعر متصلة •

د) وأخيرا فاننا يجب أن نفهم « السمة النظامية » للتجربة الدينية، بمعنى أنه يجب أن نفهمها وندركها فى « وضـــع معين » فعندما تمـــارس التجربة الدينية وتفهم تاريخيا وثقافيا واجتماعيا ، فأننا نجدها دائمـــا محددة ولا يعنى ذلك النسبية والحتمية بأى شكل من أشكالها ، ولكنـــه يعد بمثابة تحذير منهجى فقط •

المعيار الثانى : وهو يساعد على تحديد ما هو « أصـــيل » « وغـــير

أصيل » فى التجربة الدينية • فالعبارة القائلة بأن التجربة يجب أن تدرك على أنها « أستجابة كاملة لكائن كلى للحقيقة العليا » نعنى بها أن الشخص المتكامل (integral person) هو الذى نتحدث عنه ، بمعنى أننا لا نتكلم فقط عن المشاعر أو الفعل أو الارادة منفصلة • وهذه التجربة أكثر توحيدا أو أكثر تحقيقا للعناصر المكونة لها وهى العنصر العقلى intellectual والوجدانى affective والارادى Voluntary وفى هذا الاتجاه نجد أن التجربة الدينية تختلف عن التجارب التى تعتبر « جزئية » ، أى التى تهتم فقط بجزء واحد من حياة الانسان • فالحقيقة أن الدين يهتم بالانسان ككل وبكل الحياة الانسانية ، وهذه الحقيقة يؤكدها أنغماس الشخص كلية فى التجربة الدينية ، كما يؤكدها كذلك ، سلوك المصلحين الدينيين العظام • ومن ناحية أخرى نجد أن الدراسات السيكولوجية الحديثة قد أدركت أهمية ووظيفة العبادة فى ضمان وتحقيق الصحة الدينية والروحية للشخص • فلو فهمنا الدين على ما ينبغى أن يكون لايقننا أنه لا يمكن رفض الرأى القائل بأن الدين بمفرده يمكن أن يحل المشاكل الرئيسية للمرض العقلى • فليس هناك ، كما ذهب يونج ، سبب للصراع بين القائد الدينى الحقيقى والمعالج النفسى • ولهذا أكدت الدراسات النفسية عن الدين الهندوسى بقوة ، على دراسة التجربة الدينية كمحاولة لفهم المجالات المختلفة للشعور • ولعل كل لاديان ، مثل المسيحية والاسلام وأديان الهند ، قد أكدت على الاتصال بين الناحية البدنية والروحية ، ولكن العصر الوضعى ، كما يرى فاخ ، قد سمح بالتجزئة والانقسام فجعل من الشخص الانسانى كيانا شبه مستقل وبهذا هدم وحدة الشخصية الفردية • ومن ثم فان العقل والمشاعر والارادة ليس لها وجودا مستقلا أو منفصلا •

والمعيار الثالث : للتجربة الدينية هو شدتها intensity وهذه السمة

تشير الى قوة وشمول تأثير التجربة وغيرها من التجارب فرجال الـــدين العظام فى كل العصور قد أثبتوا بالدليل القاطع شدة تأثير التجربة الدينية فى فكرهم وحديثهم وأفعالهم • ففى الاسلام مثلا نجد الغيرة والحمية من أجل تلبية رغبة الله والجهاد ما هى الا تعبيرات عن شدة التجربة الدينيـــة ورغبة الفرد فى التضحية من أجل أنتشار عقيدته •

وأخيرا يتمثل **المعيار الرابع** للتجربة الحقيقية فى أنها تظهر فى مجموعة من الافعال ، وتشتمل على طائفة من الالتزامات • فهى المصـــدر القـــوى للمشاعر والافعال • فأفعالنا ما هى الا أدلة حقيقية أكدت لانفسنا الانتماء لدين معين ، فبقدر ما تكون تجربتنا منتجة للافعال بقدر ما تعتبر تجـــربة روحية ومقدسة • هذا ، وهناك أختلاف حول درجة التأكيد على أهميـــة العقل فى أديان الانسان المختلفة • والمشكلة ليست فيما اذا كان من الضرورى ترجمة العقيدة الدينية فى شكل معين ، ولكن السؤال يتعلق بما يشكل الفعل المقبول من الاله والذى يسعى اليه المؤمن ، فالدين كما يقول Von Hugel هو فى الاصل « حاجة ، وتجربة » وتأكيد لما هو واقع ، وتحديد لما يجب أن يكون ، فالفعل ينبغى فهمه بالمعنى الكلى •

هذه المعايير الاربعة تصف التجربة الدينية ، ولا يكفى وجود احدها أو مجموعة منها للحـــكم على صحة تجربة بأنها دينيـــة ، اذ ينبغـــى أن توجد مجتمعة • ولكن هذا لا يعنى أن من الممكن أن يكون هناك دين بدون اله ، ويرى فاخ أن الفهم الخاطىء هو أن الذى يجعلنا نستبعد البوذية والكونفوشيوسية من دائرة الاديان • فهى كأديان لها مفهوم مختلف عن المفهوم التقليدى للحقيقة العليا ، فكليهما يؤكد على عقيدة متساميـــة فى شكل من أشكال الحقيقة العليـــا أو النظام الكونى • أمـــا أشباه الاديان Pseudo - religions فلها بعض سمات الدين ، ولكن لانسان فيها

ينتمي الى حقيقة ليست نهائية ولكنها محددة مثل الماركسية أو الشيوعية والدهرية والعنصرية والعلمانية وهكذا • فالتجربة الدينية الحقة ليست محـــدودة بمكان أو زمـــان ، بل عـــلى العكس ، لها صـــفة العموميـــة والعالمية[٤] • فكما ذهب برجسون ، ليس هناك مجتمع بدون دين ، وكمـــا أكد R. Firth فان الدين عالمى فى كل المجتمعات الانسانية والتجربة الدينية متأصلة فى نفس الانسان ، فطبيعتنا الانسانية تتضمن الحماســـة الدينيـــة[٥] •

التجربة الدينية ، أذن ، هـــى الجانب الداخلى لعلاقة الانســـان بالله وتفكره فيه ولكن ما سبب أختلاف التجارب الدينية فيما بينها أو عـــدم أختلافها طالما أن الحقيقة العليا واحدة ؟ والحـــق أن الأجابة على هـــذا السؤال ، تتمثل فى أن الدراسة العلمية للاديان ســـوف تعلمنا أن نميز بين « الاسماء » « والاشياء المسماه » • فالاسماء قد تتغير وقد تصبح أكثر اكتمالا ، كما أن فهمنا عن الله (تعالى) ربما يصبح أكثر اكتمالا ، ولـــكن الله (تعالى) نفسه لا يتأثر بهذه المسميات • وقد تتغير الاسماء وقد تبقى،

---

(٤) لمزيد من المعلومات عن التجربة الدينية أنظـــر :

Berthold, Fred "The Meaning of Religion. Experience," *Journal of Religion*. XXXII, 1952.

Devine, George, ***New Dimentions in Religious Experience***, New York : Alba House, 1971.

James, W., The **Varieties of Religious Experince *op. cit.***

Mcore, J., M., ***Theories of Religious Experience With Special Reference to James Otto and Bergson***. New York : Round Table Press, 1938.

Wach, J., *Types of Religions Experience*. Chicgo : University of Chicago Press, 1951.

(5) Wach, J., *op. cit.*, PP. 36-42.

ولكن هناك شيئا وراء هذه الاسماء ، وهناك فاعل وراء كل الافعـــال ، وهناك مطلق وراء المحدود ، حيث الله في الطبيعة ، والله الذى يسمى بأسماء مختلفة ، ولكن اللغة قد تظل قاصرة وغير معبرة • ومن هنا ينشأ الاختلاف • وهذا القصور له سببه ، فالحقيقة المطلقة لا يمكن أن تدرك كلية ، فاننا لا يمكن أن نصل الى مفهوم أو معرفة موحدة عن الله ، ولا أحد منا يستطيع أن يتكلم عن اللـــــه فى نفسه أو ذاته ، فمعرفتنا به محدودة لما هو بالنسبة لنا ، والاله يعبر عن نفسه اما فى صورة وحى أو ظواهر كونية أو كرامات وآيات[٦] •

(6) Wach, J., *op. cit.*, PP. 36-42.

٣ ـ عناصر التجربة الدينية :

أ) المقـــدس :

ما هو المقدس فى كل دين ؟ الحق أنه من اليسير التعرف على المقدس ولكن من العسير تعريفه • ففي كل المجتمعات نجد تفرقة بين ماهو مقدس وبين ما هو عادي أو بين المقدس Holy والعلمانى Secular ويختلف الشيء الذى يوصف بالقداســة من شعب الى آخــر ، فالهنود يعتبرون «البقرة شيئا مقدسا ، أما المسيحيون فهم ينظرون الى «الصليب» على أنه شيء مقدس ، والمسلمون يعتبرون «الكعبة» مكانا مقدسا • وهــكذا الامر بالنسبة للشعوب البدائية التى تتخـــذ من الحيوانات والنباتات رموزا تمثل المقدس لهم • وهذه الامثلة للمقدس يمكن رؤيتها ، ولـــكن هناك جوانب غير مرئية للمقدس ، فالاشياء المقدسة مثل الاله،والارواح، والملائكة ، والشياطين ، والاشباح ينظر اليهـــا على أن لها طبيعة مختلفة عن الاشياء العادية • ولكن ما هو الشيء العام الذى يمكن ملاحظته فى هذه الاشياء «المقدسة» التى تتميز بالقداسة ؟ الحق أن الاشياء فى ذاتها ليست هى التى لها قداسة ، ولكن طبيعة الاتجاهات والمشاعر هـــى التى تضفي عليها القداسة «فالقداسة» اذن تتكون من اتجاه عقلى انفعالى ، وهو الذى يفصل بين الاشياء فيميز أحدها بالتقديس ، فالمقدس هــــو الشيء المحبوب ، ويتخطى حدود المنفعة اليومية ، ولا يفهم عن طــريق التجربة الحسية ولهذا فهو يحاط بشيء من الاهتمام والتقديس •

ويجب الاشارة الى أن الاشياء المقدسة لا تختلف ماديا عن الاشياء

العادية فالبقرة المقدسة عند الهنود لا تختلف عن أية بقرة أخرى ، ولكن الذى يعطى الاختلاف هو اتجاه المؤمنين نحوها • والكائنات المقدسة غير المرئية لا يعتمد وجودها على الحس ، فالولاء لها يعتمـــــد أساسا على الايمان الحقيقى وذلك عن طريق المشاعر ، وليس عن طريق الاتجاهات يتأكد وجود هذه الكائنات المقدسة فقط وانما يصبح لها مكانا فى عقـــول المؤمنين بها وبالتالى يكون لها تأثيرات أمبريقية ملحوظة ·

وفى مقابل المقدس هناك المدنس،الذى يتضمن كل شىء يعتبر مدنس للمقدس ، ولكى يجنب المقدس ذلك ، أحيط دائما بنوع من المحـــرمات والتابو ، فالاشياء المقدسة يجب الا تمس أو تؤكل ولا يقترب منها الا فى مناسبات معينة أو بواسطة أشخاص لهم هذه السلطة ، وكـــذلك يعتبر استخدام اللغة الكلاسيكية فى وصف الاشياء المقدسة أحـــد الخصائص المميزة للاديان فى الشرق والغرب ، فالهنود والبوذيون يستخدمون اللغة السنسكريتية Sanskrit والبـــالى *Pail* واللغـــــة الصينية القديمة• ومازال اليهود والرومان ؛الكاثوليك يحتفلون بمقدساتهم بلغـــة دينيـــة خاصـــة ومازالت الكنائس الكاثوليكيـــة تســـتخدم اللغة اللاتينيـــة فى أحتفالاتها(1)•

ب) **المعتقدات والممارسات** Beliefs Practices

لاكيفى أن يكون هناك أشياء مقدسة،فوجودها يجب دائما أن يتجدد وتصبح ماثلة وحية فى عقول جماعة المؤمنين بها ، فالاعتقاد (العقيدة ــ الاساطير) والممارسة المتمثلة فى الاحتفالات والشعائر يســـــاعدان فى تحقيق هذه الغاية ، فالاعتقاد الدينى لا يفترض وجــــود أشياء مقدسة

---

(1) Nottingham, E., K., *op. cit.*, PP. 15-17.

ولكن تكرار هذا الاعتقاد يقوى من الايمان • ويساعد الاعتقـــاد أيضا على ايضاح أصل الاشياء المقدسة ويمدنا بدليل لفهم العالم غـــير المرئى (الله ــ الملائكة ••• الخ) ، كما يمدنا بفهم لكيفية ارتباط هــذا العالم غير المرئى بعالم الحقائق • هذا ، وغالبا ما تضع الاديان الكبرى بعض التركيز على الاعتقاد فى صورته العقلانية •

وبالنسبة للفهم السوسيولوجى للدين ، فان الشعائر والاحتفـــالات لها أهميـــة كبرى فى ذلك ، فالشعيرة هى الجـــانب النشط الذى يمـــكن ملاحظته من السلوك الدينى • وتحتوى الشعيرة على أنواع معينـــة من السلوك مثل ارتداء ملابس معينة ، التضحية بالحياة ، ترانيل معينـــة ، الصمت والخلود الى العزلة ، الفناء ، الصلاة ، التسابيح ، الصيـــام ، الرقص ، التلاوة والقراءة ••• الخ والطبيعة المقدسة للشعيرة لا تعتمد على الاشياء المقدسة نفسها ولكن على الحالة العقـــلية والانفعالية التى يكونها أفراد الجماعة نحو هذه الشعيرة ، والمحتوى الاجتماعى والثقافى الذى تمارس فيه الشعيرة ، اذ أن سلوكا معينا ، كتناول طعـــام الافطار مثلا ، يعد سلوكا عاديا يمارس فى الحيـــاة اليومية ، ولكنه يكون مقدسا اذا ما تم تناوله فى احدى المناسبات كتناول الخبز والخمر بأعياد الميلاد عند المسيحيين • فالشعيرة اذن تحدد المحتوى الذى من خـــلاله يأخـــذ السلوك المقدس مكانه ، كما تحدد أيضا أدوار المشتركين فيها[٢] •

جـ) الرمـــزية Symbolism

ولما كان جوهر الشعور الدينى ينظر اليه على أنه لا يوصف أو يعبر عنه ، فان كل محاولات التعبير عنه تعدتقريبية ، ولهذا فهى رمزية•ولكى

---

(2) Nottingham, E., K., *op. cit.*, 17-18.

يظل العالم غير المرئى للاشياء المقدسة حيا في عقول وقلوب المؤمنـــين به تقوم الرمزية بوظيفة من شأنها تحقيق ذلك ، حيث أن الرموز لها قوة استجلاب المشاعر ومن ثم فهى تعتبر نتيجة لتاريخهاالمشترك مع المقدس وتعد واحدة من القوى المثيرة للمشاعر الانسانية،ولهذا فليس من الغريب أن نفهم أن المشاركة فى رمز شائع هى طريقة فعالية لتقوية وحدة جماعة المؤمنين(٣)

د) مجتمـع المؤمنـــين Community of Worshipers

كل ما تقدم يعنى أن المشاركة فى الاعتقادات والممارسات بواسطـة جماعة اجتماعية يطلق عليها «جماعة المؤمنين» وتعتبر شيئا أساسيا فى أى دين ٠ فعندما تأخذ هذه المشاركة مكانها فى شـــكل جماعة تحتفظ بالاعتقادات والممارسات بحويتها وهذه الجماعة قد تكون قبيلة معينـــة تحتفظ بشعيرة طوطمية أو أى جماعة دينية أخرى ، وليس المهم نوع أو شكل الشعيرة ولكن المهم هو المشاركة العامة ٠ وعلى أية حال ٠ فـــان الجماعات الانسانية التى يشارك الاعضاء اعتقاداتها وممـــارستها تكون مجتمعا أخلاقيا ٠ فعملية المشاركة فى الشعائر العامة والرمزية والاعتقاد كل هذا يقوى احساس الجماعة بذاتيتها ، ويعطى شعـــورا باجتمـــاعية الجماعة أو بانسانيتها وهذا ما لاحظه دوركيم على القبائل الاسترالية ، فالمشاركة فى أكل الطوطم يقوى من ذاتية الجماعة(٤)٠ والصـــلاة عنـــد المســـلمين أيضا تؤدى الى خـــلق نوع من الاخـــوة وتزيد من ارتبـــاط الجمـــــــاعة(٥)٠

---

(3) Parsons, T., *The Social System* *op. cit.*, PP. 397-399.
(4) Durkheim, E., *Elementary Forms* *op. cit.*, PP. 73-44
(5) Nottingham, E., K., *op. cit.*, PP. 19-20.

هـ) القيـم الاخـــلاقية Moral Values

ان المشاركة فى الاعتقاد والشعائر تعنى أن علاقة أعضاء الجمـاعة بالمقدس ترتبط بطريقة ما بالقيم الاخلاقية للجماعة ، وتظهر هذه العلاقة الضمنية بوضوح فى ملاحظة منع جماعة معينة أكل نوع معين من الطعام أو الحيوانات . فعدم أكل لحم البقر عند الهنود يمثـــل قيمة دينيـة يتمسكون بها كلهم . فالبقرة شىء «مقدس» عندهم ، وامتناعهم عن أكل لحمها قيمة أخلاقية . وهذا ما يميزهم عن أولئك الذين يأكلون لحم البقر أو الذين لا يأكلون لحم الخنزير .

ويلاحظ أن هناك علاقة بين القيمة الاخلاقية المشتركة لدى أعضــاء الجمــاعة ، وبين المقدس أو الاوامر الدينية والعلاقة بين مفهوم النـــاس للمقدس والقيم الاخلاقيــة يمكن توضيحها من خلال معرفة أن مفهــوم الانسان عن المقدس يفرض عليه قيمه الاخلاقية.ففى المجتمعات الرعوية يأخذ الاله شكل «الراعى الصالح» ولذلك فان التمثل بصفــات الراعى الصالح يصبح مثلا للقيم الاخلاقية ، ويوضح العلاقة بين الالهوالمؤمنين كذلك الحال فى المسيحية حيث يشبه الاله بالاب ، وتشبه الاله والكائنات المقدسة بالاسرة الانسانية ، كل هذا يضفى نوعا من القدسية عــلى قيم الاسرة فى المجتمع . والمشكلة الهامة هنا ، ليست فى أن الانســان يخلق المقدس على الشكل الذى يراه ولكن الاتصــال بين القيمة الاخـــلاقية المستمدة من العالم غير المرئى وبين المؤمنين ، فالقيم الاخلاقية تمدنابنوع من التصديق أو التقديس للاشياء فى عالمنا الانسانى . وعلى أية حــال، يجب ألا نفهم من هذا القول أن كل القوانين الاخلاقية مستمدة من الدين فقط ، وما هى الا تصديق له ، فكلما كان المجتمع معقدا وأكثر علمــانية، تصبح الاصول الدينية للقيم الاخلاقية أقل أهمية وغير مباشرة من حيث تأثيرها فى السلوك الاخلاقى(٦) .

---

(6) Nottingham, E., K., *op. cit.*, PP. 20-22,

٤ ـ اشكال ومظاهر التعبير عن التجربة الدينية :

تأخذ التجربة الدينية مثل كل أنواع التجارب الاخرى شكل التعبير وتستمر بالنسبة للاخرين الى الدرجة التى يعبرون عنها اما فى شكل الافكار أو الافعال أو الحياة الجمعية •

أ) التعبير عن التجربة الدينية فى الفكر

لعل من أهم الدوافع التى تجعل الانسان يحاول التعبير عن تجربته الدينية مع الحقيقة العليا ، الاحساس بالخشوع Awe والخوف Fear الذى يملا قلوب العباد أكثر من هذا ، احساسهم ورغبتهم فى وصل الاخرين بما يحسون به • وهذا الاحساس ليس من أجل تحقيق المشاركة فى التجربة ولكنه دعوة للاخرين ليروا ويسمعوا ويحسوا الاحساس نفسه •

ولعل أهم أشكال التعبير عن التجربة الدينية هو الرمز Symbol فالرمز الدينى يستخدم الاشكال والصور المحدودة والعلاقات ليعبرعنها فى أشكال العلاقة العامة والمثالية والتى لا يمكن التعبير عنها مباشرة وقد يفسر الرمز من ناحية المفهوم أو يؤدى الى فعل أو يحقق وظيفة تكاملية • فالرمز كما يقول Underbill هو صورة هامة ، حيث تساعد نفس العابد على الادراك والتعبير عن الله ، وتؤخذ هذه الرموز من العالم المادى القريب من حواسه ومن الظروف الشعورية للحياة ، ومن نفسه ومن الاخرين ، أو بمعنى آخر من الانفعالات والافعال والارادة والقيم[1] •

---

(1) Wach, J., *op. cit.*, PP. 59-69.

والتجربة الدينية قد يعبر عنها فى شكل أسطورة Myth ،فالاسطورة تحاول الاجابة عن بعض الحقائق مثل سبب وجودنا هنا ، ومن أين جئنا؟ الهدف من ذلك ولماذا نموت؟ ولكن غالبا ما يتغير محتوى مفهوم الاسطورة حسب كل عصر باختلاف الظروف الاجتماعية •

ويتبع هذه المرحلة الاسطورية مرحلة أخرى ، وهى توحيد التراث وتقنينه وهذا هو عمل المدارس الدينية التى ينجم عنها مايسمى بالمذاهب الفكرية Doctrines ، فالمذهب الفكرى يحاول أن ينظم ويفسر العقيدة على أنها نسق معيارى لا ينبغى الانحراف عنه • ولعل من الاسباب التى تؤدى الى نشأة هذه المذاهب ، أولا ،أن هناك رغبة فى التماسك حـــول مبادىء معينة ، ثانيا ، وجود رغبة فى الاحتفاظ ببقاء العقيدة • ثالثـــا ، الشعور بالانتماء الى مذهب معين • رابعا ، أن هناك تحديا للمــوقف• أخيرا ، توافر الظروف الاجتماعية • ولهذا نجد للمذاهب ثلاث وظائف هى : ١ ــ التفسير وتنظيم العقائد ٢ ــ التنظيم المعيارى للحيـــاة ، ٣ ــ الدفاع عن العقيدة •

ويعمل المذهب كذلك على ارتباط العقيدة بالانواع الاخرى من المعرفة ولذا نجد له معنى ، فضلا عن أنه يوجد مجتمع المؤمنين به • فاللاهــوت اذن ليس مصدرا لمعرفتنا عن الله ، ولكنه وسيلة عقلية عن طريقها تصبح المعرفة عن الله أكثر وضوحا•وقد يتطور المذهب الى مجموعة من المذاهب تسمى فيما بعد بالعقيدة Dogms (كما هو الحـــال فى المسيحية) • فالعقيدة تظهر عندما توجد هيئة أو رسول قادر على الدفاع عنها • وقد يأخذ التعبير النظرى للتجربة الدينية أشكالا أخرى ، فقد يحتفظ بالتراث الدينى مثل «الاناجيل» «والسنة» عن طريق المشافهة ثم التـــدوين •

وغالبا ما تظهر حول هذه الكتب المقدسة ، والتى تبين معـــايير الحياة وينسب لها أهمية خاصة ، كتابات أخرى لها درجة أخرى من القــدسية والسلطة مثل كتب البخارى ومسلم • ويظهر تاريخ الفكر الدينى أن هناك رغبة فى التعبير عما يحسه الانسان تجاه الحقيقة الدينية ، وقد أخــذ ذلك التعبير شكلين ، أحدهمـــا تقليدى وهو الذى ينتمــى الى التقليد أو الالتزام بنسق محدد من الافكار والافعال • والآخر يرفض التقليد أو الالتزام ويعطى أهمية مطلقة للتجربة الروحية مثل الصوفية[٢] •

واذا انتقلنا الى فحوى التعبير عن التجربة ، نجد أن تاريخ الاديان قد أثبت أن الاسئلة الاساسية التى نسألها دائما هى أسئلة أزلية ، ولكن الاشكال التى تصاغ بها والالفاظ التى استخدمت فى تركيبها قد تتنوع وتختلف ولعل أهم هذه الاسئلة هو ما يدور أولا حول طبيعة الحقيقــة العليـــا وثانيا ما يتصل بالطبيعـــة أو الكون أو العـــالم وثالثا ما يختص بالانســـــان •

فالعلاقات بين الله والعالم ، وبين الله والانسان لها أهميـــة كـــبرى ، وهذه العلاقة هى التى تشكل الاساطير والمذاهب والعقائد والكتابـــات المقدسة ، ولقد أخذت فكرة الله أشكالا عديدة من الكتابات عن التجربة الدينية ، فيذهب تلك Tillich الى أن القوى التاريخية تحدد أو تشكل وجود فكرة الله ليس فى ذاتيتها ولكن فى أشكالها المعبرة •وفى مناقشة الفكر الانسانى للالوهية يوجد ثلاثة أشكال : ١ ــ الكثرة ٢ ــ الوحدة ٣ ــ الشخصية أو اللاشخصية ، البعد أو القرب •

---

(2) Wach, J., *op. cit.*, PP. 65-66.

وبالنسبة للمناقشات التى تدور فيما يتعلق بالعالم نجـدها تتصـل بالعقائد والاساطير التى تتناول أصوله وطبيعته ومصيره • ولا شك أن كل هذه الاشكال المفسرة للعالم أو الكون لها عـلاقة بطبيعة وادراك الحقيقة العليا • كذلك فقد ينظر التاريخ من وجهات نظر مختلفة ، وقـد يتدخل الاله فى الاحداث التاريخية ، كما أن مفهوم نهاية العـالم قد يناقش فى علاقته بمفهوم الالوهية •

أما بالنسبة لطبيعة الانسان ، فانها تناقش دائما فى علاقة الانسان بالله والعالم فالانسان جزء من الكون وهو خليفة الله فى الوقت نفسه، ولذا فهو يتميز عن كل المخلوقات الاخرى • كذلك تنطوى التجربةالدينية على معايير للتفرقة بين الروح والبدن وعلاقة ذلك بالعلم والاله ومابنطوى عليه ذلك من مذاهب أخـلاقية تفسر الخـير والشر وهـدف الحياة الانسـانية[٣] •

ب) **التعبير عن التجربة الدينية فى الفعل** Action

سوف نناقش الآن جانبـا آخر من جوانب التجـربة الدينية ، أعنى جانب الفعل • فبعد أن عرفنا التجربة الدينية الحقـة بأنها مواجهـة Confrantation الانسان للحقيقة العليا ، ورأينا أن الفعل الدينى هو الذى يحقق هذهالمواجهة أو الاتصال ويحافظ عليه يمكننا القول أنالعبادة adoration والطقوس Cultus من المسائل الاولية والاساسية للدين، وعلى هذا الاساس يمكن النظر اليها باعتبارها رد فعل للتجربة الحقيقية المطلقة أو العليا ، فالاله يتصل بالانسان عندما يحاول الانسان التوصل

---

(3) Wach, J.. *op. cit.*, PP. 75-96.

اليه ، فالشعور بالتواصل لا يتحقق للانسان من خلال اقامة عـــلاقة أو اتصال ولكنه يأتيه من خلال تأديته الفعل الدينى • وكما ذكرنا من قبـــل فان الانسان يصبح انسانا عن طريق هذه الافعال الدينية التى تعبر عن طبيعته الحقيقية ومصيره •

فالطقوس Cultus اذن ، هـــى التعبير العملى للتجربة الدينيـــة أو الاستجابة الكاملة للشخص بأكمله للحقيقة العليا التى تتخذ شكل الفعل، ويجب أن ننظر الى «الممارسة» على أنها فعل يقع فى مكان وزمان وفى محتوى قد يتشكل بظروف مختلفة •

فالممارسة فعل حر ، ولكنه في الوقت نفسه يتخذ شـــــكلا Form معينا • وعلى الرغـــم من أنه مقنن Standardized ، الا أنه يتصف بالتلقائية Spontaneous فى آن واحد • وقد يكون الفعل بسيطا للغاية أو ربما يكون معقدا ومركبا ولكنه فى كل الحالات فعل لشخص ما يحاول الاقتراب من الحقيقة العليا •

وعلى أية حال ، هناك شكلان رئيسيان للتعبير العملى عن التجـــربة الدينية وهما التعبير Devotion والخدمة أو الطاعة الدينيـــة Service وهذان الشكلان متلازمان بشدة ، بمعنى أن ما يدرك على أنه الحقيقـــة العليا ، يعبر عنه فى فعل تعبدى أو عشق ، ويتحقـــــق فى الالتزام ، بالدخول فى اتصال مع المقدس • فالعبادة اذن ، تعنى على أى مستوى، الاتصال الدائم بالاله • وقد بينا فى مناقشتنا لطبيعة التجربة الدينيـــة أن الانسان بأكمله هو الذى يشكل التجربة وليس الجانب الداخلى فقط فكل من الجسم والعقـــل والروح متضمنا فى التجـــربة • فالجسم هـــو طريقنا للانتماء لما هو خارج عنا • بمعنى أن الوجود الحقيقى للجســـم

هو من أجل الاتصال والتعبير وكياننا الانسانى فى توازن بين الـــروح والجسد للتعبير عن التجربة الدينية • واذا ما عدنا مرة أخرى الى شكلى التعبير عن التجربة الدينية ، أعنى التعبير والخدمة الدينية ، نجــــد أن العبادة هى الفعل الاساسى لحياة الانسان وهناك معنى لنظرتنا الى الحياة كلها فى هذا العالم سواء مرتبة أم غير مرتبة ، شعورية باعتبارها فعــلا لنعبادة • والعبادة أيضا استجابة فى مجابهة الحقيقة العليا فليس هناك شىء يستطيع أن يفعله الانسان الا التعبد والحب ، فالعبادة هى استجابة لمشاعرنا الدينية بوجه خاص ، وتصل ذروتها عندما يكون الفعل التعبدى فى حالة مركبة من الحيرة والخوف والحب والعبادة لها أهداف خـــــلاقة بمعنى أنها فى اتجاه الحقيقة العليا ، فالهدف الخلاق هو تجلى العـــالم المخلوق أمام القانون الالهى • بمعنى آخر،ان أهداف العبادة هى تحويل كل الكائنات الموجودة والكائنات الاخرى ليكونوا فى علاقة تنـــاســق مع النظام الالهى وارادته • والعبادة تعنى القرب والاتحاد ، فالعبــادة اذن هى «احساسنا الشعورى باختلافنا عن الاله وهى فى الوقت نفســه وحدتنا وتأثرنا به»(٤) •

وتختلف أديان العـــالم بالنسبة لممارســـة العبادات فبالنسبة للاديان البدائية تلعب الافكار النظرية عامة دورا أقل عنها فى الاديان الاخرى ، فالواقع البدائى هو عالم السلوك ، بمعنى أنه عالم كل شىء فيه يمكن أن يرى ويعبر عنه فى أفعال • فالعالم البدائى ليس عالم معرفة ، ولــكنه عالم أفعال ، وهو ليس شىء ثابت ولكنه دينامى ، وليس نظريا ولـــكنه براجماتى • فكل الافعال بطريقة أو بأخرى ترتبط بعلاقة روحية مـــع

---

(4) Wach, J., *op. cit.*, PP. 98-101.

القوى العليا • وعلى أية حال ، فاننا فى هذا المستوى البسيط نجد بعض الافعال التى يمكن أن تسمى دينية • وكما أشرنا قبل ذلك ، الفيصل هنا هو القصد والنية Intention وليس الفعل • والحق أن هذا ما يفرق بين الاديان العنصرية والذاتية ، والاديان العالمية • فالاديان العنصرية تؤكد على ممارسة الفعل نفسه ، أما الاديان العالمية فهى تعطى قيمة وأهمية للقصد أو النية كمعيار لصدق الايمان •

ولكن اذا تساءلنا عن مكان وزمان وكيفية أداء العبادة ، يمكننا القول بصفة عامة بأنه لم يكن هناك مكان مخصص للعبادة ، ولكن مع تقدم الاديان التاريخية خصصت المعابد أو الاماكن لاقامة العبادات ، أما بالنسبة لوقت القيام بالعبادة فان الاديان تحدد بعض الاوقات والايام والشهور والمواسم المقدسة التى يعتقد أنها أفضل من غيرها لممارسة أفعال العبادة • أما عن كيفية التعبد ، نجد أن الناس يقومون بذلك اما بواسطة التركيز والصمت فى حضور المقدس ، أو بواسطة التعبير عن ذلك فى صوت وكلمات مسموعة ، أو عن طريق استخدام حركات جدية مثل الوقوف أو الركوع أو السجود أو الرقص (كما هو الحال فى الاديان البدائية حيث يتسامى البدائى بواقعه المادى) وأحيانا تستخدم الاصوات أو الموسيقى للتعبير عن التجربة الدينية • والحق أن الانسان فى العبادة يجد ذاته ويجمع أشتاته ، ففى اتصاله بالحقيقة العليا صلاح نفسه، وفى عبادته انتساب للمركز الذى يسأله القوة وينشد لديه الاستمرار وتحقيق الامال[٥] •

---

(5) Wach, J., *op. cit.*, PP. 101-108.

على أية حال هناك فعلان يكملان هذا الهدف وهما التضحية Sacrifice والصلاة prayar • والتضحية قد تكون في شكل هدية أو طعام أو نقود، أو التضحية بحيوان أو بأحد الابناء ، أو أن يضحى الشخص بذاته وقد تكون فى شكل تكريس حياة الفرد فى خدمة الالهة أو عدم الزواج أو الاشتراك فى الحروب أو فى نشر الدعوة • أما بالنسبة للصلاة،فانها تعتبر وسيلة لتقوية وتوكيد الاتصال بين الاله والانسان ، وبمعنى آخر تعد الصلاة تلبية ما يتطلبه الاله من الانسان ويريده أن يفعله • وقد تأخذ الصلاة الشكل الفردى أو الجماعي ، فهى مناجاة بين الانسان والاله ، وفيها يتمثل الانسان وجوده أمام هذه القوى واستمرار الصلاة هو استمرار للاتصال بين الانسان والاله • أما بالنسبة لما نعنى «بخدمة» الاله فان ذلك يتوقف على فهم وادراك طريقة الحقيقة المطلقة • فقد تتخذ الخدمة شكل الزهد Asceticism أو قد تكون فى شكل الانسحاب Withdrawal من هذا العالم ، أو الانسحاب من أى شىء يعوق الانسان عن تحقيقه لطبيعة الاله • وتختلف أديان العالم بالنسبة لمفهوم «الخدمة» فقد ينظر اليها على أنها اكتمال النفس أو الذات ، ولكن قد ينظر الى ذلك الهدف فى أديان أخرى على أنه غير كاف • فالمعيار بالنسبة لهذه الاديان هو الاستعداد لمرحلة أخروية تحكم بواسطة القاعدة الالهية فقط ، وفى هذه الحالة تكون الاهداف هى ، اما طاعة القانون كلية ، أو تمثل التجربة بالاتحاد أو اللانهائية أو كسب مزيد من المعرفة أو كسب الثواب أو الجزاء وهكذا • ففى الدين الاسلامى مثلا ، نجد أن الهدف النهائى هو تبجيل الاله بواسطة الطاعة Obedience ، وفى الهندوسية وفى البوذية يتمثل الهدف فى الخلاص من العالم والدخول فى حالة السلام الكامل بواسطة اتباع بوذا ، وفى المسيحية فان الهدف هو أن يعيش الانسان مع الروح الالهية ويطيع الكلمة المقدسة ، ويكون

على وفاق مع المسيح وذلك بهدف الوصول الى المملكة التى لا يوجد بها خطيئة أو رذيلة ، ومن أجل المغفرة والسلام(٦) .

جـ) التعبير عن التجربة الدينية فى العضوية الجماعية Fellowship

من الخطأ النظر الى الجانب الثالث للتعبير عن التجربة فى العضوية الجماعية على أنه قد يضاف أو لا يضاف للتعبير العقائدى أو الطقوسى ، فالاشكال الثلاثة متصلة ولا يمكن فصلها . فالعقيدة أو المذهب أو الاسطورة تنظم الفكر عن الطبيعة الالهية ، أما الطقوس فهى تعبير عن المواجهة والتى قد تأخذ شكل العبادة والخدمة ، وكلاهما يعطى توجيها الى مركز المجتمع الذى يتكون منه الذين يتحدون فى تجربة دينية خاصة بمايطور المجتمع ويشكله ، وينمى الفكر والفعل الخاص بالتعبير عن هذه التجربة. فالفعل الدينى اذن ، هو دائما فعل دينى لشخص ما . فدراسة الاديان البدائية تشير الى أن التجربة الفردية ليس لها قيمة ، ولكن ما هو له قيمة هو أن الدين له الصفة الجماعية.فالمجتمع الدينى،وليس الشخص الدينى هو المسئول عن المشاعر والافكار والافعال التى تصنع الاديان. وهذا يوضح لنا اهتمام العالم الغربى المعاصر بخلق العضوية الدينية فى المجتمعات الصناعية والمناطق الحضرية الواسعة .

والحق أنه ليس هناك دين دون أن يكون قد طور نوعا من العضوية الدينية . فمن وجهة نظر الانثربولوجيين ، مثل مالينوفسكى ورادكليف — براون هناك تأكيد على دور وأثر الدين فى المجتمع . فالجماعة الدينية أكثر من أى جماعة أخرى تتميز بقوانينها ونظرتها الى الحياة واتجاهها.

---

(6) Wach, J., *op. cit.*, PP. 115-120.

هذا ، وتدور الموضـــوعات التى يهتم بها طـــالب علم الاجتماع فى هـــذا المجال حول مجموعة من التساؤلات المتعلقة بكيفية نظر مجتمع الطقوس Cult Community الى نفسه فى ضوء التجربة الدينية الرئيسيـــة التى خلقت هذا المجتمع وتدعمه ، ونوع المعـــايير التى يجب النظر منها الى التجربةالدينية التى تأخذ شكل المجتمع الدينى على أنها صادقة ومفيدة، وكيف تحرك القيم الروحيـــة الطبيعة المطلقة للانســـان ، وتأثير ذلك على اتجاهاته نحو العالم والانواع الاخرى لنشاطه داخل المجتمع، ومايعنيه هذا فى علاقته بأقرانه ؟ واجابة على هـــذه التساؤلات نشير الى طبيعـــة الحقيقة العليا والاتجاهات الاساسية فى الجماعة نحوها • وتختـــلف الجماعات الدينية تبعا لذلك فالصلاة أو التضحية الجماعية بمكن اعتبارهما من العناصر الاساسية للاتصال الروحى العميق • أما بالنسبة لصـــلات الاعضاء فى الجماعة الدينية بعضهم ببعض نجد أن هنـــاك فى الاديان صلات وروابط قوية بين الاعضاء ، فهناك صلات روحيـــة بين الاعضاء ، فكثيراما نسمع عن الاخوة مثل «أخ فى الله» أو «أخت فى الله» ، هذه الصلات الاخوية قد تكون أقوى من صلات الدم أو الجيرة أو صـــلات أخرى • ولاشك أن حجم Size الجماعة يؤثر فى ذلك ، فكلمـــا صغر حجم الجماعة كلما نجد شدة المشاعر والتماسك وكثرة الانشطة • والحق أن دراسة أثر الدين فى الجماعة أو المجتمع الدينى هو محور دراســـة علم الاجتماع الدينى(٧) •

---

(7) Wach, J., *op. cit.*, PP. 120-143.

٥ ـ التجربة الدينية والفرد : مشكلة الانتماء :

أ) دور الدين فى مواقف الازمات

من المعروف أنه فى كل المجتمعات الانسانية ، هناك فترات تاريخيـــة تتميـــز بأن كل شىء فيها يسير على ما يرام ، عنـــدما تلبى الواجبـــات الاجتماعية ، وعندما يلعب الرجال والنساء أدوارهم الاجتماعية بنـــوع من الفعالية بالمشاركة مع أقرانهم • فالناس يدركون تماما أنهم يعتمدون على بعضهم بعضا فى حياتهم الاجتماعية وعالمهم الطبيعى ، ومن ثم فانهم يخططون لحياتم وينتظرون نتائج تخطيطهم ويتمنون تحقيقها•وباختصار، فان تحقيق الخطط يتطلب استثمارا للوقت والجهـد سواء على المستوى الطبيعى أو الانفعالى من الكائنات الانسانية فى كل مكان ، وبدون هذا الاستثمار للجهد الموجه لا يمكن للمجتمعات الانسانية أن تستمر[١] •

وعلى الرغم من أن معظم المجتمعات فى بعض الفترات تحقق أهدافها دون توتر وتكون الوسائل المتاحة لها مناسبة لتحقيق هذه الاهـــداف الا أن الامـــور لا تكون على هذا النحو دائما • ففى دورة الحيـــاة تعترض معظم الافراد حوادث معينة يصاحبها قلق كبير وتؤدى الى عدم تحقيق التوقعات • فالميلاد والشيخوخة والموت أمثلة لهذه الحوادث•وقد طورت كل المجتمعات نوعا من شعائر المرور ، ليس فقط لكى تشكل اعترافا بمثل هذه المناسبات ، ولكن أيضا لتقلل القلق المصاحب لهذه المناسبات • وتمثل هذه الحالات مواقف الحيرة والضغوط فى حياة كل المجتمعات عندما تكون

---

(1) Nottingham, E., K., *op. cit.*, PP. 76-77.

البدائل المتاحة لكل الاعضاء غير كافية لمساعدتهم فى تحقيق معظم الاهداف التى ينشدونها • حقيقة ، لو أن الشئون الانسانية تسير دوما دون أن يكون هناك حوادث غير متوقعة أو توتر ، لكان دور الدين فى المجتمع الانسانى مختلفا تماما • فبدون الحوادث غير المتوقعة والخارجة عن تحكمنا ، فاننا نكون ، كما ذهب بارسونز ، نفكر فى مشاكل الحياة وكأنها مشاكل عملية ، تحل فقط عن طريقة الاحساس العام • ولو وجد هذا الموقف ، فان تطور وتطبيق الطرق العلمية قد يؤدى الى انتاج عالم مثالى أو يوتوبى Utopian world (٢) •

ان المأساة والضغوط ، كما نعرف ، أمر قائم فى طبيعة الموقف الانسانى • ففى كل المجتمعات ، هناك دائما فجوة ، قد تكون واسعة أو ضيقة بين توقعات الناس والآمال المحددة لهم ثقافيا وبين امكانية تحقيقها ، ولهذا فان الطرق العلمية والعملية المتطورة لا يمكن أن تكون مناسبة لكل المواقف الانسانية • ولكن يجب أن يتكيف الناس فى كل مكان مع هذه المناسبات التى لا يمكن التحكم فيها وعلى الرغم من أن هذه التكيفات فى بعض الاوقات تغلب عليها الناحية العملية الا أنها دائما تتميز بالانفعالية • ففى المجتمعات الصناعية الحديثة نجد أن الطرق العلمية متاحة للتخفيف من مواقف الضغط الكثيرة والتى لا يمكن أن نواجه بمثل هذه الطرق فى كثير من أنواع المجتمعات ولذا يظل الاحباط الانفعالى قائما أكثر من هذا ، فان النمو المكثف للمعرفة العلمية والتكنولوجية فى مثل هذه المجتمعات ، قد ساعد بطريقة غير مباشرة ، على خلق عدد آخر من المواقف غير المتوقعة والتى لا يمكن التحكم فيها ، فالصراع العلمى

---

(2) Parsons, T., "Religious Perspectives of College Teaching" *in Sociology and Social Psychology. op. cit.*, P. 10.

الحديث ، على سبيل المثال ، أدى الى امكانية زيادة العديد من التوترات ، والتى حاول الطب الحديث تخفيفها • وعلى أية حال ، فقد كان اعتناق الدين والاعتقاد به من أهم الوسائل المستخدمة من جانب الانسان للتكيف مع مواقف الضغوط •

ويمكن تقسيم مواقف الضغوط الى ثلاثة مقولات رئيسية • المقولة الاولى وتحتوى على المواقف التى يواجه فيها الافراد أو الجماعات فقدان آخرين لهم مكانة هامة • وقد يكون هذا الفقدان نهائيا مثل حالة الموت ، وقد يكون طارئا مثلما يحدث فى الاخفاق عند تلبية الواجبات المشتركة والمتوقعة • فالاطفال ، على سبيل المثال ، والذين يمثلون موضع آمال للكثيرين ، قد يكافئون آباءهم بالعداء • ان مثل هذه المواقف تتضمن جوانب انفعالية وتوترات عملية • وبالنسبة للمقولة الثانية فهى تتضمن القوى الطبيعية القاهرة التى لا يمكن التنبؤ بها ، والتى تعد حيوية بالنسبة للاهتمامات الاجتماعية الخاصة بالطعام والصحة • فالتحكم فى الزراعة وفى وقوع المرض كانت بلا شك أمور هامة فى السلوك الدينى بكل المجتمعات • وتشمل المقولة الثالثة ، القيم المتصارعة والناجمة عن التناقضات فى البناء الاجتماعى للمجتمع والتى تسبب ضغوطا عقلية على أعضاء المجتمع • هذه الانماط الثلاثة لمواقف الضغوط ، الموت ، وتأثير القوى الطبيعية القاهرة ، وصراع القيم هى ما سوف نطرحه للبحث فى الصفحات التالية •

ب) الدين كوسيلة للتكيف :

١ ــ موقف المــوت

الموت أحد الظواهر التى من العسير التنبؤ بها ، ويقع خارج التحكم الانسانى تماما • وعلى الرغم من أن كل الناس يدركون جيدا أنهم سوف

يموتون الا أنه لا يوجد أحد منهم يعرف متى يقع الموت • وبسبب هـذا الشعور بعدم التأكد نجد أن التفسيرات الدينية للموت قائمة فى كل مجتمع • وعلى الرغم من أن هذه التفسيرات تناولت الكثير من الاعتقادات فيما يتعلق بالحياة بعد الموت ، الا أن أهم سمة لهذه التفسيرات هى أن الدين يعطينا مجموعة من الميكانيزمات التى بواسطتها ، يستطيع الذين على حافة الموت وغيرهم ، التكيف مع الحقيقة الضاغطة • ورغم التوسع فى استخدام الطب العلمى والتقليل من الحروب والحوادث الا أن الموت ما زال يحمل للانسان المعاصر الكثير من التوترات والانفعالات • وطالما أن الموت شىء لا يمكن الهروب منه فان الانسان يحاول دائما أن يوجه نفسه لمواجهة الموت بواسطة الاعتقادات والشعائر الدينية فالاعتقادات الخاصة بالموت والحياة الاخرى لا يمكن أن تلغى الموت ، ولكنها تساعد الناس على مواجهته وتعمل على استمرار المجتمعات •

وقد تكون الوظائف الكامنة للاعتقادات الدينية المتعلقة بالموت والاموات ذات أهمية خاصة بالنسبة للمجتمع الانسانى • ذلك لان هذه الاعتقادات تحدد للاحياء مكانة الموتى فى المجال الاجتماعى والماوراء اجتماعى للاشياء • وتعمل هذه التحديدات ، ليس فقط ، على طمأنة الاحياء ــ الذين يدركون علاقتهم بالاموات أو يترقبون ما سوف يحدث من أولئك الاموات نحوهم ــ بل نجد أيضا بعض المتضمنات العملية • فعلى سبيل المثال ، كما يخبرنا عالم الانثروبولوجيا Reo Fortune هناك أعتقاد بين سكان Manus الذين يعيشون فى Bismark Archipelago ، بأن أرواح الذين يموتون تظل موجودة بين الاحياء ، وتقوم بالدور الاخلاقى لرجال البوليس والمحافظة على قيم وأخلاق القرية • وبهذه القدرة تهتم هذه الارواح بالقيم المركزية فى النسق الاجتماعى لمجتمع Manus والخاصة بالالتزامات المالية وتجنب

المحرمات الجنسية[٣] ، كذلك فان أعتقاد البوذيين ، فى قرى Burma بجنوب شرقى آسيا ، يتناسخ الارواح والميلاد الجديد يساعد فى تدعيم فكرة أن الموت ليس الا مرحلة من مراحل الحياة . فشعائر الموت عند البوذى لا تشير الى نوع من الحزن ، ولكنها تؤكد على أن التحول من من حياة الى أخرى قد تم بأمان وسلام وأنه لا توجد أرواح ضالة سوف تهدد سلام وأمن القرويين . فالموت فى مجتمع برما يتيح فرصة عليا لتأكيد القيم البوذية الخاصة بالمعاناة والتقشف وعدم الدوام...الخ[٤] . كذلك فان الاعتقاد السائد فى الصين بأن أرواح الاجداد لها مكانة التقديس بالنسبة للاجيال اللاحقة ، قد ساعد على استمرار العناصر الحيوية فى استمرارية المجتمع الصينى ، وحافظ كذلك على ثبات واستقرار وتدعيم الاسرة الصينية لآلاف السنين . كما نجد أيضا فى المسيحية اعتقاد بأن الموتى يستمرون فى الحياة ، ويكونوا أعضاء نشطين فى مجتمع القديسين الذى يضم كل الارواح المسيحية ، أحياء وأموات ، وقد ساعد هذا على تدعيم المسيحين فى نضالهم فى مجتمعاتهم[٥] . ونجد أن الاسلام فى هذا المقام يؤكد على أن هذه الحياة ما هى الا مرحلة ، وبعد الموت يحدث انتقال الى عالم آخر . وعلى مستوى الدين الشعبى فى الاسلام نجد كثيرا من الاعتقادات التى تؤكد على أن أرواح الاموات موجودة بيننا ، فهى تأتى فى الاحلام أو الرؤى ، وتحس وتشعر بما يعانى منه

---

(٣) انظر :

Reo Fortune, *Manus Religion,* Philadelphia : The American Philosophical Society, 1935. PP. 49-50.

(٤) انظر :

Manning Nash. *The Golden Road to Modernity : Village life in Contemporary Burma,* New York: John Wiley, 1965. P. 151.

(5) Nottingham, E., K., *op. cit.,* P. 82.

الاحياء . كما أننا نجد أن الاسلام والمسيحية يسودهما الايمان بكرامات الاولياء ، فالقديس أو الشيخ يحس ويسمع دعـوة المظلوم ويعمل على تحقيق مطالبـه[٦] .

كذلك فان كل مجتمع وكل دين يكرس مجموعة من شـعائره لظاهرة الموت . فعلى مستوى الفرد نجد أن الفرد يدرك تماما أن موته لا يحمل الطابع الفردى ولكنه يتضمن العلاقات الاجتماعية والالتزامات المتبادلة . فالذى يموت يخرج الناس فى جنازته ويقام له مأتما ، ويجتمع الناس فى ذكراه ، وتصبح زوجته وأولاده محل رعاية من جميع أقاربه وأصدقائه . وتختلف شـعائر الموت والالتزامات الاجتماعيـة بالنسبة للفرد بحسب طبقتـه والمركز الذى يحتـله فى المجتمـع . وما يهمنـا من الناحيـة السوسيولوجية هو أن الشعائر الدينية الخاصة بالموت تعمل على تدعيـم التماسك الاجتماعى بالنسبة للمجتمع ككل . وهذه نجد لها تدعيما من كل المجتمعات القديمة والدينية البدائية والمتحضرة . وبالرغم من أن هـذه تختلف من حيث شكلها أو قد تبدو غريبة ، الا أن هذا لا يعنى أنها أخطاء أو خرافات سـوف يمحوها التقدم العلمى ، فهذه الاشـكال وان كانت تخضع للتعديل من وقت لآخر ، الا أنها تلبى حاجات انسانية ، ولا يمكن أن يقال أنها تعتمـد على العلم أو الاحسـاس العام ، ولكنها مسـتمرة باستمرار أمل الانسـان فى الخلود وشعوره بالخـوف على أسرته بعـد موتـه[٧] .

ولا شك أن أنماط الشـعائر القديمة تقوم بهذه الوظيفة أفضـل من الاشـكال الحديثة ، فقـد لاحظ لارى بومـن Leroy Bowman أن

---

(6) Nottingham, E., K., *op. cit.*, PP. 82-83.
(7) *Ibid.*, P. 83.

الشعائر الحديثة الخاصة بالجنازة أقل فى تأثيرها على تماسك المجتمع من الشعائر الجنازية فى المجتمعات القديمة[٨] • وعلى أية حال ، نظرا لظروف الحياة الحضرية الحديثة ، فان كثيرا من الافراد ليس لديهم خبرة كافيـــة بالنسبة للموت • فالانسان الذى يعيش الحياة الحضرية لا يفكر فى الموت ويحاول تحت تأثير الحيـــاة ومشاكلها أن ينسى أو يتناسى المـــوت بقدر الامكان ، ويشغل نفسه بمشاكل الحياة • ولعله بسبب عدم الخبرة هذه ، نجد أن الانسان الحضرى فى مواجهة الموت ، غالبا ما يلجأ الى المتخصصين فى هذه الامور • ويلاحظ أن الاتجاه فى المجتمع الحضرى المعاصر نحـــو الموت قد مر بتغيرات هامة ، ولا شك أن هذه التغيرات تؤدى الى تعديلات على الشعائر الخاصة بذلك الموقف • فالافراد فى المجتمع المعاصر أثنـــاء حالات الموت يمرون بمجموعة من الطقوس التى تنتمى الى جيل سابق • وعلى العكس فى المجتمعات الريفية ، ففى مثل هذه المواقف نجد معظـــم أفراد المجتمع يشاركون فى الجنازة التقليدية ليثبتوا تضامنهم مع الجماعات المحلية ويساعدوا الاسرة التى أصابها الموت[٩] • ان مناقشتنا لمثل هـــذه الاعتقادات والشعائر المحيطة بالموت ، تشير فقط الى الوظائف الاجتماعية والسيكولوجيـــة التى يؤديها الدين فى مواقف الشدة والتوتر المرتبطـــة بالمـــــوت •

٢ ــ القوى الطبيعية القاهرة

وتمثل المجموعة الثانية من المواقف ، تلك الحـــالات التى لا يمـــكن للانسان فيها أن يتحكم فى القـــوى الطبيعية ، ومن ثم يصبح أســـتمرار

---

(٨) انظـــر :
Bowman, L., *The American Funeral : A way of Death,* New York : paperbook Library, 1964.

(9) Nottingham, E., K., *op. cit.,* P. 86.

الانسانية فى خطر • فالغذاء ، على سبيل المثال ، أساس الحياة والصحة ، ولا شك أن الخوف من المجاعات أمر له صداه فى النفس الانسانية ، ولهذا يعد نجاح موسم الحصاد أمرا حيويا لكل من على الارض ، وتعرض الانتاج الزراعى الى أحوال المناخ التى لا يمكن التحكم فيها ، والتى قد تفشل حيالها قدرات الذكاء الانسانى ، مسألة لها نتائجها الخطيرة على الحياة نفسها • ويمكن أن نجد أمثلة واضحة لمثل هذه المواقف فى المجتمعات التى لا توجد بها التكنولوجيا الحديثة ، وتكون ظروف المناخ بها قاسية ، ولهذا يكون الانسان غير قادر على التحكم فى الطبيعة كلية • فعلى سبيل المثال يعتبر السكان من الهنود الحمر فى جنوب غرب أمريكا ممن لهم مهارة فى اعداد الارض وزراعة الذرة ، ولكن المحصول فى بعض الاحيان قد يقل نظرا لان الامطار لا يمكنهم التحكم فيها ، وقد يكون المحصول وفيرا والظروف المناخية ملائمة ولكن تأتى بعض الامراض أو الحشرات وتقضى عليه ، وهذا قد يحدث حتى فى البلاد التى تتميز بالمهارة التكنولوجية العالية ، فهناك العديد من الامور التى لا يمكن التحكم فيها(١٠) •

على أية حال ، تعد الزراعة أمرا من الامور التى تشكل ضغطا على الانسانية من أجل أستمرارها • وعادة ما يستخدم السحر كوسيلة للتكيف مع هذه الحالة • ورغم أختلاف الدين والسحر فى غايتهما ، الا أننا فى المجتمعات الزراعية نجدهما متداخلين • ففى مثل هذه المجتمعات غالبا ما تتميز دورة الفصول وما يلحقها من أنشطة زراعية ببعض الاجراءات والشعائر الدينية — السحرية ، فالرقص والتعاويذ تميز عمليات حصاد المحاصيل ، ورقص الخصوبة والتضخية شعائر تقدم لآلهة المطر والانهار ، ويعتبر ضعف المحصول مناسبة هامة لتقديم شعائر أسترضاء الآلهة •

(10) Nottingham, E., K., *op. cit.*, P. 88.

ولكن يمكننا أن نتساءل عن أهمية استخدام هذه الممارسات الدينية — السحرية بالنسبة للمجتمع ؟ • الحق أنه لا يوجد انسان يعتقد أنه بالسحر والدين فقط يمكن أن ينمو المحصول ، كذلك ليس من الصحيح الاعتقـــاد بأن الشعوب البدائية لديها هذه العقلية الخرافية ، وأنها على غير وعـــى بالاختـــلافات الاساسية بين تأثير الوسائل الدينية — الســحرية ، وبين الاجراءات الزراعيـــة العملية • فكما يشير مالينوفسكى فان سكان جـــزر التروبرياند يدركون الفارق بين استخدام السحر والاجراءات الزراعية ، كما أنهم على وعى كامل بحدود اجراءات السحر • فالممارسات الدينية — السحرية التى تصاحب زراعتهم أو صيدهم ليست الا مساعدة ، فهى غير أساسية بالنسبة لطرقهم العملية • فهم يدركون تماما أن الفشل يلحق بهم اذا ما أعتمدوا على استخدام السحر فقط فى فلاحة أرضهم (١١) • وحديثا، عارض فرانسيس هسى Francis Hsu ما ذهب اليه مالينوفسكى عن الشعوب البدائية أو الشعوب المتحضرة فى أنها تستطيع التفرقة بين الطرق الدينية — السحرية والطرق الامبريقية ، ففى دراســـة أجراها هسى فى جنـــوب غرب الصين بعد الحـــرب العالمية الثانيـــة ، وجد أن الفلاحـــين يستخدمون الوسائل السحرية — الدينية والعلمية الحديثة لمواجهة المرض دون أن يكون هناك تفرقة واضحة بينهما • فاستخدام الطرق العلمية على نطاق واسع مرتبط بالسحر الشائع بين الناس (١٢) • ويذهب هسى أيضـــا الى أننا نجد فى المجتمعات الصناعية أن الاساليب السحرية تحظى بقبول واسع عندما تقدم باعتبارها علما — أى بادعائها بعض الادعاءات العلمية الزائفة مثل الاعلانات الخاصة بالحظ وأرتباط هذا بالنجاح فى العمل أو فى

---

(11) Nottingham, E., K., *op. cit.*, PP. 88-89.

(١٢) انظـــر :

Hsu, Francis, *Science, Religion and Human Crisis*. New York: Humanities, 1952, PP. 85-96, 119-134.

الحياة الاسرية • كذلك بعض الاعلانات العلمية بالتليفزيون التى بعد أن تقدم شرحا علميا واضحا لاهمية السلعة التجارية ، تحاول أن تربط هـذا بجذب الآخرين لها بالطرق السحرية • على أية حال ، تبين دراسة هسى أن الانسان البدائى يتساوى مع الانسان المعاصر فى أن كلاهما لا يستطيع أن يميز بوضـوح بين استخدام المنـاهج العلمية ـ الامبريقية والمنـاهج الدينية ـ السحرية • فمعظم أفـراد كل أنواع المجتمعات، سـواء كانت التفرقة بين الوسائل السحرية والعلمية واضحة فى أذهانهم أم لا ، نجدهم يستخدمون الوسائل الدينية ـ السحرية بطريقة أو بأخرى •

أما عن وظائف وسائل الدين والسحر بالنسبة للانسان والمجتمـع ، يذهب مالينوفسكى الى أن مركب الدين ـ السحر يدعم الثقة بالنفس فى المواقف الحرجة أو مواقف التوتر عندما تكون الوسائل العملية غير كافية لضمان النجاح فاستخدام السحر فى جزر التروبرياند ، فى مجال الزراعة والصيد والاعمال البحرية ، له وظيفة سيكلوجية فى تخفيف التوتر الناجم عن القلق من ممارسة أعمال لها خطورتها • ولكن لا يمكن أن نخرج من هذا بتعميم مؤداه أن السحر والدين لهما دائما الوظيفة الاجتماعية الايجابية• فبعض الانثروبولوجيين المعاصرين يعارضون رأى مالينوفسكى،ويذهبون الى أن هناك جوانب سـلبية لاستخدام السحر ، لان هذه الاجـراءات السحرية تؤدى الى زيادة القلق أكثر من تخفيفه ولعـل من أهم نتائجـه السلبية ، أن استخدام الممارسات السحرية بنجاح ، ولو لمرة واحـدة ، يعنى استمرارها والابتعاد تماما عن قبول أى وسـائل أخرى أكثر تأثيرا من التى استخدمت ، وهذا هو ما يحدث فى المناطق المتخلفة من العـالم اليـوم •

وتعد الصحة العضوية والنفسية مجالا آخر تستخدم فيه المنـاهج

الدينية ــ السحرية ، وتتدرج من العلاج الروحى Spiritual healing المســموح به من بعض الكنــائس المسيحية الى ممارسات العرافــين أو « الاطباء المشعوذين » witch doctor • وبالنسبة لمعظم الاديان ، نجد تركيزا حول موضوع الصحة والمرض ، فالصحة جوانبها هى الاهتمام الاساسى للانشطة الدينية ، فالدين والسحر يعملون على تقديم أفعــالا خاصة بالصحة تؤدى الى ربط القوى النفسية بأشياء عليا(١٣) •

من الواضح اذن ، أن الدين يعد أحد الوسائل الرئيسية والهامة التى من خلالها يستطيع الانسان مواجهة المواقف الضاغطة ولا شــك أن هناك وسائل هامة أخرى مثل السحر والعلم • وكما أشرنا سلفا ، فان السحر والدين يتداخلان لدرجة أن هناك خلطا شــديدا بينهما • فهما يستخدمان وسائل غير أمبريقية ، الا أن لكل منهما غاية مختلفة ، فالغاية الدينية غالبا ما تكون موجهة نحو ما هو غير أمبريقى أو أخروى أو روحى ، بمعنى أن هناك دائما فى الدين اشارة متسامية وروحية لكل الافعال • وليس الحال هكذا بالنسبة للسحر ، فأهــداف السحر غالبا ما ترتبط بالحياة اليوميــة الانسانية كما أن الانسان المؤمن بالدين يتميز عن الساحر فى أنه يشــعر بالخشوع والرهبة تجاه الاشياء المقدسة التى يتعامل معها • أما بالنسبة لمستخدم السحر فلا نجد لديه شعورا بالرهبة لانه يستخدم هذه القوى الروحية لتحقيق أهداف خاصــة عن طريق استخدام المعرفة المتاحة له • فالساحر يعتقد أنه يستطيع التحكم فى القوى الروحية وأن يحقق غاياته العملية • كذلك فان محتوى الدين والسحر يختلفان ، فالانساق الدينيــة تتطور لتحتوى كل الحياة الروحية والانسانية فى المجتمع • بينما نجد أن محتوى السحر لا ينطوى على نظرية موحدة ، ولكن على أراء متبعثرة •

---

(13) Nottingham, E., K., *op. cit.*, PP. 90-91.

وبالرغم من هذا فان هناك تداخــلا بينهما • فهناك نوع من السحر مثــل الذى يستخدم فى بعض المجتمعات البدائية أثناء الزراعة والصيد ويخدم أهداف الجماعة وهذا ما يطلق عليه السحر الابيض white magic وهــو نوع له اتصال مباشر بالدين ويتداخل معه • ومن ناحية أخــرى ، هناك نوع آخر من السحر غالبا مايكون سريا ومعاديا للمجتمع ويعمل على خلق التناقضــات والاضداد والتفكك وهــو ما يطلق عليه السحر الاســود black magic • وهذا النوع تحاربه الاديان جميعا رغم أن له بعض الوظائف الاجتماعية ، خاصة وأنه يعمل على تخفيف احباط الجماعة وذلك بأن يعكس المشاعر العدائية خارج الجماعة ، كما يعمل على تحديد المشاعر العدائية فى قطاع محدود وخاصة بالنسبة للجماعــة الاجتماعية ، بمعنى آخر أن للسحر الاسود وظائف خاصة باستمرار الجماعة ، ويعمل عــلى تماسكها الداخلى وتضامنها فى مواجهة الضغوط الاجتماعية(١٤) • على أية حال ، يستخدم السحر بنوعيه فى أمور متصلة بالصحة الجسمية للانسان ، وعنــدما ينتشر الاعتقــاد فى هذا ، نجــد أن الطلب الحديث يأخــذ فى الانحسار •

٣ ـــ صراع القيــم الاجتماعيــة :

لعل من العوامل التى تساعد على وجود مواقف الضغوط الانســانية ما يتمثل فى الصراعات الناجمة بين التناقض الموجود فى الجوانب المختلفة للبناء النظامى للمجتمع • هذا التناقض يتيح امكانية صراع القيم • فكما هو معلوم ، فانه فى أوقات التغير السريع يواجه أعضاء المجتمع الانسانى

---

(١٤) انظر ايضا وظائف السحر فى دراسة :

Kluckhohn, Clyde, *Navaho Witchcraft*, Cambridge, Mass. Peabody Museum, 1944.

من وقت لآخر قيما غير ثابتة ومتناقضة • ولا شك أن معظم الافــراد فى مجرى حياتهم يحتاجون فى مراحل معينة الى قبول قيم جديدة وتعلم أنماط جديدة من السلوك ، وادراك الظروف المختلفة التى يمكن أن تتضمن قيمة أو أخرى ، ويحاول المجتمع أن يجعل هذه التكيفات أكثر سهولة •

وهناك فى المجتمع أيضا ، ظروف بنائية داخلية تؤدى باســتمرار الى عدم الوضوح والطمأنينة بالنسبة للافراد ، وفيما يتعلق باختيار القيــم أو الاخلاق لتوجيه سلوكهم وضبطه • وهذه المشكلة قد تمثــل بالنسبة لبعض أفراد المجتمع أحــد مواقف الضغوط • ويرى ليفى استروس أن الاسطورة الدينية فى مثــل هذه المواقف تلعب دورا هــاما فى التوفيــق واستيعاب الازمات • فالاساطير — فى رأى ليفى استروس — ليست الا تعبيرات أو صيغ رمزية تحــل صراع القيم المتضمن فى المجتمعــات التى تحتوى أبنيتها على تناقضات بنائية ، وهــذا يضع الكثير من الناس الذين يعيشون حياة عادية فى مشكلة أخلاقيــة • فالاساطير تحاول أن تســمح للمجتمع بالاستمرار فى تحقيق أهدافه رغم وجود هذه التناقضات،وتؤدى الى التخلص من التوترات الانفعالية الناجمة عن هذه التناقضات(١٥) •

جـ) الدين والعلم كأساليب بديلة للتكيف

يمد العلم الانسان بالوسائل الامبريقية العملية للتكيف فى مواجهــة المواقف الامبريقيــة العملية • وبالنسبة للعــلم فان الغايات والوســائل المستخدمة غالبــا ما تكون غــير امبريقية • كذلك فان العلم يختــلف عن السحر ، رغم أن كلاهما عملى ، فالعلم يستخدم وسائل عملية امبريقيــة لتحقيق غايات امبريقيــة ، والعلم قديم قــدم الانسانية ، بمعنــى أن

---

(15) Nottingham, E., K., *op. cit.*, P. 94-95.

المجتمعات الانسانية قد عرفت أشكالا مختلفة تدرجت من البساطة الى التعقيد • فليس هناك ثقافة انسانية لا تحتوى على بعض الوسائل العلمية • فالمجتمعات الزراعية القديمة استخدمت وسائل خاصة بها وقد اثبتت نجاحا فى الانتاج الزراعى • حقيقة ان هذه الوسائل العلمية القديمة لم تؤدى الى النتائج التى حققها استخدام الوسائل التكنولوجية المتطورة، الا أن هذا لا ينفى حقيقة أن هذه الوسائل البسيطة لها الصفة العلمية(١٦) •

والحق أن الانجازات التى حققها العلم الحديث ، جعلت الناس يعتقدون أن العلم هو المنهج المسيطر الذى يستخدمه الناس لتحقيق العديد من الاهداف ولمواجهة أى ضغوط من أى نوع ، ولهذا فان العلم من حيث انجازاته له وظائف اجتماعية ايجابية • وقد يثور التساؤل ، حول ما اذا كانت وظائف العلم ، دائما وبدون شروط ، تعتبر وظائف ايجابية • وذلك أن العلم لا يطبق الا بالانسان من أجل تحقيق أهداف أجتماعية ، ومن ثم فان العلم مثله مثل السحر والدين قد يحل بعض مواقف الضغوط وفى الوقت نفسه قد يخلق مواقف ضغوط أخرى • وقد يثار تساؤل آخر حول الوظيفة الاجتماعية للدين فى مواقف الضغوط عما اذا كان الدور الذى يقوم به الدين كوسيلة من وسائل التكيف سوف ينحسر عندما تصبح الوسائل العلمية أكثر تأثيرا • والواقع أنه ليست هناك اجابة واحدة عن مشكلة مستقبل دور الدين فى مواقف الضغوط فى المجتمعات التى تتميز بدرجة عالية من التطور العلمى • فبالنسبة لدوركيم نجد أن المرجع النهائى للرمزية الدينية هو الجماعة الاجتماعية وليست المفاهيم المتسامية عما هو فوق طبيعى • ولهذا فهو يرى أن الدين أمر

---

(16) Nottingham, E., K., op. cit., PP. 96-97.

ضرورى ، وصفة رئيسية للمجتمعات الانسانية ، وذلك لانه يقوم على أسس اجتماعية • وقد تتغير الوسائل الخاصة بالتكيف فى مواجهة مواقف الضغوط بتطور العلم وتقدمه•وطالما أن مواقف الضغوط الرئيسية للانسان قائمة فى حاجته للتكيف مع واقع الجماعة الاجتماعية المفروض عليه ، فان الحاجة الى تقديس المجتمع والتى تحقق وسائل غير امبريقية، كما يرى دور كيم ، تظل كما هى دون تغيير • وتلاحظ اليزابيث نوتنجهام أن دور كيم لم يناقش امكانية تطور العلوم الاجتماعية والنفسية الى "الدرجة التى يستطيع فيها الناس أن يربطوا أنفسهم بالمجتمع من خلاله وسائل عقلية وعلمية بحته[17] •

ويقدم لنا فرويد ، كما بينا فيما سبق ، نظريته عن كيف أن الاله يمثل صفة الأب القوى•فمفهوم فرويد السيكولوجى للاله يعد تطويرا اسقاطيا لاعتماد الطفل على ولديه خاصة الاب • ويرى فرويد فى مقاله عن مستقبل الوهم أن من بين الوظائف الرئيسية للدين ، اعطاء الانسان غطاء من الوهم ضد خوفه من الطبيعة والاحباطات التى يواجهها داخل المجتمع • ويؤكد فرويد على أنه بتقدم العلوم السيكولوجية سوف يصبح الجنس الانسانى أكثر عقلانية ويتعلم كيف يخرج عن تفكير التبعية الطفلية والتى أخذت شكل الدين • ولم يكن فرويد متفائلا بالنسبة لانتصار العقل العلمى على الوهم الدينى فى المستقبل القريب • ولهذا بقيت مشكلة كيفية تحرير الانسان من سيطرة الدين بواسطة العلم قائمة بالنسبة لفكر فرويد[18] •

---

(17) Nottingham, E., K., *op. cit.*, P. 98.

(18) Ibid., P. 99.

د) السحر والعلم والدين فى نماذج المجتمعات المختلفة

ان مناقشة الدور المستقبلى للدين فى المجتمعات التى تتميز بدرجة عالية من التقدم العلمى لا يمكن فهمها الا من خلال سياقات اجتماعية خاصة بنماذج المجتمعات المختلفة • ففى النموذج الاول للمجتمعات (البسيطة والبدائية) نجد أن الطرق الدينية السحرية هى السائدة ، وأن العلم والتكنولوجيا ، نسبيا ، فى مراحلهما الاولى ، ولهذا تتميز استخداماتهما وتطورهما بالبساطة • والدين فى هذه المجتمعات يتداخل مع السحر • وتستخدم هذه الوسائل للتكيف فى مواجهة عديد من مواقف الضغوط والتى تحل اما بالدين فى النموذج الثانى للمجتمعات أو بالعلم فى النموذج الثالث • والدين والسحر يتداخلان فى معظم مواقف الضغوط والقلق ، مثل الحروب والزراعة والصحة ، والتى تشكل أهمية لاستمرار المجتمع[١٩] •

أما بالنسبة للنموذج الثانى للمجتمعات (المجتمعات التقليدية) فاننا نجد أن التكنولوجيا ، الى حد كبير ، تقدم الوسائل المؤثرة لتلبية الاحتياجات الفيزيقية • والنظريات العلمية هنا لم تتطور بعد مثلما يحدث فى النموذج الثالث للمجتمعات كذلك فاننا نجد أن السحر ما زال يؤدى وظائفه فى النموذج الثانى للمجتمعات ، وكثيرا من المعتقدات الخاصة بالدين الشعبى تستمر فى جذب العديد من الناس خاصة فى مواقف الازمات • والحقيقة أن أديان النموذج الثانى من المجتمعات تحاول أن تحرر نفسها من ارتباطها بالسحر لتكون نسقا أخلاقيا مستقلا • وبالرغم من تأكيد التعاليم الدينية على الابتعاد عن السحر ، الا أن السحر ما زال له دورا فى التكيف مع مواقف الضغوط المختلفة • وبالرغم من أن الدين

(19) Nottingham, E., K., *op. cit.*, PP. 99-100.

الرسمى قد يعارض مثل هذا النوع من الاديان الشعبية والتى تحتوى على نسق سحرى — دينى ، الا أن الناس قد تميل الى الاستمرار فى الاعتقاد بهذه الممارسات الشعبية ، حتى أن بعض هذه الاعتقادات تعطى تفسيرا للظواهر الكونية ويؤمن بها عامة الناس وبعض المثقفين • وقد يستخدم الدين أيضا فى هذا النموذج لتأكيد مبادىء أخلاقية تدعم أو تعارض النظام القائم • فقد يكون الدين بمثابة ثورة على الظلم الاجتماعى الواقع على بعض الطبقات • وفى أحيان أخرى يؤدى الدين وظيفة عكسية ، ويكون الدين بمثابة عاملا محافظا على النظام القائم[٢٠] •

أما بالنسبة للنموذج الثالث من المجتمعات ، حيث العلم المتطور ، على المستويين النظرى والتطبيقى ، والذى يستخدم كوسيلة عملية للتكيف ضد مواقف الضغوط أيا كان نوعها • فالعلم حل محل الطرق السحرية والدينية الى حد كبير فى مواجهة المشاكل الخاصة بالصحة العقلية وغير الفيزيقية ، والمسائل المتعلقة باستمرار الحصول على المواد الغذائية • وعلى الرغم من أن السحر ليست له نفس الوظائف التى توجد فى نماذج المجتمعات الاخرى ، الا أن السحر ما زال مستمرا على المستوى الشخصى فى هذه المجتمعات التى تتميز بالتقدم العلمى • كما أن الدين الرسمى غالبا ما يميل الى اتخاذ أشكال جديدة أو يعاد تفسيره •

وغالبا ما تطور المجتمعات العلمانية مواقف جديدة للضغوط التى لها مجالات أخرى غير القوى الطبيعية ، ولكن تتمثل فى الترتيبات الاقتصادية ومستوى المعيشة والحصول على عمل • وتدور الحياة الحديثة حول آلهة المال والنجاح والقوة ، وجريا وراء الكسب المادى • ولكن رجال المال فى هذه المجتمعات ، غالبا ما يلجأون الى أساليب تعتمد على استخدام السحر

---

(20) Nottingham, E., K., *op. cit.*, PP. 101-102.

لترويج سلعة ما • وهناك كثير من المجلات التى تتناول موضوعات التنجيم وعلم الفلك • كذلك تحتوى كل الجرائد على أعمدة مخصصة للحظ • كما نجد أن هناك انتشارا لصالات القمار بمستوياتها المختلفة ويعتمد الكسب السريع فيها على الحظ • كذلك فاننا نسمع عن اعتماد كثير من القادة السياسيين ورؤساء الحكومات على بعض العرافين قبل اتخاذ الكثير من القرارات • كذلك الحال بالنسبة للاعلانات التى تقدم عن طريق وسائل الاتصال الجمعى • فالكثير منها يقدم من خلال معلومات علمية ، الا أنها تحتوى على جانب سحرى فى القبول أو الاستخدام أو النتيجة • ما نريد أن نؤكده هنا ، هو أن الاستخدام المتزايد للعلم فى هذه المجتمعات قد خلق مواقف ضغوط جديدة استوجبت وجود السحر كوسيلة تكيفية • فبالرغم من سيطرة العلم على الطبيعة الا أن الانسان ما زال غير آمن من مخاطرها ، ولهذا نجد أن الانسان المعاصر رغم استخدامه لاحدث وسائل الانتقال الا أنه قد يحمل معه بعض الاحجبة أو التعاويذ أو يضع بعض الاشياء التى يعتقد أنها تمنع عنه الحسد أو تحميه من مخاطر الطريق(٢١) • كذلك فان المدنية الحديثة رغم أنها تتجه للعلم والتكنولوجيا الحديثة الا أننا نجد كثيرا من الافراد يعانون من العزلة الاجتماعية والوحدة وعدم الانتماء ولهذا فليس من المستغرب أذن ، أنتشار وانتعاش أنساق السحر والاعتقادات الشعبية ، خاصة بين المهاجرين من المناطق الريفية والذين يعيشون حياة هامشية داخل المدن •

على أية حال ، فانه بالرغم من تطبيق العلم الحديث على معظم مجالات الحياة فى المجتمعات الحديثة الا أن العلم كوسيلة وحيدة غير كاف لمواجهة الكثير من المواقف التى يحتاج فيها الانسان لقوة أخرى غير

---

(21) Nottingham, E., K., *op. cit.*, P. 104.

ملموسة لتدعم موقفه أو تعطيه الامـان ضد تقلبات الطبيعة ومخاطرها . كذلك هناك نوع آخر من المشاكل الفكرية والنفسية التى تتعلق بوجودنا فى هذا الكوكب وبمصيرنا . . . الـخ لا يمكن الاجابة عليها من منظـور العلم . فالعلم قد يفسر العالم الطبيعى المحيط بالانسان ومكانه فى هـذا العالم . ولكنه يعطى منظورا مختلفا لما يراه فى هذا المجال . ولهذا قد نجد صراعا بين العلم والدين . فالعلم الحديث يترك المسائل الخاصة بالاخلاق والمصـير الانسانى دون اجابة . وقد يقدم علم النفس والتحليل النفسى بدائل للدين للتخفيف من القلق وعدم الطمأنينه التى يصاب بها الانسان المعاصر نتيجـة لمواقف الضغوط المتعـددة(٢٢) . ولعل التدريبـات التى يتلقاها رجال الدين فى الغـرب ، على التحليل النفسى ، تعد دليلا عـلى محاولة مواجهة المواقف التى تواجه الانسان المعاصر . على أية حال ، فان دور الدين فى المجتمعات الحديثـة يمكن أن يلخص فى موقف ازدواجـى مؤداه ، أنه بالنسبة لكثيرين هناك ابتعاد عن استخدام الدين على المستوى الشخصى . وبالنسبة لآخرين ، خاصة فى مواقف الازمات ، هناك حاجـة لتأكيد دور الدين . وهذا يعنى وجود عدد آخر من الناس فى المجتمعـات الحديثـة يقع بين هذين الاتجاهين . وبالنسبة لدور رجـال الدين ، فان الكثيرين منهـم يحاولون اكتسـاب العلم الحـديث ، وخاصة المعرفـة السيكولوجية والعلمية ، باعتبار أن مهمة الدين الاساسية هـى أن يكون وسيلة فعالة أكثر مما هو عليه الآن حتى يستطيع استيعاب أزمة الانسان المعـاصر .

---

(22) Nottingham, E., K., op. cit., PP. 106-107.

٦ ـ الدين والمجتمع : مشكلة المعنى :

أ) مشكلة المعنى بالنسبة للتجربة الفردية

سوف نحاول أن نناقش هنـــا مشكلة المعنى Meaning ، أى دور الدين فى تقديم تفسير من خلاله تستطيع الكائنات البشرية أن تفسر ، من منظور أخلاقى ، حركتها فى الحياة واتجاهاتها،والتاريخ القديم والظروف الحاضرة لمجتمعاتها • بمعنى آخر ، أننا سوف ننتقل هنا من مناقشة اجابة الدين على بعض المشاكل المتعلقة بكيف Why بالنسبة للحياة الاجتماعية الى مناقشة دوره فى الاجابة عن لماذا How •

فالدين لم يقدم عبر العصور ، الشعائر التى تساعد على ايجاد الراحة النفسية للافراد والوسائل التى تقوى الاعتقاد فقط ، بل ساعد أيضا على تقديم تفسيرات فكرية عامة أسهمت فى تكون الحس الاخلاقى بتجـــربة الحياة الكلية • وتشتمل هذه التفسيرات على محتوى الفلسفات الدينيـــة والكونية • فقد طـــورت كل الاديان الكبرى مثـــل اليهودية والمســـيحية والاسلام والبوذية والهندوسية • • الخ ـــ طورت ـــ تفسيراتها المميـــزة عن طبيعة الله أو الآلهة ، والانسان وهدفه على الارض ، ومشكلة الشر ، ومصير الانسان • وهناك تفسيرات أخرى من أديان أخرى مثل الطوطمية، وهى محاولات للاجابة عن بحث الانسان عن « المعنى » ولعل تقديم مثل هذه التفسيرات المعنى يعد من أهم الوظائف التى قام بها الدين خـــلال تاريخ الانســـان • وقد شغلت هـــذه المسائل الخاصة بوجود الانســـان ومصيره معظم المفكرين خلال كل العصور ، وحاولوا تقديم اجابات عليها، واستطاع القليل منهم أن يقدم اجابات لا تحتوى على عناصر دينيـــة أو غير امبريقيـــة[1] •

---

(1) Nottingham, E., K., *op. cit.*, P. 110.

ويعد الادعاء بأن الانسان كائن يسعى الى ايجاد ايجابيات أخلاقية لمثل تلك المسائل ، ادعاءا هاما • فلو أن مثل هذا الادعاء أخذ به ، فان هذا يتضمن أن يوجد دائما تنوع بين الافراد بالنسبة للاهمية المتعلقة بالاجابة على هذه الاسئلة وبسبب هـذا التنوع ظهرت الفلسفات الدينيـة التى تحاول أن تواجه الازمة التى يعانى منها المجتمع أو قطاع منه وتقدم لها ، مرة أخرى ، حلولا لمشكلة المعنى[٢] • فمحاولات الانسان اعطاء معنـى للتجربة الانسانية ومصـيره تنبع أساسا من حالته الوجودية وليس من تأملاته الفلسفية البحتة[٣] •

ولعل مشكلة المعنى لدى كثـير من الناس لا تقتصر على المحـاولات المنظمة بهدف ايجاد تفسيرات لمعنى المصـير الانسانى ، أكثر من كونهـا اجابة عن مسألة ، لماذا تحدث هذه الاشياء غـير المواتية ، ولماذا تحـدث لهم بالذات ؟ وبعض الاجابات عن هـذه المسائل ، والتى قد تثار ويتـم الاجابة عنها على مستويات مختلفة ، تعد ، بلا شك ، ضرورية الكائنـات الانسانية لو أرادت أن تغلب على الاحباطات التى تواجهها • وهنا أيضـا يمدنا الدين باجابات متنوعة للمسائل الانسانية العامة • ولا يعنى هـذا أنه ليس هناك اجابات لمشكلة المعنى خارج نطاق الدين ، فهناك عديد من المداخل لمشكلة المعنى منذ القدم • فسقراط مثـلا ، فى محاولته لايجـاد المعنى من الوجود الانسانى ، طالب الانسان أن يبحث عنه داخل نفسه ، كذلك فانه الآن بالنسبة للعـديد من الافراد والجماعات التى تحـاول أن تجد تفسيرا لمشكلة المعنى للوجود الانسانى فى العالم المعاصر ، نجـد أن هذه الجماعات والافراد يستخدمون أشكالا مختلفة للتعبير ، والتى قـد

---

(2) Weber, M.,*Sociology of Religion, op.cit.*, PP.XXXIII, 58-59.

(3) Nottingham, E., K., *op. cit.*, P. 110.

تبدو غريبة وبعيدة عن الاعتقادات المتوارثة • فاليوجـا والتأمل والسحر والاقبال المتزايد على العلوم النفسية والفلكية لخير دليل على اهتمامات الشباب فى الغرب لايجاد معنى لحياتهم المعاصرة •

ب) مشكلة المعنى بالنسبة للمجتمع

يحاول كل مجتمع من خلال تاريخ نضاله مـع الطبيعة والآخرين أن يطور نسقا من التفسيرات الاخلاقية لطريقة حياة أعضائه والمعنى الخاص بهذا المجتمع ذلك لانه اذا قام الافراد بالتزاماتهم الاجتماعية ، فانه من الضرورى أن يكون متـاح تفسيرا مقبـولا أخلاقيـا من مجتمعهم ، عن الاوضاع النظامية وما يحتويه من تفاوتات اجتماعية •

ولا شك أن بعض المجتمعات تتميـز بقدر كبير من المساواة والعدالة الانسانية فى أوضاعها الاجتماعية عن غيرها من المجتمعات الاخرى ، ولكن ليس فى أى منها تطـابقا بين التـوزيع الحقيقى للمكافآت والجـزاءات الاجتماعية ، وبين المتطلبات المثالية للعدالة • ومن ثم فانه يوجـد فى كل المجتمعات تفاوتا بين المثال والواقع وهذا يتطلب تفسـيرا وتوضيحا(٤) • كذلك فمن الاهمية الاشارة الى أنه ليس هناك جماعة انسانية تستطيع أن تستخدم تفسيرا لمعنى نسقها الاجتماعى دون أن تستند فى هذا الى بعض العناصر الخارجية عن نطاق المجال الامبريقى • فلو سلمنا بوجهة النظـر التى ترى أن الظلم ، عدم العدالة الانسانية ، حقيقة غريزية وأن الحياة الاجتماعية من وجهة النظر الاخلاقية تعد بلا معنى ، فانه لا يمكننـا اذن أن نجد أية اجابة أمبريقيـة أو من الحس العام عن المسائل الناجمـة عن عدم المساواة وعدم مساواة الانساق الاجتماعية(٥) •

---

(٤) انظـر :
Parsons, T., Religions Perspective of college Teaching...*op. cit.*, PP. 13-14.

(5) Nottingham, E., K., *op. cit.*, P. 115.

ان هذه الاعتبارات تفضى الى السياق العام الذى يكون للدين فيه دورا فى تقديم تفسيرات أخلاقية للتاريخ الانسانى والاوضاع الاجتماعية فكل المحاولات التى تحاول تقديم حلول أخلاقية من خلال منظورات امبريقية تفشل فى مواجهة عدم التوازن القائم من ناحية الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية • ومن ثم فان التفسيرات الخاصة بالمعنى المجتمعى قد يكون لها قبولا واسعا لو أنها قدمت عناصر غير امبريقية وغالبا ما تحتوى عناصر روحية •

وتحاول هذه التفسيرات أن تفسر مشكلة الشر،ويقدم لنا ماكس فيبر ثلاثة أنواع من التبريرات العادلة Theodicy والتى تحتوى جميعا عناصر غير أمبريقية • المفهوم الاول هو الكارما Karma وتشكل نسقا ذاتيا لا شخصى لموازنة المكافآت والعقاب للافعال الخيرة والشريرة• وعمل الكارما يظل مستمرا الى السلسلة اللامتناهية للحياة • ويرتبط مفهوم الكارما بمفهوم تناسخ الارواح وهو لا يمكن اقامة البراهين الامبريقية عليه • والنوع الثانى يشتمل على الاعتقاد فى التسامى المطلق لله ، فكل ما يحدث للانسان ينظر اليه على أنه مقدر بارادة الله حيث أن حكمته وقوته لا نهائية ، وفوق ادراك الفهم الانسانى • فالجبر الالهى لا يسمح بالاختيارات ، ولا يملك الناس الا الايمان بهيمنة الله عليهم • والنوع الثالث نابع من تعاليم زرادشت Zoroastr ، حيث يرى أن العالم أرض معركة بين قوى الخير وقوى الشر أو بين الله والشيطان • ففى هذا النسق الثقافى لا تكون قوى الخير والشر متساوية • وعلى الرغم من أن هناك صراعا رهيبا بينهما الا أن الله سوف ينتصر فى النهاية وأن أفعال الانسان الخيرة والشريرة سوف ينظر اليها يوم الحساب •

على أية حال ، فان مناقشتنا للتفسيرات الدينية سوف تتركز حول الطرق التى من خلالها يعطى الدين معنى للتاريخ • كذلك سوف نبحث

مشكلة المعنى المجتمعى وكيف يؤثر على التداخل بين الجماعات المختلفة والانظمة داخل المجتمعات والطبقات المختلفة والتى تحتل مكانة هامة باسم الدين فى المجتمعات ، وكيف تحوز هذه الجماعات القوة الاقتصادية والسياسية فى المجتمع • وهذا يعنى مناقشة التفسيرات الدينية لمعنى الانظمة السياسية والاقتصادية •

جـ) التفسيرات الدينية للنظام الاجتماعى

لعل التساؤل الرئيسى فى هذا المجال هو ، الى أى درجة يفرض دينا معينا قيمه الاخلاقية على تفكير الناس فى المجتمع ، أو على العكس ، كيف تعكس المبادىء الدينية الاوضاع الاقتصادية والسياسية السائدة فى ذلك المجتمع ؟ • وقد ينبع التساؤل الاخير من الفكر الماركسى حيث الرأى أن التفسيرات الدينية ليست الا ترشيدات تعكس الطبقات المسيطرة • وفى الرد على ذلك هنا ، نقول أن كل الانساق الدينية والفكرية مقبولة من المجتمع ككل ، أو حتى من قطاع كبير منه على أنها نتاج تاريخ طويل ، اشتركت فيه عوامل عديدة مؤثرة • ويفسر وجود بعض التفسيرات الدينية التى قد تكون فى صالح جماعة معينة ، كما يذهب فيبر ، بوجود علاقة دائمة بين الاوضاع الاقتصادية والسياسية فى مجتمع معين وبين التفسيرات الدينية للمعنى المجتمعى فى فترة تاريخية معينة • فليس هناك أخلاق دينية مهما كانت درجة أصالتها أو شكلها الاصلى تنبع فى عزلة تامة عن الاحداث والظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى المجتمع الذى نبعت منه •ونحن هنا لا نحاول بأى حال القول باستقلال أو أولوية العوامل المادية من ناحية أو تأكيد العوامل الدينية من ناحية أخرى • ولكننا سوف نقدم مواقف تاريخية أو معاصرة لنوضح تفسيرات المعنى الخاص بالعالم الاجتماعى والذى قد يكون متأثرا بالقيم الدينية أو خاضعا للظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى هذه المجتمعات[٦] ع

(6) Nottingham E., K., *op. cit.*, PP. 118-119.

فالدين بالنسبة لشعوب معينة هو مصدر من مصادر التفسيرات الاخلاقية لاستمرارها كشعوب ممتازة أو مصدر من مصادر الذاتية ضد الغزو الخارجى ، أو اداة ثورية فى يد المضطهدين (سواء من العبيد أو الطبقات الدنيا) ضد القوى أو الطبقات المسيطرة فالدين هنا يعطى بعدا جديدا فى تفسير تاريخ الشعوب والجماعات من أجل تحقيق نجاحها ضد ما يعترض استمرارها • كذلك الحال بالنسبة لتفسير الدين للانساق الطبقية التى تأخذ أوضاعا غير متساوية بالنسبة لاعضاء المجتمع ، والتى ينتج عنها أوضاعا غير عادلة اجتماعيا • ولعل النظام الطبقى فى المجتمع الهندى خير مثال لمثل هذا النوع من الظلم الاجتماعى • وبالرغم من التغيرات التى حدثت لهذا النظام الا أن الاعتقاد السائد هو أن وضع الفرد ومهنته قد حددا مسبقا منذ ولادته ، ولا يمكن لأى فرد تغيير هذا وبوضع طبقة البراهما فى مكانة عليا فى النسق الطبقى ، يكون المجتمع الهندى متضمنا أولوية داخل النسق الاجتماعى لتلك الجماعة التى تتصل وظيفتها بالقيم الثقافية المسيطرة فى المجتمع • وهذا يتطلب نوعا من الشعائر الدينية التى لا تمارس الا من خلال طبقة البراهما نفسها ، بمعنى أن الطبقات الاخرى تحدد موقفها الاجتماعى والدينى من طبقة البراهما • ولا شك أن هذا النسق الطبقى ينطوى على مشكلات أخلاقية خاصة باحتلال أفراد معينين ، رغم قدراتهم المحدودة ، الطبقة ، العليا فى المجتمع الهندى ، بينما يحتل أفراد آخرون الطبقات الدنيا رغم تعدد قدراتهم • والرد على هذه المشكلات قد يكون فى أن تبرير هذا الوضع الطبقى يرجع أساسا الى وجود عوامل فوق طبيعية فى التفسير • بمعنى آخر ، أن تفسير هذا يتطلب فهم وجهة النظر الهندوسية بالكامل خاصة مبدأ تناسخ الارواح الذى يؤكد أن الفرد قد يكون موضوعا للتناسخ فى أشكال مختلفة انسانية أو حيوانية أو نباتية وفى أوضاع اجتماعية عليا أو

دنيا فالوضع الاجتماعى للفرد ، اذن ، هو استحقاق لما كسبه فى حيـاته السـابقة[٧] •

وتتطلب الانظمة الاقتصادية ، بما تحتويه من أنساق طبقية ، تفسيرا أخلاقيـا لتوزيع الثروة وكيفيـة جمعها والشعور الناجم بالظلم وعـدم المسـاواة بالنسبة لبعض الاعضـاء — كذلك يتطلب البحث هنا معرفـة اتجاهات كل دين بالنسبة للعالم المادى وحقائقـه • هناك أديان (مثـل الهندوسية ، البـوذية ، المسيحية ، والصوفية) ترى أن العالم المـادى مرفوض ويجب أن ينبذ ، ومن ثم فالاديان أو الفكر الدينى ، بتعبير أدق ، يرفض أن يغوص فى هذه المسـائل الاقتصادية بينما نرى أديان أخـرى (مثل الاسلام ، اليهودية ، والبروتستانتية) أن الثروة والاقتصـاد من الامـور الاسـاسية بالنسبة للحيـاة والتى يجب أن تراعى وتدعـم ، فالبروتستانتية قد تبيح الربا والفائدة من أجل تنمية الثروة ، ولهذا نجد تبريرا أخلاقيا للانشطة الاقتصادية والوسائل المستخدمة فيها •

ويقدم الدين كذلك ، تبريرا أخلاقيا للسلطة السياسية فى المجتمـع • فبعض الاديان قد ترى أن السلطة الارضية نوع من الخلافة ، خلافـة الانسان لله فى الارض ، ومن ثم تنتظم هذه السلطة طبقا لتعاليم الله الذى يعتبر الحاكم الاعلى للعالم • وعلى هذا الاساس ، يطلب الحكام بدورهم من تابعيهم أن يكونوا طائعين خاضعين لاوامرهم ، ويعد الخروج عـلى السلطة الارضية فى نظرهم ، خروجا على الاوامر الالهية • ومن ناحيـة أخرى قد نجد انفصالا تام بين الدين والسياسة خاصـة فى الاديان التى

انظـر :

Weber, M., *The Religion of India ... op. cit.,* P. 121.

تتميز بالزهد الاخروى والتى نجد فيها تحقيرا للعالم الدينوى • وبالرغم من استقلال الانظمة الاقتصادية والسياسـية عن الدين فى المجتمعـات الحديثة ، الا أن الدين ما زال يمارس تأثيرا واضحا على هذه الانظمـة وقد يأخذ هذا التأثير الشكل الرمزى أو ظهور حركات تحاول تعبئة القيم الدينيـة المتوارثة وتحديثها لتقـابل المشاكل الاقتصـادية والسـاسية المعـاصرة •

٧ ـ خاتمــــــة :

يحاول الانسان خلال تاريخه أن يجد حلولا للمشاكل التى يقابلها فى تجربته الاجتماعية • وفى محاولته ايجاد حلول لها ، يجد اختلافا أخلاقيا بين حقائق الانسان الاجتماعية ، وبين معايير الدين الاخلاقيـــة ، فطالما هناك تباعد بين المثال الخاص بالعدالة والحق وبين الواقع الاجتماعى ، فان الناس اما يلجأون الى التبرير أو الثورة •

وكما رأينا فى المجتمعات البسيطة ، فان التفسيرات الدينيـــة للمعنى الخــاص بالمجتمع ، غالبــا ما تكون كامنـــة • ففى مثل هذا النـــوع من المجتمعات تكون الجماعة الانسانية نفسها هى التى تشكل القيمة المقدسة الاساسية لاعضائها ، ومن ثم فليس هناك تمييز بين الأخلاق المثالية وبين العادات الواقعية • فمثل هذا النوع من المجتمعات لا يحتـــاج الى تشريع أو يكون به تعارض بين المثال والواقع • وبتعقد المجتمع وبازدياد تقسيم العمل ، ازداد الاختلاف حدة بين الفقر والغنى ، أو بين الحاكم والمحكوم• وحتى فى هذه المجتمعات فان الدين يعطى تفسيرا للمعنى ويكون الفقراء راضين عن أوضاعهم ، والاغنياء يشعرون بعدالة مركزهم • ولكن هــذا الحال لا يدوم ، فمثل هذا النوع من المجتمعات يمر بحركات جديدة ، لها مصالح جديدة ، تتحدى الوضـــع الراهن وتطالب بتوزيع عـــادل للثروة والسلطة • ومرة أخـــرى يعطى الدين تفسيرات جديدة لتبرر التحـــدى والنظام الاجتماعى الجديد •

يتضح اذن ، أن دور الدين فى مجتمعات النموذج الاول والثانى هـــو اضفاء الشرعية على الانظمة الاجتماعية القائمة ، ودوره فى المجتمعـــات

الحديثة فى الشكل والمضمون مختلف تماما ، ففى هذه المجتمعات نجـد بوضوح درجات متفاوتة من السلم الاجتمـاعى والتى تشير الى عـدم المساواة والظلم ، فالتفسيرات العلمانية للمعنى الخاص بالنظام الاجتماعى تكون جنبا الى جنب مع التفسيرات الدينية • ففى مثل المجتمعات الصناعية غالبا ما تنتشر التنظيمات العلمانية مثل الدولة ، والحكومة ، وتتخذ شكلا « دينيا » • ومن ثم فان القومية والشيوعية والديموقراطية تصبح « شبه أديان » تنافس الاديان التقليـدية • ولكن هل يمكن لهذه التفسـيرات المستمدة من « الاديان العلمانية » أن تعطى تفسيرا أخلاقيا لعدم المساواة التى تميز العالم الحديث • الحق أن التاريخ لم يعط بعد اجابة محـددة على مثل هـذا التساؤل • فالبعض يرى أن هـذه المبادىء الاخلاقيـة للاعتقادات العلمانية تعتبر رثة ، وغالبا ما يعود المجتمع الى تراثه الروحى التقليدى يستمد منـه تفسيرات جديدة لمعنى وجوده ، بينما يرى البعض الآخر ، أن العلمانية هى طريق آخر لحل مشاكل الوجود ، أو هى اللغـة الجديدة للتحدث عن الاعتقاد •

على أية حال ، فاننا فى هذا الفصل قد استعرضنا مقومات التجـربة الدينية وطبيعتها وأشكال التعبير عنها ، وبينا كذلك وظيفة الدين فى اعطاء المعنى الاخلاقى للاوضاع الاجتماعية الانسانية • ويختلف تقييم وظيفة الدين بالايجابية أو السلبية بحسب من يقوم بالتقييم ، فالاشخاص الذين يسعون الى التوازن والنظـام والاستقرار والتضـامن ، يرون أن الدين يقوم بوظيفة ايجابية عندما يعطى تفسـيرا أخلاقيا للوجود الاجتماعى ، بينما يرى الذين يهتمون بالتغير والتقدم أن الدين يقوم بوظيفة سلبية أو يحاول المحافظة على الوضع الراهن • فضلا عن ذلك ، فقد حاولنا فى هذا الفصل استعراض الدور الذى يلعبه الدين فى اعطاء تفسيرات ذات معنى للمواقف الاجتماعية المختلفة ، والتى تتميز بالثبات • وسوف نحاول فى الفصل القادم مناقشة وظائف الدين بالنسبة للتغير الاجتماعى •

الفصل العاشر

الدين والتغير الاجتماعى

الدين والتغير الاجتماعى

١ ـ تمهيـــــد •

٢ ـ الدين كعامل أساسى فى التغير •

أ) دور النبى أو القائد الدينى •

ب) دور الافكار أو القيم الدينية •

٣ ـ الدين كمعوق للتغير الاجتماعى •

٤ ـ التغير الاجتماعى والتغير الدينى •

٥ ـ الدين والثورة فى العالم الثالث •

٦ ـ خاتمـــــة •

١ ـ تمهيـــد :

على الرغم من أن التغير هـو سنة الحياة ، الا أن هناك عـديدا من المناقشات العلمية حول ما اذا كان الدين يغير المجتمع أم العكس•ويفضل البعض معالجة هذا الموضوع من خلال المدخل التفاعلى الذى يعد بمثابة العامل الرئيسى لفهم التغير ، ليس فقط فى الانظمة الدينية ، ولكن فى كل الانظمة الاخرى • وسوف نحاول فى هذا الفصل معالجة التفاعل المشترك بين التغير الدينى **Religious Change** والتغير الاجتماعى • فسوف ننظر الى الدين على أنه عامل من عـديد من العوامل العلمية التى يسبب أحدها الآخر • وهـذا المدخل التفاعلى أو متعـدد العوامل لا يسـمح باستنتاج تعميمات سريعـة عن دور الدين فى التغير الاجتمـاعى أو تأثير التغيرات العلمانية عـلى الدين • كذلك فنحن ندرك تمـاما أن استخدام المدخل التفاعلى يعترف بأن التأثير الواقعى لاحد النظم على أى من النظم الاخرى لا يكون تأثيرا مقصودا ومباشرا • كما أن نتائج التفاعل النظامى مع النظم غالبا ما تكون ضمنية أكثر من كونها ظاهرة • ولا شك أن هـذه التأثيرات التفاعلية قد تتنوع وتختلف من وقت الى آخر • ولهذا فان مهمة عالم الاجتماع الدينى هى تحليل واكتشاف الظروف التى تساعد أو تعوق التأثير الدينى • ولا يعنى هذا أن علم الاجتماع الدينى مطالب باقتفـاء المواقف التى يكون فيها الدين السبب الرئيسى فى التغير الاجتماعى ، وتلك التى لا يكون فيها للدين أى دور فى التغير ، اذ أن الدين هنا مجرد عاكس للتغيرات الاجتماعية الاخرى • فالمهمة الاساسية لعالم الاجتماع الدينى هى أن يبين الظروف التاريخية والنظامية التى يكون أو لا يكون للدين فيها دورا أساسيا فى التغير الاجتماعى •

ويجدر الاشـــارة هنا الى أننا فى بحثنـــا عن دور الدين فى التغـــير الاجتماعى يجب أن نميز بين دور الدين كنسق من الافكار ، أى كنســـق اعتقادى يؤثر على الافراد ، وبين دوره وتأثيره كمجموعة من التنظيمات الدينية • فالاخلاق البروتستانتية مثلا ، كان لها دورا تاريخيا فى التغـــير الاجتماعى بينما كان للحركات الدينية الاخرى دورا مغايرا فى هذا المجال ولا شك أن هنـــاك عديدا من الاســـباب التى تؤدى الى احداث التغـــير الاجتماعى مثل مواقف الازمات أو الاحتكاك الثقـــافى ، كذلك فان ضعف الانظمة الاجتماعية القائمة غالبا ما يخلق مناخا من عدم الرضا لاعضـــاء المجتمع فى محاولتهم حل مشاكل الحياة اليومية • وسواء كان للدين ، أو لاى عامل اجتماعى أو ثقافى آخر دورا هاما فى احداث التغيرات المتوقعة أو لم يكن ، فان هذا يعتمد أساسا على قوة أو ضعف الانظمة العلمانيـــة وعلى قدرة الانظمة الدينيـــة على الاستقلال والعقلانية • ففى أوقـــات الازمات الاجتماعية نجـــد أن الناس يتصرفون بطرق مختلفة • فالبعض قد يهرب من الدين وينشد الخلاص فى الافكار والنظم العلمانية ، بينمـــا نجـــد البعض الآخر يميـــل الى قبول التفســـيرات الاخروية لحالتهـــم ويخضعون لها فى تصرفاتهـــم • وسوف نناقش هنـــا دور الدين فى ثلاث مواقف ، الاول ، دور الدين كعامل أساسى يساعد على أحـــداث التغيرات فى المجتمع ، والثانى ، ويبدو فيـــه الدين كمعوق للتغير ، والثالث وفيـــه يعكس الدين التغيرات الاخرى فى المجتمع •

٢ ـ الدين كعامل أساسي في التغير :

أشرنا الى دور الدين كباعث للتغير يزداد فى أوقات ومواقف الازمات فالتحول من نموذج مجتمعى الى آخر ، كالتحول من النموذج الاول الى النموذج الثانى أو من النموذج الثالث غالبا ما يصاحبه أزمة على مستوى المجتمع ككل • ففى النموذج الاول للمجتمعات لا نجد كثيرا من التغيرات طالما أن المجتمع يظـل فى حالة من الثبات النسبى من حيث عدد السـكان ومنعـزلا عن الثقافات الاخرى • وطـالما أن الدين فى هـذا النوع من المجتمعات يظل أحد الجوانب الاساسية لمعظم الانشطة النظامية للمجتمع دون أن يكون متميزا كنظام مستقل ، فان دوره هنا يكون محدودا للغاية بشأن احداث تغييرات اجتماعيـة • ومن ناحية أخرى يتميـز الدين فى النموذج الثانى بأنه نظام كالانظمة الاخرى ، كما أنه يتمتع بأخلاق وقيم نظامية وعقلانية • وغالبا ما تكون هذه « الاخلاق الدينية » فى توتر مـع أنماط السلوك المعتادة بالنسبة لاعضاء المجتمع ، وكلما كانت تلك الاخلاق تكتسب قبول أولئك الاعضـاء فانها تكون ذات تأثير فى احـداث التغير الاجتماعى•وقد يحدث أن ينتقل المجتمع من النموذج الاول الى النموذج الثانى من المجتمعات لوجود روح عقلانية أو غير تقليدية ، تلك الروح التى قد تكون نتيجة لما أسماه فيبر بدور الانبياء • فالانبياء بما يتمتعون به من قوة كرزماتيـة Charisma يستطيعون أن يحركوا الافـراد والاحداث حسب الاتجاه الذى يريدونه • فالانبيـاء يدعون أنهم يملكون الحقيقة الدينية للخلاص من خلال قدرتهم الذاتية على استقبال الوحى الالهى • وهم بهذا يملكون رسالة روحية تميـزهم عن غيرهم من البشر • ولعـل

---

* راجع ما سبق الاشـارة اليه فى الفصل السابع عن نماذج المجتمعـات المختلفة والاختلافات القائمة بينهـا •

الاعتقاد فى امتلاك أولئك الانبياء رسالة روحية هو الذى ساعد على تفتيت التقاليد فى المجتمعات التقليدية[1] •

أ) دور النبى أو القائد الدينى :

يرى فيبر أن للأنبياء دورا هاما فى الثورة على النظام القائم • وهنا فهو يميز بين نوعين من الانبياء • النوع الاول وهو ما يطلق عليه النبى الاخلاقى Ethical prophet والذى له رسالة ، والثانى هو النبى المثـالى Exemplary Prophst • والنبى الاخـلاقى ، عند فيبر ، هـو الذى له تأثير دينامى طالما كان يدعى أنه ينفـذ ارادة الله ، ، ولما كانت له رسالة مقدسة ، فان ذلك يتطلب من أتباعه الطاعة كواجب أخلاقى ، ويمثل هذا النوع أنبياء من الديانات اليهودية والمسيحية والاسلام والزرادشتية• ومن ناحية أخرى ، يمثل النبى المثالى نموذجا للذين يتبعونه على طـريق الخلاص الذى يسلكه هو نفسه ، ولكنـه لا يدعى أن مثل هذا الطـريق للخلاص موحى به من الآلهة ، ولذا فهـو لا يلقى واجبـا أخلاقيا عـلى أتباعه • ويمثل هذا النوع أنبيـاء من الديانات الهندوسـية والبـوذية والصينية • فالنبى المثالى يعطى ويوضح طريق الخلاص للافراد بينمـا يتيح النبى الاخلاقى الفرصة للخلاص الاجتماعى[2] •

---

(1) Weber, M., *The Sociology of Religion, op. cit.*, PP.35-36, 51.

(2) *Ibid.*, PP. 55-56.

أنظـر أيضـا :

Jehnstone, R., *Religion and Society in Interaction. op. cit.*, PP. 141-155.

Hill, M., *op. cit.*, PP. 205-227.

Yinger, J., M., *Sociology Looks at Religion. op. cit.*, PP. 39-88.

ويرى فيبر أن النبى الاخلاقى غالبا ما يحاول أن يخلق حركة دينيـــة تحاول تطبيق تعاليمه فى نظام اجتماعى جديد ولكن بعد ما تنجح الكرزما وحركته فى جذب العديد اليها ، فان حركتـــه وصفته الكرزماتية غالبـــا ما يصيبها الروتين ، وبالتدريج تتحول الى تنظيم دينى قد يتصف فيما بعد « بالمحافظة » • وبهذا فان القوة الدينامية للنبى الكرزماتى فى احـــداث التغير غالبا ما تفقد قدرتها أثناء عملية الروتين[٣] • وتأكيد فيبر عـــلى النبى كعـــامل أســـاسى فى احـــداث التغير الاجتمـــاعى لا يعنى عـــدم وعيه — فيبر — بالعوامل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية الاخـــرى التى تلعب دورا هاما فى احداث مواقف دينامية للافراد والمجتمعات • أن فيبر يحاول هنا أن يبين أحد المسببات ، أعنى دور الدين ، فى احـــداث التغير ، ودور النبى أو القائد الكرزمى كمسبب للتغير • فضلا عن هـــذا ، فقد أعطى فيبر اعتبار للبيئة الاجتماعية التى تتقبل دعوة النبى أو القائد الدينى • فقد لاحظ أن معظم أعضاء الطبقة الحضرية الوسطى الجديدة هم الذين يمثلون التربة الخصبة لتقبل مثل هذه الافكار ، فعندما يتحول المجتمع من الاقتصاد الزراعى الى الاقتصاد الحضرى نجد أن الطبقـــات الحضرية هى التى تحمل التعطش للخلاص وتكون أكثر تقبلا للتفسيرات الدينية الجديدة عن حياتها ومكانتها فى النظام الاجتماعى المتغير ، فهؤلاء يظلون فى فترات التحول يتمتعون بمكانة اجتماعية وطبقية غير مستقرة • وعلى أية حال ، فان استمرارية وجود هؤلاء الافراد على حالتهم تعتمـــد على تطور الحياة الحضرية كطريقة للحياة ، والتى تعتمد بدورها عـــلى تطور وسائل الاتصـــال وتفتت الخصائص التقليدية لمجتمعات النمـــوذج الاول[٤] •

---

(3) *Ibid.*, PP. 60-61.
(4) Nottingham, E., K., *op. cit.*, PP. 142-149.

ولعل خير مثال على دور النبى فى التغير الاجتماعى هو النبى محمد — ﷺ — وظهور الاســـلام • فقد كانت الجزيرة العربية قبل الاســـلام ، باستثناء مكة كمركز تجارى ، مجموعة من القبائل المحاطة بالامبراطورية البيزنطية والفارسية • وبفضل قيـــادة الرسول الكريم ، عليه الصـــلاة والسلام ، توحدت هذه القبائل وظهرت امبراطورية اسلامية هزمت فيمـــا بعد كل من الحضـــارتين البيزنطية والفارسية ، وامتد الاســـلام فى كل الانحاء ليصيغ نظاما اجتماعيا جـــديدا ، استمدت دعائمه من القـــانون والقيم الاسلامية • صفوة القول أن فكرة فيبر عن النبى الاخلاقى تنطبق تماما على النبى محمد — ﷺ — فهو انسان تلقى وحيا من ربه ، وطلب منه أن ينقل رسالة الى الآخرين ليغير بها النظـــام القديم ويقيم نظـــاما اجتماعيا جديدا • وهكذا فان رسالته ، صلوات الله عليه ، كانت أســـاسا لدين جديد نبع منه نظام جديد تميز بالعالمية والقيم الانسانية(٥) •

ب) دور الافكار والقيـــم الدينيـــة :

لقد عاش العالم الغربى ثورة سياسية وأخـــرى اقتصادية تميز بهـــا العالم الحـــديث ، ثم شهد بعد ذلك الثـــورة التى عرفت باسم الثـــورة البروتستانتية • وقد ظهرت البروتستانتية كرد فعـــل للازمة التى واجهت المجتمع الغربى فى القرنين السادس والسابع عشر وبها تحول ذلك المجتمع من نموذج المجتمع الثانى الى النموذج الثالث من المجتمعات •

وفى هذه الفترة ظهرت فى أوروبا أفكار دينية جديدة حولت انجلترا وهولندا والجزء الشمالى الغربى من أوروبا الى مركز تجارى هام يتميز

---

(٥) انظـــر :

Watt, Montgomery, W., *Islam and the Integration of Society*. Evanston, III. : North University Press, 1961.

بالتنظيمات الجديدة • وقــد تبنى هذه المدنية أفــراد الطبقة الوســطى الحضرية الذين كانوا يشعرون بالاغتراب عن النظام القائم • فقــد كانت تلك الطبقة تدرك تماما أنها ممنوعة بالقانون من القيام بأعمال معينــة الا بعد المساهمة فى التنظيمات الدينية القائمة • وعلى أية حال ، بالتدريج ، وبعد ما أصبحت طبقة التجــار الجديدة فى مركز القــوة ، بدأت تتطلب التبرير الاخلاقى لتحدى النظام القائم ، ووجدته ، كما يذهب فيبــر فى المبادىء المستمدة من البروتستانتية خاصة الكالفنية •

وكالفن ، على العكس من لوثر ، كان بمثابة المصلح الاخلاقى،صاحب الاتجاهات الراديكالية ، فالكالفنية عامة ، مثل جماعات المتطهرين ، نبذت النظام الاقتصادى والسياسى والدينى القائم • أكثر من هــذا فان مقر الكالفنية نفسه كان مركزا تجاريا هاما • ولهذا فليس مستغربا أن الذين انجذبوا لتعــاليم كالفن كان معظمهــم من الطبقات التجــارية الحضرية والمتعطشين للثروة والقوة معــا • ولعل ما يميز الرأسمالية الحديثــة عن الرأسمالية التقليدية هو أن الرأســمالية الحديثة تتميز بالترشيد وهــى موجهة نحو تحقيق الفــائدة بطريقة حسابية منتظمة • هذه الرأســمالية بالنسبة لفيبر ، ليست الا محصلة الافكار الدينية الجديدة للكالفنية •

ان الاعتقادات الكالفنية لم تتطلب العمل الشــاق فقط ولكنها حرمت الاسراف أيا كان مظهــره ، كما أنهــا رفضت النظام الدينــى المدرسى للكاثوليكية الخاص بالحياة على دولة الارض والابتعاد بقدر الامــكان عن الماديات واعداد الانسان للقيام بشعائر طلب العفو الالهى • وقد أكد كالفن بدلا من ذلك عــلى أن الله يعلم مقدما من سوف ينفــذ ومن سوف يستمر فى العذاب الاخــروى ، فلا اقامة الشــعائر ولا مجهود الافراد سيغير ما قرره الله • وانطلاقا من هذا الاعتقاد اعتبر الكالفنيون أنفسهم من المختارين ، وقد تطلب هذا منهم تغيير الوضــع القائم فى العالم الذى

يهددهم . بمعنى آخر ، أنهم رأوا طالما أن أى انسان لا يعرف ان كان من المختارين أم لا ، فعليه أن يعتقد بأنه من المختارين ولهذا تميزوا بالاهتمام بالصناعة وجمع الثروات وانكار الذات واعتبروا أن هذا جزءا أساسيا من وظيفة الفرد أو رسالته . وبالتدريج تحول هؤلاء التجار الى مركز القوة فى المجتمع وبدأت عملية تحدى النظام القائم ، ولضمان نجاحهم تطلب هذا نوعا جديدا من التفسير الاخلاقى للمعنى المقصود من ذلك التحدى وتقديم تبرير للنظام الاجتماعى والسياسى والاقتصادى الجديد الذين حاولوا اقامته . ولهذا اعتبر فيبر أن الكالفنية كحركة ثورية فى المجال السياسى والاقتصادى ، حاولت تطبيق القيم المستمدة من تعاليم المؤسس فى نظام اقتصادى وسياسى شامل .

٣ ـ الدين كمعوق للتغير الاجتماعى :

بعد أن بينا دور الدين فى احداث التغيرفى الانظمة الاجتماعية القائمة ، ننتقل الآن لمناقشة بعض الظروف التى يكون الدين فيها بمثابة « معوق » للتغير الاجتماعى . والحق أن معظم علماء الاجتماع قد اهتموا ببيان ديناميات الحركات الدينية أكثر من اهتمامهم بدراسة عملية الثبات.ولهذا فليس غريبا أن نجد قليلا من الدراسات عن تحليل الظروف التى تكون فيها وظائف الدين مانعة للتغير . والحقيقة أن دور كيم قد بين أن المجتمع يخلق نوعا من التقليدية الدينية وذلك عندما يحافظ الافراد دون تغييرعلى ما يشعرون بالخشوع نحوه (المقدس) وبين لنا مالينوفسكى كذلك ، فى دراسته عن المجتمعات البدائية أن نسق السحر والدين يحاولان منع حدوث تغير فى هذه المجتمعات . وعلى أية حال ، فهذه الدراسات وغيرها تشير الى أن الدين فى مجتمعات النموذج الاول لا يساعد على التغير ان لم يكن معوقا له .

أما بالنسبة لمجتمعات النموذج الثانى ، فان الدين يقف أيضا أمام التغيرات . ولكن ما هى الظروف والخصائص المميزة لقيام الدين بهذا الدور السلبى ؟ . أولا ، قد يرجع هذا الى أن الدين قد يكون معارضا للتغير بعد أن تستغرق الكرزما وقيادتها فى الروتين اليومى للحياة . كذلك فان خلق أنساق دينية لها مقدساتها ورموزها وشعائرها واستمرارها فترة زمنية طويلة يجعل من الصعب على الافراد أن يتقبلوا أى تغير خشية أن تتأثر معتقداتهم بهذا . ومن ناحية ثانية ، قد ترجع اعاقة الدين للتغير، الى أن الدين غالبا ما يطور تنظيم دينى قوى يتميز بالهيراركية الدينية ، ولا شك أن مثل هذا التنظيم يمنع أى تغير . ولعل السبب الثالث يرجع

الى أن هيئة الدين فى أى دين ، تحاول مقاومة أى تغير خشية أن تفقد هذه الهيئة قوتها وهيبتها لدى العامة . وأخيرا ، فان رجال الدين قد يكونوا من الذين يمتلكون الثروات ومن ثم فان مقاومة التغير حماية لهم ومحاولة للابقاء على الوضع الراهن(١) .

ولا شك أن هذه الخصائص لابد أن ترتبط ببعض الجوانب المحددة فى البناء الاجتماعى فى هذه المجتمعات التى يلعب الدين فيها دور المعوق للتغير ، فعندما تكون العضوية فى أى تنظيم دينى مشتملة على كل أعضاء المجتمع،فمن الحتمى أن يتضمن التفسير الدينى للنظام الاجتماعى تشريفا لبناء القوة فى هذا المجتمع ويحدث هذا فى سنوات متأخرة بعد نشأة أى دين ، أى بعد أن يتم التفاعل بين الانظمة الدينية والانظمة الاخرى فى المجتمع ، كذلك بعد أن تتحول السلطة الكرزمية فى الدين الى روتين ثابت. ولهذا فمن العوامل التى تساعد الدين على مقاومة التغير اغتراب الدين القائم عن الحكومة القائمة فى ظروف يحاول كل منهما الحفاظ على الوضع الراهن(٢) . وهذا غالبا ما يحدث فى الحكومات التى تحتكر القوى العسكرية مثل مجتمعات أمريكا اللاتينية أو المجتمعات التى تتميز بالبيروقراطية التقليدية مثل الصين القديمة . كذلك فان الدين قد يستخدم من قبل ملاك الارض سواء من رجال الدين أو العلمانيين ـ للحفاظ على الحكومات الرجعية فى السلطة من أجل مصالح أولئك الملاك . ويكون الفلاحون فى هذه المجتمعات بسبب جهلهم أيدى عاملة رخيصة ، وليس هذا فحسب ، بل أن ايمانهم بالسحر والخوف يخلق لديهم استعدادا

---

(1) Nottingham, E., K., *op. cit.*, PP. 162-163.

(2) Weber, M., *The Sociology of Religion. op. cit.*, PP. 60-67, 169.

لقبول هيمنة رجال الدين عليهم وسداد ما يفرض عليهم من أموال تلبيـــة للواجبات الدينيـــة •

وجدير بالاشارة هنا أيضا ، أن الحكومات العلمانية عندما تســتولى على السلطة فى المجتمـــع فانها لا تحـــاول فقط استخدام الدين لأضفاء الشرعية على مكانتها بل تحاول أيضا استخدام الانظمة الدينية ورجالهـــا فى تنفيذ الاهـــداف العلمانية • وعلى الرغـــم من أن الدين قد يستخدم لمقاومة التغــير ، الا أنه من الملاحظ أن الدين على المدى البعيد لا يمنـــع التغير رغم محاولة استغلاله من الآخرين للقيام بهذا الدور • ففى بعض الاحيان قد تساعد وظيفة الدين السلبية على جعل فتـــرات الانتقال مـــن مرحلة الى مرحلة أقل مفاجـــأة وأقل عنفا • وفى أحيان أخـــرى ينجم عن اعاقة الدين للتغير ظهور الكثير من التغيرات الثورية المرتبطـــة بالفوضى والعنف[٣] •

ولقد حلل لنا فيبر بعض الطرق التى من خلالها منعت القيم التقليدية ظهور نظام اقتصادى حديث فى الحضارات الهندية والصينية • فالتقاليد الكونفوشيوسية فى الصين ظلت لفترة طويلة هى القوة المحافظة على ثبات المجتمـــع[٤] •

كذلك الحال بالنسبة للعالم الاسلامى المعاصر فان كثيرا من الحـــكام يحاولون باسم الدين مقاومة التغير ، ولكن من المشكوك فيه أن يســـتمر هذا طويلا ، فمحاولة تعويق التغـــير سوف تؤدى بالضرورة الى ظهـــور العنف كوسيلة لتحقيق أهداف عامـــة[٥] •

---

(3) Yinger, J., M., *Religion, Society and Indwidual. op cit.*, PP. 30-31.

(4) Weber, M., *The Religion of China. op. cit.*, PP. 416-444.

(5) Nottingham, E., K., *op. cit.*, P. 165.

٤ ـ التغير الاجتماعى والتغير الدينى :

من المعروف أن الاديان تتغير ، فالاعتماد المتبادل بين الدين والمجتمع يشير الى أنه عندما تتغير الاوضـــاع التى يعمل فيهـــا الدين ، فان الدين نفسه يتغير وسوف نناقش العوامل الموقفية التى تعضد تأثير المجتمـــع والثقافة على الاعتقاد والنظم والشعائر الدينية حيث نجد العـــديد من الامثلة لمثل هذا التأثير فى أديان مختلفة مثل البوذية والمسيحية والاسلام لانتشارها من ثقافة لاخرى • وكذلك الاوضاع الدينية عند التحـــول من بيئة الى بيئة أخرى • وسوف نشير هنا الى مثالين مستمدان من الديانة البوذية لنبين كيفية تأثر الدين بالاوضاع الاجتماعية[1] •

اذ تشير الدراســـات التى أجـــريت عن الديانة البـــوذية[2] الى أن البوذية القديمة والاصلية قد عدلت عندما بدأت فى الانتشار خارج شمال الهند ابان القرن السادس قبل الميلاد • ومن هناك انطلقت البوذية جنوبا الى سيلان والى الجنوب الشرقى من آسيا وشمالا الى التبت ومنها الى

---

(١) فى تأثير البناء الاجتماعى على الدين أنظر :

(A) Johnstone, R., *op. cit.*, PP. 133-141.

(B) O'dea, T., *op. cit.*, PP. 72-97.

(٢) لمعلومات عن البوذية أنظـر :

(A) Pratt, J., B., *The Pilgrimage of Buddhism a Buddhist Pilgrimage*. New York : Macmillan, 1928.

(B) Kashyap, B.,J.,"Origin and Expansion of Buddhism", in K. W. Morgan (ed.) *The Path of the Buddha*. New York : Ronald Press, 1956 PP. 3-66.

(C) Nakamura, H., "Unity and Diversity in Buddhism", in K. W. Morgan, *op. cit.*, PP. 364-400.

الصين واليابان • ولا شــك أن البوذية خلال هذه الرحــلات قد تغيرت وتعدلت عما كان يبشر به بوذا نفسه • فلو أننا قمنا بمقارنة بوذية أميــدا Amida فى اليــابان ببوذية ثرافادا Theravade فى سيلان لوجــدنا مفارقات عــديدة • اذ أن بوذية ثرافادا اســتمدت أصــلا من الكتابات المقدسة للبالى pali ، فقد دونت بواسطة بعض الزهاد من سيلان فى القــرن الاول المسيحى ويدعى من يعتنقونهــا أن بوذية ثرافادا تحتوى أصلا على الصورة المبكرة لتعاليم بوذا • ومن ناحية أخرى ، تعد بوذية أميدا واحدة من العديد من الفرق الخاصــة ببوذية « الارض الطاهرة » Pure land Buddhism والتى نجمت عن سلسلة من التطورات المتتابعة من بوذية المهيــانا Mahayana التى هاجرت من الهنــد الى الصين ثم اليابان • والمقارنة بين بوذية أميدا وبوذية ثرافادا تكشف عن اختلافات شاســعة الى الدرجــة التى يدرك فيها الدارس بصفة قاطعــة أنهما لم يصدران عن دين واحد ، وذلك على الرغم من أن رجــال الدين البوذيين يؤكدون أن وراء هذه الاختلافات وحدة روحية دينية متصلة يمكن الشعور بها أكثر من وضعها • ولو أننا قبلنا القول بأن البوذية دين واحد فاننــا نواجــه اذن بمشكلة تفســير سبب وجود هذه الاختــلافات التى يمكن ملاحظتها بســهولة(٣) •

لا شك أن هذه الاختلافات هى نتيجة تعديلات فى أنساق الاعتقــاد والشعائر وأنماط التنظيــم الدينى فى البوذية • ففى أنســاق الاعتقاد الخاصة ببوذية الثرافادا نجد أن بوذا ليس الها أو نبيا ولكنه فقط دليــل Wayshower يرشد للطريق الذى سلكه هو نفسه ويطلب من الآخــرين اتباعه بمجهودهم الخاص • بينما نجد بوذية أميدا لا تكترث كثيرا ببوذا

(3) Nottingham, E., K., *op. cit.*, PP. 166-168.

كشخصية تاريخية أكثر من اهتمامها بالأشخاص البوذيين المتسامين مثــل أميدا الذى يعد بمثابة مخلص واليه تتجــه القلوب مرددة اسمه المقدس طالبة الرحمة والخــلاص • كذلك فان مفهوم « الخــلاص » يختلف بين هــذين الشــكلين من البــوذية ، ففى بوذية سيلان نجــد أن النيرفانا Nirvana وهى المعادل للخلاص فى مدرسة الثرافادا ــ عبارة عن حالة روحية أو نفسية من الشعور الذى لا يوصف • ومن ناحية ثانية نجد أن بوذية أميــدا نرى أن الخــلاص فى الدخــول الى « الارض الطاهرة » Pure land وهى بمثابة الجنة للآلاف من الكائنات المتسامية • كذلك الحال بالنسبة لتلبية الشعائر الدينية فى كليهما ، ففى بوذية ثرافادا لانجد اهتماما بالشعائر ، باستثناء بعض الشعائر المستخدمة من البوذية المبكرة والتى تعد أساسية بالنسبة للنظام البوذى • بينما نجد أن بوذية أميــدا تهتم بالشعائر والممارسات الدينية والغناء والاحتفالات العامة •

على أية حال ، فان تحول البوذية خلال فترة زمنية طويلة وانتقالهــا من بيئة لاخرى ، لا شك أنه لعب دورا هــاما فى التعديلات التى أدخلت عليهــا • ولكن يجب أن نؤكد أن تغــير البيئة فى حــد ذاته لا يعطى كل الاسباب المفسرة للتغيرات التى أدخلت على البوذية • فلا شــك أن هناك بعض الخصــائص البنائية فى البوذية نفســها ، بما فى ذلك تطور نسقها الفلسفى ، هــو الذى ساعد على تأثير البيئــة عليها • فالبوذية قد عدلت وطــورت فى الهند حيث نشــأتها ، بعد ثلاثة قرون من مــوت بوذا بدأ الفلاسفة الهنود فى تعديل المبادىء الفلسفية والاخلاقيــة التى كان بوذا يلقيها على أتباعه ، وبهذا ظهرت بوذية المهيانا كتعديل من الفكر الهنــدى على تعــاليم المؤسس الاول الذى بدأ ينظــر اليه على أنه مخلص تنشد رحمته من الجميع • وما يقال عن البوذية ، يقال عن المسيحية أو الاسلام بعد انتشارهما فى ثقافات ومجتمعات أخرى تختلف كلية عن البيئة الاولى

النشأة • فبالاضافة الى الاستعارة الثقافية والتطبيع الثقافى وتأثيرهمـا على تعديل هذه الاديان الجديدة هناك عوامل أخرى متمثلة فى دور الاديان القديمة التى كانت قائمة ومقاومتها للدين الجديد ومحاولتها امتصاصه والتسرب الى معتقـداته ، كذلك يؤثر على تعـديل وتغيير الدين الجديد مكانة وقـوة الذين يعتنقونه ويدعمونه بالمقـارنة بالذين يعضدون الدين القديم • وأخيرا فان الصفات المختلفة تحـاول تعديل الدين الجديد بما يتناسب مع حاجاتها الاساسية ويبرر وضعها الاجتماعى والاقتصادى(٤) •

---

(4) Nottingham, E., K., *op. cit.*, PP. 169-173, 173-176.

لعلاقة الدين بالعلمانية انظـر :

Hill, M., *op. cit.*, PP. 228-251.

Robertson, R., The Sociological Interpretation of Religion. *op. cit.*, PP. 235-241.

Berger, P., A., *Rumor of Angels : Modern Society and the Supernatural,* N. Y. : Doubleday Company, Inc., 1969.

Budd, S., *op. cit.*, PP. 119-140.

Yinger, J., M., *Sociology Looks at Religion. op. cit.*, PP. 17-11.

٥ ـ الدين والثورة في العالم الثالث :

من الملاحظ أن الدين والثورة متلازمان فى العـالم الثالث[١] • ففى النموذج الاول والثانى من المجتمعات نجد أن الاديان التقليدية مازالت مستمرة فى أداء دورها،ومازال الفكر الدينى يحاول التوافق مع المتطلبات القوميـة ، رغم وجـود قطـاع من المتعلمين يحـاولون تبنى التحديث والعلمانية كأسلوب للحياة • وعلى أية حال ، فان عالم الاجتماع الدينى مطـالب بالبحث عن دور الدين فى احـداث هذه الثـورات الاجتماعية والسياسية •

من المعروف أن المواجهـة ذات المجال الواسع بين مجتمعات النموذج الاول والثانى مـع النموذج الثالث للمجتمعـات ظاهرة جديدة فى تاريخ العالم • فالاستعمار الجديد بخلاف الاستعمار القـديم ، يحاول تحويل الاستعمار العسـكرى الى سيطرة فى المجـالات السياسية والاقتصادية والثقافية • فقـد أحدث الاستعمار الجـديد صدمة ثقافية فى المجتمعات

---

(١) عن الدين والثورة فى العالم الثالث أنظـر :

Bellah, R., N., (ed.) *Religion and Progress in Modern Asia* New York : Free, 1965.

Bianchi, E., C., *The Religions Experience of Revolutionaries* New York : Doubleday & Company Inc., 1972.

Smith D., E., (ed.) *Religion Politics and Social Change in the Third World*. New York : Free Press 1971.

.... (ed.) *Religion and Political Modernization*. New Haven : Yale University Press 1974.

.... *Religion and Political Development*. Boston Little Brown and Company. 1970.

المستعمرة أكبــر بكثير مما أحدثته أشــكال الاستعمار الاولى ولهذا فان مواجهة هذا النــوع من الاستعمار تتطلب روحا ثورية تتبــع أساسا من الاديان التقــليدية • ان المجتمعات الاوروبيــة والامريكيــة التى تميز النموذج الثالث من المجتمعات ، قد مرت هى نفسها بثورات وتعديلات عبر أكثر من ثلاثة قرون من أجل الوصول الى الحالة التى هــى عليها الآن • وان كانت المواجهة الآن بين مجتمعات العالم الثالث والمجتمعات المتقــدمة لا تتضمن ولو بشكل مباشر الاستعمار العسكرى الا أن العالم الثــالث مطالب بسرعة تحديث أنظمته الاقتصادية والسياسية والدينيــة من أجل التكيف واللحاق بتقدم الغرب ولهذا تظهر الحركات الدينية الاجتماعيــة فى المجتمعات المستعمرة كرد فعل لهذا التحدى ، وتحاول مواجهة المطالب القوميــة بتقديم تفسيرات جديدة للقيــم التقليدية ، كذلك تحــاول هذه الحركات أن تكون بمثابة مقاومة للسيطرة الاجنبية فى شكلها الفكرى أو المــادى • فالدين هنا بمثابة ســلاح الاعتراض المتــاح فى يد الشعوب المستعمرة ضد المستعمر(٢) •

ولو أخذنا الدين الاسلامى كمثال توضيحى للعلاقة بين الدين والتغير الثورى فمن وجهة النظر السوسيولوجية يمكن القول أن الاسلام يختلف فى طبيعته ومفاهيمه عن الاديان الاخرى • وقد ذهب جيلنر H. Gellner فى محاولته السوسيولوجية للتفرقة بين الاسلام والاديان الاخرى الى أن الاسلام أكثر شمولا من عــدة جوانب ، أولا : أنه لا يحصر دعــواه بحدود اقليمية معينة ، وثانيا فهو لا يحصر تطبيقه فى بعض النظــم دون غيرها ، وثالثــا ، لانه ليس له نوعا من الاســتقلال الوجودى فى النص الموحى به ، ولا يمكن أن يتساوى الاسلام ببساطة مع الممارسات العملية

(2) Nottingham, E., K., *op. cit.*, PP. 183-213.

للمجتمع الذى ينتشر به ، ولعل الجانب الاول (المتمثل فى أول وثانى خاصية من هذه الخصائص) يميز الاسلام عن اليهودية والمسيحية • أما الجانب الثالث — أو الخاصية الثالثة — فهى التى تميز الاسلام عن الديانات القبلية والتى قد تدعى فى بعض الاحيان الشمولية(٣) •

ومن المعروف تاريخيا أن المسيحية عامة تفصل بين الحياة الدينية والحياة السياسية ولكن الاسلام يختلف عن ذلك ، فهناك فى الاسلام نسق قيمى موحد يحكم كل جوانب الحياة الاجتماعية • ففى الاسلام ليس هناك انفصال بين المسجد والدولة الاسلامية التى ينبغى أن تعكس القيم الاسلامية فى كل أفعالها ، على العكس من المسيحية التى تحاول أن تعطى ما لقيصر لقيصر وما لله لله • ونقول — مستخدمين اللغة السوسيولوجية • أن الاسلام أكثر من أى دين آخر ، يعتبر المظلة **Blneprint** للنظام الاجتماعى ، وأن هناك علاقة وثيقة بين القيم والاعتقاد وبين الواقع الاجتماعى •

وفى الاسلام هناك نموذجان من التغير المعترف به : الاول ، حركة تقدمية نحو تطبيق الطريقة الاسلامية فى الحياة ، وهذه الحركة تمثل تقدما نحو الطبيعة الانسانية ، والثانى ، حركة نكوصية نحو الجشع الانسانى والمصالح دون التزام بالقيم الاخلاقية الاسلامية وهذه حركة نحو عدم التكامل والدمار •

ولتجنب التفرقة والتجزئة بين الواقع الاجتماعى والقيم الدينية ، فان الاسلام يسمح ببعض التكيف والتعديل حسب الظروف المتغيرة • وهذا

---

(3) Gellner, E.,"A Pendulum Swing Theory of Islam," in R. Robertson, (ed.) *Sociology of Religion* : Selected Readings, Baltimore : Penguin, 1969. P. 127.

ما يفسر لنا لماذا قامت الشريعة بتعريف ماذا « Whats » يجب أن نفعل فى الثقافة ، تاركة كيف « Hows » حسب الزمان والمكان المتغير • أكثر من هذا ، فان القانون الاسلامى على الرغــم من أنه مؤسس على القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ — الا أنه يسمح للمجتمع بأن يكيف نفسه أمام الظروف الجديدة ، حتى ولو تطلب ذلك تعليق حــكم أو قانون كان معترف به فيما سبق • هذا بالاضافة الى أن الاجتهاد يعــد منهجا مقبولا ومعترفا به لتطور المجتمع الاسلامى ولمقابلة التغير الاجتماعى •

فالمجتمع الاسلامى يجب أن يعمل طبقا للقيم الاسلامية أو الشريعة، وتوجيه المجتمع الاسلامى نحو هذا الاتجاه هى مسئولية كل مسلم مطالب بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر • فضلا عن هذا ، فان المصلحين الدينيين دائما ما يشيرون الى قول الرسول — ﷺ — من أنه « على رأس كل مائة سنة يرسل الله من يجدد أمور دينه » • والحــق أن هذا الحديث غالبــا ما يستخدم لتبرير مهمة المصلحين وهكذا فان الحركات الدينية فى الاسلام أصبحت لها وظائف ثورية[٤] • وفى العصر الحديث بدأ صوت الدعــوة الى الاصلاح يسمع فى البلاد الاسلامية وذلك عندما أصبح الفساد وعدم التماسك من أهم خصائص المجتمــع الاسلامى[٥] وقد قامت ضد هــذه

---

(٤) أنظــر :

Jeffery, A., "Present-Day Movements in Islam,"
The Muslim World. PP. 165-186.

Mahmassani, S., Muslim : "Decadence and Renaissance," *The Muslim World*. PP. 186-201.

(٥) فى علاقة الاسلام بالتغير الاجتماعى والتحديث أنظر :

(A) Charnay, J., *Islamic Culture and Socio-Economic Change*. Leiden : E. J. Brill, 1971.

(B) Hodgsm, M., *"Modernity and The Islamic Heritage"*, *= I 'ar ic Studies*, PP. 89-128.

الظروف عدة حركات دينية فى مصر والعالم الاسلامى ، وظهرت قيادات (دينية أو علمانية) ملهمة حاولت حماية القيم الاسـلامية وترجمتها فى برنامج من المشروعات والانجـازات • وهـكذا فان الشـعور بان التغير والاصلاح أمر ضرورى ظاهرة طبيعية نابعة من روح الاسلام(٦) •

=

(C) Mullick, M. A. H., "The Challenge of Modern Development Before the Muslim World - considered in the Light of European and Islamic cultural History", *Islamic Studies,* Vol. 6 (1967) No. 3. PP. 225-239.

(D) Bahman, F., "Islamic Modernism, its Scope Method and Alternative' *International Journal of Middle East Studies* Vol. 1 (October 1970) No. 4. PP. 317-333.

(E) ...., "The Impact of Modernity on Islam" *Islamic Studies.* Vol. 5 (1966) No. 2. 113-128.

(F) Schoor, S, "Rebellion Revolution, and Religious Intermediaries in Some Nineteenth-Century Islamic Studies", in K. H. Silvert (ed.) *Churches and States : The Religion Institutions and Modernization.* U.S.A. American University Field staff, Inc., 1967.

(G) Vatkiotis, P., J., (ed.) *Revolution in the Middle East and Other Cases Studies.* London : George Allen and Unwin LTD, 1977.

(٦) فى هذا الصدد ، ظهرت ثلاث حركات دينية كبرى فى العالم الاسلامى، وقد حاول قادتها (الملهمين) اصلاح المجتمع الاسلامى روحيا وسياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، وهذه الحركات هى، الحركة الوهابية وأسسها محمد بن عبد الوهاب (١١١١ ـ ١٢٠١ هجرية) والذى دعى الى العودة للاسلام الصحيح كما طبـق بواسطة الرسول ـ ﷺ ـ • كذلك فقد أكد على أهمية الحاجة الى تطهير المجتمع الاسلامى من كل العادات غير الاسلامية والبدع الصوفية • فالحركة الوهابيـة كانت حركة دينيـة ثورية أكدت على أهميـة العقيدة الاسلامية • وهنـاك أيضا الحركة السنوسية والتى أسسها السيد محمد بن على السنوسى (١٧٨٧ ـ ١٨٥٩ ميلادية) وقد برزت الحـركة كرد فعل للظروف الروحيـة والاجتماعيـة والسياسية لتلك الفترة ، وكان هدفها تحقيق العمل على استعادة حالة الصفا =

=

الاولى للاسلام ، وتحقيق تماسك الدول الاسـلامية ووحدتها ، ووضـــع حد للتأثيرات المتزايدة للاستعمار الاوروبى على الوطن العربى · وهناك كذلك حركة الاخوان المسلمين والتى أسسها حسن البنا (١٩٠٦ ـ ١٩٤٩ ميلادية) ودعى من خلالها الى التوحيد ، وربط الدين بالدولة ، والعودة الى القرآن والسنة ، وتقليد السلف الصالح · وللاخوان المسلمين اسهامات تستحق الدراسة فـــى المجالات الدينية والقومية والتعليمية والتشريعية وحث المواطنين على المشاركة السياسية والعسكرية والاقتصادية ·

لمزيد من المعلومات عن دور هذه الحركات فى التغيير الثورى أنظر :

مقالات عن الوهابية فى مجلة *Muslim World*

Scmelley, W·, F., "The Wahhabis and Ibn. Sa'ud" PP. 227-246·
Calverlay, E., E., "The Doctorines of the Arabian Brethren", P· 364-376·

Croce
Muslim World
Adams C., C., "The Sonusis" PP. 21-25·
Barny F·, "The Greed of al Sonusi" PP. 45-48.

Mitchell *The Society of Muslim Brethren*· London : Oxford University Press, 1959·
Al-Husayni, I. M. *The Muslim Brethren The Gratest of Modern Islamic Movements* trans. by J. F. Brown and J· Rocy Beirut Lebanon : Khayat's Collage Book Cooperative 1959·
Harris, C· P., *Nationalism and Revolution in Egypt. The Role of the Muslim Brotherbook*· The Hague, London : Mouton & Co. 1964.

٦ ـ خـــــاتمة :

كان هدفنا فى هذا الفصل ، هو بيان أنواع المواقف التى يكون للدين فيها دورا ايجابيا فى احداث التغير أو دورا سلبيا فى اعاقته ومقاومته • وأشرنا كذلك الى مواقف أخـــرى يكون الدين فيها بمثـــابة مرآة تعكس التغيرات التى تحدث فى الانظمة الاقتصادية والاجتماعية الاخرى ، دون تدخل منه فى احداث أو مقاومة ذلك التغير • وبينا كذلك ، عـــلاقة الدين بالثورات فى العالم الثالث •

وكان لنا أن نتساءل عن دور الدين فى المجتمعات الصناعية الحديثة ، والحق أن هذا أمر من العسير الاجـــابة عليه لتداخـــل الدين مع عوامل ثقافية واجتماعية أخـــرى • وكل ما يمكن قـــوله هنا ، هـــو أن الدين فى أوقات الازمات يؤثر فى مجرى التغير الاجتماعى فى المجتمعات الحديثـــة تماما كما كان دوره فى العصور المبـــكرة وهذا لا ينفى حقيقـــة أن معظم أفراد المجتمعات الحديثة يميلون الى ايجاد الحلول العلمانية لمشاكلهم ، خاصة عن طريق العلم والتكنولوجيـــا • ففى هذا النمـــوذج المركب من المجتمعات الصناعية يجب أن نكون واعين بأن مجموعة معينة من العوامل قد يكون لها تأثيرات مختلفة متزامنة فى قطاعات مختلفة من المجتمع ذاته• فالدين ، مثلا قد يكون عاملا وباعثا على التغير فى موقف معين ، وقد يكون معوقا للتغير فى موقف آخر • فقطاع المجتمع الذى يمارس الدين دوره فيه ، هو اذن المحك الذى يؤخذ فى الاعتبار •

وقد يرجع اقتصـــار فاعلية دور الدين فى التغـــير الاجتماعى عـــلى المجتمعات الصناعية الحديثة الى القـــوة المتزايدة للانظمة العلمانيـــة ،

خاصة الأنظمة السياسية والاقتصادية والعلمية وما يقابل ذلك من تزايد ضعف الانظمة الدينية فى هذه المجتمعات • ويمكن القول بوجـه عام بأن الدين فى هذه المجتمعات يقـوم بدور « العاكس » للتغـيرات المجتمعية الاخرى ، بدلا من أن يحاول توجيهها بنفسه طبقا لمبادئه • أكثر من هذا ، فان الدين ذاته ، قد يقف أمام بعض التغيرات المطلوبة للمجتمع الحديث مثل استخدام حبوب منع الحمل أو التعليم العلمانى أو اقتصاد البنـوك فالدين هنا يلعب دورا سلبيا • وعلى أية حال ، لا يعنى هذا اختفاء دور الدين كلية فى هذه المجتمعات ، فالدين ما زال قـادرا على أن يقوم بدور فعال ، ولكن داخل سياق اجتماعى محدود ، خاصة بين الطبقات المحرومة والمغتربة ، والتى ما زالت تتطلع الى « حركات جديدة » تخلصها مما هى فيه • ولهذا فليس بمستغرب استمرار ظهور حركات دينية جـديدة من وقت لآخر فى هذه المجتمعات الحديثة • وعلى الرغم من أن هذه الحركات لها أغراض اقتصـادية أو سياسية أو راديكالية الا أن الدافـع الدينى لها هو الاساس ، والا ما وجـدت لنفسها القاعدة العريضة من العـامة المعضدين لها ولعل خير مثال لذلك هو حركة المسلمين السـود فى أمريكا والتى تبين دور الدين فى التأثير على السـلوك الاقتصادى والاجتمـاعى والسياسى للاعضاء وبطريقة مباشرة على المجتمع ككل • وأخيرا فان للدين دورا فى المساهمة فى خلق المناخ اللازم للثورات فى المجتمعات المستعمرة فالدافع الدينى قد يلهب الشعوب لمقاومة المستعمر ، وتعتبر التضحية فى سبيل الوطن من أسمى القيـم التى تنادى بها الاديان • كذلك فان للدين دورا آخر فى هذه المجتمعات ، اذ أن هناك بعض الحركات الدينيـة التى تحاول أن توفق بين تعاليم الدين ومتطلبات التحديث الحركات الدينية ، وهنا يكون لها دورا هاما فى بيان عدم وجود التناقض بين ما يؤكده الدين وما تؤكده المذاهب العلمانيـة الحديثة أكثر من هذا ، فقـد تقوم بعض الحركات الدينية بترجمة للافكار والقيم الدينية فى سلوك عملى يشـكل

معظم جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتشريعية من أجل اثبات أنه ليس هناك تعارض بين الدين والعلمانية ، بل أن الانشطة التى تنبع من توجيه قيمى دينـــى قد تؤثر بصورة أقــوى فى نفوس من يقومون بها ، ويحدث نوعا من الرضا الذى يؤدى الى تحقيق الانجـــاز أو التنمية المنشـــودة .

خاتمـــة : مستقبـل الدين

خـــاتمة مستقبل الدين

لقد حاولنا فى العشر فصول السابقة أن نبحث أهم الموضوعات التى تندرج تحت ما يسمـــى بعلم الاجتماع الدينى • كذلك فقــد بينا بعض المداخل النظرية ، وناقشنا العلاقات القائمة بين العديد من المتغيرات من أجل تفسير السلوك الدينى ودوره بالنسبة للانواع الاخرى من الانشطة الانسانية • كما قد قدمنا أهم المجالات البحثية فى ميدان علم الاجتمـــاع الدينى • وسوف نحاول فى هذه الخاتمة أن نبين مستقبل الدين وعلاقـــة الدين بالحـــركات الشبابية • ومنطلقنا فى هذا هـــو أن وظيفـــة الدين فى المجتمع ما زالت مستمرة وحيـــوية فى تقديم اجابات على المســـائل ذات الطبيعة المطلقة ، وهذا يفسر لنا استمرار التنظير بالنسبة للدين من جانب علماء الاجتماع الدينى المعاصرين ، وسنناقش هنا وباختصـــار ، بعض النظريات الكبرى التى تناولت مستقبل الدين فى المجتمع المعاصر(١) •

لقد بينا فى معالجتنا لافكار برجر أنه ينظر الى المجتمع ، على أنه بما يمتلكه من نظام وقدرة على التنفيذ ، يحمى أفراده من الخوف من الكون ومن اللا معنى فالمجتمع يحدد للفرد من أين أتى ، وما هى أهميته بالنسبة للآخرين ، وما يمكن أن يتوقعه كفرد فى المجتمع ، فلو كان المجتمع عـــلى درجة عالية من النجاح فى تجهيز الافراد باطار مرجعى للتوقعات وحمايتهم من اللا معنى أو اللامعيارية،فان المجتمع بهذا يقنع أعضاءه بأن ما يفهمونه وما يعلمونه حقيقى ويتفق مـــع طبيعة الاشياء • وعلى هـــذا ، فان تفهم الناس للحقيقة ليس مسألة اعتباطية وليس محدودا بتجربتهم وفهمهم ،

---

(1) Johnstone, R., J., *op. cit.*, PP. 325-326.

كذلك فان هذا الفهم ليس تاريخيا وليس مؤقتا ولكنه عام وكونى ، وهو الطريق الصحيح فى هـذا العالم • وهنا يقدم لنا برجـر دور الدين • فالتصديق المطلق للحقيقة المجتمعية ، كما يراها ويعرفها أعضاء المجتمع ، يستمد من مصادر قوية ، أكثر من المجهودات التاريخية للانسان ــ أى من الدين الذى من خلاله يستطيع الانسان تصور نظام كونى متكامل وبالرغم من أن هذا النظام الكونى المتكامل متسامى عن الكائنات الانسانية ، الا أنه يحتويها ويساعدها فى تحديد مكان له معنى بالنسبة لها فى هذا العالم المنظم ، كذلك فان هذا يحمى الانسان من الخوف من الكون ومن عـدم الاستمرارية • وقد أدرك برجر أن هذا النظام المتكامل يتميز بكونه دينى أو مقدس • وقد يتم التوصل الى هذا النظام المتكامل عن طريق العلم ، الا أنه فى الاصل يتميز بكونه « مقدسا » وطالما وجد مثل هذا النظام فان القوى الشرعية توجد فى المجتمع • فالقائد أو النبى قد يقول أن ما يدعيه ليس من صنعه،ولكنه ما توصل اليه السابقون ، أو أن قوانين الكون تقضى بهذا أو بذاك ، أو أنها « ارادة الله وقراره » وقد يثور الفرد ضد هـذا النظام الكامل ويتحـدى سلطته ولكن هذا يكون على حسـاب اللا معنى واللامعيارية • وهذا يؤدى الى الانتقال الى الحقيقة السلبية أو الظلمـة والشيطان فى مقـابل النور والله • وان كان كل هذا يبدى ، على الاقـل ظاهريا ، أن هناك حاجة عـامة للدين ، فان برجر يقدم لنا مجموعـة من التطورات التاريخية التى تبدو وكأنها تزعزع هذه الحاجـة • ويرى أن العلمانية ، والتى تعرف على أنها « عملية من خلالها ينتقل جزء من المجتمع والثقافة من تحت سيطرة الانظمة والرموز الدينية » تعتبر واحـدة من هذه التطورات التاريخيـة •

ويبين لنا برجر أن الحركات الدينية فى المجتمـع الحديث قد فقـدت الكثير من مرونتهـا ، ليس فقط بين المثقفين ، ولكن أيضـا لدى كثير من

العامة . فقد قـدم العلم والتكنولوجيا والتنميـة والبناءات السـياسية والاقتصادية الجديدة بدائل لوجهات النظر الدينية ، وقد أثبتـوا أنهم يمكنهم القيـام بوظائفهـم بكفاءة دون الاعتماد عـلى تأثيرات التشريع الدينى . فضلا عن ذلك ، فقد أنتشرت الفردية والتعدد فى الولاء كجـزء من العملية العلمانية فى محاولة لاقتلاع الاسس الدينية القديمة . ونقصد بتعدد الولاء هنا أنه يشير ليس فقط لوجود بدائل التفسير بشأن أصـل العالم ومكان الانسانية فيـه واستمراريته ولكن يشير أيضا الى وجـود بدائل دينية أخرى . والدين تجاه التعددية يواجه مشكلتين أساسيتين ، احداهمـا تتعلق بأن الدين لم يعد بعـد يعضد رسميا من قبـل الدولة ، والاخرى خاصة بأن الدين قد فتت الى عديد من الجماعات تحاول كل منها المناقشة من أجل جذب الافراد لها . أما الفردية فهى تشير الى أستخدام مفهوم الدين كموضوع خاص للاختيـار الشخصى . ولا شك أن هـذا انعكس على علاقـة الدين بأنمـاط السـلوك الاقتصادية والسياسـية والاخلاقية[٢] .

ولعل من النتائج التى ترتبت على هذا ، تفتيت المجتمع الحديث الى عديد من الفرق والطوائف الدينيـة ، والتى يحاول كل منها المنافسـة فى جذب الاعضاء له ، وهذا بدوره أدى الى تبنى أساليب جديدة لتجعل هذا الدين أو ذاك ، أكثر تلاؤما وتناسبا مع الظروف الاجتماعية المتغـيرة . ولهذا فليس بمستغرب أن نسمع عن وجود عديد من الاتجاهات الدينية فى المجتمع الغربى المعاصر كمحاولة للتكيف مع الظروف الجديدة للمجتمع[٣] .

---

(2) Berger, P., L., *The Sacred Canopy op. cit.*, PP. 22-40

(٣) انظـر :

Guyau, M., *The Non-Religion of the Future : A Sociological Study*. N. Y. : Schocken Books, 1962.

ولا شك أن هذا قد صاحبه رد فعل وظهور عديد من الاتجاهات المحافظة أو التقليدية ، وكل هذا يعنى أن الدين،كما يرى برجر ، فى خطر • ويعتقد برجر أن ما أصاب الدين فى المجتمع الغربى الحديث ، سوف يصيب أى نظام دينى فى أى مكان آخر عندما يواجه التعددية والفردية ، والتصنيع والتغير السياسى • الا أن برجـــر قد غير من وجهة نظره هـــذه فى كتابه A Rumor of Angels (1970) فذهب الى أن تحليل الموقف المعاصر ، يبين بوضوح الموقف الخســـوفى والتراجعى للدين فى العالم الحـــديث • ويؤكد برجر أنه من خلال نظرته الخاصة ومن خلال منظوره السوسيولوجى، أن الدين لن يستأصل من حياة الانسان • فقد تتغير المفاهيم والتفسيرات الدينية وقد تتلاشى أنظمة دينية ويظهر بدائل لها ، ولكن المسائل الدينية الرئيسية ، وحتى الاجابات الدينية لها ، سوف تبقى ببقاء الانسان •

وعلى الرغم من أن الدين يواجه فى المجتمع الغـــربى مشكلة القبول والتصديق الا أنه يلاحظ الانتشار الواسع للاعتقادات الخرافية والاقبال على الفلك والتنجيم • وفى دراسة أجراها برجر على المجتمع الانجليزى وجد أن نصف عينة البحث قد أشـــاروا الى أنهم يستشيرون العرافين ، وأن واحدا من كل ستة مبحوثين أدلوا بأنهم يؤمنون بالاشباح،وأن واحدا من كل خمسة عشر مبحوث أكدوا أنهم رأوا الاشباح بأنفسهم • وهـــذا يبين أنه رغم أنتشـــار العقلانية والامبريقية والنسبية الا أن عـــديدا من الناس ما زالوا يؤمنون بما هـــو فوق طبيعى ويشـــتركون فى البحث عنه وايضاحه • نخلص من كل هذا بأن برجر يرى أن المشكلة أكبر من حاجة الانسان الى الدين،فالانسان يبحث عن وجود نوع من الحقيقة اللانهائية والتى تتسامى بكل ما هو انسانى • والانسان فى بحثه عن هذه الحقيقة لديه بعض النماذج لمثل هذه الافكار من عالم خبرته اليومية • فوجود هذه الاشارات عن التسامى تساعد ، ليس فقط على فهم سبب استمرار الدين

بالرغم من وجود العديد من أشكاله ، الا أنها تساعد أيضا على معرفة لماذا نتوقع نحن أستمرار الدين • ولا يعنى هذا ، فى رأى برجر ، أن نقول بأن الانسان حيوان اجتماعى، ولكن نقترح أن هناك عنصرا دينيا فى العالم أو الكون والذى يحسه الانسان ويحاول ادراكه • وما يؤكده برجر ، أن الانسان فى بحثه عن هذا المتسامى ، لا يحتاج الى قائد كرزماتى أو وحى الهى أو حتى ترشيد أو تبرير ، فهو بحث عن الحقيقة يجب أن يقوم به الانسان(٤) •

أما لكمان ، فهو يشارك برجر فى تأكيده على أن الدين المعاصر يتميز بالفردية والتعددية ، ويرى لكمان أن عملية العلمانية جاءت لعدم التناسب المستمر للاشكال التقليدية للدين فى المجتمع المعاصر • فالحقيقة الرمزية أو عالمية الدين التقليدى لم تعد تتصل بثقافة المجتمع الصناعى الحديث • بمعنى آخر أن أستدماج الحقيقة الرمزية للاديان التقليدية غير مدعمة أو متقبلة من البناء الاجتماعى للمجتمع المعاصر • فاهتمام لكمان بالدين كما بينا هو أهتمام بالنسق الرمزى للمعانى والذى تصنعه الجماعة من أجل تفسير تجربتها • هذا النسق الرمزى الكونى يشير الى تجربة العالم اليومى وتجربة العالم المتسامى ولعل التفرقة الرئيسية بين الدين وبين أى أنساق أخرى لها انساق للمعانى وتحاول تفسير تجارب الفرد ، هى أن الدين يشير الى الجانب المتسامى من الحقيقة بينما لا نجد هذا فى أى نسق آخر • بمعنى آخر ، الدين بمفرده هو الذى يمنح المجتمع فكرة الكون المنظم ، ووجهة النظر المتكاملة التى تتسامى بتجربة الحياة اليومية•

وتظهر عملية العلمانية ، كما يعتقد لكمان ، عندما يصبح الدين وظيفة

---

(4) Berger, P. L. *A Rumor of Angels op. cit.*, PP. IX 25, 52-53, 65.

متخصصة مثل التعليم والاقتصاد والسياسة • فتنظيم الدين يتضمن زيادة الفجوة بين الرجل العادى ورجل الدين ، ويتضمن هذا أيضا ، محاولة تحويل المفاهيم الدينية الى مبادىء وعقائد • وطالما أن الانسان يستوعب اجتماعيا داخل نسق دينى فان الموضوعات ذات الاهمية المطلقة تحدد كموضوعات دينية بواسطة الانظمة الدينية • فالفرد الذى ينتمى الى تنظيم دينى معين يتقبل مبادئه وتقاليده ، وهذه العملية التطبيعية تحاول أن تحول النموذج الرسمى للدين الى تصديق ذاتى • ولا نتوقع هنا الملاءمة التامة ، فهذا لم يحدث تاريخيا ، كذلك فان رجال الدين نظرا لتخصصهم قد يكونوا مدركين لاهتمامات الرجل العادى • وعلى أية حال، فان النظام الدينى كضرورة ، يجد نفسه منشغلا فى الانشطة العلمانية ، فقد يخضع لتنظيم بيروقراطى ، وقد يصبح جزءاً من نسق اقتصادى كبير فى المجتمع ، وقد ينشغل بالانشطة السياسية الداخلية والخارجية • كل هذا يجعل النظام الدينى فى موقف غير مناسب للمجتمع الحديث • ولعل النتيجة الحتمية لهذا هو أن الافراد قد يبحثون عن تفسيرات بديلة للحقيقة ، وبهذا يفقد الفرد انتماءه الدينى • كذلك قد يساعد على هذا الموقف أن الفرد قد يجد أختلافا بين ما يعلمه من الآباء وبين ما يمارس من سلوك دينى • زد على ذلك طبيعة الحياة الحديثة وما تتميز به من وجود مواقف اجتماعية مختلفة طبقا للتخصص فى المهنة أو الطبقة الاجتماعية أو محل الاقامة ••• وهكذا • وبطبيعة الحال يؤدى كل هذا الى زيادة الانشقاق بين النموذج الرسمى للتجربة الدينية وبين ما يمارسه الافراد فى حياتهم العادية(٥) •

ولعل الخاتمة التى توصل اليها لكمان مؤداها أن المعايير المميزة

---

(5) Luckmann, T., *The Invisible Religion op. cit.*, PP. 37-43, 58 73-74, 91, 94 104 116-117.

للانظمة الدينية التقليدية ، والتى أخذت الشكل الرسمى ، لا يمكن أن تستمر كمقصد للدين فى المجتمع المعاصر . بمعنى آخر ، أن الدين لن يستمر فى المجتمع الحديث لو استمر فى شكله وأنظمته والاشكال التقليدية للتعبير عنه . ويرجع لكمان هذا الى عملية تنظيم الدين فى نظام متخصص، فهذا قد جعل من الدين واحدا من العديد من الانظمة فى المجتمع . وبالتدريج انحصر الدين فى جانب الحياة الخاصة بالافراد والجدير بالذكر أن الانظمة الدينية التقليدية ستظل كأحد البدائل المتاحة التى يختار الفرد من بينها نماذج للمعنى والارضاء المطلق . ويرى لكمان هنا أن المسائل الدينية الرئيسية المتعلقة بالذاتية الفردية وكيفية مواجهة مشاكل الحياة والموت مازالت موجودة ، ولكنه لا يقصد هنا الدين بأشكاله التقليدية . فالاتجاه نحو الفردية والتعدد قد يؤدى الى نتيجتين حتميتين ، اما الاتجاه نحو الاستقلال الشخصى والى اللا معيارية ، أو الانسحاب من الحياة العامة والانزواء الى الحياة الخاصة . وما يقترحه لكمان هو أن انتصار العلمانية والفردية على الاديان التقليدية سوف يؤدى الى وجود ما يسمى بالدين غير المرئى invisible religion طالما أن الناس يعيشون حالة من اللامعيارية والاختلاف بالنسبة للمعايير المجتمعية أو يفقدون مسئوليتهم بالنسبة للمجتمع الذى يعيشون فيه[٦] .

ولعل ما توصل اليه برجر ولكمان من تفتت الدين التقليدى فى مواجهة العلمانية وتغلب الفردية على المطلق هو ما حاول بعض المفكرين أن يجدوا له قاعدة تاريخية وهو ما يطلق عليه الدين المدنى Civil religion . فيرى بللا Bellah أنه على الرغم من أن الطائفية وانتشار العلمانية كان على حساب الاشكال التقليدية للدين الا أن هناك نسقا فوقيا أو

(6) **Johnstone, R., L., *op. cit.*, PP. 332-333.**

فرعيا للفهم الدينى العام والذى يميز المجتمع المعاصر•وبالنسبة للمجتمع الامريكى يرى بللا أنه على الرغم من أن الاعتقادات والممارسات الدينية تعد أمورا شخصية ، الا أن هناك عناصر عامة فى التوجيــه الدينى لمعظم المجتمع الامريكى • هــذه العناصر العامة هى التى لعبت دورا هــاما فى تطور الانظمة الامريكية واعطاء جانب دينى للحياة الامريكية ككل • هذا الجانب العام من الدين يتمثل فى نسق من الاعتقادات والرموز والشعائر وهو ما يطلق عليه « الدين المدنى »(٧) •

ويرى وليمز J. P. Williams أن الدين المنظم يجب أن يكون له دور فعال بالنسبة لعملية العلمانية والدين المدنى • ويعتمد وليمز فى رأيه هذا على أن للدين وظيفة تكاملية فى المجتمع وبالرغم من اتفاق وليمز مع ينجــر ولكمان فيمــا يتعلق بخســوف وتراجع الدين النظــامى وظهور الاختيارات التعددية من الانساق الرمزية الاخرى ، الا أن وليمز يؤكــد على حاجة المجتمع الى الدين ، فهو يرى أن العامل التكاملى هو ما يطلق عليه « الدين المجتمعى » Societal religion • وهذا الشكل من الدين يختلف عن الدين الشخصى Private religion الذى يشارك فيه الفرد مع عــدد قليل من الافراد الآخــرين ويختــلف كذلك عن الدين الطائفى denominational religion • ويشــير وليمز الى أن الدين الطــائفى قد

---

(7) Bellah, R., N., "Civil Religion in America", in W. C. Mcloughlin and R.N. Bellah (eds.) *Religion in America. Boston* Houghton Mifflin, 1963. PP. 5-9.

يعرف كولمــان Coleman الدين المدنى بأنه (مجموعة الاعتقــادات ، والشعائر والرموز التى تربط دور الانسان كعضو فى المجتمع ومكانة المجتمــع فى الكون والزمــن والتاريخ مع الظروف الخاصة بالوجود المطــلق ومعناه) • انظــر :

Coleman, J., A., Civil Religion, "*Sociological Analysis*. Vol. 31 (1973) No. 2. P. 76.

تغير كاستجابة للتغــير الاجتماعى ، بينما استمر « الدين المجتمعــى » مؤديا وظائفه لفترات طويلة • والفكرة التى يعتقدها وليمــز هى أن دور العبادة فى أمريكا يجب ألا تتخلى عن قيمها الطائفية ، ولكن بالاضافة الى ذلك عليها أن تعضد القيم التى تحاول خلق حياة أفضــل للمجتمع ككل • بمعنى آخر ، يرى وليمز أنه أراد الدين أن يعود لمــارسة دوره التكاملى فى المجتمع ، فان هذا يتضمن اضمحلال الصفة الطائفية للدين[٨] •

ومن ناحية أخرى نجد أن هناك اتجاها آخر يمثله اندريه جريلى يرى أن الدين النظامى ، خاصة فى أمريكا لم يفقد وظائفه بعــد • فعلى الرغم من أن جريلى يرى أنه سوف تحدث تغيرات عديدة فى الدين بأمريكا خلال الفترة القادمة ، الا أنه يعتقد أن هذا لن يمس الاسس الهــامة فى الدين النظامى • بمعنى آخر فانه على الرغم من تزايد الاشــكال الديموقراطية فى التنظيم والسماح بوجود تنوع داخــل الطوائف الدينية ، واستمرار الحوار بين رجال الدين وعلماء العلوم الاجتماعيــة ، الا أن الدين سوف يظل بأشكاله التى تعودنا عليها الآن ، كما هــو كقوة مؤثرة فى المجتمــع الامريكى • وتنطــوى فكرة جــريلى على افتراضين أساسين همــا : ان الانسان سوف يستمر فى حاجة الى الدين ، أو بمعنى أصح ، سوف يستمر فى مواجهة مشاكل تتطلب اجــابات دينية ، كذلك فان النــاس الذين لهم انتماءات مع جماعات دينيــة يحسن بأنها تشبع رغباتهم وحاجاتهم سوف يستمرون فى انتمائهم هــذا • وهذا كله يعنى أن الدين النظــامى سوف يســـتمر[٩] •

---

(8) Williams, J., P., *What Americans Behave and How They Worship*. N. Y. : Harper & Row., 1969. PP. 481-484,388 491.

(9) Greeley, A., M., *Religion in the Year 2000* New York Sheed and Ward, 1969. PP. 168. 171-173.

وأخيرا نشير الى اهتمامات عالم الاجتماع الدينى بمشكلة العلاقة بين الدين والشباب المعاصر ، خاصة وأنه على مستوى العالم نجد اهتماما متزايدا من جانب الشباب بالبحث عن «بدائل» دينية على حساب الاديان التقليدية المتوارثة•ففى أمريكا مثلا،نجد اهتماما بالاديان التى لها الطابع الصوفى مثل البوذية أو الهندوسية • والسبب فى هذا ، ان هذه الاديان تتميز باتجاهاتها الذاتية فى مقابل الاتجاه الجمعى للاديان التقليدية ، فالاتجاه السائد الآن بين الشباب أنهم ليسوا فى حاجة الى من يعلمهم أى شىء من الحياة ولكن ينبغى أن تعطى لهم الفرصة ليخبروها بأنفسهم • ولهذا نجد العديد من الشباب فى المجتمعات الغربية يحاولون الانسحاب من الحياة العامة كمحاولة لمعرفة أنفسهم أو التوصل الى الراحة العقلية والنفسية • وانتهى الامر الى ذلك التفشى الواسع للانحلال الخلقى والجنسى واستخدام العقاقير المخدرة بين الشباب • ونجد كذلك اتجاهات أخرى للشباب متمثلة فى بعض الحركات الاحيائية أو المحافظة على الاشكال المتوارثة من التراث أو الفكر الدينى • بينما نجد جماعات أخرى اتخذت من العنف سبيلا لاهدافها الدينية كمحاولة منها للسيطرة على القوة فى المجتمع • هذا بخلاف الجماعات الالحادية التى ترى أن الاديان وما تحتويه تمثل نوعا من المغالطات التى يجب أن يتجرد منها عقل الانسان •

ومرد كل ذلك ، أن حركة الشباب ، على مستوى العالم ، تحاول أن تميز نفسها عن كل ما هو متوارث أو تقليدى • ويفسر البعض هذه الحركات الشبابية بأنها بمثابة ثقافة مضادة Counter culture للشباب الذى يعد نفسه فى موقف الحيرة فى المجتمعات التى يعيش فيها سواء بسبب عدم الرضا المهنى الذى يواجهونه بعد التعليم أو بسبب استخدام بعض الجماعات السياسية لهم كوسيلة للاعتراف بها أو بسبب الوعى الكاذب الذى تفرضه عليهم أجهزة الاعلام ووسائلها(١٠) • وهذه الثقافة

---

(10) Roszak, T., *The Making of Counter Culture*. Garden-city N. Y. : Doubleday, 1968. P. 16.

المضادة نابعة أصلا من عدم الرضا عن الاجابات التى يتلقاها الشباب عن الاسئلة التى يثيرونها ، فهذه الاجابات غالبا ما تتسم بعدم الاقنـــاع أو عدم الاتفاق مع متطلباتهم • كل هـــذا يجعل من حركة الشباب حـــركة سياسية تحـــاول تغيير النســـق ككل فى المجـــالات التعليمية والسياسية والاقتصادية ، كل هذا يتم باسم الدين •

ولا شك أن هذا مجال حيوى لعالم الاجتماع الدينى ، واهتمامه هنا يكون بدراسة أشكال الجماعات المكونة لهذه الحركات والنوعية الخاصـــة بالذين ينتمون اليها ، والاسئلة والموضوعات التى تحاول الاجابة عليها • وتجدر الاشارة هنا الى أنه قد تبين أن الذين ينتمون الى هذه الحـــركات معظمهـــم من الذين واجهوا صـــعوبات فى تحـــديد ذاتيتهم فى مجتمعهم ويحاولون ايجاد بدائل لهذا ، أو من بين الذين يبحثون عن الحب والقبول والانتماء ، وهى أشياء افتقدوها فى حياتهم وعلاقاتهـــم الاسرية • ففى الانتماء لمثل هذه الحركات يجد الاشخاص علاقات بديلة افتقـــدوها بين أسرهم أو فى مجتمعاتهم[١١] •

من كل ما سبق نخلص الى الدين بمعناه الواســـع لن يختفى أو يفتر الاهتمام به ، رغـــم أن بعض تنظيماته وأنظمتـــه قد يصيبها التغـــير أو التعديل • فالدين لا يمكن أن يتساوى بتنظيماته أو بأشكاله ، ورغم هذا فان هناك مرونة فى شكل ومحتوى الدين حتى يواجه مشاكل المستقبل • حقيقة قد يكون الانســـان أمام العديد من الاختيـــارات الا أن الانسان سوف يظل ينتمى الى « دين » معين • فالعلمانية ليست بديلا لاهتمامات

---

(11) Glock, C., Y., (ed.) ***Religion in Sociological Prespective : Essays in the Empirical Study of Religion.*** Belmont Calif. : Wadsworth, 1973, PP. 261-279.

الانسان المطلقة • وعلى الرغم من هذا فقد تركت العلمانية بعض أثارها على الانماط والاشكال التقليدية للدين • وسوف يكون لها تأثيرات أخرى فى المستقبل • ومناقشتنا لاتجاهات الشباب لا تعنى سيادة هذه الانماط على المجتمع ككل ، ولكن يجب أن ننظر الى هذه الحركات فى علاقتها الوظيفية بالمجتمع • فهذه الحركات تؤدى وظائفها فقط فى أوقات الاضطرابات أو الازمات أو الاضطهاد أو الاحباط السياسى أو الاقتصادى ولكن اذا ما أستمرت هذه الحركات فى وظائفها فانها قد تؤدى الى وظائف سلبية فى المجتمع حيث تجذب لها العديد من الاعضاء وتحاول أن تسلخهم عن حياتهم وقيمهم الاجتماعية والدينية العامة • وهذا ما قد يهدد البناء الاجتماعى فى أى مجتمع •

وعلى الرغم من هذا ، سوف يستمر الدين بشكل أو بآخر ، قد تتغير أشكاله ولكن المشاكل والمواقف التى أوجدته فى الماضى سوف تستمر فى اثارة الناس للبحث عن الدين • فالدين له مستقبل طالما أن للانسانية مستقبل •

تم بحمد الله تعالى

المصـــــادر

أولا : دوائر المعارف الاجنبيـــة :

1) Bellah, R., "Religion : The Sociology of Religion", *Internaltional Encyclopaedia of Social Sciences*. N. Y. : Free Press 1968.

ثانيا : الكتب العربيـــة :

٢ ــ الخشاب (أحمد) **الاجتماع الدينى : مفاهيمه النظرية وتطبيقاته العملية** ، القاهرة : مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٧٠ .

٣ ــ الطويل (توفيق) **قصة الصراع بين الدين والفلسفة** ، القاهرة ، مكتبة مصر : ١٩٥٨ .

٤ ــ العابد (محسن) ، **مدخل فى تاريخ الاديان** ، تونس ، دار الكتاب، سوسه ، ١٩٧٣ .

٥ ــ النشار (على سامى) **نشأة الدين : النظريات التطورية والمؤلهة** ، الاسكندرية ، دار نشر الثقافة ١٩٤٩ .

٦ ــ دراز (محمد عبد الله) **الدين** ، بحوث معهد دراسة تاريخ الاديان، بيروت ، دار العلم ، ١٩٧٠ .

٧ ــ شلبى (أحمد) ، **مقارنة الاديان** (٤ أجــزاء) القاهرة ، مكتبـــة النهضة العربية ، ١٩٦٦ ــ ١٩٦٧ .

٨ ــ غروية (لويس) قنواتى (ج) **فلسفة الفكر الدينى بين الاسلام والمسيحية** (ثلاثة أجزاء) ترجمة صبحى الصالح ، فريد جبــر ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٧ .

ثالثا : الدوريات الاجنبيــة :

9) Adams, C·, C., "The Sonusis", *Muslim World.*

10) AL-Faruqui, I.,R.,"The Essence of Religions Experience in Islam", *Nnmen,* Vol· XX No· 3. 1975.

11) AL-Faruqui, I., R·, 'The Problem of the Metaphysical Status of Values in the Western and Islamic Traditions" *Studia Islamica,* Vol., 28.

12) Allardt, E., "Approaches in the Sociology of Religion", *Temenos : Studies in Comaparative Religion* Vol.6·1970

13) Anderson, P·, N., "Ascetic Protestantism and Political Preference", *Review of Religions Research,* Vol. 7 (1966) No. 3.

14) Ball, D·, W·, "Catholics, Calvinists, and Ratienal Control Further Explorations in the Weberian Thssis, "*Sociological Analysis, V*ol. 25 (1965) No. 4·

15) Bellah, R., N·, "Civil Religion in America", *Daedalus* (Winter 1967)·

16) Berger, P·, Luckmann, T·, "Sociology of Religion and Sociology of Knowledgo", *Sociological and Social Research.* Vol. 47. (July 1963) No. 4.

17) Berger, P·,L·,"A Sociological View of The Secularization of Theory", Vol· 1, (1966) *Journal for Scientific Study of Religion.*

18) Berthold, Fred, "The Meaning of Religions Experience" *Journal of Religion.* XXXII, 1952.

19) Blizzard, Samnel, "The Minister Dilemma", *Christian Century,* 73 (April 25, 1956).

20) Bouma, G., D·, "Assessing The Impact of Religion, A Critical View, "*Sociological Analysis·* Vol·31. (winter 1970) No. 4.

21) **Calverlay, E., "The Doctorines of the Arabian Brethern"** ***Muslim World.***

22) Carlton, F., "Technological Advance, Government, and Religion, *"Sociology and Social Research"* Vol. 41, (Nov, Dece. - 1956) No. 2.

23) Cohnman, W., "Religion and Nationality", A. J. S. Vol. XLIX (May 1944) No. 6

24) Colman, J., A., "Civil Religion", *Sociological Analysis* Vol. 3. (Summer 1970) No. 2.

25) Coleman, J., A., Civil Religion, *"Sociological Analysis* Vol. 31 (1973) No. 2.

26) Cox, Harvey, "The New Breeds", ***Daedolus***(winter 1967)

27) Davis, Kingsley., "Myth of Functional Analysis as a Special Method in Secology and Anthropology", A.S.R. (December 1954). n'ytfiwdi'0Y '

28) Derroche, H.,"Areas and Methods of a Sociology of Religion, The Work of G. le Bras", *Journal of Religion.* Vol. XXXV (1955).

29) Ebersole, L., Religion and Politics, *Annals of American Academy,* No. 1960. Vol. 332.

30) Eister, A.,W.,"Research Method in Sociology of Religion" *Review of Religous Research, Vol.* 6, (Spring 1965) No.3,

31) Eister, Allen, W., "Religious Institutions in Complex Societies: Difficulties in the Theoretic Specificatin of Function", *A. S. R.* 22 (August 1957) No. 4.

32) Engels, F., On the History of Early Christianity, *Die Neue Zeit,* Vol. 1, 1894.

33) Etoops, J., D., "Religion and Social Institutions" *A.J.S.,* Vol. XViii (May 1913) No. 6.

34) Fallding, H., "Secularization and the Socred and Profane," *The Sociological Quarterly* Vol. 8 (1967) No. 3.

35) Finner, S., L., "New Methods for the Sociology of Religion" *Sociological Analysis*. *V*ol. 31 (Winter 1970) No. 4.

36) Firth, R., "Problem and Assumption in an Anthropological Study of Religion". *Journal of the Royal Anthropological Institute*. *V*ol. 89, 1959.

37) Fichoff, E., "The Protestant Ethic and the Spirit of cacitalism : The History of Controversy, *Social Research*, Vol. II, (1944).

38) Friedland, W. H., "For a Sociological Concept of Charisma", *Social Forces*, Vol. 43 (October 1964) No. 1.

39) Goody, J. "Religion and Ritual. The Definition and Problem," *B.J.S.* Vol. 12. 1961.

40) Gualtieri, A., R., "What is Comperative Religion Comparing : The Subject Matter of Religious Studies of Religion," *Journal For The Seientific Study of Religion* Vol. VI (April 1967) No. 1.

41) Guttman, L., "A Structural Theory for Intergroup Beliefs and, Action", *A. S. R.* Vol. 24 (June 1959) No. 3.

42) Hertzler, J., O., "Religious Institutions" *Annals of the American Academy of Political and Social Science*, March, 1948.

43) Hadden, J., K., and Heonan, T. "Empirical Studies in Sociology of Religion : An Assessment of the Past Ten Years" *Sociological Analysis* Vol. 31, (Fall 1978) No. 3.

44) Hodgsm, M., "Modernity and the Islamic Heritage, *Islamic Studies*.

45) Horton, R.,"A Definition of Religion and its Uses" *Journal of Royl Anthropological Institute*, Vol. 90. 1960.

46) Hudson, W.S. "Puritanism and the Spirit of Capitalism", *Church History,* Vol. XViii (March 1949), No. 1.

47) Hvidtfeldt, A.,"History of Religion, Sociology and Sociology of Religion", *Temenos,* Vol. 7 (1971).

48) Jeffery, A., "Present - Day Movements in Islam", *The Muslim World.*

49) Johnson, B., "Ascetic Protestantism and Political Preference in the Deep South," *A. J. S.*, Vol. LXIX (Januory 1964), No. 4.

50) Johanson, B., "On Church and Sect" *A. S. R.* Vol. 28 (August 1963).

51) Johnson, B,."A Critical Apparsial of Church-Sect Typology", *A. S. R.* Vol. 22 (Feb. 1957).

52) Khan, M., A., "A Diplomat's Report on Wahhabism of Arabia, Muslim World.

53) Kolb, W. "Images of man and Sociology of Religion" *Journal for the Scientific Study of Religion.* Vol.1 (October 1961) No. 1.

54) Kitagawa, J.,M.,"Theology and the Science of Religion" *Anglican Theological Review.* Vol. XXXI , No. 1 (1957)

55) Luckmann, T., "On Religion in Modern Society : Individual Consciousness, World View, Institution", *Journal for the Scientific study of Religion.* Vol. II (Spring 1963) No. 3.

56) Luckman, Thomas, "On Religion in Modern Society" *Journal for th Scientific Study of Religion.* Vol.2.(Spring 1963) No. 7.

57) Mack, R., W., Murphy, B., J., and Yellin, S., "The Protestant Ethic, Level of Aspiration, and Social Mobility : an Emprical Test", *A. S. R.* Vol. 21 (June 1956), No. 3.

58) Maddox, G., L., and Fichter, J., H., Religion and Social Change in the South", *The Journal of Social Issues,* Vol. 17, (Jan, 1966) No. 1.

59) Mayer, A., J., and Sharp. H., "Religious Perfernce and Wordly Success," *A. S. R.* (April 1962) Vol. 27.

60) Mens, R., L., Methodology For the Sociology of Religion : An Histroical and Theoretical Overview, *Sociological Analysis.* Vol. 31, (Winter 1970).

61) Mahmassani, S., Muslim : "Decadence and Renassance" *The Muslim World.*

62) Mullick, M. A. H., "The Challeuge of Modern Development Before the Muslim World-Cousidered in the Light of European and Islamic Cultural History", *Islamic studies,* Vol. 6 (1967) No. 3.

63) Nadel, S., F., "Two Nuba Religious : An Essay in Comparison, *American Anthropologist.* Vol. 57, No. 41(1955)

64) Nelson, Benjamin,"Is the Sociology of Religion Possible? A Reply to R. Bellah," *Journal of the Scientific study of Religion. V*ol. 9. (1970) No. 2.

65) O'dea, T., F., "The Sociology of Religion Reconsidered" *Sociology and Social Rescarch.* Vol. 31 (Fall 1970(No. 3.

66) Parsons, T., H., Robertson, on Max Weber and his School". *Journal of Political Economy,* Vol. 43 (1935).

67) Parsons, T., "Review of Samuilsson's Religion and Economic Action", *Journal for the Scientific Study of Religion,* Vol. 1 (Spring 1962), No. 2.

68) Parsons, T., "Capittlism in Recent German Literature : Sombart and Weber", Part II, *Journal of Political Economy* Vol. 37 (February 1929) No. 1.

69) Peapody, F., G., "The Socialization of Religion", *A.J.S.* Vol. Xviii (March 1913) No. 5.

70) Peter and Alice Rasse, "Parochial Scool Education in America" *Daedalus* (Spring 1961).

71) Pruyser, P.,"Some Trends in the Psychology of Religion, *Journal of Religion*. Vol. 40 (1960).

72) Putney, S., and Middleton, R., "Rebellion, Confomity and Parental Religious Ideologies" *Sociometry* Vol. 24 (June 1961) No. 2.

73) Rahman, F., "Islamic Modernism, its Scope Method and Alternative" *International Journal of Middle East Studies* Vol. 1 (October 1970) No. 4.

74) ...., "The Impatt of Modernity on Islam"*Islamic Studies*. Vol. 5 (1966) No. 2.

75) Reiss, P., J., "Science and Religion in the Evolution of Sociological Association, "*Sociological Analysis* Vol. 31 Fall, 1970) No. 3.

76) Rhoades, D., H., "What Social Science Has Done to Religion", *Numen,* Vol. IX (Jan. 1962).

77) Rosen, B., C., "Race, Ethnicity, and the Achievement Syndrome" *A. S. R.,* Vol. 24 (February 1959).

78) Scmelley, W., F., "The Wahhabis and Ibn Sa'ud", *Muslim World.*

79) Seppanen, P., "Religious Solidarity as a Function of Social Structure and Socialzation", *Tamenos,* Vol. 2, 1966.

80) Shils, E., "Charisma, Order and Status", *A.S.R.*, Vol. 30 (April 1965) No. 2.

81) Shneider, L., "The Sociology of Religion : Some Aress of Theortical Potential, "*Sociological Analysis*. Vol. 3 (Fall 1970) No. 3.

82) Simmel G., "A Contribution to The Sociology of Religion", *A. J. S.* Vol. LX Part II (May 1955) No. 6.

83) Sluzzo, L., "Sociology of the Supernatural", American *Catholic Sociological Review*.

84) Small, A., W., "The Church and Class Conflict", *A. J.S.* Vol. LX (May 1955) No. 6.

85) Summer, W., G., "Religion and the Mores, *A. J. S.* Vol. LX (May 1955) No. 6.

86) Vernon, G.M."The Religious Nuns : A Neglected Category; *Journal for the Scientific study of Religion.,* Vol. 7 (Fall 1968).

87) Verroff, J., Feld, S., and Gurin, G., "Achievement Motivation and Religious Background", *A.S.R.* Vol. 27 April 1926), No. 2.

88) Wallace, F., C., "Revitalization Movements", *American Anthropolagist,* Vol. 58, No. 2. (1956).

89) Wallin, P., "Religiosity, Sexual Grtification and Marital Satisfaction," *A.J.S.* Vol. 22 (June 1957) N. 33.

90) Wassef, W., Y., "The Influeuce of Religion, Socioeco omic Status, and Eduction on Anomie", *The Sociological Quarterly,* Vol. 8. (Spring 1957) No. 2.

91) Wilson B., "An Analysis of sect Development *A. S. R.,* Vol. 24. (Feb. 1959).

92) Wilson, B.,R.,"An Analysis of Sect Development", *A.S.R.* Vol. 24. (Feb. 1959).

93) Wood, H.,"Puritanism and Capitelism", *The Congrgational Quarterly,* Vol. 29 (April 1951) No. 2.

94) Yinger, J., M., "Areas For Research in The Sociology of Religion", *Sociology and Social Research* Vol. 42 (July - April 1958) No. 6.

— o•• —

95) Yinger, J., M., "Plurals, Religion, and Secularism", *Journal For the Scientific Study of Religion,* Vol. 6 (April 1967) No. 1.

96) Zahn, G., The Commitment Dimontion *"Sociological Analysis* Vol. 31. (Winter 1970) No. 4.

97) Allport, G.,*The Individual and his Religion*. New York: Macmillan, 1950.

98) Allport, G., *"Paychology, Psychiatry and Religion.* Mass Andover Newton Bulletin, Vol. XLiv (1952).

99) Alpert, H., "Duakheim Fanctional Theory of Ritual" in Nisbet, R., (ed.), *The New Nuns.* New York : New Nisbet, R., (ed.), *Emile Durkheim,* Fnglewood: Spesturm Books, 1965.

100) Barromco, M.,C., (ed.) *The New Nuns.* New York: New American library, 1967.

101) Bellah, R., N., *Tokugawa Religion The Values of Pre-Industrial Japan.* Glenca, III : Free Press, 1957.

102) Bellah,R., V., "Civil Religion in America," in W. C. Mcloughlin and R. N. Bellah (eds.) *Religion in America.* Boston : Houghton Mifflin, 1963.

103) Bellah, R., N., (ed.), *Religion and Progress in Modern Asis* New York : Free Press, 1965.

104) Bendux, R.,*MaxWeber, An Intellectual Portrait,* Garden City, New York : Doubleday & Company, 1962.

105) Benson, P., H., *Religion in Contemporary Culture.* New York : Harper & Brothers, 1960.

106) Benton, M.,(ed.) *Anthropological Approach to the Study of Religion.* London : Tavistock Publications Limted 1968.

107) Berger, P., A., *Rumor of Angels* : Modern Society and *The Supernatural.* N. Y. : Doubleday Company, Inc. 1969.

108) Barger, Peter, L., The Sacred Conopy : *Elements of a Sociological Theory of Religion.* New York : Dovbleday & Company, Inc. 1969.

109) Bianchi, E., C., *The Religious Experience of Revolutionaries.* New York : Doubleday & Company Inc., 1972.

110) Bowman, L., *The American Funeral* : A Way of Death. New York : Paperbook Library, 1964.

111) Bndd, S., *Sociologists and Religion.* London : Cellier Macmillan Puplishers, 1973.

112) Caird, E., *The Social Philosiphy and Religion of Comte.* Glasgow : James Maclehous and Sone 1885.

113) Charnay, J.,*Islamic Culture and Socio-Economic Change* Leiden : E., J., Brill, 1971.

114) Comte, A., *The Positive Ph—ilosophy.* Trans, by H. Hartineau, 1853.

115) Davis, Kingsley, *Human Society.* New York : the Macmillan Company, 1949.

116) Devine, George, *New Dimentions in Religious Expserience,* New York : Alba House, 1971.

117) Durkheim, E., *The Elementary Forms of Religious Life.* Trans. by J. W. Swain, 1915.

118) ...., *The Divion of Labour in Society.* Trans. by G. Simpson, 1947.

119) Eliada, M., and Kitagawa, (eds.) *The History of Religions* : Essays in Methodology, Chicago : The University of Chicago, 1959.

120) Engels, F. *The Peasant War in Germany,* 1927.

121) ...., *State of the Working Class in England* 1844, 1958.

122) Evans - Pritchard, E., *Theories of Primitive Religion.* Oxford : At the Clarendon Press, 1965.

123) ...., *Nuer Religions,* Oxford Clarendon Press,1956

124) Farber, *M., The Foundotion of Phenomenology.* Combe-ridge, Harvard University Press, 1943.

125) Fichter, J., *Dynamics of A City Church.* Chicago : University Press. 1951.

126) ...., *Social Relitions in Urbam Parish.* Chicago : University of Chicago Press, 1954.

127) Frazer, J., G., *Magic and Religion.* 1944.

128) ...., *The Golden Bough, London* : Macmillan, 1933.

129) Freud, S., *Totem and Taboo,* Trans.by A. A. Brill, N. : Moffat, Yard & Co. 1918.

130) Fromm, E., *Psycho-analysis and Religion* : New Haven Conn : Yale University Press, 1950.

131) ...., *The Dogma of Christ,* 1963.

132) Geeter, C., *The Religion of Java,* Glencoe, III. : The Free Press, 1958.

133) Glock, C., Y., (ed.) *Religion in Sociological Perspective : Essays in the Empirical Study of Religion.* Belmont, Calif. : Wadsworth, 1073.

134) Glock, C., Y., "The Sociology of Religion", in Robert K. Merton and Others (eds.) *Sociology Today.* New York : Basic Books, 1959, Vol. 1.

135) Goode, W., J., *Religion Among the Primitives*. N. Y. : The Free Press, 1951.

136) Gordon, A. I., *Social Relations in an Urban Parish*, Chicago : Chicago University Press. 1954.

137) ...., *"Jews in Suburbia"*, (1959).

138) ...., *Parochial School : A Sociological Study*. Noterdam, Ind., : University of Noter Dam Press, 1958.

139) Greely Andrew, *"The Chruch and Suburbs"* (1959).

140) Greely, A., *M., Religion in the Year* TZZZ. New York : Sheed and Ward, 1969.

141) Green, R.,W.,(Ed.), *The Protestantism and Capitalism*: The Weber Thesis and its Critics, Boston : D. C. Health and Co. 1965.

142) Guyan, M., *The Non - Religion of the Future : A Sociological Study*. N. Y. : Schocken Books, 1962.

143) Harris, C. P., *Nationalism and Revolution in Egypt. The Role of the Muslim Brotherhood*. The Hague, London : Mouton & Co. 1964.

144) Herberg, Will,*Protestant, Catholic*, Jew. Garden City, N. Y. : Doubleday, Anchor Book, 1960.

145) Herbrg, *Protestant, Catholic and Jew; An Essay in American Religious Sociology*. N. Y. : Doubleday Inc., 1955.

146) Hick, J., *Philosophy of Religion*. Englewood Cliffe, N.J. Prentice-Hall, Inc. 1963.

147) Hill,M.,*A Sociology of Religion*. New York : Basic Books, Inc., 1973.

148) Hobhouse, L., T., *Morals in Evolution*, 1951.

149) Hoult, T., F., *The Sociology of Religion*. New York : Holt, Rinehart & Winston, Inc., 1958.

150) Hugel, B., F., V., *Essays and Addresses on Philosophy of Religion*. London; Dout, 1949.

151) Hsu, Francis, *Science. Religion and Human Crisis*. New York : Humanities, 1952.

152) Husayni, I., M., *The Muslim Brethren, The Cratest of Modern Islamic Movements* trans. by. J. F. Brown and J. Rocy Beirut, Lebanon : Khayat's Colloge Book Cooperative, 1956.

153) James, W., *The Varities of Religions Explrience*. N. Y.: Modern Library, 1937.

145) Johnstone, R., L., *Religion and Society in Interaction : The Sociology of Religion*. Englewood Cliffs N. J.: Prentice Hall, Inc., 1975.

155) Johnson, P., E., *Psychology of Religion*. N. Y. : Abingdom. 1945.

156) Kashyap, B., J., "Origin and Expansion of Buddhism" in K.W.Morgan (ed.)*The Parth of the Buddha*. New York: Ronald Press, 1956.

157) Khlifa M., K., H., *Jewish and Islamc Contribitions to the Study of Religion*. (Unpublished Ph. D., Disseration) Temple University (U. S. A.) 1976.

158) Kitagaw, J., M., "The History of Religions in America" in Eliade, M. and Kitagaue, J., M., *The History of Religions Essays in Methodology*. Chicago : The University of Chicago Press, 1959.

159) ...., *The History of Religions* : Essays on the Problem of Understanding. Chicago : The University of Chicago Press, 1976.

160) Kluckhon, Clyde, *Navoho Witchcraft*. Cambridge, Mass, Peabody Museum, 1944.

161) Kristenson, B., *The Meaning of Relig:on*. Trans. by J.B. G. Garman. The Hague, 1960.

162) Les, R., S., *Freud and Christianity*, 1948.

163) Leuski, G., *The Religion Factor* (Garden City, N. Y. Doubleday, (1961).

164) Lepold Von Wiese and H. B. Becker, *Systematic Sociology* : N. Y. : Wiley, 1932.

165) Lerner, D., *The Passing of Traditional Socicty; Moaderenizing The Middle East* (New York : The Free Press, 1964).

166) Leslie, C., *Anthropology of Folk Religion*, New York : Vintage Books, 1960.

167) Lewis, H., D., and Stater, R., L., *The Study of Religions Meating Points and Major Issues*. Baltmores Penguin Books, 1966.

168) Levi Strauss, C., *The Savage Mind* Chicago, London 1965.

169) Lincoln, C., E., *The Black Muslems*. Boston : Beacon Press, 1963.

170) Lipset, S., M., and Bendix, R., *Social Mobility in Industrial Society*, Berkeley : University of Callfornia, 1960.

171) Lowie, R., *Primitive Religion*. N. Y. : Boni ج Lweight, 1924.

172) Luckmann, T., *The Invisible Religion. The Problem of Religion in Modern Societies*. New York : the Macmillan Company, 1967.

173) Malinowski, B., *Magic, Science and Religion and Other Essays*, Glencoe, III. : The Free Press, 1948.

174) Manning Nash, *The Golden Road to Modernity*: Village Life in Contemporary Burma. N. Y. : John Wiley, 1965.

175) Marx, K., "Critique of the Hegelian Phillisiphy of Law in Economic and Philosophical Mannscripts. 1944.

176) Marx, Karl and Engels, F. *on Religion*. Moscow Foreign Languge Publishing House, 1957.

177) ...., *Anthology on Religion,* 1958.

178) Mc Clelland, D., C., *The Achieving Society,* N. Y.: The Free Press, 1961.

179) Mcpheson, T., *The Philosophy of Religion*. London : D. Van Nostrand Company Ltd., 1965.

180) Merton, R., K., *Sociol Theory and Social Structure. Toward the Codification of Theory and Research*. N.Y. : the Free Press, 1957.

181) Mitchell, *The Society of Muslim Brethren. London* : Oxford University Press, 1969.

182) Moberg, D., O., *The Church as a Social Institution*. Englewood Cliffs, N. J. : Prentice - Hall, 1962.

183) Moore, J., M., *Thecreis of Religious Experience with Special Reference to Jemes Otto and Bergson*. N. Y. : Round Table Press, 1938.

184) Mora, Jose, Ferrater, *Philosophy Today,* N. Y. : 1960

185) Nadel, S., F., *Nupe Religion*. Glencoe, III. : Free Press 1954.

186) Niebuhr, H., R., *the Social Sources to Demonistrationalism*. N. Y. : Meridian, 1947.

187) Nisbet, R., A., *The Sociological Tradition*. London : Heinemann, 1967.

188) Nottingham, E., K., *Religion : A Sociological View*. N. Y. : Randome House, 1971.

189) O'dea T.,*The Mormous.*, Chicago: University of Chicago Press, 1957.

190) ...., The *Sociology of Religion,* Englewood Cliffs, N. J. : Prentice Hall, Inc., 1966.

191) Otto, R., *The Idea of the Holy* Trans. by J W. Harvey. London : Oxford, 1946.

192) Pall, Solomon, *The Hasidic Community of Williamsburg* Glenso, III. : Free Press, 1962.

193) ...., *Religions Perspectiver of College Teaching in Social Psychology*. New Haven : Edward W. Hazen faundation 1951.

194) Parsons, T., "Christianity in Modern Industrial Society" in E. Tiryakian (ed.) *Sociological Theory, Values, and Sociecultral Change,* Glencoe, III. : Free Press, 1963.

195) ...., *The Social System*. Glencoe,III. : Free Press, 1951.

196) Pfister, O., *Christianity and Fcar,* 1949.

197) Pratt, J., B., *The Pilgrimage of Buddhism and a Buddhist Pilgrimage*. New York : Macmillan, 1928.

198) Radcliffe, Brown;A.,*Structure and Function in Primitive Seciety* & Gleucoe, III. : Free Press, 1952.

199) ...., *Taboo,* Cambridge : Cambridge University Press, 1930.

200) Reo fortune, *Manus Religion,* Philadelphia: The American Philosophical Society, 1935.

201) Riesman, D., et. al., *The Lonely Crowd* New Haven : Yale University Press, 1950.

202) Robertson, R., *The Sociological Interpertation of Religion* New York : Schcken, 1972.

203) Rodin, P.,*Primitive Religion, Its Nature and Origin,* New York : Viking, 1957.

204) Rozak, T., *The Making of Counter Culture.* Gardencity N. Y. : Doubleday, 1969.

205) Samuelsson, K., *Religion and Economic Action.* trans. by E. G. French : New York : Harper Torchbooks, 1961.

206) Scarf, B., R., *The Sociological Study of Religion.* N.Y. : Harper Torchbooks, 1970.

207) Schmidt, W., *The Origin and Growth of Religion,* 1931.

208) Schneider, Lowis; and Sanford M. Darabush, *Popular Religious.* Inspirational Books in America, Chicago : University of Chicago Press, 1958.

209) Schopes, Hnas-joackin, *The Religions of Mankind : Their Origin and Development.* Trans. by R. and C. Winston New York : Doubleday & Company. Inc., 1968.

210) Simme, G., *Sociology of Religion* Trans. by C. Rosenthal New York : Philosophical library, 1959.

211) Sklar, Marshall, *Conservative Judaism : An American Religious Movement.* Glenco, III. : Free Press, 1953.

212) Smart, N., *The Phenomenon of Religion.* New York : The Macmillan Press, LTD, 1973.

213) Smith, D., E., (ed.) *Religion, Politics, and Social Change in the Third World.* New York : Free Press, 1971.

214) ...., (ed.) *Religion and Political Modernization.* New Haven : Yale University Press, 1974.

215) Sumner, W., G., and Keller, A., G., *The Science of Society* New Haven : Yale University Press, 1927, Vol. II.

216) Swanson, Guy, E., *The Birth of the Gods : The Origin of Primitive Beliefs*. Michigan : University of Michigan Press, 1960.

217) Tawney, R., H., *Religion and the Rise of Capitalism : A Historial Study* New York : Harcourt, Brace and World Inc., 1926.

218) Tillch, *Systematic Theology*. Chicago : the University of Chicago Press, 1951, (3 Vol.).

219) Toynbee, A., *The World and the West*. New York : Oxford University Press, 1958.

220) …………, *An Historian's Approach to Religion,* London: Oxford University Press, 1957.

221) Troeltsch, E., *The Social Teachings Christian Church,* trans. by O. Wyon, 1931 (2 Vols).

222) Turner, *Weler, and Islam,* London and Boston: Routledge & Kegan Paul, 1974.

223) Van der Leeuw, G., *Religion in Essence and Manifestations*. Trans. J. E. Turner. New York : Harper & Raw, 1963 (2 Vols).

224) Vershof, P., H., "What is the Sociology of Religion" in J. Brothers, (ed.) *Readings in Sociology of Religion*. Oxford : Perganon Press, 1967.

225) Vernon, G., M., *Sociology of Religion*. New York : McGraw Hill, 1962.

226) Wach, Joachim, *The Comparative Study of Religion*. Ed. by J.M. Kitagawa. New York: Colombia University Press 1958.

227) …………, *Types of Religious Experience*. Chicago : University of Chicago Press, 1951.

228) Watt, Montgomery, W., *Islam and the Integration of Society*. Evanston, III. : North University Press, 1961.

229) Webb,C.,J.,*The Historical Element in Religion* London: Allen and Unwin, 1935.

230) Weber, M., *The Ancient Judaism*. Trans. by Gerth and Martindale, 1952.

231) ...., *The Religion of Chins. Confucianism and Taoism*. New York : Macmillan 1964.

232) ...., *The Protestant Ethic and Spirit of Capitalism*. London University Books, 1930.

233) ...., *The Sociology of Religion*. trans. by E. Fischoff, London : Methuen, 1965.

234) Williams, J., P., *What Americans Behave and How They Worshop*. N. Y. : Harper & Row, 1969.

235) Wilson, B., *Religion in Secular Society*. London. C. A. Watts and Co., 1966.

236) Yinger, J., M., *Religion, Society and the Individual* The Macmillan Company, 1957.

237) ...., *Sociology Looks at Religion*. N. Y. : The Macmillan Company, 1963.

238) ...., *The Scientific Study of Religion*. London. The Macmillan Co. 1970.

محتويات الكتاب

صفحة

الفصل الثانى

التطور التاريخى لعلم الاجتماع الدينى (٨٥ ـ ١١٧)

صفحة

الفصل الثالث

علم الاجتماع الدينى عند ماكس فيبر (١١٩ — ١٦٦)

صفحة

الفصل الرابع

القضايا الرئيسية في تحليل الدين (١٦٧ ــ ٢٠٨)

الفصل الخامس

مجالات البحث في ميدان علم الاجتماع الديني (٢٠٩ ــ ٢٦٤)

صفحة

صفحة

الفصل السادس

المدخل البنائى الوظيفى في دراسة الدين (٢٦٥ ــ ٣١٣)

الفصل السابع

الدين وأشكال المجتمعات (٣١٥ ــ ٣٤٩)

صفحة

صفحة

الفصل الثامن

التنظيم والسلطة الدينية (٣٥١ ــ ٣٨٩)

الفصل التاسع

التحليل السيوسيولوجى للتجربة الدينية (٣٩١ ــ ٤٤٩)

صفحة

صفحة

الفصل العاشر

الدين والتغير الاجتماعى (٤٥١ ـ ٤٧٨)

رقم الايداع بدار الكتب والوثائق القومية

٨١ / ٤٥٢١

الفنيـــة للطبـــاعة والنشر

٤٨ ش جـــودة ـ راس التين ـ اسكندرية

تليفـــون : ٨٠٣٢٥٠

كتب صدرت عن

دار المعرفة الجامعية

حصلت على جوائز الدولة التشجيعية

١ - علم الاجتماع الديني

للدكتور

محمد أحمد بيومي

أستاذ علم الاجتماع المساعد

بكلية الآداب - جامعة الإسكندرية

ص ٣٨٢ – ١٠

٢ - سورين كيركجارد

مؤسس الوجودية المسيحية

للدكتور

علي عبد المعطي محمد

أستاذ الفلسفة وتاريخها

بكلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٨٣ ص ٢٠٤

